

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية

عدد ممتاز

الإسلام والمسلمون في القرن العشرين

العدد الخامس والسادس
السنة الثالثة عشرة
ربيع الأول 1390
ماي 1970

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الخامس والسادس
السنة الثالثة عشرة
ربيع الأول 1390
ماي 1970
ثمن العدد : درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة ((**دعوة الحق**)) ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 20 درهما ، والشرفي 30 درهما
فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة ((**دعوة الحق**)) رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

**Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat**

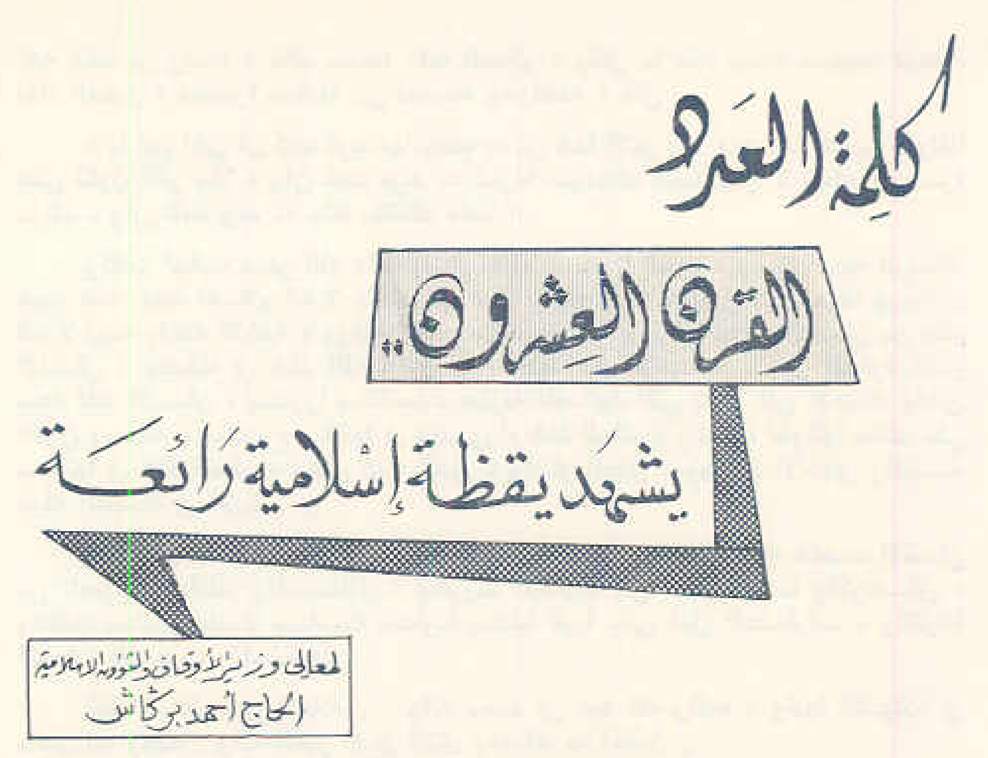
او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة ((**دعوة الحق**)) ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ
الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية
والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

((**دعوة الحق**)) ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط



يعيش العالم الاسلامي في الثاني عشر من شهر ربيع الاول يوما حافلا من أغر ايامه واعزها بمناسبة احتفاله بذكرى مولد أشرف الكائنات رسول الوحدة والتوحيد، ونبي الديمقراطية والمحبة والسلام سيدنا محمد بن عبد الله عليه السلام ..

ويمتاز شهر ربيع الاول الذي شعت فيه أنوار الرسالة المحمدية على أرجاء الكون بمزايا خصه الله بها دون بقية الشهور الأخرى ، اذ فيه ولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وفيه بعثه الله الى الناس كافة ، وفيه هاجر من مكة الى المدينة .. تلك الهجرة التي كانت منبع القوة والازدهار للاسلام والمسلمين ، ونقطة تحول كبير في التاريخ ، سجل أعظم انتصار مؤزر أحرزته الانسانية الحائرة المعذبة قبل مبعثه عليه السلام ...

لقد بعث عليه السلام ليخلص الانسانية من آلامها ، ويرفع عنها اصرهـا ، ويحطم الاغلال التي كانت عليها ، ويدعو الذين فرقوا دينهم ، وكانوا شيعا الى رأي جميع ، وخطة واضحة ، وطريق مستقيم ، وكلمة سواء ليدفع بهم نحو الطمانينة والاستقرار ، والتآلق والصفاء .

فلم تكن رسالته عليه السلام قاصرة على مجرد تصحيح العقيدة .. وعبادة الاه واحد .. دون اقتلاع أسباب الاضطراب والفوضى ، والقضاء على الفساد الـــذي استشرى في أطراف الجزيرة وفي كل مكان .. ودون اقامة نظام شامل للحياة يقوم على العدالة والانصاف .. ودون تكريم الانسانية والنهوض بها ، واعلان حقوق الانسان ..

فقبل البعثة المحمدية بلغ الذهن الانساني والعقل البشري من الشلل الفكري ، وبلادة الحس ، غاية عجز معها ان يتخطى الماديات والمحسوسات ، وان يعتقـــد للانسان اختصاصا بالنبوة والوحي ..

فقد كانت للعرب ، اذ ذاك ، معايير ومقاييس ورثوها عن آبائهم وأجدادهم ، فاذا رأوا بدعا من البشر يدعوهم الى الخير ، ويناديهم الى الفلاح ، أو مثالا جديدا للانسانية .. قاسوه بمقاييسهم .. ووزنوه بمعاييرهم .. فلما رأوا ما جاء به سيدنــــا محمد .. وعلموا بدعوته ورسالته التي أتى بها من الله وسمعوا ما تلا عليهم من آيات بينات . جعلوا أصابعهم في آذانهم .. ولم يصدقوا .. وأبلسوا .. فما نبسوا .. ثم أفرغوا جهدهم ... ولم يروا في محمد الا أنه طالب رخاء وثراء ، أو رائد ملك وسيادة، فأرسلوا

اليه عقبة بن ربيعة ، فكلم محمدا عليه السلام ، وكان ما قاله تمثيلا صحيحا لذهنية ذلك العصر ، وتعبيرا صادقا عن نفسيته وعواطفه ، قال :

« يا ابن أخي ان كنت تريد بما جئت به من هذا الامر مالا ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثر مالا ، وان كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمــرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا » .

وكانت اجابته صلى الله عليه وسلم تمثيلا صحيحا للنبوة ، وصورة حية للرسالة حيث أثبت عليه السلام أنه لا يتطلع الى ترف وثراء ، ولا يتطاول الى شرف ورخاء .. انه لا تهمه راحته الذاتية ، ورقيه الشخصي ، بل انه يريد ان يخرج الانسان من حكم الانسان ، ويدخله في حكم الله ، وفي دين جديد عام للانسانية ، دين الفطرة الذي يتجه اليه الانسان ، محفوزا بمقتضيات فطرته الصافية التي تدعو الى الاعتقاد بخالق الكون ومبدعه ، وبالروح وبقائها في عالم وراء هذا العالم ، وتترتب احوالها هناك على سيرتها في هذا العالم ، وعلى حب الحق ، وايثار العدل ، ومكارم الاخلاق واقامــة دولة الفضيلة في الارض ...

لقد اعلنها محمد صلى الله عليه وسلم ثورة هادئة مطمئنة رائعة خلصت الانسان من العبودية والظلم والاستغلال ، وحررت البشرية من اسار العنت والارهــاق ، وخلقت مجتمعا فاضلا متماسكا متعاونا متحابا قويا يبني أنبل الحضارات ، وأكثرها اسعادا للشعوب والمجتمعات .

انه الاسلام دين الخلاص .. وانه محمد بن عبد الله رائده ، وانها الشهادة في سبيل الله وحده .. وانه الفوز المبين الذي وعد الله به المتقين ..

*

لقد شهد العالم كله على هذا التاريخ يوم كتب فيه ، ان هذه الامة ولدت بمولد هذا الدين ، وتوحدت يوم آمنت كلها بنبيه ورسالته ، وخطت في طريق الخلود يوم قامت في الدنيا تنشر حضارته الزاهرة ، ورقيه الصحيح ، في يمينها كتاب الله تبدد به غياهب الظلام البهيم ، وفي يسراها سيف الحق تستعمله عند الاقتضاء والضــرورة التي تقدر بقدرها لمحاربة الباطل ، ومنازلة البغي والعدوان حتى أصبح العرب أهل الرياسة والكياسة والسياسة تدين لهم ، في وقت وجيز ، أعظم الامصار ، وتنهار أمامهم جيوش الفرس والرومان ، وتتحطم في طريقهم أمنع المعاقل والحصــــون ، فاجتازوا أعلى القمم والجبال ، وشقوا في طريقهم أخطر الانواء والبحار .. وأصبحوا في بضع سنين أئمة يدعون بأمره — سبحانه وتعالى — لما صبروا .

على ان الاسلام في رسالته الخالدة ، ودعوته العامة لم يكن دين حرب وحقد ولا دين ضغط واكراه ، ولم تتأسس حضارته على حد السيف والحسام ، بل كانت دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة والاقناع .. كما لم تكن فتوحاته عن طريق الاستعمار كما زعم بعض خصومه .. وانما كانت عن طريق مبادئه ومثله وتعاليمه وأصوله العامة ..

*

ولعل المسلمين ، اليوم وهم يحتفلون في بقاع الارض ورقاع الدنيا بمولد خير البرية ، وصاحب أعظم النبوات وآخر الرسالات ، وأعظم الصفات ، ويستلهمون من روحه وسيرته معاني الصبر والوعي والتضحية والاستقامة ، والعدل والحــب والايثار ، ويتجهون في جميع الاقطار الى نهضة جديدة أساسها التعاون لاحياء مجــد الاسلام ، والدفاع عن كيانه ، ان يؤوبوا لنفوسهم ، ويفيئوا الى أمر الله ويعلموا أنهم سيكونون مسلمين حقا وصدقا حين يجدون في سرائرهم وقلوبهم وضمائرهم أثر هذه النبوة والرسالة والخلق ، ويعرفون حقيقة دينهم وجوهره ، ويتمسكون باخلاقــه ، ويتأدبون بآدابه ، ويحققون في ذوات نفوسهم مبادئه ومثله وغاياته ...

ان الاسلام نظام عالمي ذو رسالة موغلة في الابعاد ، رحيبة الآفاق ، توجــــه الانسان في الحياة ، وتقوده في أناة ورفق الى مدخل الانسانية الرحيب ، وتساعده على ان يحصل لنفسه وللجماعة الانسانية أسمى درجات من الكمال الانساني في الروح والعقل والخلق والوجدان .

وان المسلمين اليوم ، وهم على عتبة القرن الخامس عشر الهجري ، يعيشون في حاضر يتمخض عن حادث جلل ينتظره مستقبل العروبة والاسلام ، وقد تمخضت الحركة الاسلامية في هذا القرن عن دعوة صادقة في الرجوع الى صفاء العقيدة التي تدعو الى العمل ، وطهارة الايمان الذي يبعث على الخلاص .. وقواعد الحضـــارة والثقافة العربية والاسلامية التي تدعو الى الفوز والنجاة ، والحرية والاستقلال .. فالعمل الصالح لا يتم الا عن طريق العقيدة والايمان .. والروحانية لا تسمو الا اذا كانت مقرونة بالعمل الذي هو وسيلة لاستمرارها وبقائها ...

*

وان هذه الهزات النفسية التي يمر بها العالم اليوم ، والتي كان من آثارها ان زعزعت الايمان ، واستخفت بالاخلاق ، واستهانت بالقيم والمثل العليا ليســت الا رعشة عارضة عابرة في كيان الانسانية .. رعشة القلب المبهور بكشوف العلـــم ، وفتوحات العقل المأخوذ بروعتها والمشدوه بجلالها .

لقد تألقت كشوف العلم ، وأومض سناه أمام الانسان ، وتراقصت أمامـــه أضواء النظريات في عهد مزدحم بالتيارات الفكرية والمبادىء المتباينة ، كما زخرت دنياه بألوان معجبة زاهية استهوت الناس ، واستمالت نفوسهم ، وملكت زمـــام أمرهم فاذهلتهم عن معاني الروح ، فغرقوا في لجة المادية ، وغشيتهم غاشية الزيغ والالحاد ، والفسوق والعصيان فضلوا الطريق القويم ، وتنكبوا المنهج القاصد وكفروا بفاطر الارض ، ومنزل الوحي ، وواهب الحياة .. .

والاسلام يرى في انسان القرن العشرين انسانا نضجت مداركه ، وتفتحت ملكاته ، واتسعت آفاق نظرياته في ملكوت السماوات والارض وما خلق الله مـــن شيء .. وكل هذا جدير بأن يبلغ به يوما مبلغ الايمان الوثيق ، ويصل به الى درجات الاحسان .. وتكريم أخيه الانسان وتعميم الخير وتحقيق السعادة وتنظيم العمران ..

فالطريق الى الله في قانون الاسلام ، وشريعة محمد عليه السلام تستمد من نور العقل .. والعقل أس الفضائل ، وينبوع الفواضل ، والمصباح الذي يشرق علـــى النفس بنور المعرفة ، ويكشف لها من أسرار الكون وعجائبه ما يملأ القلب اجـــلالا واعظاما لموجد هذا العالم ومبدعه .

وقد أناط الله سبحانه وتعالى تكليف الانسان بتمام العقل وجعل الدنيا مدبـــرة بأحكامه، كما امتدح الامة الاسلامية القائمة بالقسط حيث جعلها المثل الطيب للانسانية كلها بقوله :

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا .. لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا ... »

واليوم اذا وجهنا النظر الى بعض التطورات المتلاحقة في عالم الاسلام ، فاننا نلاحظ يقظة دينية وفكرية وسياسية ، كما نلمس نزعة طيبة ترمي الى العودة الـــى الاسلام ، وتهدف الى الرجوع الى تعاليمه .. حيث الدواء الناجع في حمى الديـــن والسلامة المطمئنة في ظلاله ..

ومتى انتشرت هذه اليقظة .. واستعاد المسلمون ايمانهم بالله ، وثقتهم بمبادىء رسوله ، وتمسكوا بالعروة الوثقى دحروا الاستعمار ، ودمروا أركان الصهيونيـــة وأتوا عليها من القواعد .. !

فان من مزايا الاسلام وخصائصه انه يبث في معتنقيه العزة والمنعة والصمود ، والشعور بأن دين الاسلام لا يصح أن يحكم بدين غيره .. وهذا ما يخشاه المستعمرون، وترهبه الصهيونية ، وخصوصا الغلاة منهم الذين تخيفهم نهضة العرب والاسلام ..

لذلك تراهم متكاثفين ، يحاربون مبادئه وأصوله وتعاليمه عن طريق لغته التي هي لغة القرآن الذي يناهض الحركات الاستعمارية في جميع ألوانها وأشكالها حيث يقـــول :

« ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا ... »

لقد اصبحنا اليوم هدفا يرمى ، وغرضا تسدد اليه الضربات ، ومجالا حيويا لامتصاص ثرواتنا ومقدراتنا ، ومرمى طبيعيا ومقصودا للحضارة الغربية التي فاجاتنا بالغزو الاستعمار ، بعد أن تآمرت على بلداننا ، فاقتسمتها .. وأجهزت عليها ، واوقفت تقدمها ، وشوهت امجادها، واضعفت شوكتها، وطمست معالمها حتى أصبح الاسلام، كما قال الامام الشيخ محمد عبده محجوبا بالمسلمين . !!

واذا كانت الدول الاستعمارية قد اجلت جنودها ، وسحبت جيوشها ، فان هناك ما هو اخطر وادهى ، وافتك وانكى .. انها ما زالت تعبىء قواها الضارية للعمل على مسخنا ، وتحويلنا عن منجهنا بما تستخدمه من قوانين ونظم ودساتير في حكمها لنا ، وتوجيه سياستنا وبما تؤسسه من مدارس التبشير ومؤسساته واجهزته بعد ان اخرجت جيوشها العسكرية المرئية المسموعة ، وابقت الجيوش الحضارية فكرا واخلاقا .. فوقع العالم الاسلامي في بلبلة وتناقضات لا أول لها ولا آخر ..

ولئن كان بعض الفلاسفة المعاصرين المنصفين اليوم ، ينشدون التعاون العالمي والوسائل التي يمكن ان تحققه ، فان الاسلام قد حقق للانسانية مجدها ، واشبع رغباتها واشواقها وتطلعاتها ، واعلى مكانتها ، وحققت تعاليمه الخير كله للعالم يوم كانت الشعوب سادرة في غلوائها تهيم في ظلمات الجهل والضلال ..

ولقد امتاز القرن العشرون ، رغم ما اصاب المسلمين فيه من محن وضغوط ، واستبداد واستعباد بتنبه وعي المسلمين في كل مكان الذين استيقظوا من سباتهم وغفلاتهم ، وتحقيق استقلال البلدان الاسلامية والعربية ، والافريقية والاسيوية التي فكت عنها قيود عقالها ، وتحررت من اسارها ، بفضل زعماء الاصلاح الذين ايقظوا راقد العزم ، وارصدوا الاهبة للبعث والتطوير ، فكان لهم الفضل الاكبر فيما ظهر في هذا القرن من اصلاح ديني ، وتجديد اخلاقي ، وتطور اجتماعي .. وكذلك بفضل الدعوات المتكررة التي تدعو المسلمين الى ان يتسلحوا بالتقنية والعلوم الحديثة ، والاعتماد على النفس ، والاستقلال التام الذي يتشخص في الاكتفاء الذاتي ، وتطوير العقلية لهضم مفاهيم الحياة المتطورة المتجددة ، وامتصاص ما تقتضيه متطلباتها ومستلزماتها في نطاق الاخلاق والدين والضمير مما يدفع بهم الى حياة حرة طليقة تتضوع باريج السعادة الراضية ، وتنتشي باستقلال تام ناجز ..

ولقد توجت تلك الجهود المباركة ، والحركات الاسلامية الواعية المومنة وتكللت بفوز مبين ونجاح حاسم حينما دعا سيد البلاد ملك المغرب أمير المومنين ، وحامي حمى الملة والدين ، وسبط النبي الامين مولانا الحسن الثاني نصره الله وأيده الى عقد مؤتمر اسلامي عام حضره بالمغرب لأول مرة في تاريخ الاسلام ، قديما وحديثا ، ملوك ورؤساء الاقطار الاسلامية للعمل على تنسيق الجهود ، وتوحيد الخطة ، والقضاء على اسباب النفرة الطارئة ومحو آثار النكسة الاليمة التي وقعت في سعيرها الامم الاسلامية ، والسير قدما في سبيل نصرة القضية الاسلامية الكبرى التي تشغل باله حفظه الله منذ ان تقلد زمام أمر هذه الامة .

*

ان العالم الاسلامي ، كما هو معلوم ، يزخر بطاقات بشرية راقية .. ويفيض بثروات مادية كبرى في أرضه وسمائه ومائه الى جانب ثرواته الروحية العظيمة التي لا تتم السعادة والرخاء الا بها ..

وما اجدره بهذا كله ان يستعيد عزته وكرامته ، ويتبوأ مكانته في المعمور اللائقة به ، وعندئذ يشهد العالم كله نهضة العالم الاسلامي التحررية الباعثة على الاعجاب والاجلال حيث يكون لها، باذن الله ، تاثير حاسم في تقرير مصير العالم ..

أحمد بركاش


دراسات..
في السيرة..
النبوية



مشروع لجامعة إسلامية تحقق حاجات العصر الحاضر

لأبي الأعلى المودودي
أمير الجماعة الإسلامية بباكستان

نرى رجال العلم والفكر فى مختلف اقطار العالم الاسلامي ينادون بين يوم وآخر بضرورة ادخال تغيير اساسي على نظم التعليم والتربية التي يتربى عليها المسلمون فى العصر الحاضر ويدعون الى اقامة مؤسسات تعليمية ، على الطراز الحديث ، تحلى الشباب الاسلامي بمؤهلات تكفله لمهمة ارشاد الدنيا وتوجيهها فى هذا العصر وفق وجهة نظر الاسلام . واما ما اسس فى الآونة الاخيرة من المعاهد لهذا الغرض فى مختلف البلاد الاسلامية ، فلا نكاد نرى احدا من ذوي العلم والراي يطمئن بها قلبه اذا القى نظره على اوضاعها ومناهجها للتعليم وما اتت به من النتائج . فمن الواضح ، وضوح الشمس فى رابعة النهار ، ان الحاجة التي تمس العالم الاسلامي كله فى هذا الزمان ليست هي الى كلية للشريعة تعد علماء على الطراز القديم ولا الى جامعة عصرية تخرج ماهرين فى العلوم الغربية على الطراز الحديث ، بل هي تعدو هذا وذاك الى جامعة تكون حملة للواء الاسلام كنظام للحياة في هذا العصر .

ان العالم الاسلامي – من اندونيسيا شرقا الى مراكش غربا – انما يجري فيه منهجان للتعليم والتربية :

منهج لا يخرج الا الافراد المتحلين بعقلية الغرب، المصطبغين بصبغة ثقافته حذو القذة بالقذة . وهؤلاء هم الذين يسيرون اليوم دفة الحكومات فى معظم الدول الاسلامية الحاضرة وفى ايديهم ازمة امور الاقتصاد والسياسة والمدنية فيها . ومن دواعي الاسف ان اغلبيتهم جاهلون كل الجهل بما للدين الاسلامي من الهدي والتعاليم فى امور الحياة البشرية ، مفتونون بالحياة الغربية ، مهزومون امام الثقافة العصرية الخلابة ، فهم يقودون قطار الامة الاسلامية الى جهة تخالف جهة الاسلام ولا ياتي يوم الا وهم فيه اسرع سيرا الى تلك الجهة .

ومنهج لا يخرج الا علماء للعلوم الدينية تفقدهم معرفة العلوم الدنيوية الحديثة . فلذا تقتصر دائرتهم فى القيام بواجب المحافظة على ناحية دينية من نواحي حياة المسلمين العديدة ولا يتحلون ، فى اي مكان فى الدنيا ، بالصفات والكفاءات التي تؤهلهم لقيادة قطار المسلمين فى هذا الزمان وانما وظيفتهم فى كل مكان وظيفة الفرملة فى جهاز القطار او بعبارة اخرى ان وظيفتهم تقتصر على اقامة الحواجز امام سير القطار الذي تقوده الفئة الاولى حتى تهدا سرعته . غير اني ارى بام عيني ان السائقين المتمردين الشرسين بدؤوا يسوقون قطار بلادهم على خط الالحاد والفسوق والخلاعة والمجون غير عابئين بشيء فى ذلك . فيجب علينا ، قبل ان يستفحل الامر ويستشري الفساد وياتي يوم تتحطم فيه تلك الفرملة التي لا تزال تعمل بعض عملها فى بقية الدول الاسلامية، ان نعمل الفكر والروية فى وضع منهج للتعليم يخرج علماء يجمعون بين العلوم الدينية والمدنية معا ، ولا يكونون بمنزلة الحواجز بل يتبوؤون مكان السائق فى قطار حياة المسلمين ، ويتفوقون على المتخرجين تحت

منهج التعليم الغربي في اخلاقهم وصفاتهم في جانب ، وفي مؤهلاتهم وكفاءاتهم العلمية في الجانب الآخر .

هذه حاجة ملموسة لا نرى مؤسسة تربوية تقوم بتحقيقها في العالم الاسلامي ، والقلق يقض على جميع اهل العلم والراي مضاجعهم وهم يتفكرون اي معجزة عسى ان تحفظ على هذه الامة دينها من الفساد النهائي واخلاقها من الانحلال التام لو لم يبرز الى الوجود نظام للتعليم والتربية يحمل في طياته المزايا المذكورة آنفا. ومما لا يرتاب فيه احد ان وضع منهج للتعليم كهذا ، يتطلب من الوسائل ما لا يقدر على تهيئته الا الحكومات، واكثر الحكومات الحاضرة في العالم الاسلامي قد تربع على كراسيها رجال لا يخفى على احد عقلياتهم واتجاهاتهم .

هذا – والحالة كما قلت – لم اجد بدا ، أمام هذه الحاجة الملحة ، من ان اقدم الى العالم الاسلامي ما اجد في ذهني من مشروع لمؤسسة تعليمية منشودة آملا ان يتفكر فيه اهل العلم وان يقيض الله لحكومة من الحكومات المسلمة الحاضرة اخراجه الى الوجود او ان يشرح صدور بعض أهل الثراء والايادي البيضاء في الدنيا لهذا الغرض وما ذلك على الله بعزيز .

وفيما يلي اذكر على وجه الاختصار ما اجد في ذهني من الاقتراحات بخصوص جامعة اسلامية على الطراز الجديد :

1 – ان أول شيء واهمه بالنسبة لهذه الجامعة هو ان تحدد غايتها تحديدا واضحا حتى لا يوضع كل نظامها الا على حسب هذه الغاية ، ولا يعمل فيها العالمون الا واضعين اياها نصب اعينهم ، ولا ينظر اليها عامة المسلمين الا من ناحيتها ، ولا يعتبروا نجاحها في اداء رسالتها الا على مدى نجاحها فيها ، وعندي ان جامعة كهذه يجب ان تكون غايتها : « اعداد علماء صالحين يتولون مهمة ارشاد الدنيا وتوجيهها في هذا العصر الجديد وفق احكام دين الحق ومبادئه » .

2 – يجب ان تكون دائرة هذه الجامعة محدودة الى العلوم الاسلامية . اما العلوم الاخرى فانها تدرس فيها باعتبار انها مساعدة للعلوم الاسلامية لا باعتبار ان الجامعة تهدف الى اعداد الماهرين فيها .

3 – يجب ان تكون هذه الجامعة داخلية لا تكون سكنى الطلاب ولا سكنى الاساتذة الا في داخل حدودها .

4 – ينبغي ان يكون بابها مفتوحا على مسامي الدنيا جميعا حتى يقصدها الطلاب من جميع نواحي الارض اذا شاؤوا .

5 – ينبغي ان يكون وسطها وسطا اسلاميا بكل معنى الكلمة حيث يتحلى الطلاب بالتقوى والاخلاق الفاضلة ويحكم فيهم الولوع بالثقافة الاسلامية ، ويجب ان يعمل كذلك على حفظها من تاثيرات الثقافة الغربية ونفوذها حتى لا ينشا في طلابها تلك العقلية المهزومة التي نرى بوادرها تفشو بكل سرعة في الامم المغلوبة المفتتنة بحضارة الغرب وثقافته في كل مكان . ومن الواجب – لهذا الغرض – ان يكون استعمال اللباس الغربي غير مسموح به في حدود هذه الجامعة وان يروج فيها لتربية الطلاب تربية رياضية ركوب الخيل والسباحة والرمي واستعمال الاسلحة والتمرن على سوق السيارة والدراجة النارية وما اليهما من الالعاب الرياضية الجديدة الاخرى بدلا من الالعاب الغربية . كما انه من المستحسن ان يدرب فيها الطلاب على التربية العسكرية الى جانب هذه الالعاب .

6 – يجب ان لا يكون اختيار الاساتذة للتدريس فيها على اساس الخبرة والكفاءة العلمية فحسب ، بل يجب ان يكون اساتذتها – قبل كل شيء آخر – متحلين بصفات الصلاح والتقوى من حيث عقائدهم . ومن حيث حياتهم العلمية معا . كما يجب ان يختار الاساتذة من مختلف اقطار العالم الاسلامي بعد اجراء الفحص الدقيق واعمال الروية البالغة ، ممن لا تتوفر فيهم شروط الكفاءة العملية فحسب ، بل يكونوا ، قبل كل شيء ، مسلمين بكل معنى الكلمة من حيث عقائدهم وافكارهم وميولهم متمسكين باحكام الدين غير مفتتنين بالحضارة الغربية . بل ارى كذلك من اللازم ان تكون على اطمئنان كامل وثقة وافرة باهل بيتهم حيث لا يكونون احرارا من التمسك باحكام الشريعة وآدابها ومتعدين لحدودها . وذلك ان الاساتذة اذا كانوا يسكنون في دائرة الجامعة مع زوجاتهم وهن متبرجات سافرات وترتفع من بيوتهم أصداء الاغنية الخليعة ، فمن المستحيل ان يتربى الطلاب على ايديهم تربية حسنة تتفق واغراض الاسلام السامية .

7 – يجب ان يربي فيها الطلاب تربية تحليهم بالصفات الآتية بوجه خاص :

ا – الاعتزاز بالاسلام وثقافته والعزيمة على اعلاء كلمته في الدنيا .

ب ـ التخلق بالاخلاق الاسلامية والمحافظة على الاحكام والشرائع الاسلامية .

ج ـ التفقه والتبصيرة الاجتهادية فى الدين .

د ـ النزاهة من الطائفية ضيقة النظر فى امور الدين .

ه ـ المؤهلات الكافية للكتابة والخطابة والمناقشة والكفاءات المناسبة للقيام بمهمة تبليغ الدين والدعوة اليه .

و ـ التعود على الجهد والمشقة والنشاط وخشونة العيش والاعتماد على النفس فى انجاز جميع الاعمال .

ز ـ الاستعدادات اللازمة للتنظيم والادارة والقيادة .

8 ـ يجب ان لا يقبل للالتحاق بها الا الطلبة الحاصلون على شهادة اتمام الدراسة الثانوية . اما الطلاب من البلاد العربية فيكون لهم ان يلتحقوا بها راسا . واما الطلبة من البلاد غير العربية فان لم يكن لهم المام كاف باللغة العربية يجب ان يكون هنالك قسم خاص لتعليمهم اللغة العربية مدة سنة واحدة حتى يتاهلوا للاستفادة باللغة العربية قبل التحاقهم بالجامعة .

9 ـ يجب ان تكون مدة الدراسة فيها 9 سنوات بتوزيعها على ثلاث مراحل :

اما المرحلة الاولى فيدرس فيها الطلاب ما ياتي من العلوم (على ان تقسم دراستها على اربع سنوات بطريقة متناسبة وينال الطالب اذا نجح شهادة البكلاريوس) .

ا ـ العقائد الاسلامية بالتفصيل الآتي : ما هي عقائد الاسلام بموجب الكتاب والسنة ؟ وما هي الدلائل النقلية والعقلية التي تقوم عليها هذه العقائد ؟ كما انه من اللازم ان يدرس الطالب بهذا الصدد : كيف وباى ترتيب ظهر ما ظهر بين المسلمين من الخلافات فى العقائد ؟ وكم يوجد فى الدنيا اليوم من المذاهب على اساسها ؟ وينبغي ان لا تكون هذه الدراسة للعقائد متجاوزة لحدود البيان العلمى المجرد مع الابتعاد ـ الى حد الامكان ـ عن المحاربة فى العقائد.

ب ـ النظام الاسلامي للحياة : يعرف الطالب فى هذه المادة بنظام الاسلام المتكامل للحياة البشرية حتى يكون على معرفة تامة بالتصورات الاسلامية التي ينهض عليها بناء الاسلام وكيف انه يشكل على اساس هذه العقائد الاخلاق والسلوك الانساني وما هي المبادىء التي ينظم عليها فى المجتمع مختلف شؤون البشر من الحياة العائلية الى الاقتصاد والسياسة والعلاقات الدولية وما هي الصورة التي تبرز عليها حضارة الاسلام هذه ؟

ج ـ القرآن : يدرس الطالب فى هذه المرحلة القرآن من اوله الى آخره مع تفسيره الموجز . والافضل عندي لهذا الغرض ان لايقرر للتدريس فى هذه المادة كتاب خاص فى التفسير بل على الاستاذ ان يراجع بنفسه مختلف كتب التفسير ثم يلقي دروسه على الطلاب على ضوء استفادته منها بحيث يدرس الطلاب غاية كتاب الله تعالى ومقصوده ويرتفع عن اذهانهم ما يجدون فيها من الشبهات حول تعاليمه واحكامه .

د ـ الحديث : وفى هذه المادة ، بعد ان يعرف الطالب الى الحد الضروري بتاريخ علم الحديث واصول الحديث والبراهين على الاحتجاج بالحديث ، يدرس احد مجاميع السنن ، كمنتقى الاخبار او بلوغ المرام او مشكاة المصابيح مثلا .

ه ـ الفقه : وفى هذه المادة ايضا بعد ان يدرس الطالب كتابا مختصرا فى تاريخ الفقه واصول الفقه يلقن تعليم الفقه باسلوب يعرفه بمذاهب مختلف الفقهاء فى جانب وبانه كيف استنبط الائمة المجتهدون المسائل من ادلتها الشرعية فى الجانب الآخر .

و ـ التاريخ الاسلامي : وفى هذه المادة يدرس الطالب اولا تاريخ الانبياء عليهم السلام ثم يدرس السيرة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام وسيرة الخلفاء الراشدين بما يمكن من البسط والشرح ثم يدرس التاريخ الاسلامي الى الزمن الحاضر على الوجه المختصر .

ز ـ العلوم العمرانية : (ولا سيما المتعلقة منها بالاقتصاد والاجتماع) ومن الواجب بالنسبة للاساتذة الذين يختارون لتدريس هذه المادة ان يكونوا ممن يستطيعون تدريسها مع نقدها بوجهة نظر الاسلام حتى لا يفرغوا الافكار والنظريات الغربية فى اذهان الطلاب كما هي .

ح ـ الالمام على الوجه الاجمالي باديان العالم ولا سيما اليهودية والمسيحية والبوذية والهندوكية .

ط ـ التاريخ الموجز للافكار والمذاهب الجديدة ولاسيما الديمقراطية الغربية والشيوعية والفاشية وما اليها .

ى ـ احدى اللغات الثلاث الآتية : الانكليزية والالمانية والفرنسية .

ك ـ اللغة العربية وآدابها .

اما المرحلة الثانية فتكون الدراسة فيها ثلاث سنوات منقسمة على خمسة اقسام : التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والتاريخ بحيث يكون لكل طالب اذا نال شهادة اتمام الدراسة فى المرحلة الاولى ان يدخل فى احد هذه الاقسام الخمسة . وينال اذا نجح شهادة الماجستير

1 ـ اما قسم التفسير فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :

أ ـ تاريخ القرآن .

ب ـ تاريخ علم التفسير ومختلف مذاهب المفسرين مع الالمام بمزاياها وخصائصها .

ج ـ الاختلاف فى وجوه القراءة .

د ـ اصول التفسير .

هـ ـ الدراسة الوافية العميقة للقرآن الحكيم .

و ـ الاستعراض الدقيق لما وجه الى القرآن من الاعتراضات من قبل المعاندين واجوبتها .

ز ـ احكام القرآن .

2 ـ اما قسم الحديث فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :

أ ـ تاريخ تدوين الحديث .

ب ـ علوم الحديث بكل شعبها .

ج ـ احد امهات الكتب فى الحديث مع النقد التفصيلي لمتونه واسانيده حتى يتمرن الطالب على نقد الاحاديث على طريقة ائمة الحديث .

د ـ نظرة شاملة فى الصحاح .

هـ ـ الاستعراض الدقيق لما وجه الى الحديث من الاعتراضات من قبل المعاندين واجوبتها .

3 ـ اما قسم الفقه فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :

أ ـ اصول الفقه .

ب ـ تاريخ الفقه .

ج ـ فلسفة القانون الجديد .

د ـ المقارنة بين القوانين الرومانية والفارسية والشريعة اليهودية والقوانين الوضعية الجديدة والشريعة الاسلامية .

هـ ـ المذاهب المختلفة لفقهاء الإسلام وقواعدها

و ـ التمرن على استنباط المسائل من القرآن والسنة المباشرة .

ز ـ الفقه على المذاهب الاربعة وعلى مذاهب الظاهرية والزيدية والاثنا عشرية .

4 ـ اما قسم علم الكلام فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :

أ ـ مبادىء المنطق .

ب ـ الفلسفة القديمة والجديدة .

ج ـ تاريخ علم الكلام عند المسلمين وتفصيل المذاهب الكلامية الناشئة بينهم للعوامل الخارجية والداخلية .

د ـ مسائل علم الكلام وما للقرآن والسنة من الهدي فى بابها .

هـ ـ الاستعراض الدقيق لما وجه الى الاسلام من الاعتراضات من قبل المعاندين واجوبتها .

و ـ المقارنة بين الاديان ولا سيما الدراسة التفصيلية لتاريخ المسيحية وفرقها وعقائدها .

ز ـ جهود المبشرين المسيحيين وطرائق عملهم .

5 ـ اما قسم تاريخ الاسلام فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :

أ ـ فلسفة التاريخ وغاية دراسته واسلوب دراسته بموجب القرآن .

ب ـ المذاهب المختلفة فى فلسفة التاريخ منذ ابن خلدون الى العصر الحاضر .

ج ـ تاريخ الجزيرة العربية والشرق الاوسط قبل الاسلام .

د ـ تاريخ الاسلام منذ العهد النبوي الى العصر الحاضر من جهة تطور الافكار والاخلاق والعلوم والمدنية والسياسة .

هـ ــ الحركات لتجديد الدين واحياء دعوته فى مختلف العصور .

و ــ تاريخ الاستعمار الغربي فى بلاد المسلمين وآثاره فيها .

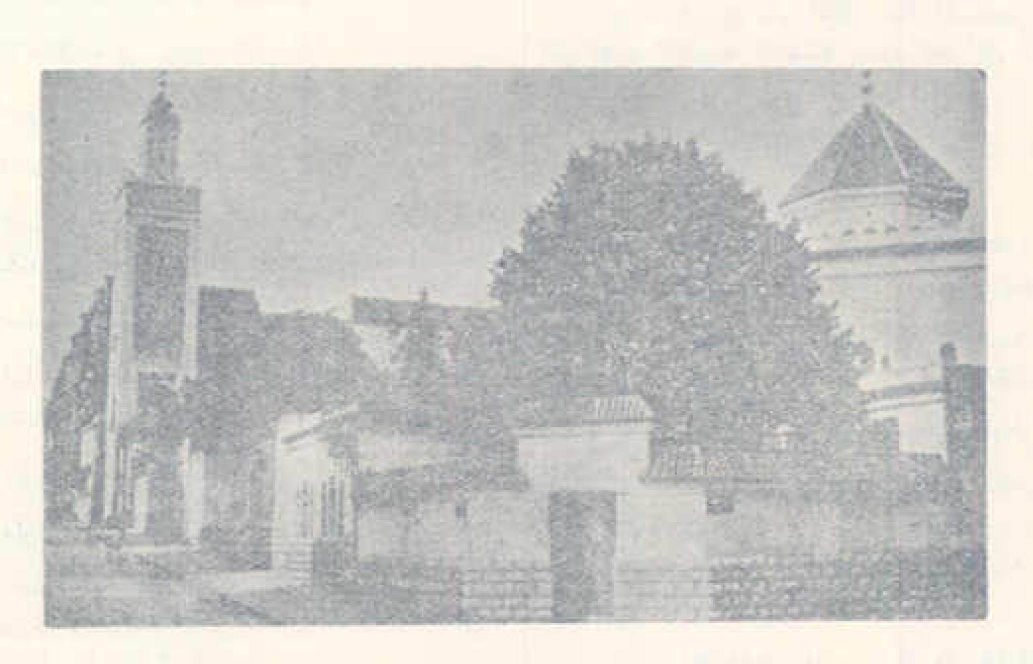
اما المرحلة الثالثة فيكون فيها لكل طالب اذا نال شهادة اتمام دراسته فى المرحلة الثانية واراد التدرب على البحث والتحقيق على الطريق العملى ان يختار اى موضوع من الاقسام الخمسة المذكورة ويدرسه دراسة عميقة تحت اشراف الاساتذة ، ثم يقدم فيه اطروحته بعد سنتين ، فعندئذ يمنح الشهادة بعد ما ينظر فى اطروحته اصحاب العلم . وتكون هذه الشهادة شهادة الدكتوراة .

10 ــ يجب ان تزود هذه الجامعة بمكتبة من النوع الاعلى زاخرة بمجموعة علمية من كتب الدراسة والمراجعة على قدر حاجات الجامعة المذكورة .

11 ــ ويجب كذلك ان تؤلف لجنة من اصحاب العلم لاختيار الكتب المناسبة لمختلف مراحل الدراسة فى الجامعة ولمختلف شعبها الاخرى .

12 ــ ويجب كذلك ان يؤسس مجمع علمي (اكاديمي) لتاليف الكتب الجديدة على قدر حاجات الجامعة خاصة .

باكستان ــ ابو الاعلى المودودي



مسجد باريس ومئذنته على الطراز المغربي وقد ساهمت فى تشييده وبنائه اقطار المغرب العربي ...

كيف نعظم النبي صلى الله عليه وسلم
ونقيم البرهان على محبته التي بها سعادتنا ؟

للدكتور تقي الدين الهلالي

اعلموا ايها الاخوان المكرمون ، ان محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرعية هي روح الاسلام وبها سعادة المسلمين ، منفردين ومجتمعين ، وانما قيدتاها بالشرعية لانها اذا لم تكن كذلك لا تضمن السعادة لصاحبها ولا النجاة من عذاب الله تعالى ، واليكم البرهان :

قال الله تعالى في سورة القصص : **(انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين 56)**

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية ما نصه . يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (انك لا تهدي من احببت) اي ليس اليك ذلك ، انما عليك البلاغ والله يهدي من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، كما قال تعالى (**ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء**) . وقال تعالى (**وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين**) ، وهذه الآية اخص من هذا كله فانه قال (**انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين**) اى هو اعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية، وقد ثبت في الصحيحين انها في ابي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان يحوطه وينصره ويقوم في صفه ويحبه حبا شديدا ، طبعيا لا شرعيا ، فلما حضرته الوفاة ، وحان اجله ، دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الى الايمان والدخول في الاسلام ، فسبق القدر فيه ، واختطف من يده فاستمر على ما كان عليه من الكفر ، ولله الحكمة التامة ، قال الزهري : « حدثني سعيد ابن المسيب عن ابيه وهو المسيب بن حزن المخزومي رضي الله عنه قال : لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل ابن هشام وعبد الله بن ابي امية بن المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**يا عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله**) فقال ابو جهل وعبد الله بن ابي امية يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة حتى كان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب ، وابى ان يقول لا اله الا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك**) فانزل الله تعالى (**ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى**) وانزل في ابي طالب (**انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء**) ، اخرجاه من حديث الزهري ، وهكذا رواه مسلم في صحيحه والترمذي من حيث يزيد ابن كيسان بن أبي حازم عن أبي هريرة قال لما حضرت وفاة ابي طالب اتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (**يا عماه قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيامة**) فقال لولا ان تعيرني بها قريش يقولون ما حمله عليه الا جزع الموت لاقررت بها عينك لا اقولها الا لاقر بها عينك فانزل الله تعالى (**انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين**) وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه الا من حديث يزيد ابن كيسان ، رواه الامام احمد ، عن يحيى بن سعيد

القطان عن يزيد بن كيسان حدثني ابو حازم عن ابي هريرة فذكره بنحوه ، وهكذا قال ابن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبي وقتادة انها نزلت في ابي طالب حين عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان يقول لا اله الا الله فابى عليه ذلك ، وقال اي ابن اخي ملة الاشياخ ، وكان آخر ما قاله هو على ملة عبد المطلب ، وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا ابو سلمة حدثنا حماد بن سلمة حدثنا عبد الله بن عثمان بن خيثم ، عن سعيد بن ابي راشد ، قال كان رسول قيصر جاء الى قال كتب معي قيصر الى رسول الله صلى الله وسلم كتابا فاتيته فدفعت الكتاب فوضعه في حجره ، ثم قال : (**ممن الرجل**) ؟

قلت من تنوخ ، قال : (**هل لك في دين ابيك ابراهيم الحنيفية**) قلت اني رسول قوم وعلى دينهم حتى ارجع اليهم ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر الى اصحابه ، وقال : (**انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء**) .

توضيح كلام الحافظ ابن كثير

1 ـ قوله : **ويحبه حبا شديدا طبعيا لا شرعيا**، يعني ان ابا طالب كان يحب النبي صلى الله عليه وسلم حبا شديدا طبيعيا بداع القرابة ، لا شرعيا بداع الايمان، ومن ذلك نعلم ان المحبة نوعان . محبة طبعية ، جبل عليها الانسان ، كما يحب الرجل والديه ، وبنيه ، وزوجته وذوي قرباه ، ومن يألفه من غيرهم وكما يحب المشتهيات والمستطابات والمستحسنات ، من كل ما تميل اليه نفسه ويتعلق اليه قلبه ، وهذا الحب اذا كان للنبي صلى الله عليه وسلم ، او للمؤمنين لا يغني عن صاحبه شيئا فلا ينجيه من عذاب الله ولا يوجب له غفران الذنوب ودخول الجنة ، لان الاعمال بالنيات، ولان الحب لا يكون له ثواب عند الله الا اذا كان لله ولا يكون لله الا اذا اصدر من مؤمن بالله ورسوله ، يحب لله ويبغض لله ويوالي لله ويعادي له ، يشهد لذلك ما اخرجه الشيخان وغيرهما ، عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : (**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ، وان يحب المرء لا يحبه الا لله ، وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار**) فصرح النبي صلى الله عليه وسلم بان المرا انما يجد حلاوة الايمان اذا احب لله لا لغرض آخر .

والنوع الثاني ، الحب لله وهذا هو الذى ينفع صاحبه ويرفعه وينجيه من عذاب الله ، ويوجب محبة الله له ، ودليل هذا الحب طاعة الله واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم وترك المعاصي والبدع لان من ادعى محبة محبوب ... واكثر من معصيته واصر عليها ، يكون كاذبا في دعواه .

كل من يدعي بما ليس فيه
فضحته شواهد الامتحان

وقال آخر :

تعصى الرسول وانت تظهر حبه
هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لاطعته
ان المحب لمن يحب مطيع

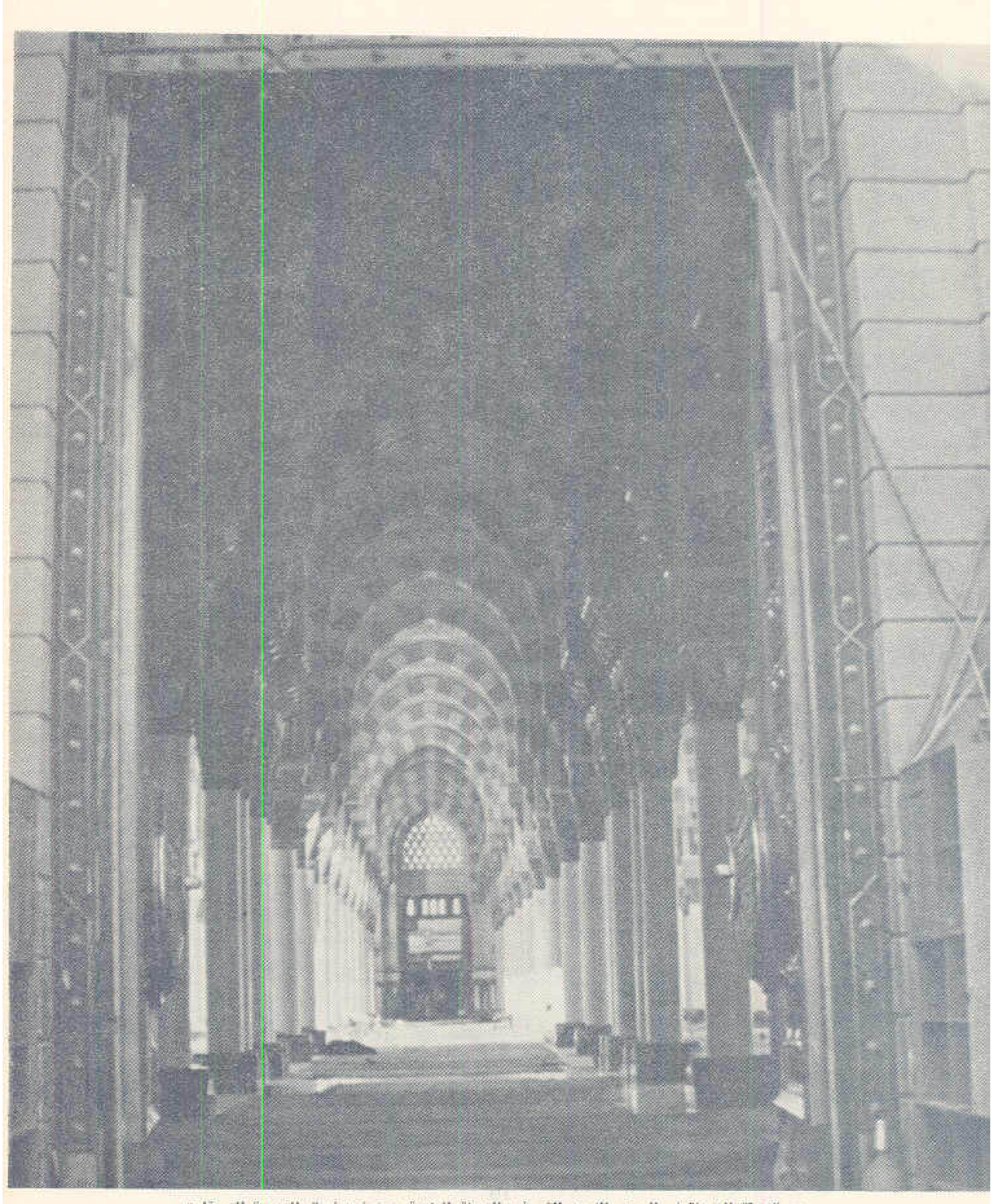
وبعضهم ينشده تعصى الاله الخ ... وكلاهما صحيح .

قال الحافظ في الفتح واخرجه النسائي من طريق طلق بن حبيب عن انس وزاد في الخصلة الثانية ذكر البغض في الله ولفظه ، (**وان يحب في الله ويبغض في الله**) .

قال الحافظ في الفتح وشاهد هذا الحديث في القرءان قوله تعالى : (**قل ان كان آباؤكم وابناؤكم**) الى ان قال (**أحب اليكم من الله ورسوله**) ثم هدد على ذلك وتوعد بقوله : (**فتربصوا**) اه .

يعني الحافظ آية التوبة 24 ـ (**قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين**).

وهذه هي المحبوبات الثمانية التي فتنت كثيرا من الناس والهتهم عن ذكر الله ، وصرفتهم عن طاعة الله ورسوله لانهم احبوها كلها او بعضها اكثر من محبة الله ورسوله فلما تعارضت لهم محبتها مع محبة الله ورسوله ، رجحوا محبتها ، على محبة الله ورسوله ، فعصوا الله ورسوله او كفروا به فخابوا وخسروا والازواج جمع زوج وهي امراة الرجل والافصح فيها زوج بدون تاء التانيث ، والعشيرة هي القبيلة التى ينتسب اليها المحب . والاموال المقترفة ، المكتسبة يحبها الانسان اكثر من محبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وتجارة تخشون كسادها ، اى تخافون



من الاروقة الحديثة فى المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة حيث ادت أعمال التوسعة التي قامت بها الحكومة السعودية الى زيادة مساحته من 6024 مترا مربعا الى 16326 مترا مربعـا .

ان صدقتم فى حب الله ورسوله وفضلتموه على كل محبوب الا تربحوا فى تجارتكم ، بل تصاب تجارتكم بالكساد ، اى عدم الرواج ، ومساكن ترضونها جمع مسكن وهو القصر او البيت ، يخاف ضعيف المحبة اذا فضل حب الله ورسوله على كل محبوب ان يخرج من بيته الذي يحب السكنى فيه ، او يخاف ان ينفى من وطنه الذي الفه واحبه ولا يبغي به بديلا ، كما قال الشاعر :

ولي وطن آليت الا ابيعه
والا ارى غيري له الدهر مالكا

وحبب اوطان الرجال اليهم
مآرب قضاها الشباب هنالكا

وقال آخر :

احب بلاد الله ما بين منعج
الي وسلمى ان يصوب سحابها

بلاد بها حل الشباب تمائمي
واول ارض مس جلدي ترابها

فالمؤمن الصادق ، اذا راى ان وطنه المحبوب سيحول بينه وبين كمال محبة الله ورسوله يهجره لله كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمهاجرون من اصحابه ، ومعنى قوله احب بلاد الله الخ . . . هكذا ، احب بلاد الله الي الارض الواقعة بين منعج وسلمى، وهما موضعان في شمال جزيرة العرب فى بلاد طيء يعني احب بلاد الله الي ان ينزل فيها المطر، هذه الارض والعرب تدعو بالمطر والسقي لكل ارض تحبها ولكل شخص تحبه لقلة المطر بارضهم ومحبتهم له . فان قلت ايها الكاتب قد خرجت عن الموضوع واكثرت من الاستطراد ، وصار قارئك ينشد :

تكاثرت الظباء على خراش
فما يدري خراش ما يصيد

قلت هذا مذهبي ، وللناس فيما يعشقون مذاهب

وانما افعل ذلك ليسهل على القراء الضعفاء فهم كلامي .

ووجه كون الآية تشهد للحديث ، ان الحديث دل على ان من فضل حب الله ورسوله على حب غيرهما يكون قد ذاق حلاوة الايمان ، ودلت الآية على ان من فضل شيئا من تلك المحبوبات على محبة الله ورسوله فلينتظر عذاب الله .

2 ــ قول ابي طالب (**ملة الاشياخ**) يعني لا استطيع ان اترك دين آبائي وهم رؤساء قريش وأشياخها وادخل في دين جديد، وهذه احد المحبوبات الثمانية السالفة الذكر فان ابا طالب، شق عليه ان يترك دين ابائه ، وكان حبهم فى قلبه اعظم من حب الله ورسوله ، فمن سلم من شر هذه المحبوبات ادرك ما امل ، ونجا مما خاف فان معظم الضالين المعرضين عن الحق ، المؤثرين للحياة الدنيا ، انما جاءهم البلاء من هذه الثمانية او من بعضها . فنسال الله سبحانه وتعالى ان يجعل حبه وحب رسوله صلى الله عليه وسلم فى قلوبنا اعظم من حب ما سواهما .

3 ــ تنوخ قبيلة من نصارى العرب ، وقد اسلموا بعد ذلك ، وكان منهم علماء بارعون فى فنون مختلفة من العلم . والذي صد رسول قيصر التنوخي عن قبول ما عرضه عليه النبي صلى الله عليه وسلم من الاسلام هو ايضا احد الثمانية وهو العشيرة فانه قال اني رسول قوم وانا منهم ، وتامل ترغيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لهذا العربي النصراني فى الاسلام بقوله عليه الصلاة والسلام (**هل لك فى دين ابيك ابراهيم الحنيفية**) وقال تعالى فى سورة ال عمران 21 **(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم واللهغفور رحيم) .**

(قل اطيعوا الله والرسول ، فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين) .

قال الحافظ ابن كثير فى تفسير هذه الآية الكريمة ، هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فانه كاذب فى دعواه فى نفس الامر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي جميع اقواله وافعاله كما ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (**من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد**) ولهذا قال (**ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**) اى يحصل لكم ما طلبتم من محبتكم اياه وهو محبته اياكم وهو اعظم من الاول كما قال بعض العلماء والحكماء ليس الشان ان تحب انما الشأن ان تحب .

وقال الحسن البصري وغيره من السلف زعم قوم انهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية فقال : **(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)** ثم قال : **(ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم)** اي باتباعكم الرسول صلى الله عليه وسلم يحصل لكم هذا من بركة سفارته ، ثم قال تعالى آمرا لكل احد من خاص

وعام : (**قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا**) اى تخالفوا عن امره فان الله لا يحب الكافرين ، فدل على ان مخالفته فى الطريقة كفر والله لا يحب من اتصف بذلك، وان ادعى وزعم فى نفسه انه محب لله ويتقرب اليه حتى يتابع الرسول النبي الامي خاتم الرسل ورسول الله الى جميع الثقلين الجن والانس ، الذي لو كان الانبياء بل المرسلون بل اولوا العزم منهم فى زمانه ما وسعهم الا اتباعه والدخول فى طاعته ، واتباع شريعته.

قول الحافظ ابن كثير كما ثبت فى الصحيح ، يريد به صحيح مسلم ، ومعناه ان من عمل عملا من صلاة وصيام ، وزكاة وحج وعمرة وجهاد ، وأمر بمعروف ونهى عن منكر ، وذكر لله تعالى ودعاء وابتهال وتضرع وبيع وشراء واكتساب ونكاح وطلاق ، الى غير من ذلك من الامور ، وكان فى ذلك مخالفا لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم مخالفة اساسية ، كمن يتقرب الى الله تعالى ، بقرع الطبول ، والغناء مع آلات اللهو والرقص ، واكل النيران وشرب الماء الساخن ، وما اشبه ذلك ، من البدع الحقيقية التى لم يشرعها الله البتة ، او عمل عملا شرعه الله ، ولكنه زاد فيه المبتدع او نقص منه او قيده بوقت او هيئة او عدد ، من البدع الاضافية ، كالاجتماع للذكر بلسان واحد ، فى وقت معين ، بعدد معين ، وهيئة معينة فان هذا من البدع الاضافية ، فهو بذلك عمل لم يكن عليه امر النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد حقق الامام ابو اسحاق الشاطبي فى الاعتصام ، هذا المقصد ، واخرج البخاري ومسلم ، عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**من احدث فى امرنا هذا ما ليس منه فهو رد**) اى لا يقبله الله تعالى .

وقال تعالى فى سورة آل عمران ايضا رقم 81 :
(واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال اأقررتم واخذتم على ذلكم اصرى ، قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين ، فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون) .

قال الحافظ ابن كثير ، يخبر تعالى انه اخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام الى عيسى عليه السلام لمهما آتى الله احدهم من كتاب وحكمة وبلغ اى مبلغ ثم جاء رسول من بعده ليؤمنن به ولينصرنه ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده .

ولهذا قال تعالى وتقدس : (**واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيناكم من كتاب وحكمة**) اي لمهما اعطيتكم من كتاب ، (**ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال اأقررتم واخذتم على ذلك اصرى**) وقال ابن عباس ومجاهد والربيع بن انس وقتادة والسدى يعني عهدي .

وقال محمد بن اسحاق (**اصرى**) اى ثقل ما حملتم من عهدي اى ميثاقي الشديد المؤكد ، (**قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين ، فمن تولى بعد ذلك**) اى عن هذا الميثاق (**فاولئك هم الفاسقون**) قال علي بن ابي طالب ، وابن عمه ابن عباس رضي الله عنهما ما بعث الله نبيا من الانبياء الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وامره ان ياخذ الميثاق على امته لئن بعث محمد وهم احياء ليؤمنن به ولينصرنه . ثم قال ، وقال الامام احمد بسنده الى عبد الله بن ثابت قال جاء عمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني مررت بيهودي من قريظة ، فكتب لي جوامع من التوراة الا اعرضها عليك ؟ قال فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عبد الله بن ثابت ، قلت له الا ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر . رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا، قال فسرى عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال :

(والذي نفسي بيده ، لو اصبح فيكم موسى عليه السلام ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ، انكم حظي من الامم ، وانا حظكم من النبيين) اه .

وقال البزار بسنده الى جابر ، قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(لا تسالوا اهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، وانكم اما ان تصدقوا بباطل واما ان تكذبوا بحق ، وانه والله لو كان موسى حيا بين اظهركم ، ما حل له الا ان يتبعني) اه.**

ومعنى الآية وما جاء من الاخبار فى تفسيرها ، ان محبة النبي صلى الله عليه وسلم فرض على جميع الناس وكذلك اتباعه وعدم مخالفته فرض على جميع الناس حتى على الانبياء المرسلين لو جاءوا بعد بعثته ، لم يسعهم الا اتباع سنته والاهتداء بهديه ولا يجوز لهم ان يعملوا بشرائعهم المخالفة لشريعته لان شريعته عليه الصلاة والسلام نسخت الشرائع كلها، قال العلماء المحققون اذا كان الانبياء والمرسلون مع انهم معصومون وقد نزل عليهم الوحي لو جاءوا بعد بعثة النبي محمد (ص)

ما جاز لهم ان يخالفوا شريعته ، فكيف بعلماء امته ؟ الذين هم غير معصومين ولم ينزل عليهم وحي ، كيف يجوز لهم ان يعتمدوا على رأيهم المخالف لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ام كيف يجوز لمقلديهم ان يتركوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعتمدوا على آراء من قلدوه وهم لا يعرفون دليله ، ويعتقدون انه غير معصوم يصيب ويخطيء وهم لا يميزون بين خطئه وصوابه ، لانهم اسارى التقليد ، وعقولهم معقولة بعقاله فهم اجدر ، ان يكونوا على ضلال اذا خالفوا ما جاء به الله ورسوله ، واذا كان اهل هذه الامة المحمدية التي هي خير الامم لو جاءهم رسول من الرسل السابقين واتبعوه وتركوا هدي رسولهم محمد صلى الله عليه وسلم ، لضلوا ضلالا بعيدا ، فكيف اذا اتبعوا راي من ليس بنبي ولا رسول، وتركوا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

والخلاصة :

ان محبتنا لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الكنز الاعظم الذي اذا حافظنا عليه ادركنا السعادة في الدارين ، وحلت جميع مشاكلنا ، وفرجت جميع كربنا ، وفزنا فوزا عظيما ، ولا تتم لنا هذه المحبة الا باتباع سنته وترك ما نهى عنه من البدع والمعاصي ، والمؤمن الصادق في محبته يجعل ذكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم نصب عينيه في حياته كلها لا يغفل عنه،ابدا وبذلك يهتدي بهديه ويقتدي بسنته في ماياتي ويذرمن الاقوال والافعال في خاصة نفسه وفي مابينه وبين اهله وعشيرته وفي ما بينه وبين الناس جميعا خاصتهم وعامتهم وبذلك فقط يقيم البرهان على انه محب صادق، وينال ثمرة المحبة المصاحبة للاتباع ، ومن اقتصر على ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وسيرته السامية التي هي حياة ارواح المؤمنين الصادقين في يوم واحد من بين ثلاثمائة واربعة وخمسين يوما ، وهي ايام السنة العربية القمرية ، فانه بعيد لعمر الله عن توفية حقوق محبة الرسول صلى الله عليه وسلم، هذا اذا ذكر المولد ، ذكرا سنيا ، مطابقا لما كان عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون والائمة المجتهدون ، ومن اتبعهم باحسان ، فاما اذا كانت الذكرى بانشاد الاغاني وتوزيع الحلو واحراق الشموع المصنوعة بالمسك والعنبر ، وعود الطيب او الانوار الكهربائية الملونة في هذا الزمان وانشاد القصائدوالقاء الخطب، دون احياء سنة ولا امانة بدعة ، ولا اقامة شريعة ، فان فاعل ذلك ابعد من ان يؤدي شيئا من حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم .

خاتمة :

رايت ان اختم هذا المقال الذي كتبته نصيحة خالصة للشعب المغربي عامة ولجلالة ملكه المحبوب ابي محمد الحسن الثاني اطال الله بقاءه وايده بنصره وبالمؤمنين ، ووفقه لاحياء سنة جده المصطفى صلى الله عليه وسلم واقامة شريعته ، وما اجدره بذلك ثم هو بعد ذلك نصيحة لجميع المسلمين ، اردت ان اختمه بنقل كلام امامين من ائمة اهل السنة ، في حكم الاحتفال بالمولد .

كلام الامام ابي عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي الشهير بابن الحاج المتوفى بالقاهرة سنة 732 عن بضع و 80 سنة

قال في المدخل ج 2 ص 2 ما نصه : ومن جملة ما احدثوه من البدع مع اعتقادهم ان ذلك من اكبر العبادات واظهار الشعائر ما يفعلونه في شهر ربيع الاول من المولد وقد احتوى على بدع ومحرمات جملة ، فمن ذلك استعمالهم المغاني ومعهم آلات الطرب من الطار المصرصر والشبابة (**العوادة باللغة المغربية**) وغير ذلك مما جعلوه آلة للسماع ، ومضوا في ذلك على العوائد الذميمة، في كونهم يشتغلون في اكثر الازمنة التي فضلها الله تعالى وعظمها ببدع ومحرمات، ولا شك ان السماع في غير هذه الليلة فيه ما فيه ، فكيف به اذا انضم الى فضيلة هذا الشهر العظيم ، الذي فضله الله تعالى ، وفضلنا فيه بهذا النبي الكريم على ربه عز وجل اه .

وقد اطال رحمه الله في ذلك فنكتفي بهذا القدر .

كلام شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني المتوفى سنة 728

قال في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم ، مخالفة اصحاب الجحيم ما نصه :

وكذلك ما يحدثه بعض الناس اما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام ، واما محبة للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيما له ، والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد لا على البدع ، من اتخاذ مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، عيدا ، مع

اختلاف الناس في مولده ، فان هذا لم يفعلـه السلف مع قيام المقتضى له ، وعدم المانع منه ولو كان هـــذا خيرا محضا ، او راجحا لكان السلف رضي الله عنهم احق به منا فانهم كانوا اشد محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له منا ، وهـــم على الخيـــر احرص ، وانما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع امره ، واحياء سنته باطنا وظاهرا ، ونشر ما بعث به ، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان فان هذه هي طريقة الســابقين الاوليـــن ، من المهاجريـــن والانصار الذين اتبعوهم باحسان ، واكثر هؤلاء الذين تجدونهم حرصاء على امثال هذه البدع مع ما لهم فيها من حسن القصد والاجتهاد الذي يرجى لهم بالمثوبة ، تجدونهم فاترين في امر الرسول عما امروا بالنشـــاط فيه ، وانما هم بمنزلة من يحلي المصحف ولا يقرا فيه، او يقرا فيه ولا يتبعه ، وبمنزلة من يزخرف المسجد ولا يصلي فيه او يصلي فيه قليلا ، وبمنزلة من يتخذ المسابح والسجادات المزخرفة وامثال هذه الزخارف الظاهرة التي لم تشرع ويصحبها من الرياء والكبـــر والاشتغال عن المشروع ما يفسد حال صاحبها ، كما جاء في الحديث (**ما ساء عمل امة قط الا زخرفـــوا مساجدهـــم**) اه .

توضيح لكلام هذا الامام

قوله والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد لا على البدع ، ظاهره فيه اشكال ، لان الثـــواب على المحبة واضح ، اما الاجتهاد المفضي الى احداث البدع، ففي ثوب الثواب من اجله نظر ، لان وجوب الاتبـــاع وترك الابتداع ، مع العلم بكمال الدين قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ونصيحته لامته وحرصه على ما يقربهم الى الله ، ثم كون اصحابه خير الناس من بعده، وخير الناس من بعدهم التابعون ، وخيرهم من بعدهم تابعوا التابعين ولو كان في اقامة المولد خير ، لسبقونا اليه ، يمنع حصول الاجر ، للمجتهد اجتهادا ، يفضي الى البدعة لانه مبني على المخالفـــة للنصوص لا على اساس مشروع . يوضح ذلك ان الشيخ رحمـــه الله صرح بان البدعة لا ثواب عليها سواء اكانت بدعة المولد او غيرها . . اذا ، يكون المراد ان محبة النبي صلى الله عليه وسلم والاجتهاد في تعظيمه فيهما ثواب عظيم فاذا افضى الاجتهاد الى احداث بدعة كالمولد ، وما اشبهه فليكف المجتهد ، وليحذر من ارتكاب البدعة ، فليس فيها الا الاثم ، قال الشاطبي في الاعتصام قال مالـــك رحمه الله من ابتدع في الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم ان محمدا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ، لان الله يقول : (**اليوم اكملت لكم دينكم**) ومالم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا .

قال محمد تقي الدين ، وهذه قاعـدة عظيمـــة استنبطها مالك رحمه الله من كتاب الله تعالى ، لو سار عليها المسلمون لكانوا على صـــراط مستقيـــم ، خصوصا في هذا الزمان، الذي كثرت فيه الفتن وقبض فيه العلم بقبض العلماء فلم يبق منهم الا قليل ، ثلة من الاولين ، وثلة من الاخرين . ولذلك اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم ، ولا نجاة لخاصة ، ولا عامة ، الا بالاعتصام بكتاب الله ، وسنة رسوله الكريم، عليه من الله افضل الصلاة وازكى التسليم .

المدينة المنورة : د. تقي الدين الهلالي

الإسلام دين الحق

لا دين الكراهية والحقد

للدكتور محمود قاسم
عميد كلية دار العلوم بجامعة القاهرة

على الرغم مما يلقاه المسلمون في عصرنا الراهن من شدائد ، ومما يهدد مصيرهم كامة بسبب تحالف كثير من دول الغرب في اوربا وامريكا مع اليهود ، فانا لا نجد لديهم الشعور بالكراهية او الحقد تجاه اتباع الديانتين المسيحية واليهودية ، وما زال المسيحيون واليهود يعيشون بين ظهرانيهم دون أن يكون للاحداث الخطيرة الراهنة ، التي تمر بالعالم الاسلامي ، تأثير في العلاقات الانسانية بين هؤلاء وهؤلاء . فهل يمكن تفسير مسلك التسامح الاسلامي ، الذي تكشف عنه الحياة الواقعية ، بانه نوع من التخاذل او ضرب من الاستسلام امام ظاهرة التآمر المخربة التي تحاك خيوطها علنا وسرا في عواصم العالم الغربي وفي تل ابيب؟ وهل يمكن القول بأن المسلمين قد فقدوا اعتزازهم بدينهم وبحضارتهم ، وان اليأس او القنوط قد استحوذ على قلوبهم ، وان الفزع والجبن قد سيطر عليهم ، فاصبحوا كالفريسة التي يشلها الرعب فتستسلم موقنة بأن النجاة لن تكتب لها ؟

لقد أصيب العالم الاسلامي في السنوات القليلة الماضية بكارثة من الكوارث الكبرى التي عرفها في تاريخه الطويل . لكن من المؤكد ، حسب ما يشهد به الواقع ايضا ، انه لم يستسلم في هذه المره ايضا . فهل يرجع ذلك الى ان موجة من التفاؤل الساذج قد غمرته في ايامنا هذه ، فوهمته ان كل شيء سينتهي بخير ، او اوحت اليه أن يحيل هذه الكارثة ايضا على القضاء والقدر ، وان ينتظر مستسلما معجزة تنقذه من الفناء او الابادة ؟ ان كارثة سنة 1967 تعد من الكوارث الكبرى التي حاقت بالامة الاسلامية في القرن العشرين ، اذ اقتطعت اجزاء كبيرة من مصر وسوريا وسقطت فلسطين باسرها في يد الصهاينة . ومع ذلك نرى ، بحسب الواقع ايضا ، ان هذه الفريسة التي ظن أعداؤها انهم أجهزوا عليها لا تزال صامدة ، بل نجد انها بدات تتحرك ، على هيئة ردود افعال جسام في بعض الاقطار الاسلامية التي قد يظن اهلها انهم بعيدون بعض الشيء عن منطقة الخطر . وقبيل هذه الكارثة بسنوات قليلة تحررت بلاد اسلامية اخرى كالجزائر ومراكش من السيطرة العسكرية والسياسية التي فرضها المستعمر الغربي لفترة طويلة من الزمن ، وبخاصة فيما يتصل بالقطر الجزائري الذى يعد تحريره معجزة الاسلام في القرن العشرين . انها معركة هائلة بدات منذ 1830 ، ولا تزال مستمرة ، مع فترات من الهدوء التي يجب الا تخدع احدا . لقد تحررت اقطار اسلامية ، وانتكست بعض الدول الاسلامية ونرجو الا تحجب هذه النكسة العارضة حقيقة الامر الذي تدور هذه المعركة من أجله .

وايا ما كان الامر فان العالم الاسلامي يشهد منذ نهاية الحرب العالمية الثانية هزات عنيفة ، لا بد ان تكون لها نتائجها الخطيرة . وعلى المسلمين أن يتوقعوا لانفسهم عهدا جديدا يتراوح بين طرفين : احدهما النجاة والاخر هو فقد خصائص القومية الاسلامية دون رجعة . وعليهم أن يجيدوا منذ الان صنع هذا المستقبل القريب بأن يفيدوا من الدروس القاهرة حتى يبنوا مجتمعا اسلاميا اكثر قدرة على مجابهة ما يحمله المستقبل البعيد من اخطار بالغة .

لقد كانت بعض المجالات التبشيرية تقول فى سنة 1955 ان الاسلام يخطو خطوات المملاق فى قلب القارة الافريقية ، وانه لن يقف فى وجهه سوى انتشار الشيوعية فى هذه القارة ، فكانهم يفضلون ان يفقد كثير من البشر الايمان بالله بدلا من ان يؤمنوا به على الطريقة الاسلامية . كذلك استطاع اليهود ان يحصلوا قبل حرب يونيو سنة 1967 على وثيقة دينية من اكبر هيئة مسيحية فى الغرب تبرئهم من دم المسيح . ولما هزمت دول المشرق العربي فى تلك الحرب الاخيرة لم يخف كثير من الاوربيين والامريكيين فرحتهم الكبرى ، واكتظت شوارع بعض العواصم هناك بالمظاهرات الضخمة التي تنضح بالشماتة والتشفي من العرب والمسلمين بصفة عامة . وربما مهدت تلك الوثيقة الدينية التي اشرنا اليها بصفة مباشرة او غير مباشرة ، قصدا او دون قصد ، لاشاعة روح المودة بين المسيحية واليهودية . ومهما يكن من امر فان تلك الشماتة البالغة التي سيطرت على كثير من جماهير الغرب ربما كانت لا شعورية اكثر من ان تكون شعورية نظرا لنشئة الاجيال هناك ، ومنذ مئات السنين ، على كراهية المسلمين ودينهم .

ومع ذلك ، فان ذلك كله لم يحرك عواطف الكراهية والحقد عندنا على اتباع الديانتين المسيحية واليهودية، بدليل انه لم تحدث مظاهرات مضادة فى بلاد المسلمين وبدليل ان التآخي بين المسلمين والمسيحيين وبخاصة فى لبنان لم يمكن الغرب من فتح جبهة مجاورة لاثخان العرب عامة بجراح جديدة ـ نقول لم يحدث شيء من ذلك ، وكل ما هنالك اننا بدانا نسمع اصواتا تكاد تكون خافتة تطالب باحياء الرابطة الاسلامية بين دول العالم العربي ، وهي تلك الرابطة التي اصابها كثير من الوهن منذ نجح الاستعمار الغربي فى بسط سلطانه على الجزائر ثم تونس ومصر ومراكش وليبيا فى القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . وقد ساعد على ضعف هذه الرابطة ان تركيا انهت الخلافة الاسلامية وارتضت ان ترتبط بالغرب . وقد حاول جمال الدين الافغاني والامام محمد عبده وتلاميذهما من المصلحين والسياسيين بعث هذه الرابطة فى اواخر القرن التاسع عشر ، عندما احتلت انجلترا الديار المصرية . فانشئت جمعية العروة الوثقى . غير ان الاستعمار حاربها فى كل مكان فى الهند ومصر وشمال افريقية ، بل فى تركيا نفسها .

ومع ذلك فان الاعداد القليلة التي صدرت من جريدة العروة الوثقى سرت فى النفوس وادت الى تعديل كبير فى الوضعين السياسي والاجتماعي فى مصر والشمال الافريقي . ان اصحاب العروة الوثقى ، او الدعاة الى الرابطة الاسلامية ، وكلا التعبيرين سواء ، لم يتخذوا دعوتهم هذه الا وسيلة من وسائل الدفاع عن الكيان الاسلامي والا من اجل الحفاظ على الامة ، ولم يفكروا قط فى ان تكون هذه الدعوة اعلانا للجهاد او مقدمة للغزو لاوربا . وقد ادى انشاء جريدة العروة الوثقى الى بعث الامل فى النفوس وتوحيد القلوب ، وكان من الممكن ان تجعل هذه الرابطة الاسلامية بتحرير جميع شعوب المسلمين لولا تكتل قوى الدول المسيحية ضد تركيا فى الحرب الاولى مما ادى الى وقوع كارثة فلسطين فيما بعد ثم الى الحرب فى منطقة الشرق الاوسط على فترات منذ ذلك الحين الى يومنا هذا .

ومن الحق ان نعترف ان احياء الرابطة الاسلامية يحتاج الى كثير من الجهد والاخلاص . ومن المؤكد ان الامم الاسلامية لو كانت اليوم اكثر تضامنا واتحادا لاستطاعت ان تختصر كثيرا من التضحيات ، وان تتجنب كثيرا من الكوارث . لكن من يدري فلعل ما حدث حتى الان كان امرا طبيعيا . فان الامة التي تفقد حريتها لمئات او عشرات من السنين لا تستطيع استرداد هذه الحرية بين يوم وليلة ، وشانها فى ذلك شان المريض الذي ترهقه العلة سنين طويلة ، فيعجز عن استرداد الصحة دفعة واحدة . ومن الخير ان تقوم هذه الرابطة على اساس من الدراسة والتخطيط المحكم لا على اساس من الانفعال العابر المؤقت ، وان ترتكز الى العمل الجاد مع الافادة من الاخطاء ، لا الى التعلل بالاماني مما يقود ، ان آجلا وان عاجلا ، الى الانخراط فى جو من القنوط القاتل للنفوس . لقد وصف الافغاني المسلمين بانهم اجدر الناس بتحقيق هذه الوحدة فهم « بما اشربت قلوبهم من عقائد دينهم اشجع واسرع اقداما على الموت من يجاورهم ، وهم بذلك اشد ازدراء للحياة الدنيا ... فهم باصول دينهم انور عقلا وانبه ذكرا ، واشد استعدادا لنيل الكمالات الانسانية ، واقرب الى الاستقامة فى الاخلاق »، ونضيف نحن ان المسلمين ما هزموا مرة الا كان ذلك بسبب كفرهم بالحق وايمانهم بالباطل ، اى بنسيانهم لخصائصهم التي اشار اليها الافغاني ، او لايمانهم بالباطل وهو اعتقادهم ان الحياة تحت نير الذل خير من الاستشهاد دفاعا عن الحق .

اذن كيف نفسر موقف المسلمين من الغرب المتحالف مع اليهود ، اى من هؤلاء الذين لا يريدون

الا اذلال العرب او ابادتهم اذا امكن لهم الامر ؟ فهل يعد هذا الموقف الاسلامي دليلا على فقد المقومات الاسلامية جملة ، ام هو دليل على شيء آخر ؟ ان عدم الاستسلام الذي نشهده اليوم يؤذن بان هناك عناصر اكثر عمقا في طبيعة المسلمين . وربما كان في مقدمة هذه العناصر ان الاسلام ليس دين كراهية وتعصب ، وانما هو دين محبة للبشر . فهو الدين الذي يعترف بالاديان السماوية ، والذي ينظر الى اهل الكتاب من النصارى واليهود نظرة تختلف عن نظرته الى عبدة النار والى اهل الوثنية ، وهو الدين الذي يدعو الى الايمان بالله الواحد عن طريق الحكمة والموعظة والجدل الحسن لانه هو الدين الذي يحترم العقل ويدعو الى تحريره من سلطان الاوهام العنصرية ومن نير النظرة الشخصية الضيقة ، فالعقل يوجب ايضا ان يكون الناس سواسية وانه لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى .

ان المسلمين المعاصرين يعلمون كاسلافهم موقف الرسول وصحابته من اتباع الموسية والمسيحية . ولقد حزن المسلمون عندما انتصرت فارس على الروم فنزل القرءان يفتح أمامهم باب الامل في انتصار اهل الكتاب على المجوس فقال تعالى : « غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون » كذلك نعلم من تراثنا مقدار ما لقيه الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه من اذى اليهود وتآمرهم مع مشركي مكة ، ومن غدرهم في الاوقات العصيبة التي أحاطت بالدعوة الجديدة الى الحق ، ومع ذلك كله فنحن نعلم جميعا ان الرسول قام لجنازة يهودي فقيل له انه يهودي ، فقال : « اوليس نفسا » . فالاسلام في جوهره دين التسامح والاخاء والمساواة . وقد حقق ذلك كله بالفعل . وهو لا يستمد قوته من تنشئة ابناء المسلمين على كراهية الاخرين بل من تنشئتهم على اساس من الثقة بالله والنفس ومن الدعوة الى العمل لنشر دعوة الحق بالحسنى والمثل الصالح . واذا كان قد وصفهم بانهم خير امة اخرجت للناس فذلك لانها الامة التي تدعو الى الحق وتصدع به .

وفي ايام عصيبة كايامنا هذه سمعنا اماما مسلما متسامحا يقول ان أكثر نصارى الروم والترك في هذا الزمان تشملهم الرحمة ان شاء الله تعالى » ، ويعني بهم هؤلاء الذين لم تبلغهم دعوة الحق او بلغتهم مشوهة فهم معذورون . اما من بلغتهم الدعوة على حقيقتها واصروا على انكارها لانهم اعداء للحق وللبشر فشأنهم شأن آخر . حقا استطاع الصليبيون قهر الشرق طيلة قرنين من الزمان ثم تحالفوا مع التتار على ان يواصلوا تنفيذ ما عجزوا هم عن تحقيقه من القضاء على المسلمين ودينهم . وتتابعت موجات التتار على شرق العالم الاسلامي ، وساعدهم بعض الخونة من المسلمين، لكن انتهت الحروب الصليبية وهزم التتار ثم اسلموا. وتنفس المسلمون الصعداء واستردوا حرية بلادهم لكن لم تمتلىء قلوبهم بالكراهية والحقد ، كما امتلات بهما قلوب خصومهم . ثم عادت جحافل الغزو الاوربي في القرن الماضي وانضم اليهم اليهود منذ اوائل القرن الحالي ، لكن روح الحقد والكراهية تتجه الى هؤلاء ، كدول مستعمرة ، لا الى الافراد من حيث انهم يهود أو نصارى، وذلك على الرغم من ان الاستعمار الاوربي حاول ان يطبق على الجزائر منذ مائة واربعين سنة ما سبق أن طبقه الاوربيون في الامريكيين حيث ابادوا ثلاثين مليونا من اهل البلاد الاصلية تحت ستار نشر الحضارة الاوربية والمسيحية . والحق ان الاستعمار ابادهم ، كما كان يريد ابادة اهل الجزائر ، حتى يفسح مجالا هائلا لتوطين النازحين من اوربا . لقد ارادت فرنسا ان تجعل الجزائر مقاطعة من فرنسا ثم فرضت حمايتها على تونس واخيرا مدت هذه الحماية في مطلع القرن الحالي الى مراكش . غير ان المستعمر متى عجز ، لاسباب قاهرة ، عن ابادة امة باسرها ، كما فعل في أمريكا ، حاول تحقيق هدفه بصورة اخرى ، اى حاول القضاء على خصائص هذه الامة وتقاليدها ولغتها ودينها حتى يسهل عليه ادخالها في فلكه او ادماجها في شعبه . وقد طبقت سياسة محاربة الدين واللغة تمهيدا لعملية الادماج في الجزائر ، بعد ان فشلت سياسة ابادة البشر . فاخذ المستعمر يوهم اهل الجزائر بان بلادهم اصبحت جزءا لا يتجزأ من فرنسا، وان لكل فرد من افرادها ان يخضع للقوانين الفرنسية حتى يغدو مواطنا كاملا . لكن الشعب الجزائري لم يكن ساذجا ، فرفض فكرة الادماج التي كان يحاربها المستوطنون الفرنسيون في الجزائر . فان الرجل الفرنسي العادي كان يصارحك هو الاخر بان شعب الجزائر من جنس غير جنسه وعلى دين غير دينه ، وانه لا يقبل آخر الامر ، ان يقف على قدم المساواة مع العرب . واخيرا حلت مشكلة الجزائر منذ سنوات قليلة على اساس آخر فرضه الجزائريون بانفسهم عندما اتخذوا لانفسهم شعارا قرءانيا وهو : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » اى عندما آمنوا بالحق وهو أن بلدهم بلد عربي واسلامي أولا واخيرا. وقد كان هذا الشعار الاخير هو الذى غرسه اهل الاخلاص والدين كالامام عبد الحميد بن باديس

ورملائه في نفوس الجيل الذي حرر الجزائر . فبفضل هذا الشعار الذي كان كامنا في نفوس اخواننا الجزائريين صمد اهل الجزائر امام كل غزو حربي او ديني ايا كان مصدره . وقد ساعدهم على تحقيق معجزة تحرير الجزائر سلامة بنية دينهم وبداهة عقائدهم وموافقته للطبيعة الانسانية السليمة التي تفضل الموت على امتهان الكرامة الانسانية .

وربما كان هذا الايمان العميق بكرامة الانسان هو الذي يفسر لنا حنق خصوم الاسلام وشدة حنقهم في محاولة القضاء عليه . ومع ذلك فان قلوب الجزائريين لم تمتلىء فيما اعتقد ، كراهية وحقدا على خصومهم بالامس ، ولم يفعلوا سوى أن عقدوا الصلات بكثير من الدول لدفع عجلة التقدم في بلادهم وللحفاظ على انتصارهم . فليست المسألة اذن عند المسلمين اليوم مسألة استسلام او تخاذل ، بل ربما قيل ان هذا التسامح العميق الذي ينعكس في نفوس المسلمين هو نوع من الثقة اللاشعورية بالنفس . لكن من الضروري أن تخرج هذه الثقة بالنفس من اعماق اللا شعور الى بؤرة الشعور او الى حافته في الاقل ، حتى تغير سمة القبح في وجه العالم الاسلامي .

ان قوة الاسلام تكمن في تسامحه ، وفي بغضه للعصبية القبلية والتفرقة العنصرية . وليس التسامح او النزعة الانسانية الكريمة في الاسلام دليلا على التخاذل ، بل هو دليل على الثقة بالله وبالنفس ، وسبيل الى تحقيق مبدأ اسلامي جليل وهو احترام الكرامة الانسانية ؛ وكل هذا مزيج فريد من النضج الروحي الذي يشهد حقيقة بان الاسلام خاتمة الاديان السماوية ، وهو مزيج فريد لانه يضم الى نضج الروح نضج العقل . هذا الى ان عواطف الكراهية والحقد او التشفي بمصائب الاخرين ، والابتهاج للكوارث التي تحل بهم هي من سمات الفقر او الاجداب الروحي ، كما ان القول بأن اجناس البشر تتفاضل فيما بينها بسبب تفاوت الوان بشرتهم من البياض الناصع الى السواد المشرق او الكدر دليل واضح على ضعف العقل ، فان احدا من الناس لم يختر لون بشرته ، كما لم يختر احد مسقط راسه ، ابتداء من خط الاستواء حتى القطبين شمالا او جنوبا .

ومما يشهد بهذه السمة الانسانية المجيدة لدى المسلمين أن بعض المثقفين من الاسبان يفخرون بانحدارهم من آباء مسلمين على حد ما يرويه لنا الاستاذ عبد الله كنون في مقاله عن الدراسات الاسلامية بمدينة مالقة الاسبانية ، فقد اخبرنا انه فوجىء بمحافظ مدينة مالقة يحيي الباحثين المشاركين في حلقة هذه الدراسات ، فينوه بعظمة الاسلام ، ويعترف بان الاسلام الذي كان دين اجداده خلال ثمانية قرون هو باعث حضارة الاندلس ونافخ روح الجد والعمل في اسبانيا التي كانت قبل دخوله اليها تغط في نوم عميق (1) .

واذا كان الاسلام قد احدث مثل هذا التحول في اسبانيا ، فانه قد فعل اكثر من هذا بكثير في العرب ومن جاورهم من الامم ، اي في مصر والهند وتركيا والدول الاسلامية في افريقيا وآسيا . فالسبب في صلابة هذا الدين ومتانته رغم تحالف قوى الشر عليه وعلى معتنقيه في القديم والحديث يرجع الى انه لا يستمد قوته ومتانته من كراهية البشر او قهر الشعوب روحيا وسياسيا . فهو دين مفتوح للرحمة والتسامح والخير . وهذا هو الاساس القوي لتلك الرابطة العجيبة بين المسلمين ، وهي رابطة قد يدركها الوهن احيانا ، لكنها تؤتي المعجزات اذا قدر لها ان تحتل بؤرة الوعي . ولا نعدم ان نجد لدى بعض المسلمين ممن يجهلون ثقافة امتهم وتاريخها ، من قد يسخر من الحديث عن تلك الرابطة التي يعرف الغرب قيمتها وخطرها كوسيلة مثلى للدفاع لا للهجوم . فعقلاء الغرب يعترفون بان تلك الرابطة اقوى من اى رابطة يعقدها اى دين آخر بين اتباعه ويمكن تعليل ذلك السر بانها رابطة تدعو الى الخير وتعلي من كرامة الانسان ، وتجعل كل فرد وجها لوجه مع خالقه ، فكأن كل نفس من نفوس البشر لا يوجد في العالم سواها وسوى الله ، مما ينعكس اثره الاخلاقي البالغ في الصلة بين جميع البشر . وقد شهد « لوثورب ستودارد » بأن « من يريد حقيقة ان يعرف الهدف الذي يرمي اليه الاسلام من الرابطة الدينية ، فليلق ببصره على المسلمين في العصر الراهن ، وليستمع الى تجاوب التعاطف والحنين بينهم ، حتى يقف على سر هذه الرابطة وعلى مكانتها في نفوس المسلمين . ففي الحق ليس هناك دين من الاديان يؤلف بين قلوب ابنائه ويوحد شعورهم ويحفزهم الى التضامن والاخوة والاستمساك بعروتها مثل الدين الاسلامي ، ولقد فتح المسلمون من الامصار ما فتحوا ، ودخل في دينهم كثير من الامم ، ثم حلت بهم الكوارث ، فلم نسمع أن شعبا صبا بعد أن أسلم » فقوة هذه الرابطة بين الجزائر

(1) مجلة العربي عدد محرم 1390 ، ابريل 1970 .

ومراكش منذ عهد قريب هي التي اتاحت لكلا القطرين تحقيق اهدافه ، كما ان ضعفها في نهاية العقد الثالث من القرن الحالي هو الذي حال دون ان تؤدي ثورة الريف المراكشي الى نتيجتها المباشرة .

وتؤكد من جانب آخر ان الغرب ، يعلم حق العلم وعن دراسة موضوعية ، ان الرابطة الاسلامية ليست تعصبا ، في الوقت الذي يعرف فيه أيضا أنها سلاح دفاعي ناجح ، غير ان موقفه من الرابطة اليهودية التي تتزعمها الحركة الصهيونية موقف آخر . انه يدرك أنها رابطة تدعو الى الغزو واخراج العرب من ديارهم التي سكنوها منذ آلاف السنين . لكنه يغمض عينيه حتى لا يرى فيها ذلك الجانب العدواني ، ثم يبذل ما في وسعه لتعضيدها في الوقت الذي متى احس فيه باقل اتجاه من المسلمين نحو احياء رابطتهم ، فانه يوجه دعايته بكل طاقتها لمحاربة هذه الرابطة وللقضاء عليها في مهدها . ومن الاساليب الدعائية المفضوحة ما نراه اليوم من ان اسرائيل تحاول خديعة العالم بأن توهمه بانها ليست دولة دينية ، وذلك لكي تشعر الاخرين من حلفائها ، وممن لا حاجة بهم الى دعايتها ، بأن المسلمين هم المتعصبون دينيا . وقد ثارت ضمائر بعض المتدينين من اليهود في اسرائيل نفسها عندما ادعت الصهيونية انها ليست حركة دينية، ثم هدأت نفوسهم حينما قيل لهم ان هذا الاتجاه اللاديني المزعوم انما هو احد الاساليب التي تقتضيها المعركة بينهم وبين العرب والمسلمين بصفة عامة .

وعلى عكس ذلك ، نجد ان فكرة الرابطة الاسلامية عند المسلمين المعاصرين لا تشوبها شائبة من التعصب الديني او العنصري . ذلك ان هذا التعصب ليس شيئا أصيلا فيهم ، بل يتعارض مع سماحة دينهم وواقعيته ، اذ يقول الله تعالى : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة » ، كما قال : « انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء » ، وان الرابطة الاسلامية التي دعا اليها جمال الدين الافغاني في أواخر القرن الماضي لم تكن تدعو الى تحقيق الخلافة الاسلامية في العصر الحديث على غرار ما كانت عليه في ايام أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب . فان ذلك يكاد يكون مستحيلا ، بل من حسن السياسة في التفكير أن ينشىء المسلمون اتحادا اسلاميا عاما شبيها بالنظم السياسية الحديثة ، فلم يكن يدعو اذن الى ملك واحد يسيطر على الاقطار الاسلامية جميعها ، فان ذلك أمر عسير جدا بعد ظهور القوميات الحديثة لظروف تاريخية عديدة . لكنه كان يرجو ان تكون عقائد الاسلام وأخلاقه دستورا لجميع المسلمين ، فتصبح الوحدة الدينية هدفهم الاكبر ، بحيث توجب على ملوك المسلمين التضامن والتعاون ، على نحو تضامن شعوب الغرب لتعويق تحرر الشرق والحيلولة دون استرداده لقوته . فهذا هو معنى الوحدة السياسية التي كان يريدها جمال الدين الافغاني . فهو اذن لم يكن يدعو الى عداوة اى ملك من ملوك المسلمين ما داموا يضعون مستقبل الامة الاسلامية نصب اعينهم . وفي الجملة كان يوصي المسلمين بأن يعملوا على تحقيق هذه الرابطة ، مهما يكن من اختلاف نظم الحكم في دولهم ، وذلك افضل قطعا من الانقطاع الى البكاء على المجد الغابر . فان البكاء لا يحيي الميت والاسف لا يرد الفائت ، بل البكاء والحزن مصرعان يقودان الى اليأس والجبن . وكل من رضي اليأس والجبن لنفسه فهو ممن يؤمن بالباطل ويكفر بالحق .

لكن ربما زعم بعض المسلمين ، ممن تأثروا بدعايات الغرب وثقافته اكثر من تأثرهم بثقافتهم التي ينظرون اليها احيانا نظرة الزراية والاستخفاف ، بسبب ظاهرة الاجترار لقشور هذه الثقافة وجهل كنوزها المطمورة التي توجد صور مقاربة منها في الانتاج الفلسفي والادبي في العصرين الوسيط والحديث (1 أقول ربما تأثر هؤلاء بدعاية الغرب فوصفوا الرابطة الاسلامية بانها نوع من التعصب أو التخلف الفكري ، ورأوا ان السبيل الى الخلاص هو العلم النظري والتطبيقي على نحو ما دعا اليه احمد خان في الهند عندما نجحت انجلترا في منتصف القرن الماضي في القضاء على ثورة المسلمين هناك . وبعيد عن ذهننا ان ننكر قيمة العلم ما دمنا نقرر ان نهضة اوربا الحديثة انما قامت اساسا عندما تحرر مفكرو اوربا ، ابتداء من القرن الثالث عشر من منهج ارسطو ، وارتضوا منهج العرب والمسلمين الذي كان يعتمد على الرياضة والتجريب . ومع اعترافنا بسلاح العلم فهل لنا ان نقول ان العلم وحده لا يكفي لضمان بقاء حضارة الغرب الراهنة ، اذ لا بد للعلم من ان يسانده الخلق . وليس العلم منبعا للاخلاق ، بل الدين هو منبعها الاصيل . وهل هناك ما يحول دون تحصيل العلم مع الايمان بالقيم الاخلاقية السامية ، وهي قيم دينية في جوهرها، اسلامية كانت ام مسيحية ام يهودية ، اذ ان هذه الديانات الثلاث من نبع واحد .

ومع ذلك ، فنحن نتفق مع هؤلاء المتشائمين في

1) هذا ما نحاول بيانه في دراستنا الاكاديمية .

نقطة هامة ، وهي ان الرابطة الاسلامية لن تكون مثمرة بل ستكون ضارة اذا هي اقتصرت على التحسر والشكوى واعتمدت على الانفعال او العاطفة العمياء ، اى انها لن تؤدي الى نتائجها الايجابية الا اذا كانت رابطة تدعو الى العلم والعمل فى الوقت الذي تدعو فيه الى الحق والخير . فمن المحقق انه لن يتم اى اصلاح ديني وبعث للقيم الاسلامية الصحيحة بعد التحرر من رواسب عصور التدهور والتخلف الثقافي ، ان لم تساندة حركة علمية وثقافية شاملة ، وان لم تفتح السبل امام اصلاح المناهج فى مدارس المسلمين ، وان لم تعد طبقة كثيفة من العلماء فى مختلف فروع العلم الحديث . اما التركيز على العاطفة الدينية وحدها، دون اهتمام بضروب الاصلاح الضرورية الاخرى ، فانه لا يعدو ان يكون علاجا ساذجا لمشكلات ضخمة ، بل نقول ان الاثارة العاطفية ستكون اكثر ضررا منها نفعا، وستكون مادة خصبة يتخذها اعداؤنا وسيلة الى تزويد دعاياتهم بعناصر جديدة مدمرة لتاليب دول العالم الجديدة ضد المسلمين .

اما هؤلاء الذين نفضوا ايديهم جملة من ثقافتهم الاسلامية ، فراوا فى الدعوة الى الرابطة الاسلامية لونا من التعصب الديني الذي لا يعدمون ان يجدوه سافرا او غير سافر لدى كتاب الغرب — فهم هؤلاء الذين وصفهم الافغاني من قبل بانهم ابواق تردد ما يزعمه الغرب من تعصب المسلمين ، مع ان هؤلاء المسلمين المعاصرين هم اقل الناس تعصبا لدينهم بحسب الواقع.

ففكرة التعصب الديني التي تنسب الى المسلمين عادة ، عند كل محاولة من جانبهم لاحياء الرابطة بين الشعوب الاسلامية ، زعم يزعمه الاستعمار القديم او الجديد ، فالمستعمر يصف المسلمين بالتعصب وكراهية المستعمرين لا لشيء الا لانه على دين غير دينهم لكنه يعلم بينه وبين نفسه سبب الكراهية للاستعمار - وهو انه يفتك بالامم لكي يضع يده على ثرواتها لا اقل ولا اكثر . وليس الاستعمار فى حاجة الى هذا الزعم الا كلافتة مزيفة يجهز خلفها الجيوش او كسحابة مضللة تتقدم قنابله للفتك بالمدنيين ، نساء وشيوخا واطفالا . غير انه يلاحظ انه متى نجح شعب اسلامي فى فرض ارادته على المستعمر ، فسرعان ما تختفي تهمة التعصب التي كانت توجه اليه بالامس ، لتحل مكانها اساليب معسولة للاحتفاظ ببقية من النفوذ فى البلاد التي استطاعت ان تتحرر من سيطرته.

فاذا نحن القينا ببصرنا الى احداث هذه الحقبة العصيبة التي نمر بها وجدنا ان اهل المسيحية اكثر تعصبا لابناء ملتهم من المسلمين فيما بينهم، فهم اكثر انحيازا الى اسرائيل ، وليس ذلك من اجل الدفاع عن مصالحهم الاقتصادية فحسب ، بل تنفيسا ، فى الوقت نفسه ، عن تلك العقد القديمة التي ترجع الى تاريخ بعيد . واذا نحن وجدنا أن بعض حكومات الغرب تقف فى الامثل موقف الحياد ، او تحاول العطف على العرب والمسلمين ، فربما كانت المصالح الاقتصادية هي التي تدعوها الى ذلك ، فى حين ان جانبا كبيرا من شعوب هذه الدول لا يخفى تعصبه لاسرائيل وفرحه لكل مغامرة تقوم بها اسرائيل . لكنها تؤثر الصمت عندما تكال لاسرائيل ضربة من الضربات بين حين وآخر .

ان التمسك برابطة الدين التي يحاربها الغرب متى وجدت عند المسلمين ليست حقيقتها امرا مرذولا فى ذاته ، لكنها تقبح كل القبح عندما تخرج عن حد النخوة ، عند دول الغرب مثلا ، لكي تلحق الضرر باتباع دين سماوي مثل دينهم . وكيف يستمع بعض المسلمين الى دعاية الغرب مع انهم يرون ان كتابات اهل اوربا لا تخلو من الحديث عن الروح المسيحية وعن الحضارة المسيحية ؟ وكيف نراهم يعجبون او يسخرون من هؤلاء الذين يتحدثون عن الروح او الرابطة الاسلامية ؟ ومن الواجب الا يخدع احد منا نفسه حتى يغمض عينيه فلا يرى الامور على ما هي عليه .

ان اهل اوربا قد ينكرون على المسلمين اعتزازهم بدينهم ، ويزعمون انهم يعتزون من جانبهم برابطة الجنس لا برابطة الدين . لكن ذلك الزعم لا يغير حقائق الاشياء لان رابطة الجنس عندهم رابطة دينية ، فى الوقت نفسه ، ما دامت اوربا مسيحية باسرها تقريبا . ولكن هل يكفي ان يوهمنا الاوربيون بان رابطة الجنس الآري وحدها هي التي تدعو الى تكتلهم ضد غيرهم من الاجناس ، ومن بينهم المسلمون والعرب ؟ وهل تكفي رابطة الجنس مبررا يدفع اصحابها الى ظلم الآخرين او محاولة القضاء على حرية المخالفين الاخرين لهم فى الجنس وفى العقيدة ايضا ؟ لقد سبق ان حكم المسلمون شعوبا مسيحية ولم نسمع من المسيحيين انفسهم من الاجناس الاخرى ان حكامهم العرب جاروا عليهم او اكرهوهم على ما يخالف عقائدهم .

ان الذي يؤخذ حقيقة على المسلمين ليس تعصبهم الديني المزعوم ، بل هو ضعف رابطتهم الدينية وتخاذلهم عن نشر القيم الاسلامية السامية بين انفسهم فى الاقل . فليت المسلمين اشبهوا المسيحيين الذين

يعيشون بينهم فى ترابطهم وتعاونهم . فان هذا المسلك جدير بالاعجاب والمحاكاة ، بل ان المسلمين اولى بان يحققوا هذا التعاون والتضامن لان دينهم يدعوهم الى محو الفروق بين الاجناس المختلفة فى الوانها ولغاتها وعاداتها ، بل فى اديانها ايضا . وهم اجدر من غيرهم بان يكونوا دعاة الخير والحق والتسامح ؛ فان دينهم هو الذي نادى بالاخاء والمساواة وحققهما بالفعل بين اتباعه على اختلاف اجناسهم والوانهم . وهذه الرابطة الاجتماعية الانسانية هي التي يحاول الاوربيون مسخها عندما يطلقون عليها اسم التعصب الديني لدى المسلمين ، على نحو ما كانوا يلمسونه من صراع بين المذهبين الكاثوليكي والبروتستانتي منذ بدء حركة الاصلاح الديني ، بل على نحوما يشهدونه من صراع اجتماعي بين اتباع المذهب الواحد اذا اختلفت الوان معتنقيه ، كشأن التفرقة العنصرية فى الولايات المتحدة، وفى بعض المستعمرات الاوربية التي يؤمن فيها السود بدين حكامهم من الجنس الابيض . وهل من الممكن ان نطلق اسم التعصب الديني على الاخوة الدينية الاسلامية التي تسوي بين الاصفر والابيض والاسود والاحمر ، وهي مساواة طبيعية جدا بين اهل العقيدة الواحدة ، ان هذه الاخوة الدينية هي التي قضت على العصبية القبلية وانشأت امة مما يشبه العدم ، وجعلتها من ارقى الامم فى اقصر وقت عرفه التاريخ .

ويشهد التاريخ ان العرب لم يكرهوا أمة على ترك دينها ، بل اوصاهم الرسول خيرا باهل الكتاب ، على الرغم من غدر اليهود وعدائهم لدعوة الاسلام . واكثر من ذلك فقد حمى العرب اليهود فى بلاد الاندلس، وعاش اصحاب الملل الثلاث عصورا طويلة فى الشرق والغرب فى وفاق ووئام ، فقد تركت لغير المسلمين حريتهم الدينية لقاء جزية رمزية هي الثمن البخس للدفاع عن اموالهم وارواحهم وعقائدهم ، وهي لا تقارن فى ضآلة بما يدفعه الناس فى عصرنا هذا من ضرائب على الدخل الى جانب ضرائب الدفاع ، ويمكن تفسير دفع الجزية تفسيرا يقبله العقل ويؤكد تسامح الاسلام . فهي تشبه ان تكون وسيلة تتيح لصاحبها ان يعترض موجة انتشار الاسلام اذا راى ذلك . فمسلك الاسلام هنا هو مسلك القوي الكريم الذي لا يريد ان ينازل احدا الا اذا وضع فى يده سلاحا يدفع به عن نفسه .

ونحن لا ننكر ان بعض الولاة اضطهدوا اهل الكتاب فى فترات نادرة من التاريخ الاسلامي . ولكنهم كانوا ولاه ممن لا ثقة بعقلهم ، وربما بدينهم ايضا ، كالحاكم بامر الله الذي ادعى الالوهية ، وكان يغضب على المسيحيين او اليهود فينكل بهم ويهدم معابدهم ، ثم يرضى عنهم ، فيقربهم اليه حسبما كان يمليه عليه مزاجه النفسي المضطرب . غير اننا لا نجد فى تاريخ المسلمين ولاة يشبهون الحاكم بامر الله ، كما اننا لم نسمع عنهم انهم اقاموا محاكم التفتيش لمخالفيهم فى العقيدة على نحو ما حدث فى اوربا ابتداء من القرن الثالث عشر حتى بعد خروج المسلمين من اسبانيا فى اواخر القرن الخامس عشر بزمن طويل . لقد ادعى الحلاج حاول الله فيه ولم يحكم بقتله الا بعد محاكمة استمرت تسع سنوات كان يقيم خلالها فى قصر الخليفة .

وليس من هدفنا ان نفرط فى ضرب كثير من الامثلة لتعصب المسيحيين وحروبهم الدينية الدامية منذ عصر النهضة ولعدة قرون ، تلك الحروب التي خفت حدتها كثيرا بعد ان وجد الاوربيون عدوا مشتركا ينفسون ، فى قتاله ومحاولة الاجهاز عليه ، عن رواسب عواطف الكراهية والحقد الدفينة فى النفوس. نقول ليس من غرضنا ان نطيل فى وصف التعصب الديني عند الاوربيين الذي دعاهم الى تبرئة اليهود من دم المسيح تمهيدا لحملة جديدة فى بلاد المسلمين . ونحن لا نطيل فى هذا الوصف لان ديننا ليس دين كراهية أو تعصب ؛ بل هو دين حق وخير وتسامح ، ولانه يدعونا الى ما هو اجدى من الكراهية والحقد ، اى الى العمل الجاد لاظهار دين الحق ولو كره المشركون .

وهذا العمل الجاد الذي نشير اليه لا بد ان يكون عملا متكاملا يمس كل تفصيل من تفاصيل البناء الاجتماعي والثقافي والاخلاقي والروحي والعلمى فى بلاد المسلمين .

دكتور محمد قاسم

ملامح من المجتمع الذي خطط له الرسول العظيم

للاستاذ أبي بكر القادري

بعث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لينقذ الانسانية من الضلالات والاوهام ، ويحررها من عبادة الاصنام والاوثان ، ويهديها الطريق السوي الذي تسعد به فى الحياة ، وتستحق به خلافة الله فى الارض. وهكذا مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى تحرير الانسان من عبادة الاصنام ، ويامره بالاخلاص للملك الديان ، اخلاص العبودية له وحده دون غيره من السدنة والكهان ، والرؤساء ذوي الطغيان ، والالتزام بوحدانيته ، وتخصيص العبودية له وحده تعالت قدرته ، وتسامت عزته ، حتى يستطيع الانسان ان يحلق فى الاجواء العليا ، ويسعد بالقرب من ربه الذي يمده بكل عون ، ان هو اتبع الصراط المستقيم ، ولم ينحرف مع الضالين ولا المغضوب عليهم من المتنطعين .

وكان صلى الله عليه وسلم يعطي المثل عن نفسه فى التعلق بالمثل العليا ، ومقاومة الانحرافات والاضاليل والاوهام . الامر الذي لم يستطع معه احد من خصومه المعاندين ان يوصفه بمنقصة ، او يثبت فى حقه مذمة . اذا كان فداه ابي وامي مثالا كاملا فى حسن الاخلاق ، ونموذجا حيا للانسان الكامل الذي افتقدته البشرية خلال احقاب تاريخها القديم والحديث ، والرسول الذي بعثه الله وهياه ليكون النموذج المثالي الذي اراد للبشرية ان تسير على منواله ، وطبق تعاليمه وهداه ، ان ارادت السعادة الكاملة فى هذه الحياة ، والفوز والعاقبة المحمودة فى تلك الدار الاخرة الباقية على الدوام . حارب رسول الله الشرك والضلالات والاوهام ، وجاهد ليحرر بني الانسان من ظلم الطغاة الجبابرة الحكام ، واتى بدين يسوي بين الانسان واخيه الانسان ، فليس هناك فارق بين الاجناس بسبب اللون او العرق او المال او الجاه ، وانما المعيار الحقيقي للتفاضل ، بين بني البشر ، هو التحلي بالمثل العليا ، والتمكن من الاخلاق الفضلى ، والسير فى طريق العلم والمعرفة واتقاء جميع انواع المكروه ، وان يحب الانسان لاخيه الانسان ما يحبه لنفسه ، فلا كراهية ولا بغضاء ، ولا تحاسد ولا شحناء ولا طبقية ولا تشاكس ولا اتكال ولا تقاعس ، وانما هو عمل متواصل لما يرضي الحق ، ودؤوب دون فتور لعمارة الارض ، وجهاد للنفس والاذى ، ودفاع عن الحق للوقاية من الفساد ، والتقاء الانسان مع اخيه الانسان فى عبادة الملك العلام ، حيث يتحرر الجميع من سيطرة الاكابر والاصاغر ، ويخلصون العبودية للاله الذي خلق الانسان فسواه ، وكرمه فهداه ، هداه النجدين ، وحمله الامانة ليمتحنه ويبتليه ، ليلقى جزاء ما قدمت يداه ، . « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

ولم يكن صلى الله عليه وسلم طائعا مختارا فى اداء الامانة ، وانما هي رسالة امر بتبليغها ، ودعوة كان لا بد له من ادائها ، وتحمل كل الاعباء والانصاب فى سبيل تركيزها ، حتى تدرك الانسانية كلها انها لم تخلق عبثا ، وانها مدعوة الى النهج القويم ، والصراط المستقيم ، الذي دعا اليه النبيئون والمرسلون مدعوة اولا وبالذات الى توحيد الله وعبوديته وحده ، عبودية حقة لا شائبة فيها ولا التباس ، عبودية مستقيمة ، لا اعوجاج فيها ولا امتا ، عبودية مخلصة لا تراجع فيها ولا انتقاص ، عبودية طائعة ، لا تعنت فيها ولا هوى ، عبودية موحدة ، لا تفرقة فيها ولا اختلاف ، عبودية تتجلى فى كل احوال الانسان ، فى اتصاله مع ربه ، فى معاملاته لبني جنسه ، فى اخلاصه فى اداء مهماته ، فى

تجرده عن حظوظ نفسه ، فى يقظة ضميره امام جميع تصرفاته ، فى سيره على النهج القويم الذي اراد له الله ان يسير فيه « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب » .

ومن هذا المنطلق التوحيدي السامي ، وهذا الارتباط المتين بين الانسان وخالق الانسان ، وهذا الاستسلام غير المشروط لخالق الاكوان ، وهذه العبودية المجردة التي هي لب الاحسان ، طفق سيدي وسندي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يربي تلك الفئة المؤمنة الاولى ، ويكون ذلك الرعيل الصادق من المؤمنين الاولين ، ويهيىء الطائفة القليلة من الصحابة المهتدين ، يملأ قلوبهم بحب الله ، والتعلق به وحده لا شريك له ، ويربي فيهم الثقة به سبحانه والاعتماد عليه ، ويتلو عليهم من الايات البينات ، ما يملأ قلوبهم يقينا ، ويعمر صدورهم حكمة ، وما يهيئهم ليكونوا نجوما يهتدى بنورها ، وانوارا يستضاء بها ، وصدق رسول الله اذ قال : اصحابي كالنجوم ، بايهم اقتديتم اهتديتم . حتى اذا ما تمكن عليه السلام من اعداد تلك الفئة المؤمنة الصادقة ، التي كيفها الاسلام فى القالب الذي يريد ، فزكى روحها ، وطهر نفوسها ، واوصلها بربها ، وهيأها لاداء رسالتها ، وهي الرسالة الاسلامية الخالدة . وحتى اذا اكتمل نضج هذه الفئة المؤمنة التي كان يمدها الرسول الاعظم بقوة الاشعاع النبوي ، ويزودها من روحانيته القدسية التي تلقاها عن ربه ، ويجعلها على بينة من ربها ، تدرك حكمة الله فى خلق الاكوان وتعي بارواحها وقلوبها وجوارحها سر بعث الله سبحانه رسله لبني الانسان ، وتتذوق بعمق اسرار الكتاب الذي جعله الله مشكاة يستضيء بهديها المهتدون ، وترى ما عليه المشركون من انحراف عن طريق الحق والسداد ، وما يسير عليه قادتهم وزعماؤهم من استبداد ، وتحس بالفارق العظيم بينها وبين المشركين عباد الاوثان والاصنام . حتى اذا اكتملت كل هذه العوامل وعوامل غيرها ، امر الله رسوله الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالقفز بحركة الدعوة المجردة ، والانذار والتبشير الى تحقيق مجتمع اسلامي حقيقي سليم ، لا علاقة له بالمجتمع الجاهلي الذي سار فيه العرب السنين والاعوام ، ولا ارتباط له بضلالته واهوائه وانحرافاته .

وهكذا صار رسول الله يدعو المومنين برسالته ان يبايعوه على نصرته ونصرة المبادىء والتعاليم التي اتى بها من عند ربه ، وهكذا اقبلت الوفود تترى من الرجال والنساء يبايعون رسول الله على التعلق بالله وحده لا شريك له اولا ، وعلى اصلاح نفوسهم والابتعاد بها عن الشهوات والمنكرات ثانيا ، وعلى نصرته فى اداء رسالته التي بعثه الله بها للخلق ثالثا . وهكذا اذن الله لرسوله فى الهجره الى المدينة المنورة ليضع اللبنة الاولى فى تكوين مجتمع اسلامي صحيح لم تشهد الانسانية مجتمعا فاضلا مثله ، ولم تسعد الخليقة طول فترات وجودها بمثل ما سعدت به ، مجتمع انساني سعيد ، عمته الكرامة ، وربطت بين افراده العدالة والمحبة ، واشرقت ارجاؤه بنور التوحيد الوضاء ، وعاشت الانسانية فترات من حياتها وكانها فى عالم الملائكة الاطهار ، مجتمع صححت فيه الاوضاع ، ووضعت فيه اسس الحضارة الحقة ، التي اعطت للانسان من الامكانيات ما جعله يبني ويعمر ، ويبتكر ويخترع ويستفيد مما سخر له فى السماوات والارضين ، ويرى حكمة الله فى الآفاق التي تزيده يقينا فى القوة الالهية ، مجتمع عاش فيه الانسان اخو الانسان ، فلا يظلمه ولا يخذله ولا يبيت متخما بالماكولات ، وجاره بجانبه جوعان ، مجتمع عمه التوازن والتكافل ، فعمل للدنيا كانه يعيش ابدا ، وعمل للاخرة كانه يموت غدا ، مجتمع عمل على نشر العلم والفضيلة ، بل قال مؤسسه : طلب العلم فريضة ، فازال الاوهام التي كانت لدى السابقين واللاحقين من ان العلم يناقض الدين ، مجتمع حرر العقول من اغلالها فدعا الى التفكير والتعقل فى كل ما امر به ، وحير المقلدين الذين يتبعون اهواءهم بغير علم ، والذين يقولون : انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ، مجتمع آخى بين المومنين من انصار ومهاجرين ، فاقبلوا يتقاسمون اموالهم وما يملكون فى سبيل تحقيق عدالة اجتماعية بينهم ، دون قهر او اكراه من احد ، وانما بدافع من ضمائرهم الحية اليقظة التي رباها ونمى طهارتها وصفاءها الاسلام ، مجتمع سوى بين الحاكمين والمحكومين ، فلا جبروت ولا طاغوت ، ولكي تقف فيه امراة امام الملأ العظيم من المسلمين لترد على عمر امير المومنين قائلة : ما كان لك يا عمر ان تغير شيئا مما انزل به القرآن من عند رب العالمين ، فيجيب عمر ، وما ادراك يا عمر ، اصابت امراة ، واخطأ عمر امير المومنين . مجتمع آمن بالحرية فى نطاقها الصحيح ، فما قبل ان يحتقر ويضرب ابن امير فردا من افراد الشعب ويقول انا ابن الاكرمين ، وانما امر الرئيس الاعلى ان يمكن ذلك الابن الشعبي من السوط ،

ويقال له امتثالا لقول الآية الكريمة «ولكم في القصاص حياة» ، يقال له اضرب ابن الاكرمين يا ايهـا الابـن المسكين . مجتمع دعا الى التعاون ورفع من قيمة المتعاونين . مجتمع لم يرفع قيمة الانسان بالمال والجاه والمنصب والمتاع ، وانما رفع قيمة الانسان بالعمل الصالح ، والعلم النافع ، والايمان الصادق . (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتـوا العلـم درجات) (ولكل درجات مما عملوا) . مجتمع عمت فيه المساواة ودعا مؤسسه الى وحدة بني الانسان «الخلق كلهم عيال الله، واحبهم الى الله انفعهم لعياله»

وبعد فهذه بعض الملامح التي تكون على اساسها المجتمع الذي اراده الاسلام ، والذي حققه سيدي وسندي رسول الله صلى الله عليه وسلم فداه ابي وامي ، فاين منه المجتمع الذي نسير فيه ؟

وهل آن الاوان لنهتدي بهدي رسولنا ، فنسير على هداه ، ونقتفي تعاليمه ، فنسعد كما سعد الاولون ، ونظفر برضى الله كما رضي السابقون ، ونحيى حياة فيها كثير من الراحة والاطمئنان ، (يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم، واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون ، واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا ان الله شديد العقاب ، واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ، يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون) . صدق الله العظيم .

سلا : أبو بكر القادري



علماء من آسيا الوسطى يتحدثون الى اخوانهم العلماء بالمغرب ...



... جاء الاسلام لانقاذ البشرية مما تردت فيه من ضلال واثم وطغيان ، وسيظل صالحا على مدى الايام لهداية الانسانية الى طرق الحق والعدل والخير والسلام ، مصداقا لقول الله تعالى :

(قد جاءكم من الله نور ، وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم) .

ولقد شهد للاسلام كثير من غير المسلمين ممن لهم باعهم فى التفكير والبحث ..

وفيما يلي جانب من هذه الشهادات :

... ان الاسلام الذي كان دين اجدادنا فى هذه الفترة الطويلة من الزمن ، هو باعث تلك النهضة ونافخ روح الجد والعمل فى بلادنا التي كانت دخوله اليها تغط فى نوم عميـــق .

ثم قال ، ولا علي اذا قلت كلمة انصاف فى الدين الاسلامي ، وانا المسيحـــي المخلص لدينه ، فلن يتهمني أحد فى عقيدتي وايماني .

وانني بحبي للاطلاع ، وحرصي على المعرفة قرأت القرآن كتاب الاســـلام المقدس ، ودرست سيرة النبي محمد ويمكنني أن أقول : « ان الاسلام كدين كبير أتى بكل العناصر التي لا يكون الدين كاملا بدونها ، انه يحتوي على عقيدة فى الاله العلي القدير ، تتمثل فى شعاره القائل : « لا اله الا الله » ، « ولا غالب الا الله » ، وهي أساس التدين فى الاسلام .

« محافظ مدينة مالقة 1966 »

... اعتقد ان رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم فى العالم باجمعه لتم النجاح فى حكمه ، ولقاده الى الخير وحل مشكلاته ، على وجه يكفل للعالم الاسلامي السعادة المنشودة .

« برناردشو »

.. كان محمد مؤسسا لامة ، ومقيما لامبراطورية، وبانيا لدين في وقت واحد وهو وان كان اميا فقد اتى بكتاب يحوي ادبا وقانونا واخلاقا عامة ، وكتبا مقدسة في كتاب واحد ، وهو كتاب يقدسه الى يومنا هذا سدس مجموع النوع البشري لانه معجزة في دقة الاسلوب ، وسمو الحكمة ، وجلال الحق ...

« الكاتب الانجليزي ب سميث »

ان حياة محمد، وقوة تأمله وتفكيره وجهاده، ووثبته على خرافات امته وجاهلية شعبه ، وشهامته وجرأته ، وثباته على الدعوة ثلاثة عشرة عاما في وسط اعدائه ، وتقبله سخرية الساخرين ، وحميته في نشر رسالته وايمانه بالفوز والنجاح ، ونجاح دينه بعد موته ، كل ذلك ادلة على انه كان يعيش على الحق ، ولم يكن يعيش على باطل .

« الشاعر الفرنسي لامارتين »

لقد كان محمد على نقيض من سبقه من الانبياء فانه لم يكتف بالمسائل الاهلية بل تكشفت له الدنيا ومشاكلها ، فلم يغفل الناحية العلمية الدنيوية في دينه ، فوفق بين دنيا الناس ودينهم ، ولذلك تفادى اخطاء من سبقوه من المعلمين الذين حاولوا خلاص الناس من طريق غير علمي ، لقد شبه الحياة بقافلة مسافرة يرعاها الله ، وان الجنة نهاية المطاف .

« الجنرال الامريكي ر. ف. بودلي »

لم يقل محمد عن نفسه انه هو وحده نبي الله ، بل اعتقد في نبوة موسى وعيسى ، وقال ان اليهود والنصارى لا يكرهون على ترك دينهم واعتناق الاسلام ، وفي سني دعوته الاولى احتمل كثيرا من اضطهادات اصحاب الديانات القديمة ، ولكنها لم تثنه عن دعوته .

لا ريب ان هذا النبي من كبار المصلحين الذين خدموا المجتمع البشري خدمة جليلة ويكفيه فخرا انه هدى أمة كبيرة الى نور الحق .

« تولستوي »

القرآن قانون ديني وسياسي واجتماعي .

« غوستاف لوبون »

لم تكن رسالة الاسلام مقصورة على بلاد العرب .

بل ان للعالم أجمع نصيبا منه ...

« توماس ارنولد »

سيكون دين محمد هو النظام الذي تؤسس عليه دعائم السلام والسعادة .

« برناردشو »

يمتاز الاسلام بانه يمثل فكرة مساواة صحيحة .

« ماسينيون »

كان الاسلام عجيبا فى سهولته ، صريحا فى فروضه ..

«« فاليــري »»

الاسلام دين انساني طبيعي اقتصادي أدبي .

«« ليود وروش »»

القانون المحمدي قانون ضابط للجميع .

«« أدمونديورك »»

الاسلام دين سماوي ، وهو دين حب وعاطفة وشرف ، وأكثر الاديان تساهلا .

«« جان مليا »»

«« كان محمد مشرعا داعيا الى الهدى ، وضع عقائد معقولة ، وعبادة خالية من الصور ، وهو فضلا عن أنه كان مصدر قيام عشرين دولة دينوية فقد أنشأ ملة واحـــدة »» .

«« الشاعر الفرنسي لامرتين »»

«« ليتني عرفت محمدا عن كثب لاتعرف الى هذه الذات العربية التي بـــزت شخصيتها كل نبي آخر ، وكل عظيم »» .

«« الكولونيل ليبرتيني الايطالي فى كتابه (الاسلام) »»

«« ان محمدا أوصل مبادىء الاسلام الجذابة الى سويداء قلوب البشرية دون الاستعانة بالرموز المبهمة ، وبتعتيم الهياكل ، ودون ما حاجة لتراتيل القسس »»

«« هـ.ج ويلز الانكليزي فى كتابه (فى معالم تاريخ الانسانية) »»

«« لو أن محمدا بعث فى هذا القرن ، وكان له الامر المطاع لوفق كل التوفيق فى حل جميع المشاكل العالمية ، ولاستطاع أن يقود الناس الى السعادة والسلام »»

«« برناردشـــو »»

«« كان محمد رجلا ذا مواهب الهية عليا ، ساد بها أبناء عصره ، وهي رباطة الجأش ، وطهارة القلب ، وجاذبية الشمائل ، ونفوذ الكلمة ، وأنه كان عابدا عظيما، وأنه نظير جميع العباد العظام ، كان يجمع بين حرارة الاعتقاد بالرسالة التي هو مأمور بها من جانب الحق تعالى ، وبين ملكة الاعمال الدنيوية ، ومعرفة استخدام الوسائل اللازمة لنجاح تلك الرسالة »» .

«« غود فروا دمبومبين بلاتونوف فى كتابه (تاريخ العالم) »»

«« جاء محمد بقلب خال من كل كذب ، ومن كل ثقافة باطلة ، ومن كل فخفخة فارغة ، وأمسك بكلتا يديه بالعروة الوثقى ، ولا يمنع هذا من أنه كان عمليا تـــام المعرفة بأحوال العالم المادي ، بل كان ذلك التجرد الروحي أعون له على ادارة أمور الدنيا ، وهكذا كان كبار الروحيين فى العالم يتغلبون على العالم المشهود بالعالم غير المشهــود »» .

وقـــال أيضـــا :

« كان محمد حليما رقيق القلب ، عظيم الانسانية ، وكان بشوشا دمث الاخلاق، حسن العشرة ، ساذج المعيشة ، يكنس غرفته بيده ، ويصلح ثيابه ، ويخصف نعله، ويحلب شياهه ، ويضطجع في أرض المسجد وينهض ويفتح الباب لاجل هرة تريد أن تدخل ، ويعالج ديكا مريضا ، ويمسح ببردته عرق جواده ، ويوزع الصدقات بمجرد ما يدخل في يده شيء من المال ، ويتجنب كل شيء يظهر فيه بمظهر ملك دنيوي ، وكان يمنع الناس أن يجعلوه سيدا ، ولم يكن عنده بلاط ولا وزراء ولا شيء من أبهة الملوك ، وانما كان عنده بعض أعوان يستشيرهم ، وبعض كتبة يكتبون له ، وخاتم من فضة منقوش عليه : محمد رسول الله » .

« اميل درمنغهم في كتابه (حياة محمد) »

« أما محمد فكان كريم الاخلاق ، حسن العشرة ، عذب الحديث ، صحيـــح الحكم ، صادق اللفظ ، وقد كانت الصفات الغالبة عليه هي صحة الحكم ، وصراحة اللفظ ، والاقتناع التام بما يعمله ويقوله .

ان طبيعة محمد الدينية تدهش كل باحث مدقق نزيه المقصد بما يتجلى فيها من شدة الاخلاص ، فقد كان محمد مصلحا دينيا ذا عقيدة راسخة ، ولم يقم الا بعد أن تأمل كثيرا وبلغ سن الكمال بهاتيك الدعوة العظيمة التي جعلته من أسطع أنوار الانسانية في الدين » .

« مونته في كتابه (محمد والقرآن) »

كان محمد متخلقا بتلك الاخلاق التي اذا اجتمعت برجل واحد أهلته لان يكون ذلك الشخص الذي تتوقف عليه مقدرات العالم . لقد كان في وقت واحد نبيا وجنديا ، وكان بليغا على المنبر ، كما كان باسلا في ميدان القتال »

« درابـــر »

ذكر لوثر وكلفن أمام فولتير وكان في مجلس مع البرنـــس تسينســدروف النمسوي فقال فولتير للبرنس :

« انهما لا يستحقان أن يكونا صانعي أحذية عند محمد » .



بين الفهم والتفسير

« أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها »

للدكتورة بنت الشاطىء

« تنشر مجلة (صباح الخير) القاهرية ، حلقات متتابعة بعنوان : «التفسير المصري للقرآن» بقلم الطبيب الصحفي الدكتور مصطفى محمود ، وقد فسر القرآن على هواه ، وجاوز المدى في شطط التأويل ، وصرف معاني القرآن عن صريح دلالتها الى المجاز ، في خفة وتهاون . ومضى في بتر كلمات الله من سياقها ، والالتواء بها لكي توافق ملتقطات له من الاسرائيليات التي يأباها النص القرآني .

وبيدو أن أكثر الشيوخ ترددوا في الجهر بصريح رأيهم في هذا التفسير المصري ، خشية أن يتهموا بالرجعية والتخلف !

على أن الاستاذة الدكتورة عائشة عبد الرحمان (بنت الشاطىء) واجهت هذه البدعة بالمعروف من شجاعتها الادبية ومنهاجها المستقيم ودرايتها بأسرار التفسير ، فكتبت هذا المقال الذي يضع الحدود الفاصلة بين ما يباح وما لا يباح .

دعوة الحق

القرآن الكريم :

يبدو اننا في حاجة الى أن نضع الحدود الفاصلة بين ما يباح وما لا يباح من تأويل كلمات الله في كتاب الاسلام .

بين حق كل انسان في أن يفهم القرآن من وجهة نظره ، وبين حرمة التفسير لا تبيحه لغير ذوي الدراية به .

بعد أن كثر الخلاف على التفسير ، وقيل فيما قيل انه مباح لكل من شاء .

والقرآن الكريم كتاب المسلمين جميعا ، يسمعه كل مسلم فيتمثل معانيه ومراميه على قدر استطاعته وفي حدود فهمه ومستوى ادراكه .

بل هو وراء ذلك كتاب الناس جميعا المتدينين والملحدين ، حيث يجدون فيه الكلمة الاخيرة للرسالات الدينية ، ومن حيث لا يعرف التاريخ كتابا مثله ، غير من حياة البشرية ووجه تاريخها . ومن حق كل انسان أن يلتمس منه ما يلبي حاجته الى المعرفة ، ويتدم له عطاء الدين في ختام رسالاته .

واذا كان المبتشرقون ، من المسيحيين واليهود والملاحدة ، قد عكفوا على فهم هذا القرآن وقدموا ما يقرب من ثلاثين ترجمة لما فهموه من معانيه ، فأعطوا قومهم ضوءا كاشفا لاصل العقيدة الاسلامية ، ومناط الوحدة الجامعة لامتها في فكرها الديني وعقليتها المشتركة ومزاجها العام .

واذا كانوا كذلك ما يزالون حتى اليوم يعكفون على دراسة كل تفسير للقرآن ليكشفوا فيه عن تطور الفهم الاسلامي لكتابه الاكبر ، ويرصدوا نبض الوجدان العام للامة الاسلامية على مسار الزمن واختلاف البيئات .

فالمسلمون اولى بأن يتقرر حقهم ، بل واجبهم ، فى ان يفهموه على قدر استطاعتهم ، وان يلتمسوا لديه ما يلبي شوقهم الى معرفة موقفه مما يشغلهم من قضايا الزمان .

وليس من الضروري ان يكونوا قد تخصصوا فى علوم الاسلام واسرار لغة القرآن ، بل ان عامة المسلمين لهم مثل هذا الحق ، حين يصغون الى ما يتلى عليهم من آيات القرآن الكريم ، فيفهمها كل منهم فى حدود ادراكه ومعارفه « وما كان عطاء ربك محظورا ».
والاهتمام بفهم القرآن ، هو من قبيل التماس عطائه المباح لخلق الله ..

وعلى مدى اربعة عشر قرنا ، كان المسلمون يفهمون من كتاب دينهم ما يلبي حاجات وجودهم ومطالب حياتهم ، ومنه اخذوا نور بصائرهم ودليل مسعاهم ، ومنار مسراهم حيثما اعتكر الليل وادلهم الظلام ..

وعلى طول المدى ، كان هذا القرآن هو الذي يرهف وعيهم وينسخ اميتهم حين كانت الامية غاشية ، والجهل فريضة عليهم فى شرعة عصور الاستبداد والاستعباد .

وما من كتاب يصل الى المسلمين على اختلاف السن والبيئة والثقافة ، كما يصل اليهم هذا القرآن ، وان اعوزتهم كل وسائل التعليم ، واعياهم ان يفكوا الخط ..

لقد كان لهم على امتداد الزمان والمكان ، المدرسة الكبرى التي يتعلمون فيها ما ينير بصائرهم ويرهف ضمائرهم ، وكان كتابهم الذي يصل اليهم فى مجاهل البيد وقرى الريف ونجوع البراري النائية عن العمران..

وبقدر ما فهموا منه ووعوا ، قاوموا عوادي الضلال والضياع .

ومهما يكن مستوى فهمهم ، فما اعوزهم ان يدركوا منه ما يحفظ عليهم كرامة انسانيتهم ، وما يرفضون به البغي والطغيان ، والعبودية لغير خالقهم وحده .

وتتابع الاجيال ، كل جيل خلق لزمان غير زمان سلفه وخلفه ، وعطاء القرآن سخي غير مقطوع ولا ممنوع ..

فهم القرآن اذن ، مباح لابناء عصرنا وكل عصر ..

وعطاؤه غير محظور ، يأخذ منه من شاء ما يشاء ، دون حجر او مصادرة .

ولكن الامر يختلف تماما ، اذا اختلط فهم القرآن بتفسيره ، فيتصور بعضهم ان اباحة فهمه لكل الناس، متعلمين واميين ، مؤمنين وملحدين ، تعني اباحة تفسيره للناس ، دون قيد او شرط ..

لان التفسير توجيه للنص القرآني .

ولا احد يملك ان يوجه نصا ، اي نص ، دون دراية بأسرار لغته وفقه لسياقه ودلالاته .

وهذا من المسلمات البديهية فى النصوص بعامة، يفهمها من شاء كما يشاء ، لكن تفسيرها للناس والفتيا بها مقصور على ذوي الفقه بها والاختصاص .

وهؤلاء انفسهم يتفاوتون بقدر درايتهم بأسرار النص .

نحن المثقفين مثلا ، نستطيع ان نقرا اي نص قانوني ، وان نفهمه بالقدر الذي تتيحه لنا عقليتنا ومستوى ثقافتنا ، ولكن دوائر القضاء والتشريع لا تعترف بغير ذوي الاختصاص فى القانون ، ولا تجيز لاي مثقف منا — غير قانوني — أن يتصدى لافتاء الناس فى هذا النص او الحكم به أو الدفاع بمقتضاه ..

ولا نعلم ان العمل القضائي فى اي مجال ، نيابة ومحاماة وقضاء ، أو صياغة وفتيا ، يباح لغير المجازين فى القانون .

ويتفاوت القانونيون انفسهم ، بمقدار فقههم لاسرار نصوص القوانين ، الى المدى الذي تقضي فيه محكمة النقض بالبراءة فى قضية سبق الحكم فيها بالاعدام ، مستندة فى نقض هذا الحكم الى ملحظ دقيق فى نص القانون ، فات القضاة الذين نظروا فى القضية من قبل واصدروا حكمهم فيها .

ومن القضايا ما يحتاج الى خبرة طبية او اقتصادية او فنية ، لا علم للقضاة بها . فينتدب الخبراء لفحصها وتقديم تقاريرهم عنها ، ويظل الحكم فى القضية لرجال القضاء وحدهم ، دون الخبراء من الاطباء او المحاسبين او غيرهم ..

والامر ادق من هذا ، فى القرآن الكريم : من حيث لا تصح قراءته ابتداء ، لمن يتصدى لتلاوته أو تفسيره ، من المصحف مباشرة ، دون التلقن من شيوخ القراءة .

لان القراءة فى المصحف ، غير متروكة للاجتهاد كما يتصور عامة المثقفين . وانما هي علم دقيق صعب له قواعده فى الضبط والاداء . والمعنى يختل تماما ، لا بخطأ فى الضبط الاعرابي فحسب ، بل بالوقف حيث ينبغي الوصل ، وبالوصل حيث ينبغي الوقف . وقد يضيع سر التعبير بالتفخيم أو الاشباع والمد ، فى غير مواضعه .

من هنا كان الحظر التقليدي على طلاب حفظ القرآن : « أن يأخذوه من مصحفي » بمعنى النهي عن اخذ القرآن ممن قراه فى المصحف ، ولم يتلقه تلقينا بالسماع من فقهاء القراءة ، فيغيب عنه وجه الصواب فى التلاوة والاداء .

ولا احد يحجر على اي انسان أن يقرا القرآن من المصحف ، ولكن الحجر أن يتصدى بهذه القراءة المصحفية ، لتلاوته فى الناس ، فضلا عن أن يتصدى لتفسيره وتأويل كلماته .

وقد نعلم ان وزارة الاوقاف لا تبيح لقارىء مصحفي ، أن يتلو القرآن على الناس فى مسجد أو مكتب لتحفيظ القرآن، فكيف بالتفسير لمن لم يصح قراءته! فيسوق الآيات فى مقالاته سردا بغير فواصل ضابطة للسياق محددة للمعنى ! !

واخرى من وجوه الدقة فى النص القرآني ، أن الكلمة لا تعطي دلالتها القرآنية ، بمجرد الرجوع الى دلالتها المعجمية التى تتسع لمعان عدة للكلمة الواحدة، منها ما لا يقبله النص ، ومعروف لدارسي اللغة ، ان دلالات الالفاظ تختلف من عصر الى عصر ، وفى بيئة عن اخرى ، ولا وجه لان نحمل كلمة فى النص دلالة لا يعرفها عصره ولا مجتمعه . والا جاز لنا مثلا أن نفسر لفظ « القرية » فى القرآن بدلالة عصرية على ابسط وحدة فى التقسيم الاداري للمحافظات والمراكز والقرى. وأن نفسر «ساعة» فى قوله تعالى : « يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة » بدلالتها الاصطلاحية على ستين دقيقة من الزمن ، وان نفهم كل الاعداد فى القرآن ، بدلالتها الرقمية المحددة فى علم الحساب ، فتكون ليلة القدر خيرا من الف شهر على التحديد ، لا تزيد عليها شهرا او بعض شهر . ويكون للمصطفى ان يستغفر احدى وسبعين مرة ، لمن نزلت فيهم آية التوبة ، خطابا له عليه الصلاة والسلام :

« استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » .

ومن المثقفين العصريين من لا يرى بأسا فى أن يفسر لفظ « يعشو » بلفظ « ينصرف » فى آية الزخرف:

« ومن يعش عن ذكر الرحمان نقيض له شيطانا فهو له قرين »

حين نرى فرقا بعيدا أقصى البعد ، بين الاعشى والمنصرف !

ويتصور بعضنا أن صرف الكلمات الى دلالات مجازية ، مباح على اطلاقه . حين يقرر علماء النصوص ان ذلك مقيد بشرط وجود القرينة الدالة على قصد العدول عن صريح المعاني الحقيقية الى المعاني المجازية!

*

وثالثة من وجوه الدقة فى النص القرآني ، هي استحالة تفسير صيغة من صيغه أو عبارة من عباراته، مبتورة من سياقها الخاص فى الآية والسورة ، ومن سياقها العام فى المصحف كله .واخطر ما يقع فيه العصريون ، أن يستشهدوا ببعض آية ، مبتورة من سياقها ، ليأخذوا منها الشاهد والدليل . وقد يحملون آيتين على معنى واحد ، ويستشهدون بهما على أمر بعينه ، وتكون احداهما فى سياق الحديث عن ثبات السنن الكونية فى الدنيا ، والاخرى فى سياق نقض هذه السنن يوم القيامة ! كما قد تكون احداهما حكاية لقول الكفار أو عن أمم خلت ، وتكون الاخرى للمصطفى صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه !

وأقرب ما قرأت من ذلك فى تفسير عصري ، صرف قوله تعالى : « وما يعلم تأويله الا الله » الى القرآن كله ، ونعلم من صريح سياقها أنها للمتشابه منه فحسب !

ويغيب عنهم كذلك ، وهم فى سياق التفسير لايات قرآنية فى موضوع ما ، أن ترتيب السور فى المصحف ليس على ترتيب النزول ، فيتورط بعضهم فى القول بأن آية ما نزلت فى كذا، ثم نزلت فيه آية بعدها، وتكون الآية التالية ، سابقة على الاولى فى النزول !

ورابعة من دقة النص القرآني ، تتصل بما يبيح العصريون لانفسهم من وصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه ، فيقول بعضهم مثلا : المهندس الأعظم للكون ، والمدبر العبقري لنظامه ..

حين نتعلم من مبادىء علم اصول الدين ، انه « لا يجوز ان يوصف الله سبحانه بغير ما وصف به نفسه » فاذا جاء في القرآن الكريم انه تعالى : الغني ، والعليم ، والعلي .. لم يجز لنا ان نقول مثلا : الثري والمليونير ، او الاستاذ والدكتور والعلامة والعبقري ، او المرتفع والرفيع !

واذا قال تعالى انه « ذو العرش المجيد » لم يجز لنا ان نضيف اليه التاج والصولجان . ويقول سبحانه : « يد الله فوق ايديهم » فلا يجوز لنا ان نقيس عليه فنقول مثلا ذراع الله مع اذرعهم او فوقها !

وهذا ما يغيب عن اكثر من يتصدون من العصريين للكتابة في القرآن والاسلام ، فتجري اقلامهم بالفاظ وصفات لله تعالى ، ينبو عنها الحس القرآني ، فضلا عن عدم جوازها بتاتا في علم الاصول .

وشبيه بهذا ، ما تورط فيه الصديق الشاعر « نزار قباني » حين بدا له ان يكتب احدى قصار السور القرآنية على نسق الشعر .

وفاته ان القرآن قد أصر على نفي وصفه بالشعر ، ردا على زعم المشركين ان محمدا شاعرا ، وان القرآن شعر ، ونحن نتلو من آياته المحكمات :

وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، ان هو الا ذكر وقرآن مبين »

« فلا اقسم بما تبصرون . وما لا تبصرون . انه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر ، قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن ، قليلا ما تذكرون . تنزيل من رب العالمين » .

*

واخطر من هذا كله ، ان يتطوع المفسر العصري فيفسر كتاب الاسلام بنصوص من الاسرائيليات ، بعد ان جاهد علماؤنا جهادا مضنيا لتحرير فهمنا الديني من العناصر الاسرائيلية التي دسها يهود اسلموا في عصر صدر الاسلام ، وحرصوا على توجيه الفهم الاسلامي للقرآن ، بمروياتهم الاسرائيلية ، حين تعذر عليهم ان يحرفوه كما حرفوا التوراة :

من هنا كان التصدي لتفسير القرآن ، مسألة اخرى تختلف تماما عن تقديم محاولات جديدة لفهمه .

الفهم مباح ، أما التفسير فله حرمته التي تفرض ابتداء ، ادق الدراية بأسرار لغته وبيانه ، والتفقه بعلوم القرآن واصول الدين .

ومتى تميزت الحدود بين الفهم والتفسير ، ساغ لنا ان نتقبل كل محاولة جادة لفهم القرآن بعقلية العصر ، لانها تعطينا صورة من الفكر الديني لبعض ابناء هذا الزمان ، ولعلها تجدي على المتخصصين منا في دراسة النص القرآني ، فيما يحتاجون اليه من فهم لمسائل من دقائق العلميات . واشهد لقد افدت كثيرا مما كتبه استاذنا العالم المفكر « الدكتور محمد كامل حسين » في خلق آدم ، وما قدمه الطبيب الحكيم « الدكتور زكريا كمال » من فهمه لآيات قرآنية تتصل بتخصصه في الطب .

كما اتقبل بكل ارتياح ، ملهمات الاشراق الصوفي فيما تكشف من حجب الكثافة المادية التي تغل التأمل، وما تقدم لنا من عطاء ، بحسها المرهف ورؤيتها الصافية ، ونفاذها الى اللباب والجوهر ، وراء الصور والاشكال والالفاظ .

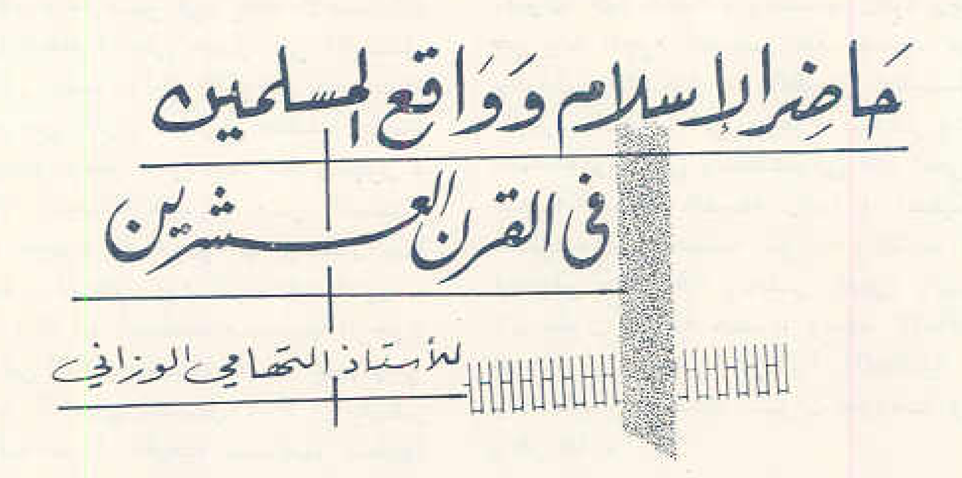
من غير ان يتشابه الامر علينا فنخلط بين هذا الفهم الصوفي او العلمي للقرآن وبين تفسيره المنهجي الذي يخضع لادق الضوابط في تحديد دلالة الفاظه وتوجيه سياقه وتدبر اسرار بيانه المعجز .

ودون ان نخشى كذلك ، على القرآن الكريم مما قد يتورط فيه بعض العصريين من فهم القرآن بنصوص من الاسرائيليات ، او من شطط التاويل او اعتساف الملحظ او بتر السياق او صخب الاعلان ، فلن يكون شيء من هذا اقسى مما تعرض له فهم القرآن الكريم على المدى الطويل ، من مدسوسات الاسرائيليات ومقحمات المذهبيات وشطط التأويلات . وبقي النص المحكم مصونا لا يمسه ادنى تحريف ، موثقا لا ترقى اليه شبهة من شك ، مبينا نحتكم اليه حيثما تشابهت السبل والمذاهب واختلطت المسالك والدروب !

وصدق الله تعالى :

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »

القاهرة : بنت الشاطىء



لو سألنا هذا القلم الذى اكتب به هذه الكلمات، وهذه الصفحات المنتشرة على المائدة ، وهذه الساعة التى تدق ، لو سألنا كل هؤلاء عن اعمارهم ، وعن تقلبات كونهم التي وقفت بهم فى هذه الدقيقة على هذه الآنة الزمانية والمكانية ، لقصوا علينا ما يعادل ما تقصه الشمس واخواتها من الشموس المطلة فى عليائها من وراء حجاب السدم، وبعد انهاء القصة التى امتد عرض تمثيلها ما لا يحصى من ملايين السنين ، نجدها متكاملة مترابطة ، كل ما فيها من اختلاف يؤول الى اتفاق ، وكل ما فيها من اتفاق يتبلور الى اختلاف « ذلك تقدير العزيز العليم » . والزمان والمكان مندمجان فى نظام الكون ، التى تشتمل عليه الذبابة ، التى فى احد جناحيها داء ، وفى الآخر دواء . واذا غمست الذبابة فتسلط دواؤها على دائها ، وكان البقاء دائما للاصلح .

واذا كان القصد هو الحديث عن العالم الاسلامي الفسيح العتيد ، فانه محدود بين عمومية الانسانية ، وخصوصية المغربية . فلكي ننظر حدود الاسلام علينا ان نبتعد يسيرا ءاخذين من اطراف الانسانية ، كواضعي الخرائط والتصميمات ، هم بحكم الضرورة لكي يحددوا هدفهم ، لا بد ان يجولوا فى الحدود ، ويخترقوا الاطراف ، وبعد ذلك لا يتم استيعاب القصد تاما كاملا . وهذه الظاهرة الملحوظة فى الخريطة ، ملحوظة ايضا فى الطهارة للصلاة ، فان الواجب هو مسح الراس ، ويجب معه مسح شيء من الوجه وشيء من القفا تحكيما لقاعدة « ما لا يتم الواجب المطلق الا به واجب » . وداخل الخرائط يشار بخطوط ملونة الى عواصم وجهات يتعلق الغرض بها اكثر مما يتعلق ببقية الاجزاء ، وفى مجال ما بين التعميم والتخصيص يقع الاشراف على المحدود حدا جامعا مانعا ، جامعا لماذا ومانعا مماذا .

ان هذا الكون الفسيح يذهلنا منه هذه السعة وهذا الانطلاق ، ويأخذ بلبنا ما هو عليه من تماسك وترابط وانسجام ، حتى لينسينا الاعجاب به جهة تأثيرنا فيه ، مثل ما نصاب به من انفعال عند ولوجنا وليجة ضيقة ، وجمعا حاشدا مزدحما ، ناسين اننا من عوامل ازدحامه ، وان واحدا منا لو تخلف عن الحضور ، لتغير الرقم بزيادة او بنقصان ، ولكان الحكم على جميعه متوقفا على سلوكنا كما وكيفا . فليس فى الكون شيء كبير ، وليس فيه شيء صغير، بل سائر اجزائه كصفحة كتاب ، يؤثر عليها زيادة او نقصان حرف واحد او نقطة واحدة . لكن التاريخ جغرافية الزمان ، به تتجدد الفترات ، وتتخصص الحركات ، كما ان الجغرافيا من تاريخ الزمان ، ولولا الجغرافيا والبقاع، لما استطاع العلماء ان يحكموا على الارض بأن عمرها لا يقل عن خمسة ءالاف مليون سنة . وما عرفوا ذلك الا من الصخور التى لا تزال مستقرة فى اعماق المحيطات ، لا تزال كما هي منذ بدء اخذ الدنيا فى الخروج من طور الغازية الى طور اليبس . فاذا أردت ان ابحث فى خريطة الزمان التى هي التاريخ ، لاعرف منها قيمتي وقيمة الامة

التى انتمي اليها لا التمست ذلك فى غضون التاريخ. ولقد عاش الاسلام اربعة عشر قرنا يكابد الاحـداث ويصارع من اجل البقاء ، حتى حصل على اكليـل الغار . فتغلبه على جميع عوامل الانقراض ، ووصوله حتى الثلث الاخير من القرن العشرين متصلبا جذعا، يقلب ويقلب ، ويقهر ويقهر ، ويعاوده المد والجزر ، والنتيجة اكتساب سبعمائة مليـون مـن النسمات البشرية الحية ، مجهزة بكل مجهوداتها وحضاراتها وبلدانها ومقدراتها . قد تكون يوم كتابة هذه الحروف مغلوبة على امرها ، الا انها اصبحت مستحيلة الرجوع الى الوراء، ءامنة من الفناء والنسيان ، وما بينها وبين ان يكون لها وزنها البشري الكامـل ، الا ان يقـدر جهودها ، ويعرف معرفة حقيقية مصالحها فتطلبها من وجوهها ، ويحول هذه الكتلة البشرية من كتلـة رعاة وفلاحين الى طبقة صناعية فى مستواها العالي. وهذا مجهود انه يحتاج الى ان يريـد هذا العـالم الاسلامي ان يكون عالم كيـف ، كما هو عالم كم . واذن فنقطة انطلاقنا ان نتعلم ونتخلق بايمان كايمان اجدادنا الذين بداوا عملهم من صفر . فعرفوا كيف يضاعفون صفوفهم بمبادئهم التى تركوها، وتواضعهم الذى نبذوه ، وهممهم التى حولوها الى عجعجة ولا دقيق . انها سكرة من سكرات الموت ، مسبوقة بمنام كمنام اهل الكهف ، ورغم ذلك فان الرجاء قوي فى ان يتخلق من هذه المقبرة الفسيحة الارجاء عزيرها يشهد من يقول له « انظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه ، وانظر الى حمارك ، ولنجعلك ءاية للناس ، وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما » .

ان الدين الاسلامي يحمل فى مبادئـه ، وفى تاريخه ، وفى معجزاته ءايـة النشـور ، ومعجـزة البعث ، وحكمة اخراج الحي من الميت . والمسلمون دخلوا بعقائدهم وسلوكهم وطبيعتهم فى جملة القوانين الانسانية ، بعد ان تجردوا من تريشـهم الدينيـة ، فابقت لهم الايام الجزء الجزءالاسلامي المرتبط بالفطرة، وهم سائرون الى الفطرة المطلقة ، ومنهـا يستقـون — من جديد — ماء الحياة التى نفخها فيهم القـرءان الكريم . وسياخذون به بعد دورة كاملة من ءامـاد الله ، ان الاسلام شجرة اصلها ثابت وفرعـها فـى السماء ، انها شجرة تين تارة وزيتون تارة اخـرى ، لقد بدات حياتها شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربيـة اصلهـا ثـابت وفـرعهـا فـى السـمـاء ، تؤتي اكلها كل حيـن بـاذن ربهـا ، وطـال عليهـا الامد ، فاساقطت اوراقها ، وانمحى ظلها ، لكن اصولها حية خالدة ، واغصانها رطبة رخصة ، فكانما هي تينة تتجرد لتلبـس حلة جديـدة من الخضـرة والورق والثمـار ، والظـل الظليـل وحسـن المقيل . شجرة تتاثر بجوها ، فتخضر وتثمر فى فصل النماء ، وتنكمش وتتقشف فى ابان الخريف ، لانها شجرة اتصلت بالطبيعه راسا ، فحظيت بقانـون الخلود ، الذي تضمنه المرونة والتكيف بين الكون ، فتنقبض وتنبسط، وتخضر وتذبل، وتشرق وتغرب، لان قانون الخليقة هضمها وتعهد كالمحافظة عليها كما تحتفظ بالطاقات الكهربائية والجاذبية والفاعليـة والانفعالية ، وذلـك عنـوان خلودهـا وصمودهـا ، وتطورها .

ان التاريخ الاسلامي سجل ارتفاعا هائـلا ، وسجل انخفاضا نسبيا ، كالجسم المتين ، تعتريـه الادواء ، فينتصر عليها ثم يخرج منها وقد اكتسب مناعة من اخطار مهلكة . وما دخل الاسلام امة فنفرت منه ، ولا جماعة فكرهته ، لانه لا يحمل فى تضاعيفه اسباب المضايقات التى توصل الى التمرد والنفور بل يتحمل بمبادئه واسـسـه وتعاليمه سائر الخدمات فتجد فيه ما تناله دون القضاء عليه والاجهـاز عـلى مقوماته وعناصره . لقد تحطمت على صخرة الاسلام سائر المناورات، وانهارت جميع المبادرات والمفاجئات، واثبت الاسلام انه دين البشرية يحتضنها فى رفق ، ويوجد لها اسباب البقاء ، ويرفعها — عند مساعـدة الظروف — الى اعلى مستويـات السلوك الاخلاقي ، والحب العام الشامل الكامل .

جاءت الـردة ، وجـاء الانشـقـاق ، وجـاءت التطرفية الخارجية . وجاءت عنصرية تريش ، وجاء القرامطة، وصاحب الزنج ، والحادية اخوان الصفا، وتضارب الشيعية والاعتزال ، ثم زحف التتر ، فاذا بالاسلام يهضم ذلك كله ويحوله الى اسلام صميـم قوي ، وما عهد التاريخ مبدا مستفيد من خصومه الى الحد الذى ينحنون امامه فى كل اكبار وتقديـر واجلال كالدين الاسلامي .

وجاءت الحملة الاسماعيلية فى شخص الدولة الفاطمية ، وحسبت انها شادت تطرفاتها الى الابد ، فاذا بالاسلام الصحيح يرفع راسه عاليا ، ويحـول القاهرة من عاصمة للغلاة مدعي الالوهية الى قبـة الاسلام الصحيح وتعاليم القرءان النقية البيضاء . ثم جاءت الحروب الصليبية ، حربا بعد حرب ، وحملة

بعد حملة ، ونكب الاسلام كنكبة التتر او اشد ، وراز الدين الى مواطنه الاولى ، ومضت الايام . فاذا بالعملاق المسلم يعود شابا جلدا قويا بزعامة صلاح الدين ، الذى لا يحمل النسب العربي ، ولكنه الانسان المسلم الذى ذاق حلاوة هذا الدين . لم يشعر فيه بأية تبعية «كنسية» ، بل ان الاسلام يقول لكل انسان ها انت وربك ، فناجه فهو منك قريب ، واعبده ولا تعبد الها غيره ، وها هو القرءان فادرسه فانما انزله الله لهدايتك بصورة مباشرة . لقد كان صلاح الدين الايوبي رضي الله عنه ونفعنا ببركاته رجلا ذاق حلاوة الايمان ، لانه فهم المعنى الصحيح للاسلام القويم ، وينبغي أن يكون جاهدا واثقا من النصر . شانه في ذلك شان ابي بكر الصديق ، الذى الهمه الله سبحانه تعمقا عظيما فى علم النفس ، تعمقا نظر فيه حق اليقين ماثلا ، اذ تجمعت سائر عناصر القوة فى رايه الذى ارتآه في محاربة اهل الردة ، وهي عناصر لم تكن موجودة عند البعثة النبوية ، فان البعثة تحملت الثقل كله ، واثقل ما فيه عدم شعور الامة العربية في عزلتها بالاحداث حولها ، وعدم احساسها بأن لها رسالة يجب أن تعمل لتحقيقها ، وعدم معرفة العرب بأن عالم ذلك العهد كان قد سئم الاجراءات الرتيبة ، واشراب الى الاخذ بتطور ينتشله من سأمته، كيفما كان أمره ، لاسيما وقد كان الانقلاب بديعا رائعا . يحمل ثورة هادفة بناءة ، تناولت اصعب المشاكل بالتحليل والشرح ، فوحدت الناس وجعلتهم طبقة واحدة لاول مرة فى التاريخ ، ووقفت الى صف الرقيق حتى قاربت ان تساويه بالاحرار ، وحرمت الفواحش ، ونفت عن نفسها كل غرضية ونفعية خاصة ، الا خدمة الانسانية فى مجموعها ، سواء من اسلم او لم يسلم ، فانما حارب الاسلام ليسمع صوته ، وليشهد العالم بدائعه ، حتى اذا تم لله ما أراد من تبليغ الرسالة كان الناس بالخيار فى ان يسلموا او يتمسكوا بعقائدهم القديمة بشرط تطبيق الحقوق والشريعة الاسلامية ، التى تحمي الحريات ، وتمنع اهل فكرة يهلكون من خالفها لو انهم انتصروا . لقد كانت البعثة المحمدية قد جاءت فى اوساط تجهل هذه القيم كلها ، فاحتاج الاسلام الى تنقية الجو بالاعلان عن مبادئه فى سائر الميادين العقدية والتعبدية ، والادارية ، والسياسية ، والفكرية .

اما ابو بكر فانه بويع وقد علمت كل قبيلة عربية تلك المبادىء، وانتشر العلماء بها فى كل جهة ومكان.

وقد اشتهر ابو بكر الصديق رضي الله عنه بشدة معرفته بطباع وانساب العرب ، وعرف حبهم للمال، وعرف مع ذلك ان حروب الردة ، تقوم على أسس رجعية ، ابرز ما فيها أنها كانت دعوة بورجوازية ، حاصت البرجوازية فيها حيصة حمر الوحش وجعلت شعارها فى تبرير الردة ، انها تحارب من أجل منع الزكاة ، واذا نجحت هذه الدعوة عند الصدمة الاولى ، قبل ان يفكر رجل الشارع فى فلسفة هذا الشعار ، فانه بعد ان بحث الموضوع عرف ان البرجوازية العربية تريد ان تمنع حقا جعله الاسلام للفقراء ، وذوي الحاجات ، الذين هم الركن الاعظم فى المجتمع العربي ، وهم الذين سيموتون ويقتلون فى هذه الحرب الانانية ، وكانت صيحة الصديق فى وجه الفاروق رضي الله عنهما قوية ، فقد بلغ جوابه لعمر حين راوده على ان يقبل من الناس الصلاة ويتغاضى عن الزكاة ، صاح فى وجهه قائلا : والله لاقاتلن كل من فرق بين الصلاة والزكاة ، ولاقاتلتهم لو منعوني عقالا . ومن الضروري أن هذه الصيحة نقلها الجيشان المتقاتلان وانها اثارت فضول الطائفتين المومنة والمرتدة على السواء . وما هي الا ان ذاع النبأ فى الفريقين ، حتى تساءل العامي العربي : عم يقاتل ؟ انه يقاتل فى صف اقلية احتجزت المال ، واستعبدت به العامة ، فى حين ان معنى الزكاة تخفيف حدة الاغنياء بالاخذ من شيء من اموالهم ، وتخفيف من خصاصة الفقراء وانطلاقة لتحررهم من هذه الراسمالية الجامحة ، الراسمالية الجاهلية ، التى كانت تقرر ضرب الرق على الرجل والمراة حتى على ربح القرض ، وفائض الربا . وعلينا ان نتصور فتور نفس اغلبية المرتدين ، الذين ادركوا سريعا انهم يقاتلون المسلمين الذين يجاهدون من اجل تحرير الفقير من عنف الغني .

هذا موقف نفسي عرفه الصديق ، وعرفه من بعده صلاح الدين بطل التحرير ، فقد عرف صلاح الدين الايوبي انحراف المسيحية ، وتدهور النظم الكنسية ، وتفسخ رجال الكهنوت الكاثوليك . وعرف ان سلاحهم مفلول ، لانه يقوم على الدعوة لتحرير الاراضي المقدسة من الكفرة المسلمين الذين يرهقون زائريها المسيحيين ، ويحولوا بينهم وبين تادية مناسكهم الروحية ، وصلاح الدين كان بصيرا بعالمه ، مدركا لسبب الدعوة الى الحروب الصليبية وهو السعي فى استرجاع بعض كرامة الكنيسة التى مزقها صعاليك المسيحية المندسين بين صفوف زعماء الدين،

وهي دعوة لا اساس لها من الصحة ، وكل دعوة من هذا الطراز ، تسلك مسالك التضليل والتلبيس ، لا تروج كثيرا فى اسواق دواعي الحروب ، التي تكشف التضحيات بالنفوس والاموال عن خباياها . فعلم صلاح الدين ان الصليبيات اصبحت حرفة تحترف ، وان الصليبيين فقدوا فكرة القداسة من جراء عملهم ، وانما هم مرتزقة يستنزفون اموال المتدينين . واتخذ صلاح الدين من الاسلام سلاحه الاوحد ، فقاتل به قتال عنيد ، وتخلق بالاخلاق الاسلامية ، وطبق اساليب الابطال الاولين من طراز خالد بن الوليد وابي عبيدة وما جرى مجراهما، وجعل من نفسه المسلم الاول فى جيشه وسلوكه وشدة وعيه، فاذا به ينتصر بطرائق قتال الصحابة، واكثر نصره من سلوكه الاسلامي ، فى الشفقة والرحمة ، ومعاملة الاسارى المسيحيين ، وفى وفائه المنقطع النظير ، حتى تسلل وعالج رتشارد قلب الاسد ، واطلع الملك البريطاني على ان طبيبه كان الد اعدائه ، ولو شاء قتله لقتله ، وعلم ان سبب ذلك هو ما احب صلاح الدين ان يعلم عن المسلمين من انهم لا يخونون. وهكذا اقتدى الله عالم المشرق العربي باستقامة رئيس المجاهدين ، وسنة الله هي سنته ، والانسان هو الانسان . ان الانسان العربي الجاهلي المتعجرف ، الذى لا يلين له قناة ، راى فى سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ما خلب لبه من الاستقامة، والدعوة الصالحة ، والعمل لصالح كافة البشر ، فكان استسلام العربي الجاهلي من القوة والثبات بمقدار ما راى عليه تعاليم الاسلام من روعة وقوة ونكران للذات . ولقد اجتاز الاسلام مراحل صعبة فى سائر ادواره واطواره فخرج منها ظافرا ومنتصرا. والظافر المنتصر مفروض فيه أن يحمل طابع المقاومة من الجانب الآخر ، فلابد من الخدوش والجراح وتشويه بعض الاعضاء . وهذا خالد بن الوليد القائد الدائم الظفر ، يعترف فى ءاخر يوم من حياته بان الظفر لن يكون رخيصا . فيقول : ليس فى جسمي مقدار شبر الا وبه اثر ضربة سيف او طعنة بالرمح ، وها انا اليوم اموت على فراشي ..! فما عذر الجبان ؟.. ولم يكن فى وسع بطلنا الكبير ان يتقمص قميص الجبان ليتصور خوف الجبان من الطعن والضرب ، وحتى من مضايقة الغبار ، فضلا عن الموت ، لكن البطل لا يرى القدر فى شيء ، وان كان ولابد فانه فى حذر الموت ، وهذا عذر غير قائم، لان الذى يحارب لن يموت الا باجله . والسر كله فى الحالات النفسية ، فمن كان يقول : الموت ولا العار، والموت ولا الهوان والموت ولا الجنوح الىالهزيمة، عاش عزيزا ومات كريما ، ومن طابت له الحياة مع العار ومع الهوان ومع الهزيمة ، فانه ميت وان كان يلبس جسم الاحياء .

حب السلامة يثني هم صاحبه
عن المعالي ويغري المرء بالكسل

ان للانسان فى الغرائز ابعادا متفاوتة ، فاذا كان التناسب قائما بين حب الحياة ، وبين حب المجد، وحب المجموع ، وحب المثل العليا ، كان مستوى الخلقة ومن كان لا يتحمل الالام، يفر منها فى كل وجه ، « قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم » . وسوف يكون الخائف اقرب الى الهلاك لتوقع هزيمة شنعاء بدل تقهقر منظم . وكم تكرم على الانسانية خالد بن الوليد بحسن تعبيره عن تصوير نفسه. وهو الذى خلف لنا كلمته التى قالها حين علم بانتزاع عمر بن الخطاب رضي الله عنه منه قيادة جيش الفتح وتسليمها الى ابي عبيدة . وفى اليوم التالي ليوم علمه بنزعه ، اصبح فى مكانه من الخط الامامي ، فقال له قائل : الم تعلم بما فعل عمر ؟ فقال: كنت ولا زلت اقاتل لوجه الله لا لوجه عمر . وان بناء من دعائمه من يسلك مثل هذا السلوك وهم كثيرون ، لن ينهار ابدا، فانه عميق الاساس ، ومهما بالغ الهادمون فى هدمه فلن ينالوا منه الا ما ناله ناقضوا بناء الهرم الكبير بمصر ، فبعد مجهودات قاسية فى سبيل التخريب لم ينالوا منه الا اخذ جزء سطحي يسير . وما ردهم وازع الضمير ، وانما هزمتهم صلابة البناء . ونحن نحسب ان القائد عمرو بن العاص رضي الله عنه كان على شيء من الانحرافية ، وما اعظم شان امة تحسب ان ابن العاص لم يكن كامل الاستقامة، وكلماته نور ساطع ، وسلوكه شمس وهاجة ، فانه الذى اخذ الجزية من ذميين فى قرية مصرية ، ووعدهم بانه ناصرهم جزاء ما قدموه من اموال ، فلما اضطرته خططه العسكرية الى الانسحاب عن القرية ، جمع ءاهلها ورد عليهم اموالهم ، وقال لقد اخذناها منكم للدفاع عنكم ، وها نحن منصرفون غير قادرين عن الوفاء بالالتزام الذى التزمناه حيالكم فاموالكم مردودة عليكم. وبعد ان انسحب ترك القلوب عالقة بالاسلام وعدالة عمال عمر ، حاسبين المسلمين جند الانقاذ من عجرفة الروم والمتكبرين من ضباط الجيش البيزنطي .

وكتب الناس السير ودرسوا القرءان ، فعرفوا مصدر سلوك هؤلاء الاعراب الذين لم يستوحوا فى سلوكهم المثالي الا تعاليم دين الاسلام ، ونهج الناس على منوال المسلمين ، ولكن الرؤساء بالقسطنطينية والاسكندرية لم يكن فى وسعهم ان يسلكوا مسلك المسلمين ، لان المبادىء والمطبقين لها ، يشكلان معا وحدة لا تتجزا ، ولم يكن المسلمون يعرفون الاساليب السياسية ، ولا طريقة ترضية الشعوب ، ولم يكونوا يعرفون تجارة ولا صناعة ولا فنا ولا ادبا . كانوا يعرفون شيئا واحدا ، ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، ياخذونه بسائر ابعاده فى كل حرارة وحماس ، ويتجادلونه ويناقشونه مناقشات يحسبها رجل اليوم مناقشات عقيمة ولكنها لم تكن كذلك بل كانت اشد تاثيرا من كل هذه المؤتمرات ، ومن سائر الايديولوجيات ، لان القوم كانوا يدققون فى فهم اسرار الشريعة ليطبقوه باتم صورة ادركوا فهمها . وقد سمى الله الدين الاسلامي نورا وسراجا منيرا ، واتخذ الشرع الرسول والمرسل به شيئا واحدا ، فانما الرسول النموذج الحي الكامل لصورة تطبيق ما جاء به جبريل مبلغا من الله . وجعل النبي صلى الله عليه وسلم من نفسه وبيته وعامته وخاصته شيئا واحدا ، لا يختلف سلوكه منفردا عنه فى الناس . ولا فى المسجد عنه فى الشارع والمنزل ، ووفائه وانسانيته للناس كافة لا فرق بين مسلم وغير مسلم، فاذا اوجب الشرع عقابا صارما طبقه صلى الله عليه وسلم وهو يبكي ، ليقول للناس بلسان مقاله حينا وبلسان حاله حينا ءاخر : لن اتجرد عن انسانيتي ، ولن تحملني انسانيتي عن ان اخون امانتي . وحتى فى حالة الحرب كان شعوره المزدوج المنسجم لا يبارحه ، فقد راى امراة فى السبى حريصة على سلامة ولدها ، فقال لاصحابه صلى الله عليه وسلم: أترون هذه طارحة ولدها فى النار ؟ فقالوا لا ، يا رسول الله . فقال عليه الصلاة والسلام : لله ارحم بعبده من هذه بولدها .. او كما قال ، واخذ عنه أصحابه هذه الخلال فطبقوا منها ما قدروا عليه ، ولن يكلف الله نفسا الا وسعها .

ان دين الاسلام دين الفطرة ، وكل مولود يولد على فطرة الاسلام . وقد اكثر الناس فى تعبير معنى هذه الفطرية وبعضهم قارب وبعضهم ابعد ، ولو لم يفقدوا مدلول اللفظ ، وتابعوه فى سائر الوجهات التى يفضي اليها ، من كل محبوب مالوف واقعي او قفوا على المفهوم بالمعنى الصحيح على ما نعتقد : فاذا تشعبت شعبتان فللايسر مل تكف الكلف ، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما . واحبت البشرية دينها الاسلامي الصحيح ، وحاولت ان تعبر عن شعورها ، ولكن مدلول الاسلام لا يؤدي باللفظ وحده . وانما يدرك بالاحاسيس كلها ، ومن كان فاقدا الوجهة من وجهات البشر وحاول التعبير عن تذوقه لهذا الدين ، ضاعت محاولاته فى فهمه عدم اليبس بالسلوك على ما هو عليه ، ومن لم يعرف السلاسل والاغلال وسمع من القرءان كلمتي سلاسل واغلالا وسعيرا، لم يدرك من معانيها ما يدركه من قضى ايامه أو بعضها فى الاصفاد والاغلال . ومن لم يفتقد الارائك والنمارق ، وسمع ذكرهما ذهب فهمه كل مذهب ، ومن لم تملكه العناية الربانية بغريزة الالهام لم يدرك القصد من المتشابه ، وانما لكل امريء من حياته ما الف . وليس معنى هذا ان يضل الانسان حائرا فيما يتخيره من كنوز القرءان بل الامر على العكس لو انه اكتفى بما يحياه ويلمسه ، ويصدق الصادقين فى فهمهم لانهم اليهم وجه الخطاب فى ميدانهم . وقد علمتنا هذه الحضارة الحديثة كلمة «التخصص» وخيرا افادتنا، فاذا وقفنا على ما لم نحط به علما ، قلنا «قضية لها ابو حسنها» فلتحل على المتطلعين فى المادة . وهذا مذهب منطقي فى دين وكتاب جعلهما الله للباقي من البشر بعد نزول هذا الذكر الحكيم ، اما ما سبق ءادم من طبقات البشر فاولئك اصحاب القرون الاولى، وانما نحن ابناء ءادم الذى خلقه الله بيده واسجد له ملائكته وجعله خليفته فى الارض ، واعده لفهم بقية حياة الانسان ما امتدت الاحقاب والدهور . وكان ابونا ءادم مقدمة للجزء الاخير من تاريخ البشرية ، اما الفرض المقصود فيأتي من نوح فما بعده . حتى اذا انتظم الدين علما قائما ، بعد أن سلك مسلك الافكار المقطعة فامر تم على يد ابراهيم عليه السلام . كالشان فى العلوم كلها التى تبدا بالاسطورة ، فاذا جد جدها تحولت الى بحوث فلسفية ، حتى اذا نضجت الافكار استقلت الى علوم ذات قواعد مقررة . وما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت .

وجاءت الكتب السماوية واقدم ما حدثنا عنه القرءان بالدقة التاريخية على الطريقة الدينية كتب ابراهيم وموسى ، ومتعنا القرءان بتحفة غالية فى مستوى القرءان الكريم ، وهي قطعة صحيحة من

صحف ابراهيم وموسى ، وهي قول الله سبحانه « قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى ، بل تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وابقى »

فهذا النموذج ورد لتاكيد قول الله سبحانه « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » . حتى اذا سال الانسان عن تعاليم هذا الدين الموحد وحده في اخريات سورة الاعلى « قد افلح من تزكى وذكر سم ربه فصلى » . فهذه من المثالية ، مثالية تهدف الى تزكية عملية غير قولية للنفس فى اعلى مستوياتها ، على ان هذا وان كان مطلوبا نظريا ، فان الانسان من طبيعته ان يتطلب بين تزكية ـ حينما يكون معرضا عن حيوانيته متفرغا الى نصفه الخالد ، الذى هو الروح ، لكن الجسد يجذبه ، ويطالب بنصيبه فى عالم الحيوانية ، فيحول نظره ـ مكرها او راضيا ـ للحياة الدنيا ، ويعود الى الواقع ، وهذا لا يخرجه عن نطاق العبودية ، ولا يجعله فى عداد المتمردين ، الا اذا كان لا يقيم الوزن بالقسط ، فان عدل بين متطلبات روحه وعقله وجسده ، فانه فى حالة التعادل يكون لا له ولا عليه ، والميزان متعادل، فاذا ءاثر الحياة الدنيا على الاخرة ـ ودائما يعني القرءان الكريم بالحياة الدنيا شؤونها المادية ، وبالآخرة الطموح الى تزكية النفس وتحويلها الى روح منزه عن النقائص والمخالفات ـ فانه فى هذه الحالة يكون انسانا بارز الانسانية ، ووسطا فى ميدان السلوك ، وهذا الصنف هو القسم الاكبر والحظ الاوفر فى خلقة البشر ، وعليه تصدر الاحكام العامة ، باعتبار المتوسط من الجزئيات ، فان افحش فى الاخذ بالدنيا الى حد نسيان الآخرة ، فقد هوى واقحم نفسه فى زمرة الشياطين . ولم يزد الشرع الاسلامي ـ من لدن ابراهيم وموسى الى يوم الدين ـ عن تنبيه المتوسط ، وتذكيره بالعمل التصاعدي ، بعد ان وقف فى درجة الصفر يطيش متوجها الى الايجاب تارة والى السلب اخرى ، فاحتاج الى التذكير بان يأخذ الافضل ، وينتقل الى تسجيل موجب يتجه الى تزكية النفس مستجيبا لدعوة الله اياه حين امره قائلا : « يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية » وهنا تعبير كلمة مطمئنة بدرجة الصفر ، لا فوقه ولا تحته ، ليكون لصيغة الامر « ارجعي » معنى تأسيسيا والتعبير بالاطمئنان اشعار بأنه ركود يفكر فى التسامي ، ولو كان يفكر فى التدلي لكان التعبير بنحو النفس المضطربة المترددة ، لكنها هنا وقفه استجمام لمواصلة السير الى الملا الاعلى . فهذه التوجيهات الاساسية لدين ءادم وابراهيم وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام . وصور لنا الاسلام دينا مرنا، جاعلا فى الحسبان قاعدة التوبة والانابة، حتى اذا جاء دور الانحراف ولم يتذكر الانسان القيود اللازمة لالتحاقه بالملائكة الذين لايعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون ، وخاض فى خضم بشريته ، كان له وجه من العذر وقبل ربه عذره واعتذر عنه كما اعتذر عن ابيه ءادم حين قال « فنسي ولم نجد له عزما » ثم عاد الى عبوديته ، ولولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين . وقيمة يوسف عليه السلام تتجلى فى حكاية القرءان عنه حين قال « فهمت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه ، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ، انه من عبادنا المخلصين » فالروعة انما تتجلى فى كمال الانسانية التى تهتز لانسانيتها، ثم تعود الى المثل الاعلى وقد ضحت بما تهواه من العاجل، فى سبيل الاستكانة الى الآجل .

هذه شريعة الله ومعاملته للانسان المرن ، المتفهم للمواقف ، القادر على ان يكون انسانا ملكا فى ءان واحد . والناس اثنان : انسان ملك ، وشيطان ليس بالانسان الذى تعلم البيان ، وانما هو فى صورة انسان ، اما الانسان الحقيقي فى نظر الدين فانه المخلوق فى احسن تقويم .

هذه توجيهات الاسلام الاساسية ، ولن يكون المسلم فى درجة اعلى من درجة النبيئين الذين ظهرت انسانيتهم فتاب الله على ءادم وعلى داود وعلى اولي العزم من الرسل، وقال « ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون » .

ان الاديان السماوية لم تتحدث عن الانسان الالكتروني الذى لا يخطيء ، ومهمته أن لا يخطيء ، فهذا لا يسمى بالانسان ، وهو فى العالمين يسمى بالملك ، وكل ملك فهو اليكتروني ، يأتي عملا لا خطأ فيه ، بل وله سائر خصال الانسان الالكتروني الصناعي فى التخصص بعمل لا يأتي غيره ، **فقد ورد** فى حق الملائكة الكرام : ان منهم الساجد لا يرفع راسه ، والقائم الدائم القيام ، ومهمتهم كلهم ـ عليهم السلام ـ تسبيح الله وتقديسه . والعاقلون عبارة عن العقلاء : الانس والجن والملائكة . وللانس احكام بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : كلهم خطاءون ، وخير الخطائين التوابون . او كما قال

صلى الله عليه وسلم . وامتد منه انسانية قوله عليه الصلاة والسلام : لو لم تذنبوا لذهب الله بكم واتى بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم .او كما قال عليه السلام .

ان العالم الاسلامي متفاعل فى سلوكه المتردد بين اليمين والشمال بين دينه ودنياه ، ومعاشه ومعاده ، وهو عالم باكمله ، فليس توجيهه بالامر الهين السهل ، وعلينا ان ندرج فى الحساب سائر وجهات الحياة الدنيا ، وكل ما يتقلب فيه الناس مما يحل وما يحرم . وقد مد الله فى اجل هذه الامة الاسلامية، وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم اذا اصبح الصباح اشرابوا للشمس هل تطلع من مشرقها او من مغربها، لان شدة ايمانهم قربت لهم البعيد ، والمرء على دين خليله ، فبما ان فناء الشمس وتدهور سيرها فى أفلاكها، امر لا محيد عنه ، فانما هي كوكب عرضة للتحلل والتخلخل ، ولها عمر كعمر الناس ، وبما ان الله سبحانه وتعالى يقول « لخلق السماوات والارض اكبر من خلق الناس » فان عمر الانسان متناسب مع جسمه ، وعمر الارض متناسب مع جسمها ، ومهمة الشمس دقيقة سامية فهي مشرفة على قطاع من مخلوقات الله التى لا نفاد لها ، ولا عد ولا احصاء لها الا عنده سبحانه. لكن المسلمين الاولين لما سمعوا قوله سبحانه « اقتربت الساعة وانشق القمر » ءامنوا ايمانا جازما بان ما اخبروا به حتمي واقع ، وتوقعوه فى كل لحظة ، لكن ارادة الله سبحانه فى الساعة وعلم الغيب ، لا يعلمها الا هو ، كما قال سبحانه « يسالونك عن الساعة ايان مرساها، فيم انت من ذكراها ، الى ربك منتهاها ، انما انت منذر من يخشاها ، كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها » وللناس ان يفهموا ما أرادوا، وان يتاولوا كما يشاءون، ولن يكون لفهمهم ولا لارادتهم اي تاثير على ما علم الله انه سيكون. والله سبحانه غني عن العالمين مسلمين وغير مسلمين ،وعرفنا بعض حكمته واحكامه حين قال « ان يشأ يذهبكم ويات بخلق جديد ، وما ذلك على الله بعزيز » لكنه سبحانه احيانا وقوانا وامد فى آجالنا ، وكثر عددنا ، ونرجوه فى اتمام النعم ونساله العزة التى وهبها للمومنين ، فما دمنا لم نتصف بالعزة فى ابسط معاني هذه الكلمة فنحن نخاف ان لا نكون مومنين ، لاننا اذلة ، وللمومنين العزة ، اما قلوبنا فمومنة الايمان الشرعي بحدوده المعروفة ، ما فى ذلك شك ، ونحن نعرف انحرافنا ، وعدم تقييدنا بالتكاليف التى فرضها على العباد مومنهم وكافرهم ـ ونختار القول بتكليف غير المومنين ، استنادا لقوله سبحانه « ما سلككم فى سقر ، قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين .

ان من حكمة الله ان يمهل الكافرين ومن مشيئته ان يختبر الصديقين والمرسلين ، وان ينزل بهم من الاتعاب مايعجزون عن حمله «حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا » . ان الايمان والثقة هما الرصيد الاساسي فى جمع الهمة وتركيزها فى نقطة ، واعطائها الحرارة الضرورية لبلوغها درجة النضج ، وهذا حكم انساني وقاعدة نفسية فى باب الارادة الصادقة ، وجمع الهمة لها عدة مستويات من واحد الى ما لا نهاية له ، والى منتهى الطاقة، سواء وجهت بخير او شر ، ومن هذا القبيل فى باب الشر والسحر والكهانة وما يفعله فقراء الهنود، فكل ذلك يرجع الى استخراج طاقات النفس البشرية الى الدرجة التى تنفعل لها وبها الاشياء . ويدخل فى هذا الباب عمل العابثين ، فان شرهم مؤكد لا شك فيه ، وانما خفيت وقلت ءاثار هذه الطاقات فى وقتنا الحاضر لانه عصر توجه للمادة فكفاه توجهه اليها وسد مسد قوة النفس الفاعلة ، بل هو باب من ابواب الارادة الصادقة .

وكما للعزائم الصادقة تاثير فى باب الشر ، تاثيرها أيضا فى باب الخير . وبما ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم خير ، فان اقوى غرائزهم واشدها حدة هي الايمان والثقة بالله ، فاذا توجهوا للدعوة الى الله توجهوا صادقين ، وياخذ هذا الصدق والايمان يتزايد كلما تزايدت المثبطات ، وتكاثرت العراقل، وهم فى كل ذلك يتحملون الاذى، ويتحملون البلاء بحظهم من الكسب ، وبدافع العبودية ، والتقرب الى الله بتحمل البلاء جهادا فى الله وابتغاء مرضاته ، وللكسب نطاق محدود ، وهو جزء غير مفارق للشطر الاخر الذى هو الجبر ، واحسن عبارة عن هذا المركب المتكامل عبارة الاشاعرة فى قولهم : ان العبد مجبور فى قالب مختار ، فان الحدس الانساني ليحس كامل الاحساس بان سلوكه غير متمحض لا لجبر ولا لاختيار ، بل هو ذو حدين يتفاعلان لتحمل اعباء تكاليف الوجود والحياة . والاختيار مطاطيء الراس ازاء الجبر ، وتاتي اوقات

يطفي الجبر على جاره فلا يبقى فى طاقات الانسان الا ايمان وثقة ، لان جميع اسباب المقاومة المادية انهارت انهيارا كليا ولكن الذى يمسك السماوات والارض ان تزولا يكون له حق البت وان الحكم الا لله العلي الكبير . والانبياء عليهم السلام يؤدون واجبهم دون تحفظ ولا حذر ولا احتياط ، حتى اذا نفذت كل محاولة ، ولم تبق الا الهجرة الى الله ورسوله ، وهي فى عرف اللغة الهزيمة ، فاذ ذاك ينعدم وجود الامل ولا يبقى رجاء الا فى الله سبحانه ، وعندما تبيض الحمامة وتنسج العنكبوت على باب الغار ، وهو امر لا يدخل فى باب الكسب . ويقول الامام المتبوع لاول تابعيه «لا تحزن ان الله معنا» ويرجع الطالبون منهزمين ، ولو نظروا موقع اقدامهم لراوا طلبهم ، لكنهم حرفوا لا من باب الاختيار ، بل حرفوا قهرا . واذا لم يكن للنبي او الرسول وعد سابق من الله — الذى لا يخلف الميعاد — وتشكلت الكارثة ، فهنالك يتحكم المصير ، بكلمة العليم القدير ، فاما تكريم بالشهادة وهو نصر ، واما تكريم بالنجاة ، وهو نصر ومعجزة . وقبل ان يعلمهم ربهم فلا لوم عليهم فى ان يظنوا انهم قد كذبوا — بالتشديد — وان المرسل اليهم اعرضوا اعراضا تاما ، كداب ءال فرعون . « الا قوم يونس ، فانهم ءامنوا بعد ان يئس منهم اخوهم يونس عليه السلام . وقد دفعه الياس من الخلف الى ان يعجل الى ربه فانساب فى البحر ، اذ لا فرق بين الهلاك بحرا وبين الهلاك دون الاتيان بعمل بل كان الانسياب فى البحر ءاخر الحيل فلم يكن انتحارا ، بل كان ءاخر محاولة للنجاة ، وكانت صادقة ، فالتقمه الحوت وفر به من مظان الهلاك ، وكان فى هذه المحاولة التى لا تعتمد الا على الله الخلاص والنصر . وكان نصرا بعد الياس من المحاولات . وبلوغ درجة الفكر الى مرحلة الظن فى عدم استجابة المدعوين للدعوة . ولم يبق الا الجانب الضئيل الذى هو الوهم ، وكان وهما لا من حيث انه ايمان ، بل من حيث انعدام الوسائل ، وفقدان الاسباب ولم يبق الا سبب واحد هو الايمان وهو فى الواقع ليس بسبب ، بل هو انتظار ومعجزة ، وهي من الله سبحانه ، وانما يخلقها تعالى فى الوقت الذى يريد، وليس للمخلوق ان يتحكم على الله وهو فى مقام فرقه دون جمعه .

ان حالة العالم الاسلامي لم تصل الى درجة الياس ، ولكن الياس يداعب بعض اجزائها . ففلسطين مهددة ، وكشمير مهددة ، والشباب المسلم ءاخذ فى التدهور من حيث الرصيد الايماني ، فقد تفشى التحلل من قيود الاسلام ، فدخلت فرق كاملة من الشبان ذوي الاباء المسلمين فى اعتناق النصرانية واليهودية ، والبهائية ، والقاديانية ، والشيوعية المتطرفة . وعدد المارقين اكثر من عدد ذوي الكفاءات بل ان بعض ذوي المهارات من الفتيان المسلمين هم الذين ينشرون الدعوة لمقاطعة الاسلام ، ولن يفلحوا فى جرهم الى دين جديد ، لان الذى يهون عليه مفارقة دين ءابائه لن يعز عليه ان يفارق اي مبدا ءاخر . ولولا لطف الله بظهور الدعوة الانسانية العالمية لكان الاسلام مهددا باخطار افظع مما هو فيه . ولولا ان الحكومات الاسلامية تغاضت عن المعاقبات الخلقية لتدهور الوضع اكثر مما هو عليه . ولن نطلب من المسلمين ان يستقيموا ، فان الكثيرين من الشبان لا يقرون بان دينهم هو الاسلام ، بل نجد انفسنا نستنجد بالمسلمين فاذا حققنا وجدنا انفسنا نستنجد بقلة مستضعفة من الشيوخ الكبار ، اما خيرة الجيل وهم شبابه فالاقرب ان نستنجد بالمؤسسات العالمية من مسيحيين وملاحدة ، من ان نستنجد بهم . ويكثر الناس من مخاطبة المسلمين ، ويا ترى لمن يخاطبون . ولعل الدعوة الانسانية — على عقمها وتعثرها اكثر جدوى . وكثير من المدعين انهم دعاة، لا يومنون هم انفسهم بما يدعون اليه ، بل اصبحت اصوات الاستصراخ عبارة عن مزايدات ومساومات فى هذه السوق الانسانية الكبرى ، ولعل من المواقف الايجابية ان ندخل الباب من جانبه العالمي ، وركنه الانساني . فنحن سبعمائة مليون من النسمات البشرية ، واوضاعنا متشابهة او متماثلة ، والمارقون من الشبان المرتدين والملحدين لن ينكروا انهم منحدرون من ءاباء مسلمين وامهات مسلمات ، وانهم يعيشون فى نظام اسلامي ، فهذه حقيقة سرتهم او ساءتهم فان الواقع هو الواقع، وعلى ضوء هذه المعايشة التى لا اختيار لنا فيها يلزم ان نوحد صفوفنا لرفع مستوانا الاجتماعي ، ولنا فى القواعد الاسلامية ما يشجع على المسالمة مع الذين لا يومنون بعقيدتنا ، ما داموا لا يعرقلون السير العام للاسلام . او يقاومون انتشاره ، او يدسون له، فان المسالة حينئذ لا تبقى اختلاف وجهات النظر ، بل يتحول الى صراع فى سبيل البقاء . وقد قبل الاسلام من النصارى واليهود ان يبقوا على دينهم، ما داموا معاهدين ، وغض بصره عن المنافقين المندسين فى الجماعات الاسلامية ، وقبل منهم سطحيتهم ، ما

داموا يطبقون احكام المسلمين ، تجري عليهم في بيوعاتهم، وانكحتهم وميراثهم، ودفنهم وتجهيزهم ، ولم يحل بين اقاربهم المسلمين ان يتوارثوا ويتصاهروا فيما بينهم . وما دامت الشريعة الاسلامية تقود أي مجتمع فلن يضيرها في شيء ان يتطلع الى الضمائر. وقد شهدت المسيحية — على لينها — مجازر محاكم التفتيش وحروب النزاعات المذهبية . وذلك ما لم يعرفه الاسلام ، فمبادؤه الاساسية تضمن حرية الافكار الثانوية في الداخل ، وحتى الخلافات الاساسية لغير المسلمين . وبعد الهجرة كان من اول ما قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاصلاحات والتوجيهات والاسس في العمل بالمدينة معاهدة اليهود ، وهي وثيقة مطولة تشهد بامرين اثنين ، حزم الرسول عليه السلام وتحفظاته لصالح الاسلام والمسلمين ، وسعة صدره لمعايشة المخالفين في الدين ، بل وتحبيذ الاتصال بهم فيما يرجع لمستواهم الثقافي والاجتماعي . وورثت الخلافات الاسلامية هذا التسامح ، ولم يوجد نص يمنع التعايش الا في شبه الجزيرة العربية ، وهو تصرف جاء نتيجة لمناورات الاحزاب وقريظة . وكان العمل به غير بات ولا صارم، وانما اكده المرتدون بردتهم ، فكان من حزم الخلفاء . وبالاخص سيدنا عمر رضي الله عنه — ان ينقي قلب البلاد الاسلامي ودماغها المفكر (المدينة ومناطق البلاد العربية) من جميع الدسائس التي تاتي من الخارج .

ولعل الشبان في العالم الاسلامي — ونعني بهم الذين يكرهون الاسلام ، وهم اقلية — سوف يصلون، بعد كمال وعيهم ، الى اقامة عالم اسلامي، وحماية مصالحه الدنيوية ، وعدم مناوءة العقائد وما اليها — كما هو الشان في الدول المسيحية المتحضرة ، كفرنسا ، وامريكا ، وروسيا . وليتركوا العجز الذى يبرر وجوده بالنزاعات والمشادات والخلافات ، والافتاكات ، ويعتني بالانتاج والتنظيم ، عملا بقول من قال : الدين لله ، والوطن للجميع ، فاذا دخلنا بيوتنا فنحن على راينا في الدين ، واذا احتككنا بالناس والدول والاديان الاخرى ، والآراء المخالفة لمبادئنا فنحن الانسان ، الذى خوطب في القرءان بيا ايها الناس ، ويا بني ءادم . وقد خاطب الله سبحانه البشر تارة بيا ايها المومنون واخرى بيا ايها الناس ، ولن نتعرض هنا الى تحديد المخاطبين بأنهم اهل مكة او اهل المدينة ، فان مشركي مكة يمثلون الانسان الذى مهما حارب الاسلام ، فلا سبيل له الى التجرد عن جميع صفات المسلمين ، لانها في اغلبها خطابات انسانية لفائدة البشر . فان خاطب المومنون فانه لم يجردهم من انسانيتهم ، بل جمع لهم بين مسؤوليات الانسان ومسؤوليات المومن ، واقرا ان شئت قول الله سبحانه « وقضى ربك ان الا تعبدوا الا اياه ، وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ، ربكم اعلم بما في نفوسكم ، ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا ، وءات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ولا تبذر تبذيرا ، ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا ، واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل ليم قولا ميسورا ، ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ، ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، انه كان بعباده خبيرا بصيرا ، ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ، نحن نرزقهم واياكم ، ان قتلهم كان خطئا كبيرا ، ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل، انه كان منصورا، ولا تقربوا مال اليتيم الابالتي هي احسن حتى يبلغ اشده، واوفوا بالعهد، ان العهد كان مسؤولا، واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ذلك خير واحسن تأويلا ، ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا ، ولا تمش في الارض مرحا ، انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا، كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها ، ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة، ولا تجعل مع الله الها ءاخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا » . فهذا مما اوحاه الله الى رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. لعلنا لن نكون مغالين اذا قلنا ان رجعية بعض الشبان — المصبوغة بصبغة التقدمية الزائفة — لا تقل في شيء عن جمود بعض الشيوخ والكهول في الانحراف عن الجادة ، والابتعاد عما توجبه مسؤولية عصرنا هذا من فروض العمل المنتج لصالح الانسان ، بغض النظر عن ءارائه ولونه وموطنه . فان الانسان المتحرر هو الذي يميز بين الصحيح والسقيم . وهو الفرد الذى يسعى دائما وراء ادراك الحقيقة كي يتحول ظنه الى يقين . لكن شخصا يعرض عن الدراسات ، لانها لا توافق رايه ، وانما يقبل على ما يتفق مع هواه ،

انسان متحجر ، ينفره الكتاب الاصفر او الكتاب الذي يقرا من اليسار الى اليمين . وهذا ضعف وجبن ، انما الانسان المتحرر ، هو الذى لا يخاف من ان يقرا القرءان اذا كان لا يومن به ، والانجيل اذا كان لا يرى راي المسيحيين ، واللغات الاجنبية لانها لا تتقيد باحكام الشريعة الاسلامية ، او الكتب الصفراء لانها تنظر من زاوية خاصة .

فاذا كان الانسان واثقا من نفسه ، معتزا بشخصيته واجتهاده ، فان مطالعاته لن تزيده الا يقينا ولن تؤثر فى شيء على افكاره القارة الثابتة . ويجب ان يكون ثبوتها لاقتناع ، وبعد اعمال الفكر والنظر فى كل شيء يقال ، عن اية جهة صدر .

قلنا ان بعض شبابنا رجعي ، لانه لا يزال متاثرا بالجدل البيزنطي ، ومضغ الالفاظ الجوفاء ، حظه من حياته لسانه. وذات مرة اشتكت لي امراة سوء حظ ولدها ، الذي درس السنة السادسة ثم لم ينجح فى الباكالوريا، وهي شكوى طالما سمعناها ، فقلت لها : أن ابنك اصلح لسانه ، فانه قادر على الكلام ؟.. فماذا فعله فى اصلاح يديه ؟.. هل له صناعة ينفع بها الناس ونفسه ؟ فالعلم انما هو تنظيم لعمل اللسان وجزء من الدماغ ، والانسان يشتمل على اعضاء غير اللسان وغير الدماغ وكل عضو يتطلب نوعا من التربية والتهذيب ، وحتى الحنجرة ــ زيادة على عملية التنفس ــ يجب ان تهذب لتؤدي عملها الثاني على الغناء الذي يؤثر على التهذيب بسائر الوانه واشكاله . والبدن كله يتطلب تهذيبا رياضيا بدنيا ، لتهذيب مجموع البدن ، زيادة عن تهذيب كل عضو على حدة. اما شبان فهموا التهذيب على انه النجاح فى المواد الدراسية، ثم لما دخلوا ميادين الشغل ظل الواحد منهم فى مقره كانما هو ءالة صماء، فلن يرفع قيمة الامة التى ينتمي اليها فى شيء .

اما واجب العالم الاسلامي فى القرن الواحد والعشرين ، فانه هو واجبه فى القرن العشرين والقرن الثامن وفى سائر القرون ، ان يعمل عمل الانسان المتحضر لصالح البشرية جمعاء . والحديث عن العالم الاسلامي هو الحديث عن الفرد المسلم ، فليس العالم سوى فرد متكرر ، فاذا صلح الافراد صلح المجتمع والعكس بالعكس. ولو فرضنا امة جامدة متحجرة فى سائر مظاهرها ، ولم تسجل فى تاريخها اي ترقية او تقدم ، فان ذلك لن يكون حكما عليها بعدم صلاحيتها للوجود ، بل ان لها كامل الحق فى ان تتقدم الى الامام ، والشأن معها كالشأن الذى تحدثنا عنه الخرافة من ان عفريتا سحر قصرا. فوقف الماء عن الجريان ، وكل من كان فى وضع ثبت فيه ، كالشأن فى صورة فوتوغرافية ، يظل فيها صاحب الصورة على وضعية واحدة ، فاذا كانت هذه الصورة فى شريط سينمائي ، ووقف الشريط عن الدوران ، وبقي النور موجها الى الصورة مرسومة على الشاشة، كشأن بعض الاعلانات ، فليس معنى ذلك ان هنالك قاعدة للركود ، بل هنالك ارادة الانسان ، الذى يدير الشريط ، فان حركه عاد كل شيء الى الحركة . وانى ابن الملك ، فلما دخل القصر بعد نوم مائة سنة، جرت المياه ، واتم الراكع وقوفه ، واتم الماضغ مضغه، وزال مسخ السمر ، وعادت الحياة الى مسايرة ساعاتها ودقائقها وايامها وشهورها وسنواتها ، وهذا يذكرنا بحادثة جرت فى الكوفة ، وكان الحسن البصري من قادة الموجهين ، وكان له مجلس بمسجد الكوفة يجلس اليه فيه جمع من طلبة الحكمة والعلم ، وفيهم شاب دائم الصمت ، فاراد الحسن البصري ان يختبر امره ، فقال له ذات يوم يا فتى ، لقد ذهب القوم على افراس وتركونا على حمر دبرة . فاجاب الفتى قائلا : ما أسرع لحوقنا بهم ان كنا على الطريق .

ان من العجز ان نضيع الوقت فى لوم الزمان ، والبحث عن سبب ركود عالمنا الاسلامي ، ومن الحزم ان نتحرك بصفة عمومية ، ولياخذ كل واحد فى السير من حيث هو واقف، ولو بمحاولة التخلص من ورطة الجمود باية صفة كانت .

لو سالني انسان عما يفعله غدا ، لقلت له : ما تفعله اليوم هو عملك لغد ، وما تفعله فى غد فانه عمل لمابعد غد . والمعلم البناء الذى ياخذ اجره بعد فراغه من عمله كل مساء ، سوف ينفق كسبه فى غده، كما انه افطر وتغذى ولبس من عمله قبل ذلك اليوم . واذا كان البناء قائما ، والانفاق عليه جاريا ، فلن يتمتع المنفق الا بعد التضحية دون مقابل مستعجل ، وانما تظهر ثمرة عمل اليوم فى غد وفيما بعد الغد. الا المسيح الدجال ، الذى يزرع شجرة بيده اليمنى ، وياخذ منها الثمرة بيده اليسرى ، وانما الدجال شذوذ ونادر لا حكم له . اما الفلاح فانه يبذر الحب، ويرجو الثمار من الرب . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

تطوان ــ التهامي الوزاني



قد لا يعزب عن البال ما بلغه العالم فيما بين عيسى ومحمد عليهما السلام قرابة 600 سنة من تفاقم واختلال سواء في العقيدة والاجتماع او سواهما من مقاصد الحياة حيث طغت القبلية وقامت العصبية على أشدها بين القبائل والعشائر — وعاشت الامم في خضم من التناقض والتناحر ، واصبحت الحروب بين الفخذ والفخذ تستعر نارها على التافه من الاشياء وادناها — فيقضي على نفوس ومهج قد لا ينجو من شواظها حتى البرءاء من المحايدين في قلة نادرة — كانت تلزم الانعزال وغالبهم من الذين بقوا متمسكين ببصيص من شرعة الاديان القديمة يهودية أو مسيحية بالاخص بطارقة الصوامع ورهبانهم .

ذلك ما فسح المجال للجاهلية الجهلاء — ان تترعرع متجذرة في تمكن من النفوس لحد بلغت الوحشية فيه اقصى مداها مما لا يتصور صدوره حتى من اضرى وحوش الغاب . — شيء عانت البشرية من ويلاته مرير العيش وضنك الحياة متطلعة بنفوس جد قوية للخروج من مأزق الجاهلية واوهام الاحلام ، ورواسب الاساطير ، والاخلاد الى الخرافات التي كانت تسيطر على العقول والافكار والتفاني في المعبودات على اختلاف الوانها — نجوما واحجارا وحيوانا ونيران .

بيد أن الكتب السماوية كانت تحمل فيما تحمله من ءايات — البشارة برسول عربي سيخرج من قريش يكشف عن البشرية ما تعيشه وتقاسيه من ظلم واستبداد طالما عانت شدائده امم القارات (الموجودة وقتئذ) على اختلاف اجناسها والوانها .. نعم ، جاءت البشارة في التوراة وضاءة تعلن من السماء عن تلك الحقيقة المنتظرة بتلهف وفارغ صبر فقد جاء في الفصل العشرين من السفر الخامس منها « اقبل الله من سينا ، وتجلى من ساعير ، وظهر من جبال فاران معه الربوات الاطهار عن يمينه — سينا مهبط الوحي على موسى — وساعير مهبط الوحي على عيسى — وفاران جبال مكة مهبط الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم .

وفيها في الفصل الحادي عشر من هذا السفر: « ياموسى اني ساقيم لبني اسرائيل نبيا من اخوتهم مثلك اجعل كلامي في فيه ، ويقول لهم ما آمره به، والذي لا يقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم باسمي انا انتقم منه ومن سبطه .

وكذلك جاء في الانجيل — ما هو بشارة به — ففي انجيل يوحنا في الفصل الخامس عشر قال يسوع المسيح : ان الفارقليط روح الحق الذي يرسله ابي يعلمكم كل شيء .

وفيه ايضا : قال المسيح : من يحفظ كلمتي يحبني ، وابي يحبه ، وعندئذ يتخذ المنزلة، كلمتكم بهذا لاني لست عندكم بمقيم . والفارقليط — روح القدس — الذي يرسله ابي هو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم كل ما قلت لكم — استودعكم سلامي ، لا

تقلق قلوبكم ولا تجزع ، فاني منطلق وعائد اليكم ، لو كنتم تحبوني تفرحون بمضيي الى الاب . وفيه كذلك : ان خيرا لكم ان انطلق لابي لاني ان لم اذهب لم يأتكم الفارقليط ، فاذا انطلقت ارسلتـه اليكم — فاذا جاء فهو يوبخ العالم على خطيئته ، وان لي كلاما كثيرا اريد قوله ، ولكنكم لا تستطيعون حمله ، ولكن اذا جاء روح الحق ذاك الذى يرشدكـم الى جميــع الحق — لانه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بمـا يسمع ، ويخبركم بكل ما ياتي ، ويعرفكم جميع ما للاب .

و (الفارقليط — لفظ يؤذن بالحمـد فسره بعضهم بالحماد ، وبعضهم بالحامد ، ففـى مدلولـه اشارة الى اسمه عليه السلام احمد)

ومثل الاية السابقة — قوله تعالى : « الذيـن يتبعون الرسول النبيء الامي الذى يجدونه مكتوبـا عندهم فى التوراة والانجيل » الاية 157 من سورة الاعراف .

فرسالة عيسى جاءت امتدادا لرسالة موسى وتصديقا لتوراته — وتمهيدا فى نفس الوقت للرسالة الخاتمة وتبشيرا برسولها — واذا فقـد اتى عيسى عليه السلام ليسلم امانة الدين الالهي التى حملها بعد موسى الى الرسول الذى يبشر به (محمد صلوات الله عليه) .

مولـد المبشـر بـه :

لقد حدث التاريخ الاسلامي وسيرته الصادقة: ان القدر شاء ان يتزوج عبد الله بن عبد المطلب بآمنة بنت وهب — وهي من افضل نساء قريـش نسبـا وموضعا فحملت منه برسول الانسـانية محمد عليـه السلام غير ان اباه لم يلبث ان توفى بعد الحمــل بشهرين .

وعندما تم حمل ءامنة وضعت الولد المنتظر — فاستبشر العالم بميلاده وذلك سنة 571 م فى السـنة الاولى من واقعة عام الفيل — الموافق للايام الاولى من ربيع الاول .

ومن كتب ارسلت امه اجده — عبد المطلب — تبشره فاقبل مسرورا وقد فاض به السـرور — وذكر ابنه — عبد الله وقلبه مفعم بالغبطة لخلفه واسرع الى زوج ابنه — ءامنة — واخذ طفلها بين يديـه — وسار حتى دخل به الكعبة وسماه — محمدا — لرؤيا رءاها مع ما حدثته به امه حين قيل لها : اذا وضعته فسميه محمدا — ورغم ان هذا الاسم لم يكن شائعا قبل عند العرب لكن اراد الله سبحانه ان يحقق ما قدره وذكره فيما انزله على الانبياء من كتب — كالتوراة والانجيل الملمح اليهما ءانفا .

فحضنته لوضعه أم ايمن — بركة الحبشية — امة ابيه عبد الله .

رضــاعــة :

انتظرت امه ءامنة مجيء المراضع من بني سعد لتدفع به الى احداهن — كعادة اشراف العرب مـن اهل مكة التى لا تزال متبعة عندهـم ، اذ تجدهـم يبعثون ابناءهم للبادية فى اليوم الثامن من مولدهم ، ثم لا يعودون الى الحضر حـتى يبلغـوا الثامنـة او العاشرة — ليكون انجب لمواليدهم — ذلك ان المربي فى المدن غالبا ما يجيء كليل الذهن ، فاتر العزيمة، حتى كان بعض الآباء يسعى حثيثـا فـى اختيـار المراضع لابنائه — رغبة — ان يرضعوا لبنا خالصا من نسوة بدويات صحيحات الاجسام ربين فى هـواء البادية الطلق النقي الذى لا يلبث يغـذي البانهـن ويصفيها من عاديات الاخلاط ، ورواسب الاهويـة المتعفنة التى لا تخلو منا مساكن المدن الحضرية — والويل كل الويل لام تدفـع ابنها لمطلـق مرضعـة (يا عالما بلبنها) فهناك تثور ثائرة الاب الساهـر على تنشيء ابنائه نشأة صحية تساعدهم على مجابهـة الآتي المنتظر — وكتدليل على هذه الظاهرة ما توحي به القصة التالية :

ان الشيخ ابا محمد الجويني الشافعي — كان اول امره (حسبما حكاه ابنه عبد المالك) ينسـخ بالاجرة فاجتمع له من كسب يده قدر اشترى بـه جارية موصوفة بالخير والصلاح ولم يزل يطعمها من كسب يده — الى ان حملت بامام الحرمين — وهـو مستمر على تربيتها بكسب الحلال — فلما وضعتـه اوصاها ان لا تمكن أحدا من ارضاعه ، فاتفق انـه دخل عليها يوما وهي متألمة والصغير يبكي ، وقـد اخذته امراة من جيرانهم وشاغلته بثديها فرضع منها قليلا — فلما رءاه شق عليه ، واخذه اليه ، ونكس راسه ومسح على بطنه وادخل اصبعه فى فيه ، ولم يزل يفعل به ذلك حتى قاء جميع ما شربه وهو يقول: يسهل على ان يموت ولا يفسد طبعه بشرب لبن غير

امه ـ ويحكي الولد عبد الملك ـ امام الحرمين ـ قائلا : كان يلحقني بعض الاحيان ـ فترة في مجلس المناظرة ـ فاقول : هذا من بقايا تلك الرضعة .

والوليد محمد صلوات الله عليه ارضع في بني سعد ـ فكان من نصيب حليمة بنت ابي ذؤيب السعدية زوج ابي كبشة الرجل الذي كانت قريش تنسب له الرسول حينما يريدون الاستهزاء به ـ فيقولون : هذا ابن ابي كبشة يكلم من السماء ، فالمولود محمد عليه السلام اجدر بهذه العناية ، واولى بتلك الرعاية المحوطة بحفظ الله وتكريمه كبشر من اصفياء خلقه سيحمل رسالة البشارة والنذارة للمجموعة الانسانية في مستقبل كهولته ، فقمن به اكثر ان تصان تربيته البدنية ـ ويحتاط لها كي تكون اصفى واقوى ـ ضرورة ان مواقف الرسالة والتبليغ يقتضيان بطبيعتهما ان يتوفر حاملهما على اكمل الصفات واجمل الخصال ـ قوة وفصاحة وامانة .

ذلك وما انضاف اليه من ءاثار حميدة ساعدت الناس على اختلاف وجاهتهم على الانصياع للاجابة عندما اوحى الله اليه ـ كنبي ورسول ـ فكانت تلك القيم والشيم التي تكونت معه ونشا عليها منذ ولادته من تهيئات وارهاصات لا تحصى كمقدمة لرسالته الخالدة ، التي عم اشعاعها الشرق والغرب والشمال والجنوب ـ في ظرف يسير لم يزد على عقدين ونيف ـ لكن أثر عقبات كأداء وعراقل ممضة، ادت بالرسول الاعظم الى الهجرة من مسقط راسه ـ مكة المكرمة ـ الى ـ المدينة المنورة ـ حتى اذا استد ساعده ، واعتضد الاسلام وقوى جانبه، اندفع الناس لاعتناق الدين الجديد ـ الاسلام الصحيح ـ والدخول في حظيرته عن صدق افواجا افواجا ـ اثناء حروب وغزوات شارك في معامعها الرسول صلوات الله عليه واصيب فيها بما اصيب به غيره من المجاهدين .. نعم كانت غزوات المسلمين وفي صفوف الرسول عليه السلام دفاعا عن كلمة الله وصيانة للحوزة الاسلامية ، وحفظا للعقيدة من مهاوي الشرك والوثنية ، وبث انماط الاديولوجيات التي عرفها العصر الاول للاسلام ـ لا توسعا واكراها لنشر الدين الجديد ـ اذ هو دين بطبعه مرن يغشى القلوب ويخالطها دون استيذان .

هكذا انتشر الاسلام في الاقاليم عندما لاحت انوار فجره الصادق ناشرا بنوده الخفاقة في غير ما جانب من جوانب الكرة الارضية .

وقد لا يعكر سيره ـ كدين انساني قويم، روحه السمو والعطف والعدل في المقدمة ـ ان ينتكس في بعض فتراته التاريخية (كطبيعة كونية) فيصاب بضعف ونوبات تاخرت ـ كسقوط بغداد في ايدي المغول والتتار ، وسوى ذلك من الفترات التي تعرض لها في فكره وحضارته وباقي قيمه المثلى .

فما على المسلمين الا ان يعودوا الى البحث من جديد ليقفوا على نقط الضعف الواقعة في قوة الاسلام ـ كمبدا وعقيدة ـ طالما ان محاولات جبر الكسر تعددت وتلاحقت منذ عهد بعيد ـ فبعد ما حددوا النفس لحظات ـ فحتم ان ينطلقوا اليوم من جديد وفي شيء من القوة والتكييف لمفاهيم الاشياء وفلسفتها كي يلتحقوا بركب القافلة الجديدة واضعين مقاييسهم حذو مقاييسها .

حيث لم يعد ما عرف قبل هو نوع ما يجري الساعة ـ خاصة قبل الحرب العالمية الاولى بقليل (1914) .

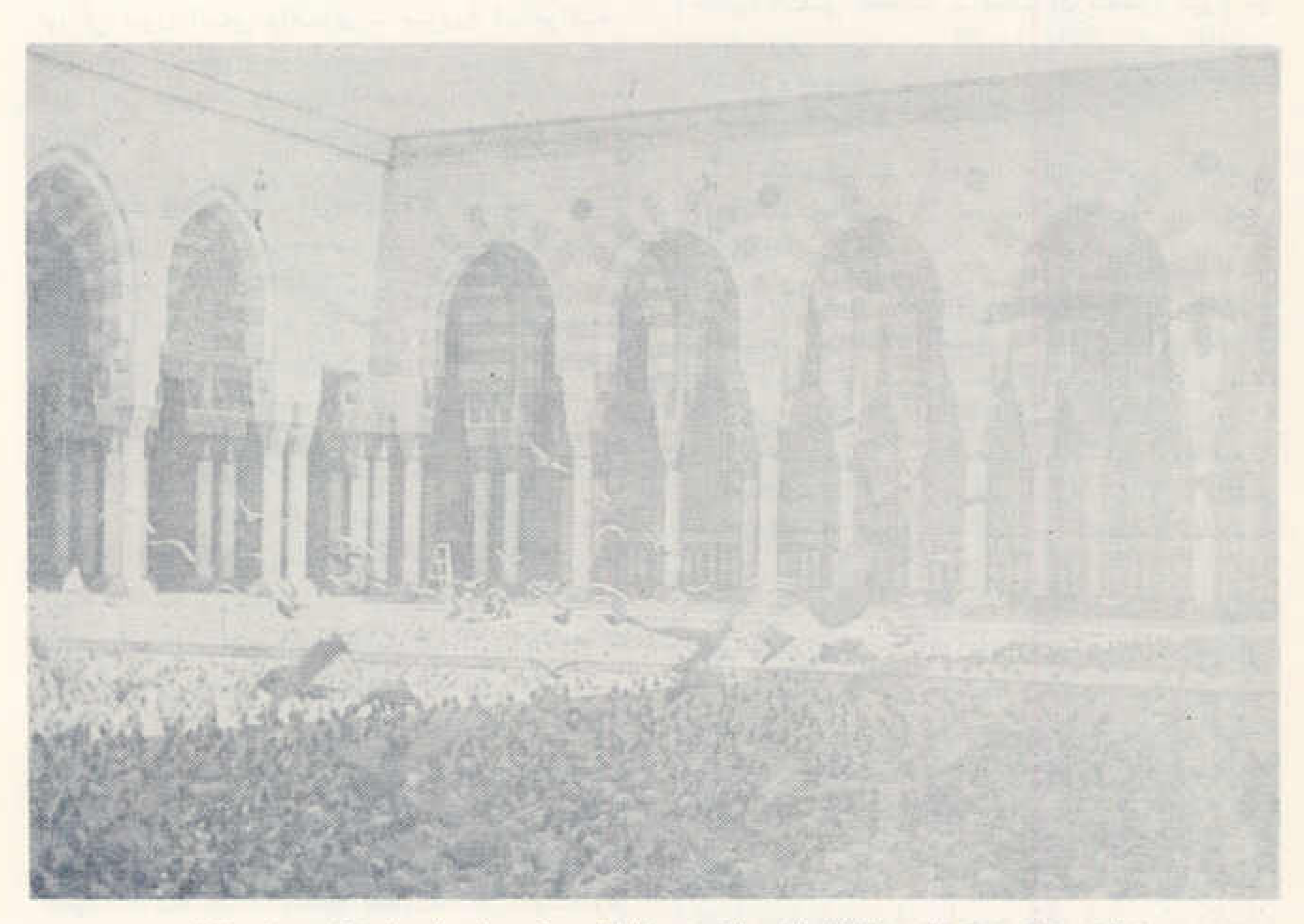
وهذا هو بالذات ما استفاق له المغرب واستيقظ من سباته العميق ـ فاخذ يسعى جادا في تغيير انماطه ، وتنويع اشكاله ـ ماديا وادبيا ـ اقتصاديا واجتماعيا ، ولا ادل على هذا من دعوته لانعقاد « مؤتمر القمة الاسلامي » بارضه وعاصمته رباط الفتح ـ في 21 شتنبر سنة 1969 ـ المؤتمر العام الذي لم يسبق له نظير في الدولة الاسلامية منذ تاريخها .

ويلذ لي ان اورد هنا بعض فقرات من خطاب الملك المعظم الحسن الثاني ايده الله يوم الافتتاح قال: « ان حقبة من الزمن ليست بالقصيرة ولا بالسليمة ـ مرت على بلادنا ـ فاستعمرنا وانتصب على ارضنا الدخيل ، وعدو الديانة الاسلامية ـ فصار ذلك عارا ملصقا بنا ـ وبالتالي بمعتقداتنا ـ فبعدما كان الاسلام وقادته الاعلام وحكماؤه ، واطباؤه وعلماؤه وفلاسفته ـ بعدما كانوا روادا للبشرية ، وبعدما كانوا قادة للحضارة ـ اصبح يقال فينا : ان الاسلام يعوق كل تقدم ـ ان الاسلام لا يقف حاجزا بين من يعتقده ومن يعتنقه ، وبين كل تقدم ملموس في الميدان الحيوي والميدان التربوي ، وفي الميدان الاقتصادي والثقافي والتقني » .

ومهما يكن – فعلى المسلمين ان يعودوا الى حقيقة الاسلام ناهجين سبيله الحق – عقيدة وسلوكا – اذ لا تصلح امته اليوم الا بما صلحت به امه الاولى – علما وسلوكا – وبالتالي – جريا على موجب تعاليمه النظيفة فى شتى مناحيها – ماديا وروحيا – وبهذا الروح المؤمن ، نكون قد وفينا بعهدنا وميثاقنا للمولود الكريم – محمد صلوات الله عليه – الذى نحتفل بذكراه من ربيع لربيع جاعلين نصب اعيننا قول الله تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم » سورة آل عمران – الآية 31 .

ومتباعدين فى النهاية عن اقامة مهرجانات جوفاء تقام هنا وهناك لا سر لها عدا سرد بعض الموالد المزيجة احيانا باساطير يأباها الرسول صلى الله عليه وسلم وتشمئز منها روحه المقدسة تخلل بامداح قد لا يستفيد منها المؤمن الحق – ما يجب ان يقتبسه من حياة الرسول وسيرته المصفاة والتكيف بمكارم اخلاق عليه السلام – « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة » .

الرباط – عبد الله الجراري



روعة الهندسة العربية تتمثل فى هذا المنظر للحرم النبوي من الداخل ، واسراب الحمام تغطي ساحة الحرم



قد يسأل سائل : كيف عامل النبي يهود المدينة ؟

وهل آثر في معاملته لهم السلام على الخصومة ، والعفو على العقوبة ؟

نعم ، فقد صبر النبي على اذى اليهود وخياناتهم حتى ضج الصبر ، وعفا عنهم حتى ضاق بهم العفو ، وسالمهم ما وسعته المسالمة ، ثم يئس من صلاحهم ، وايقن ان سلامة الاسلام والمسلمين وسلامة المدينة ، وحياة الدعوة التي كلف ان يبلغها ، تحتم عليه الا يصبر اكثر مما صبر ، والا يعفو اعظم مما عفا ، وتوجب عليه ان يلقى الشر بما ينبغي ان يلقاه به ، فلم يكن بد من النهوض بهذا الواجب ، كما يتبين من هذه الاحداث .

1 ـ مقتل كعب بن الاشرف :

كان قد عاهد النبي كعب هو وقومه بنو النضير على الا يحاربوا النبي او يحاربهم ، وعلى ان يكون كل منهم حليف الاخر يكن له المودة والوفاء ، ويقدم له المعونة ان احتاج الى معونة .

لكنه نقض العهد ، وجعل يؤلب قريشا وغيرها على النبي ، بدافع من عداوته للاسلام التي كانت تطمس على قلبه ، فيؤثر وثنية قريش على توحيد محمد عليه الصلاة والسلام ، حتى انه لما قتل بعض زعماء قريش في غزوة بدر قال : أولئك أشراف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان محمد اصاب هؤلاء القوم لبطن الارض خير من ظهرها .

ثم اسرع الى مكة يحرض قريشا على النبي ويتباكى بشعره على قتلاها ويحض على الثار لهم .

ولم يشف هذا حقده ، بل عاد الى المدينة ، فجعل يشبب بنساء المسلمين ، وهو يعلم أن بهتانه يؤذي المسلمين ، وينفر منه الخلق العربي .

فماذا يفعل النبي برجل يأكل الحقد قلبه وعقله فلا يفتأ يشعل نار الفتنة ؟

هل يعفو عنه ؟

لا ، فانه قد نقض العهد ، واشعل الفتنة ، وجرح أعراض المحصنات ، وتبجح بالعداوة ، ولن يكون العفو عنه الا تمكينا له ، وترويجا لغيه ، وتجريئا لغيره .

هل ينتقم منه ؟

نعم ، فان سلامة الاسلام والمسلمين تقتضي هذا، لانه الجزاء العادل ، والعقاب الرادع .

2 ـ بنو قينقاع :

لم يزدجر بنو قينقاع بمقتل كعب بن الاشرف ، بل جعلوا يتحرشون بالمسلمين ، واعتدوا على امرأة مسلمة ، كانت قد قدمت الى صائغ يهودي بسوقهم ، فارادوا منها ان تكشف عن وجهها فابت ، فتسلل أحدهم الى خلفها فعلق طرف ثوبها بشوكة الى ظهرها فلما قامت انكشفت عورتها ، فسخروا منها وضحكوا ، فصرخت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ

فقتله ، ووثب اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ اهل المسلم اخوانهم ، فوقع الشر بين المسلمين وبين بني قينقـــاع .

حينئذ طلب النبي من اليهود ان يكفوا عن اذاهم، وان يفوا بعهدهم الذى عاهدوه ، وهددهم ان لم يفعلوا ان ينزل بهم مثل ما انزل بقريـــش فى بـــدر ، فاستخفوا بوعيده ، وقالوا : لا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة ، انا والله ان حاربناك لتعلمن اننا نحن الناس .

فهل يعفو النبي عن هؤلاء ، وهم يزعمون انهـــم اقدر منه ، ويهزاون بوعيده ؟

اليس العفو اذا عجزاً، واضعافا لرهبة المسلمين، واملاء للمعتدين ، وتشجيعا لغيرهـم من المشركيـــن الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر ؟

لقد جنى بنو قينقاع على انفسهم ، فاستحقوا العقاب على جناياتهم ، حتى ان حليفهم عبادة بن الصامت برىء منهم واعلن براءته .

وكان العقاب العادل ان خرج المسلمون فحاصروهم خمس عشرة ليلة ، لم يبيحوا فيها لاحد من بني قينقاع ان يخرج من داره ، ولم يسمحوا لاحد ان يدخل عليهم بطعام ، فلم يبق لهم الا الخضوع لحكم النبي .

فماذا كان حكمـــه ؟

لقد استشار كبار المسلمين ، فاجمعوا على قتلهم، فقام اليه عبد الله ابن ابي بن سلول ــ وكان حليفا لبني قينقاع وللمسلمين ــ فشفع فيهم عند النبي ، وجـاء عبادة بن الصامت يشفع كما شفع عبد الله ، فقضـى النبي باجلائهم عن المدينة ، فارتحلوا الى وادي القرى، ثم الى اذرعات بحدود الشام .

3 ــ بنـــو النضيـــــر :

كان بعض المسلمين قد قتلوا غدرا بعد غزوة احد، فى يوم الرجيع وفى يوم بئر معونة ، ففرح بنو النضير الذين بالمدينة ، وودوا ان يكون حزن النبي والمسلمين على قتلاهم مقدمة لاحزان اخـــرى ، فاراد النبـــي ان يكشف عن نوايا بني النضير ، فمضى اليهم فى عشرة من كبار الصحابة فيهم ابو بكر وعمر وعلي ، فتظاهروا بالغبطة بمقدمه ، وجعل بعضهم ينبسط فى الحديـــث معه ، ولكنه راى آخرين يتناجون ويتآمرون ، فغـادر مكانه مسرعا وترك اصحابه وهم يظنون انه قام لبعض امره ، ولم يعلموا ان النبي اوحى اليه بما كان اليهـود يدبرون من غدر به ، وان عمرو ابن جحاش بن كعـب دخل البيت الذي كان النبي مستندا الى جـداره ، فصعد الى سطح البيت ليلقي حجرا على راس النبي.

ولما اخفقت مؤامرة اليهود حاروا فى امرهم ، وعجزوا عن تلفيق الاعذار ، وكان اصحاب النبي قـد استبطاوه فنهضوا فى طلبه ، فذكر لهم ما كان اليهـود يريدونه به .

حينئذ ارسل اليهم النبي محمد بن مسلمة يقول: ان رسول الله ارسلني اليكم ان اخرجوا من بلادي ، لقد نقضتم العهد الذي جعلت لكم بما هممتم به من الغدر بي ، ولقد اجلتكم عشرا ، فمن رئي بعد ذلك ضربـت عنقـــــه .

وبينما هم يتاهبون للرحيل ارسل اليهم عبد الله ابن ابي يامرهم بالا يخرجوا ، وان يبقوا فى حصونهم ، ويعدهم ان يحميهم بالفين من قومه ومن العرب .

فلما انقضى الاجل ولم يرحل بنو النضير ، سار اليهم المسلمون بسلاحهم ، فقاتلوهم عشرين ليلة ، ولم يتقدم عبد الله بن ابى لنصرتهم ، ولم يجدوا املا فى قتالهم للمسلمين ، فسالوا النبـــي ان يؤمنهـــم على اموالهم ودمائهم وذراريهم حتى يخرجوا من المدينة، فوافقهم النبي ، فاتجه بعضهم الى خيبر ، وشخص آخرون الى اذرعات بالشام .

لقد كان هذا الاجلاء اهون عقاب لبني النضير ، لانهم اعداء النبي والاسلام ، يسرون العداوة ويتربصون بالمسلمين الدوائر ، وهم يساكنون المسلمين بالمدينة ، ويعرفون من احوالهم ما لا يصح ان يعرفه عدو مخالط.

ولقد ابتهجوا بمقتل جماعة من المسلمين غدرا ، وتوقعوا ان تتكرر ماساة احد ، ثم انهم دبروا الوسيلة لاغتيال النبي وهو فى دارهم .

وهم الى هذا كله لم ينفذوا الجلاء بعد ان رضوا به واعتزموا عليه ، لانهم اطمانوا الى نجدة عبد الله بن ابي، وارسل زعيمهم حيى بن اخطب الى النبي انا لا نخرج من ديارنا واموالنا ، فاصنع ما بدا لـك ، وقال لبني النضير : ما علينا الا ان نرم حصوننا ، وندخـل اليها ما شئنا ، وننقل الحجارة الى ازقتنا ، وعندنا من الطعام ما يكفينا سنة ، ومؤنا لا ينقطع ، ولن يستطيع محمد حصارنا سنة كاملة .

فهل لهؤلاء جزاء اهون من الطرد ؟

اليس بقاؤهم في المدينة بعد هذا كله مثارا للفتنة ومهبا للشرور ومعاول للتقويض ؟

الم يغدروا بعدهم ، وانهم لمتاهبون للغدر ما واتتهم الفرصة ؟

اليسوا جرثومة خبيثة يعتمد عليها مشركو العرب الذين لا يفتأون يعدون العدة لمحاربة المسلمين؟

لقد اجلاهم النبي ، فكان عفوا معهم ، سمحا في مؤاخذتهم ، ولم يكن ليستطيع ان يصطنع عفوا اعظم من هذا العفو .

4 ـ بنو قريظة :

جلا بنو النضير عن المدينة ، فلم يشتفوا من النبي ، لكن الحقد لم ييأس ، وهم يعلمون ان قريشا وعرب غطفان وهذيل وغيرها ويهود بني قينقاع وبني النضير، كلها تشتعل موجدة على النبي ، فما الذي يمنع زعماء بني النضير ان يؤلبوا هؤلاء جميعا على النبي ؟

لقد خرج حيي بن اخطب وسلام بن ابي الحقيق واخوه كنانة وغيرهم الى مكة ، واعلموا قريشا ان بني النضير مقيمون بين المدينة وخيبر حتى تأتيهم قريش فيسيروا جميعا الى قتال محمد واصحابه ، وأن بني قريظة ما زالوا بالمدينة وهم اشد الناس بغضة لمحمد، فاذا ما سرتم اليهم كانوا عليه معكم .

وابى الخلق الوضيع الا أن يعلن عن نفسه ، فان قريشا قالت لهؤلاء اليهود : انكم اهل الكتاب الاول ، واصحاب العلم بما نختلف فيه نحن ومحمد ، فخبرونا ادينا خير ام دينه ؟

فقالت اليهود : بل دينكم خير من دينه ، وانتم اولى بالحق منه ، وهذا هو معنى قوله تعالى « الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا . أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا » .

ثم خرج حيي وصحبه الى غطفان وغيرها ، وحرضوهم على محاربة محمد والثار منه ، وذكروا لهم ان قريشا تعد للحرب عدتها .

وكانت غزوة الخندق ، وكان يأس الاحزاب من اجتيازه وترددهم في البقاء والجو عاصف بارد .

ولكن حيي بن اخطب اراد ان يباعد اليأس ، فاخبر الاحزاب انه سيحمل بني قريظة على نقض موادعتهم لمحمد ، وانهم سينضمون الى الاحزاب المهاجمة ، وسرعان ما بدا ينفذ خطته ، فذهب الى كعب بن اسد زعيم بني قريظة ، وما زال به يثير حفيظته على محمد ، ويطمئنه الى قوة الاحزاب وما معها من سلاح ، فقبل كعب ، ونقض عهده .

فلما علم النبي ارسل جماعة من المسلمين ليعلموا حقيقة الخبر ، فوجدوا بني قريظة لم ينقضوا عهدهم فحسب ، بل جعلوا يسبون النبي ، ويجحدون انه كان بينهم وبينه عهد .

وما لبثوا ان قطعوا الطعام على المسلمين ، فنشطت الاحزاب بعد ضعف ، وأملت بعد يأس ، وجرؤ بعض بني قريظة على النزول من حصونهم الى منازل المدينة القريبة منهم .

وحينئذ فزع المسلمون اشد الفزع ، وخشوا ان يفتح بنو قريظة طريقهم للاحزاب المغيره فيدخلوا المدينة ، ويفتكوا بالمسلمين ، وقد صور القرآن الكريم هذا الفزع في قوله تعالى: «اذ جاؤوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا . واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ، واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم ، فارجعوا ، ويستاذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عوره ، وما هي بعورة ، ان يريدون الا فرارا » .

ثم اختلف الاحزاب ، ونزل المطر مدرارا ، وقصف الرعد ، ولمع البرق ، وثارت العاصفة ، فاقتلعت الخيام وكفأت القدور ، وادخلت الرعب الى القلوب ، فسارعوا الى الفرار ، ونجى الله المدينة من خطر داهم لم تشهد مثله .

فماذا يفعل النبي ببني قريظة ؟

لقد غدروا به في اشد محنة حاقت بالمدينة ، ولقد ناصروا الاحزاب المغيرة عليه في الوقت الذي كان يقتضيهم الوفاء .

ولم يكن يريد منهم مؤازرته في الحرب ، بل كان يريد منهم الحفاظ على حيدتهم ، ليأمن غدرهم ، وهم الذين يساكنونه في المدينة المعرضة للغزو المدمر .

وقد كشفوا عن حقدهم الدفين اذ عرضوا للنبي بالسب على ملأ من اصحابه .

اما العفو عنهم فانه لا يخطر على بال الين الناس عريكة ، واكثرهم رحمة ، واعظمهم شفقة ، فقد عفا النبي من قبل عن بني قينقاع وبني النضير ، فكانوا دعاة الانقضاض على المدينة ومثيري العرب عليه .

ولن يكون العفو عن بني قريظة الا تجميعا لليهود، وتقوية لهم واتاحة لفرص شتى يحرضون فيها على النبي ، ويؤلبون قريشا وغيرها لحربه وللاستيلاء على المدينة .

فليكن العقاب عادلا والجزاء وفاقا ، حاصرهم النبي خمسا وعشرين ليلة ، ثم اختار اليهود سعد بن معاذ ليقضي بينهم وبين النبي ، واستوثق سعد من النبي ومن بني قريظة ان يرضوا بقضائه .

فماذا كان قضاء سعد ؟

حكم بأن تقتل المقاتلة ، وتقسم الاموال ، وتسبى النساء والذرية .

وهذا الحكم يتفق وقول التوراة التي يدينون بها « حين تقرب من مدينة لتحاربها استدعها الى الصلح، فان اجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الذي فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وان لم تسالمك بل حاربتك فحاصرها .

واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف .

واما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة فغنيمة تغنمها لنفسك وتاكل غنيمة اعدائك التي اعطاك الرب الهك » وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدنهذه الامم التي هنا. واما مدن هذه الشعوب التي يعطيك الرب اياها فلا تستبق منها نسمة ما ، بل اهلكها اهلاكا .

وهم يعتقدون ان موسى عليه السلام ارسل اثنى عشر الف لمحاربة اهل مدين ، فحاربوهم وانتصروا عليهم ، وقتلوا كل ذكر منهم وخمسة ملوك ، وسبوا نساءهم واولادهم ، ولما رجعوا غضب عليهم موسى كما زعموا ، لانهم استبقوا النساء والاطفال ، ثم امر بقتل كل طفل ذكر وكل امراة ثيب ، وابقى الابكار ، وكان عددهن اثنين وثلاثين الفا .

ويزعمون ان داود عليه السلام كان يقاتل اعداءه ولا يبقي ذكرا ولا انثى ولا طفلا ، وكان يمثل احيانا بمن يقتلهم اشنع تمثيل .

واذا كان القانون الدولي يبيح قتل الاسير الذي عاود القتال بعد ان اقسم بشرفه الا يعاوده ، فان قتل بني قريظة اولى بالاباحة ، لان جرمهم اشنع ، وشرهم اضخم ، ولانه لا امل في صلاحهم واتقاء غدرهم .

مـع النصـارى :

كانت النصرانية اكثر من اليهودية انتشارا في جزيرة العرب ، اذ دان بها كثير من القبائل العربية في اطراف الجزيرة وفي قلبها .

ولم يكن غريبا ان يبذل النصارى جهودهم في تعويق الاسلام والقضاء عليه كما فعل اليهود، لانه يبطل دينهم ، ويدعو الى اعتناق دين جديد مبرا مما اصاب المسيحية الاصيلة من بلبلة واضطراب وفساد، وينشيء مجتمعا جديدا يدين بالوحدانية الخالصة وبالحرية والمساواة ، ويسن نظما سامية تقضي على النظم الفاسدة الشائعة .

ولقد بلغ من ضلال النصارى وزيفهم ان زعموا ان المسيح بن الله ارسله ليفتدي به البشر من كفارة عن خطيئة آدم وحواء ، لانهما اكلا من الشجرة المحرمة فعصيا الله ، قال تعالى : « وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بافواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله انى يوفكون » .

ولهم في ذلك ضروب من الاباطيل ، فالمسيح عليه السلام واحد من ثلاثة اقانيم : الاب ، والابن ، والروح القدس .

وهو ذو طبيعة الهية واحدة في مذهب فريق ، وذو طبيعتين الهية وبشرية في مذهب فريق آخر .

واليعاقبة يزعمون انه هو الله نفسه ، نزل الى الارض وصلب ليفدي الناس ، قال تعالى : « لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم » ؟ .

وهم في مزاعمهم هذه يشبهون البراهمة في ادعائهم ان برهما ثالث ثلاثة وانه الموجود الخالق ، وأن كرشنا ابنه من العذراء ديفاكي التي اختارها والدة لابنه بسبب طهرها وعفتها ، وان كرشنا هو المخلص والفادي . والسيدة مريم عند بعض المسيحيين الهة معبودة تقرب لها الاقراص التي يسمونها كليرس ، ويسمى اصحابها كليريين .

على أنهم حرفوا الانجيل وغيروا فيه ، وحذفوا منه ما يبشر بنبوة محمد ، حفاظا على منافعهم العاجلة، ومراكزهم الدينية ، قال تعالى : « واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ، ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا : هذا سحر مبين » .

واذا كان اليهود قد كادوا للاسلام فقد كاد النصارى له ، لان البواعث والغايات متشابهة عند الفريقين .

وقد صدق الله العظيم في قوله : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم . قل ان هدى الله هو الهدى . ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير » ؟ .

ولم يكن هناك امل في هدوء مقاومتهم أو استجابتهم للحق « ولئن اتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ، وما انت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض ، ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين » .

وهم اليهود يتخذون الحرب وسيلة لاطفاء نور الاسلام ما وجدوا الى الحرب سبيلا « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا » .

كان الغساسنة ملوك الشام يمثلون النصرانية في الشرق منذ عين الامبراطور جستنيان الحارث بن جبلة (حوالي 529 — 569 م) اميرا على جميع القبائل العربية في سورية ، ومنحه لقب فيلارك — امير — ثم منحه لقب بطريق ، وكان لقب الاشراف ، وارفع لقب في الدولة بعد الامبراطور .

وكان الحارث نصرانيا يعقوبيا حاميا للكنيسة الشرقية.

فلما توفي سنة 569 م خلفه ابنه المنذر ، واعان الروم في مواقع كثيرة ، وشخص سنة 580 م الى القسطنطينية عاصمة الدولة الرومانية الشرقية فاحتفى به القيصر طيباروس ، والبسه التاج .

فمن الطبيعي ان يناوىء الغساسنة الاسلام والدعوة الى الاسلام ، لا لانه يغاير عقيدتهم فحسب ؛ بل لانه يقضي على سلطانهم السياسي ونفوذهم الديني. ومن الطبيعي ايضا ان تحارب الدولة البيزنطية الاسلام، لانه يقوض قوتها الاستبدادية، ويطوح بماكسبه رجال الدين والسياسة من سلطان ونفوذ ومال .

وهل كان من المعقول ان تطيق الكنيسة الملكانية — وهي تحارب كل رأي مسيحي يخالفها — دينا ينكر عقيدة التثليث والفداء ، ويذيع في الناس ان الله واحد احد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احدا ، ولا يعترف بما لرجال الدين من سلطان على النفوس، ووساطة بين العباد وخالقهم ؟

لهذا لم يلبث النصارى ان كشفوا عن شرهم وعزمهم على محاربة الاسلام :

1 — ففي سنة 6 هـ (627 — 628 م) صلب البيزنطيون عاملهم على عمان وهو فروة بن عمرو الجذامي، لانه اعتنق الاسلام، وارسل الى النبي فرسا وبغلا وحمارا وعباءة واقمصة ، وحاول الروم ان يجبروه على الارتداد عن اسلامه ، فأبى ، فسجنوه ثم صلبوه .

2 — وفي سنة 8 هـ (629 م) بعث النبي كتيبة من خمسة عشر رجلا الى شرقي الاردن ليدعوا الناس الى الاسلام ، فخرج عليهم جمع كبير من مكان يقال له (طلة) وقتلوهم الا واحدا لاذ بالفرار .

3 — وفي السنة نفسها أرسل النبي كتابا الى الحارث بن ابي شمر الغساني يدعوه الى الاسلام ، كما دعا غيره من الملوك والامراء ، فرد عليه المغرور الذي يتوعد بالعدوان .

ولما بعث النبي الحارث بن عمرو الازدي الى هرقل يدعوه الى الاسلام تصدى له شرحبيل بن عمرو الغساني في مؤتة وقتله ، فكان هذا سببا في غزوة مؤتة.

4 — وفي السنة التاسعة للهجرة امر هرقل بعد انتصاره على الفرس بجمع جيش لغزو بلاد العرب وقتال رسول الله ، للقضاء عليه قبل ان يستفحل امره وبلغ النبي ان هرقل ومن يتبعه من النصارى العرب قد عزموا على قصده .

واذا فلا مفر من حملة لتأديب هؤلاء المعتدين الذين يصدون عن سبيل الله، ويقتلون دعاة رسول الله، ويتأهبون للهجوم المفاجيء .

ولو لم يفعل رسول الله ذلك لاغلق الجزء الشمالي من الجزيرة في وجه الدعوة التي تشق طريقها بسلام .

وكيف يرضى بهذا الذي يفعله الغساسنة والروم، وهو يعلم ان واجبه يحتم عليه حماية دعوته من هؤلاء الطغاة ؟

ثم ان الحكمة تقتضيه ان يختبر قوة اعدائه ، ويتعرف السبب فى تجمعهم .

لهذا سار النبي بجيشه الى تبوك ، ولكن لم يحدث بينه وبين خصومه صدام ، لان الروم اختفوا وراء حدود الشام ، ولم يفكر النبي فى اختراقها ، واكتفى بما عقد من صلح بينه وبين بعض العرب مثل يوحنا بن رؤبة ، وعاد الى المدينة .

لكن الافاعي خرجت من احجارها بعد عودة النبي ، وبدا نصارى العرب والروم يعتدون على المسلمين ، فصلب هرقل امير ايلة يوحنا بن رؤبة ، لانه عقد مع النبي صلحا ، كما صلب من قبل فروة بن عمرو الجذامي ، لانه أسلم واصر على الاسلام .

فبعث النبي جيشا بقيادة زيد بن حارثه الى الشام فى السنة الثامنة (629 م) ، وتصدى الروم والعرب للقاء هذا الجيش الصغير الذي لم يتجاوز ثلاثة آلاف رجل ، وكان جيش الروم من مائة الف او مائتين ، يقوده هرقل نفسه او اخوه ، والتحم الجيشان التحاما لم يكتب فيه نصر حاسم لايهما ، فآثر المسلمون العودة الى المدينة .

ثم اراد النبي ان يتدارك ما عساه أن يحدث من هذا الانسحاب ، واراد ان يسترد هيبة المسلمين فى الشمال ، فامر بتجهيز جيش أسامة بن زيد لمحاربة الروم ، لكن الرسول لحق بالرفيق الاعلى قبل ان يتحرك الجيش من المدينة ، فانفذه ابو بكر .

ومن هذا يتبين ان الرسول عليه الصلاة والسلام كان حريصا فى صلته بالنصارى كما كان حريصا فى علاقته باليهود على ايثار السلام ، وان لم يشهر سيفه الا للدفاع ورد العدوان .

القاهرة : د . احمد الحوفي





الأوضاع العالمية عند ظهور الإسلام

للأستاذ إبراهيم حركات

ان اصل وجود الديانات السماوية هي اعداد الانسان لحياة دنوية تستقيم بها علاقته مع ربه ومع اخيه الانسان ، وحياة اخروية ابدية ينعم فيها المومن بالجنة ، وكل ديانة وثنية مهما كان هدفها النهائي حتى ولو كان عبادة اله لا تدركه الابصار لا تستطيع ان تضمن هذا الاصل الذي قامت عليه الديانات السماوية، ولذلك كانت المجتمعات البشرية تعيش فى الحيرة والضلال حتى يأتيها منقذ من بين الانبياء يحارب فيها الشعوذة ويرفعها من التفكير السطحي والمادي المجرد الى مرتبة العبادة الالهية بشكل يختلف فيه المومنون حسب علمهم ومستواهم العقلي والاجتماعي.

وان اهم منطقة للديانات السماوية هي قبل كل شيء ما نسميه اليوم بالشرق الاوسط ، فمنه انطلقت اشهر هذه الديانات وهي اليهودية والمسيحية والاسلام، وقد يثار تساؤل عن سبب تخصيص هذه المنطقة بهذا الامتياز العظيم ، ونعتقد ان تركز معظم الحضارات العالمية القديمة بهذه المنطقة وما يجاورها من مناطق حوض البحر المتوسط وستراتيجية هذه الحوض نفسه والذي يعد ملتقى جغرافيا وتاريخيا لكل القارات هو السبب الرئيسي لهذا التشريف الالهي ، وقد يثار تساؤل آخر عما اذا كان من المعقول أن يبعث الانبياء وسط شعوب متحضرة نسبيا ولا يبعثوا فى المجتمعات المتوحشة بالاولوية ، والواقع اننا نجد الجواب هنا فى السؤال نفسه . وهي كيف يمكن ان يرتفع الانسان من درجة التوحش والبدائية والجهل المطبق الى اعتناق دين جديد كليا يرفع تفكيره الى عالم الملكوت ويحوله فى رتبة وسطى الى مومن يدافع عن عقيدته ويحتج لها عند الاقتضاء ، وفى رتبة عليا الى انسان يتفانى فى ذات الله وينقطع عن الماديات ويجعل الناس كلهم اخوة وابناء له ، ولذلك اختارت الديانات السماوية هذه المنطقة من العالم ولم تختر حتى الصين ولا الهند وهما من دول آسيا البعيدة فى الحضارة ولكنها بعيدتان جغرافيا كذلك ، ولم يسبق لهما أن لعبتا دورا سياسيا او اقتصاديا عالميا مباشرا .

الاسلام فى شبه جزيرة العرب :

نجد الديانات السماوية والحالة هذه تنزل حيث توجد ميدانيا قابلية بعيدة او قريبة من نفوس المجتمعات التي تنزل عليها هذه الديانات ، سواء من حيث عقليتها او مستواها الحضاري او وضعيتها السياسية، وهكذا اختار الاسلام منطقة بلاد العرب لانه فى اصوله الاولى المجردة عن كل تعقيد فقهي او صوفي أو فلسفي ، دين بسيط يلائم وضعية هؤلاء الذين نزل فيهم .

وجد الاسلام العرب ضعافا فقواهم وانشأ بينهم وحدة سياسية لم تعرفها اكثريتهم من قبل فى شبه جزيرة العرب ، وكانت الوثنية تضرب اطنابها فى كل جهات هذه البلاد ، فامر الاسلام العرب بان ينبذوا الشرك ويعبدوا الها واحدا . وفكرة التوحيد شيء عظيم فى الاسلام، فالعرب الذين كانوا ممزقين سياسيا ودينيا كانوا بحاجة الى اعتناق هذه الفكرة التي تشخص الطاعة والامتثال وتجنب الناس التفرقة والضلال .

ولم يكن فى العرب كثيرون على دين المسيحية بل كان فيهم افراد قلائل كورقة بن نوفل وقس بن ساعدة وامية بن ابي الصلت ، وكل هؤلاء كانوا يتوقعون ظهور نبي ينقذ العرب ، واذا استثنينا العناصر القحطانية التي حظيت بمدنية بالغة الرقي ونقلتها من اليمن الى المدينة والشام ، فكل ما يمكن ان يفتخر به

مجتمع العصر الجاهلي هو بعض صفات البطولة والنبل الى جانب الفصاحة والشعر الذي يعد احسن معبر عن حياة العرب ونشاطهم فى هذا العصر ، ووجود قبائل كثيرة متفرقة ليس بينها وحدة مطلقا ، كان من عوامل البيئة اكثر منه خاضعا لتأثير سياسي ، فالموارد الضعيفة المحدودة وانعدام المطر سنوات احيانا جعلهم يعيشون فى فقر شديد يضطرهم الى النجعة والتنقل باستمرار بحثا عن الكلا والماء ، وهذا من عوامل عدم الاستقرار الاقتصادي والسياسي معا . ونستطيع ان نجد فى ارتداد العرب بعد وفاة الرسول سببا اقتصاديا اكثر منه اى شيء آخر ، فهم قد امتنعوا بتاتا عن اداء الزكاة وكثيرون رغبوا ان يعودوا الى الاسلام دون اداء هذا الواجب .

كذلك نجد ظاهرة اخرى فى تقبل الاسلام بشبه الجزيرة ، فالمدينة اعتنقت هذا الدين بيسر وبصفة جماعية ، ولا نقبل ان فكرة وجود اخوال الرسول بالمدينة سهل اقبال هؤلاء على الاسلام ، فالمنطق يقتضي بهذا الاعتبار ان تكون مكة سباقة فى مجموعها لان معظم اقارب الرسول كانوا بها ، فمكة بلد غير ذي زرع ، وحضارة قريش هي حضارة سطحية قوامها الاحتكاك التجاري ، بينما المدينة تقبلت الاسلام لان اهلها تتوفر لديهم موارد اقتصادية قارة بفضل الواحات والمياه الغنية المجاورة ، كما ان اصول اهلها من ذلك العنصر اليمني الذي سبق ان شاد سد مارب وقصر غمدان وابتكر الخط الحميري ونظم الري تنظيما محكما ، فهذا العنصر يقبل بعقله السامي ان يعتنق دينا يتمم تنظيماته ويصحح اوضاعه وينظم علاقاته الانسانية والروحية .

وقد طغت عبادة الاصنام فى كل شبر وبقعة من شبه الجزيرة العربية تاثرا بالديانات السامية القديمة ، وانا لنعلم ان ابراهيم عليه السلام وقد نشا ببابل كان اول همه تحطيم الاصنام ، ونعلم ان محمدا عليه السلام كان اول عمل قام به بعد فتح مكة هو تحطيم الاصنام ايضا .

ومع كل ذلك كانت الاوضاع قد تدهورت فى مناطق الشمال التي شهدت منذ عصر بعيد حضارات محلية زاهية كالحيرة ودمشق ، وكان اهلها ليلة دخول الاسلام قد فقدوا كل سيادة على مناطقهم وصاروا خداما للفرس والروم .

الحالة فى الامبراطورية الساسانية

كان العراق يشكل نقطة ارتكاز فى الامبراطورية الساسانية وهو يضم مجموعة كبرى من العرب وبقايا العناصر السامية القديمة ، ودب الضعف الى هذه الامبراطورية التي كان لجهودها الحضارية فضل لا ينكر على الحضارة الاسلامية فيما بعد ، وكانت تخومها عرضة للغزوات من قبل خصومها البيزنطيين وغيرهم ، وكانت المعتقدات المتضاربة قد زادت من هذه الامبراطورية تفككا ، وهكذا اختلطت تعاليم (زرادشت) التي ظهر صاحبها فى القرن السادس ق. م بالمانوية التي شقت طريقها الى البلاد فى القرن الثالث والمزدكية التي سيطرت على المعتقدات فى القرن الخامس الميلادي واصبحت دينا رسميا للدولة ، وفى هذه المذاهب تناقض يعكس بحق صورة المجتمع الساساني فى تطوراته الاجتماعية ، فبينما يدعو (زرادشت) الى الزواج والنسل ولا يومن بالصوم وهو شذوذ واضح فى الديانات الكبرى ، نرى (ماني) يدعو الى الرهبانية والصلاة باستمرار ، بينما يدعو (مزدك) الى الشيوعية فى المال والنساء وهو مذهب وجد من نفوس الكثيرين قبولا ، ونرى الفلاحين فى فارس يعيشون عيشة البؤس والضنك بينما تتقوى طبقة النبلاء من العسكريين ويتضخم نفوذ الكهنة وتتكاثر درجاتهم الدينية وان وجد بعض التسامح لدى الملوك المتاخرين حيال الديانات الاخرى كاليهودية والمسيحية ، وعلى كل فوجود المزدكية كدين رسمي مع بقايا المانوية والزرادشتية ووجود اتباع للديانة البوذية شكل خليطا من المعتقدات التي تقرر مبدا الازدواجية من خير وشر ، او ظلمة ونور ، وان النهاية غلبة الخير على الشر والنور على الظلمة ، والى جانب ذلك كان الفرس والروم يعيشون فى صراع حقيقي على السيادة العالمية وهما يومئذ اعظم دول العالم ، وان كثيرا من المذاهب التي ظهرت فى الاسلام من شيعية واعتزال وخارجية وغيرها نجد للفرس ضلعا فيه يكبر او يصغر حسب الظروف والمصلحة .

واخيرا اصيب الفرس بالتناحر على العرش داخل امبراطوريتهم فعجلوا بذلك انهيارهم عن غير قصد ليخضعوا لسيادة جديدة هي السيادة العربية والاسلامية .

الحالة فى الامبراطورية البيزنطية :

اما فى الامبراطورية البيزنطية فقد كان البيزنطيون يعتقدون لمدة طويلة انهم وحدهم بوصفهم ورثة الرومان

لهم الحق فى بسط سيادتهم على العالم حتى فجئوا بالامر الواقع كما قال Ostrogorsky ذلك هو انتقاص اطراف مملكتهم من شعوب مختلفة ، ففي القرن الخامس تستقر الشعوب السلافية فى البلقان وتستقر البلغار بعدهم فى جنوب نهر الدنوب ، كما ان العرب سرعان ما يصبحون سادة على كل هذه الامبراطورية الواسعة فى مدة وجيزة ولا يبقى للبزنطيين الا ما يسمى بآسيا الصغرى وبعض المناطق الايطالية .

وعلى الرغم من الانظمة الادارية الرائعة التي حق للرومان أن يفتخروا بها نجد السلطة تصبح بيروقراطية تتركز فى مصالح مركزية ويصبح النفوذ الكلي للامبراطور نفسه ، بينما يضعف النظام البلدي ويعيش البلاط البيزنطي فى فخفخة مفرطة ، كما تتكدس الثروات فى ايدي رجال الكنيسة باسم المحبة الانسانية التي تجمع من اجلها هذه الثروات ، اما الخلافات الدينية فتاخذ من رجال الدين زمنا طويلا يكاد يساير ظهور المسيحية من اول نشأتها الى اضمحلال الدولة البيزنطية ، ونرى هذه الخلافات تتعقد ثم تصير تافهة حيث نجد رجال الدين يجتمعون من كل حدب وصوب ليقرروا ما اذا كان للمراة نفس كالبشر ام لا ، ثم يتفقون بعد طول جدال باغلبية ضعيفة جدا على ان لها نفسا كالبشر .

كذلك ضعفت الملكية الخاصة الى حد ان معظم الاراضي الزراعية تجمعت بأيدي حفنة من كبار الملاك بما فيهم رجال الكنيسة .

الحالة فى اوربا :

كانت أوربا وآسيا قد تسلط عليها الجرمان قبل بضعة قرون من ظهور الاسلام واستقر الغوط وهم اكثرهم اخذا بأسباب الحضارة فى شبه الجزيرة الايبرية بينما أنشأ الافرنج دولة بفرنسا ما لبثت ان مزقتها الخلافات الداخلية من سياسة ودينية حتى انقسمت فرنسا ليلة ظهور الاسلام الى شطرين يسودهما ملك ضعيف يقضي أيامه فى الصيد والتجول بالعربات عبر البلاد ، وكانت انجلترا التى اكتسحها الجرمان بدورها قد اصبحت مجزاة الى سبع ممالك ، كما كانت الوثنية تسيطر على جزء كبير منها ، وبوجه عام اكتسحت الشعوب الجرمانية فى دفعتين رئيسيتين مختلف مناطق هذه القارة ، وهي شعوب تمتاز بقسوتها وخشونتها مما ورثته عن الرومان ، واضافت اليه ما انطبعت عليه من قبل ، وتركت الشعوب الجرمانية أثرا بالغ الخطورة حينما حلت ، فى الميدان الاقتصادي ، فهي شعوب تعتمد اساسا على الزراعة وتربية الماشية ، اما الصناعة فقد بلغت حدا بالغا من الانحطاط ، واصبح النهب والسلب عادة فى مختلف البلاد التي حلت بها ولم يعد هناك اهتمام بالعلوم وانما بقيت علوم اللاهوت وحدها تلقن فى الاديرة والكنائس على يد الرهبان ، ولا يكاد يظهر اديب يستحق الذكر فى هذا العصر المظلم .

ومجمل القول ان اوربا بعيدة يومئذ عن ان تشكل مجموعة من الدول المنظمة بل هي مجتمعات اغلبها غير اصيل من هذه البلاد ، وانما هي عناصر دخيلة اكتسحت البلاد من آسيا أو من الامبراطورية الرومانية القديمة .

الحالة فى افريقيا :

وفى افريقيا كانت الوثنية تضرب اطنابها فى كل مكان ، فالمسيحية لم تستطع قط ان تتاصل قبل الاسلام فى مجتمعات كبيرة العدد ، وباستثناء الحبشة، فالاثر المسيحي محدود حتى فى افريقيا الشمالية .

ويجب ان نشير هنا الى النشاط العظيم الذي قام به بربر الشمال الافريقي فى اقطار كثيرة من افريقيا قبيل الاسلام وبعده فيما يخص الميدان الاقتصادي والتجاري والعمراني ، وكثير من الناس يجهلون ان سكان الشمال الافريقي كانوا فى هذا العصر الموغل فى القدم اهل تجارة وعمران ، امتد اثرهم حتى معاقل البانتو والايبور ، اتضح اثرهم فى غانا والسينغال ومالي وحوض النيجر عامة ، بل من الغريب أن نجد المسيحية تخفق كليا فى الصحراء الكبرى بينما تتغلغل المعتقدات القرطاجنية القديمة فى هذه المنطقة الشاسعة عن طريق البربر .

وليس معنى هذا ان المسيحية لم تبذل محاولات للتغلغل فى افريقيا ، فنجاحها فى الحبشة اكبر دليل على ذلك ، ولكن الاسلام وقف سدا منيعا امامها فلم تعد تطأ الارض الافريقية الا فى عصر الاستعمار الحديث اى بعد مدة لا تقل عن عشرة قرون بعد الاسلام .

المسيحية لم تحقق مبادئها :

وفى الواقع لم تستطع المسيحة ان تحقق نصرا يذكر فى القارة الافريقية لانها لا تنسجم مع عقلية شعوبها ولان الذين قامت المسيحية على ايديهم لم يضمنوا مبدأ المساواة والعدالة فى معاملة المجتمعات التي حلوا بها كسادة ، وهكذا وجدت الشعوب الواقعة شمال منطقة الغابات والتي ظلت وحدها لمدة طويلة

تحتك بالمجتمعات الخارجية ، وجدت في الاسلام كفيرها من الشعوب التي اعتنقته مخرجا من الاضطهاد والانحطاط وسبيلا الى نبذ كل سلطة رهبانية من شانها ان تتحكم في علاقة الانسان بربه .

نعم لقد كانت المسيحية ضد الطلاق وضد تعدد الزوجات لانها وجدت المجتمع الروماني وقد انهارت فيه الحياة العائلية والسلطة الابوية مما ادى الى عدم الاهتمام بتربية الابناء والسهر عليهم حتى كان ذلك من اكبر عوامل تشجيع انتشار المسيحية بين الرومان ولكنها في الواقع لم تؤد دورا تربويا كبيرا كما دلت على ذلك احداث التاريخ نفسها .

كذلك ابتليت المسيحية بما لم يبتل به دين آخر من الانقسامات والاتجاهات ، وكان التثليث في الكاثوليكية من اعظم المصائب التي حلت بالمسيحية حتى خرجت عن اصلها كدين توحيد كما كان الشان في اليهودية ثم الاسلام ، وكان المذهب الاريوسي الذي انتشر في الشرق والشمال الافريقي يصارع بشدة كل سيادة للبابا الروماني ولا يتفق مع الكاثوليكية في معتقداتها .

ومع ذلك فالمسيحية تقدس الاشخاص اكثر من اي دين سماوي آخر ، فلكل قديس عيد او موسم ، مما كان له اثره الواضح في حياة المجتمعات الاسلامية وقد احتكت بالمسيحية بطرق مختلفة ، وكان الرسول عليه السلام قد تنبأ مقدما بان المسلمين سيلجاون الى تقديس الاولياء على غرار المسيحيين وبطرق تخرج بالاسلام عن حقيقته احيانا فلم يسن الاحتفال بذكرى مولده ولم يفعل المسلمون ذلك بعده الا ببضعة قرون، وانما فعل ذلك حتى لا يصير هو نفسه موضع عبادة ويكون في ذلك عبرة لغيره .

والمسيحية مع هذا لم تهيىء معتنقيها لحياة مدنية حقيقية ، فالاناجيل تمثل مجموعة من القصص الدينية والوعظ ولا تفيد بشيء يذكر في ميدان التشريع والمعاملات . وقد تكون بعض ديانات الشرق الاقصى اغنى منها في هذا الباب ، بل حتى الديانات الفارسية التي سبقت الاشارة اليها تضبط العلاقات الاجتماعية بشكل او بآخر .

ومع كل ذلك تمكنت المسيحية من الانتشار هنا وهناك في مختلف بلاد العالم ، كما نجحت في التكثير من انصارها لانها قامت من جهة على التبشير ، ومن ناحية اخرى اتخذها اباطرة الرومان المتأخرون دينا رسميا ، ومعلوم ان معظم العالم المعروف كان تحت سيطرة الرومان وخصوصا الجهات التي يكثر بها السكان كاوربا وحوض البحر المتوسط ، واخيرا اقبل عليها الرقيق وهم يشكلون طبقة عظمى من الشعوب الخاضعة للرومان لانهم كانوا يعتقدون ان خلاصهم من اضطهاد الحكام والطبقة الارستوقراطية في اعتناقهم لهذا الدين .

اليهودية :

قامت تعاليم هذه الديانة على توحيد الله من غير تعقيد ولا اشراك وعلى الايمان بصفات معينة تجب في حقه تعالى كالقدرة والعلم والايمان بالانبياء السابقين، ومع ان هذه الديانة التي تشمل الصلاة والصوم والطهارة تتفق من كل هذه الوجوه مع الاسلام ، فقد كان للاحبار دور كبير في تشويه معالمها ، لان التوراة كتبت في زمن متاخر بعد موسى عليه السلام ، وهي تمثل في وضعها المحرف ما نسميه بالاسرائيليات من قصص الانبياء وهجرة اليهود واستيلائهم على فلسطين وما الى ذلك . ومن المعلوم ان السكان الاصليين هم الكنعانيون ، وانما كان العبرانيون غزاة طارئين يتكونون من قبائل تتناحر على السلطة والنفوذ . ومهما كان الامر ، فمجرد كون تعاليم موسى كتبت بعده عليه السلام يدعو الى الشك كثيرا في جملة مما احتوته التوراة في شكلها الحالي، وقد حرمت اليهودية الطلاق بدورها واجازت في مذهبها الرباني الزواج ببعض الاقارب المحرمين في الاسلام كالزواج بابنة الاخ والاخت .

ولم يكتب لليهودية ان تنتشر لان اصحابها لم يعملوا على نشرها ولانها في الواقع ديانة لا تستجيب لمتطلبات المجتمع البشري من حيث ضيق معتقداتها ومبادئها ، كما في الصوم وتحريم عدد من انواع الطعام والطبخ بتاتا في بعض الاعياد ، وذلك مما لا يقبله اجنبي عن هذا الدين بسهولة .

انتشار الاسلام :

واذا كانت الاوضاع الدينية والعامة كما وصفناها قبيل ظهور الاسلام فهل حقق الدين الجديد شيئا من اصلاح هذه الاوضاع ، وما مدى هذا الاصلاح في القريب والبعيد ؟ وهل سلك الاسلام حقا طريق القوة لاقناع الناس كما يزعم البعض ؟ .

الواقع اننا اذا انطلقنا من شبه جزيرة العرب نفسها نجد الاسلام قد حقق شيئا جديدا في هذه البلاد:

1) توحيد الله ونبذ عبادة الاصنام . 2) اجتماع العرب قاطبة تحت راية واحدة وحكومة موحدة ، وهذا ما لم يشهده تاريخهم من قبل ابدا ، وقد قيل ان الرسول دخل الى مكة بالقوة ، ومع قبول هذا الفرض جدلا فماذا تفعل جماعة سبق ان طردت من ديارها وحرمت من عائلاتها واموالها، ثم لم تجد سبيلا للعودة الا استعمال القوة ! ثم بعد ان دخل الرسول البلد الذي كان فيما قبل معرضا فيه للاذى والاضطهاد يعلن ان من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ومن دخل البيت الحرام فهو آمن ، ثم لا يحكم السيف الا في رقاب شخصين أو ثلاثة كانوا اشد الاعداء اذاية للمسلمين ، وفي شبه الجزيرة يوجه الرسول الدعوة الى الامراء والشيوخ عامة للدخول في الاسلام وترد عليه الجماعة افواجا وقد رات الدين يتقوى وانما يهب الرسول لمحاربة من يرفع السيف في وجهه ، لان الدفاع عن النفس والارض مشروع بل وغريزة في نفس كل بشر منذ كان .

وما يفرغ الرسول من شبه الجزيرة حتى تعاجله المنية عليه السلام فيتولى الخلفاء الراشدون تتميم مهمته في الاراضي العربية التي يحتلها الفرس والروم وياخذ الامويون بعد هذا نفس الخط فيمدون فتوحهم من مصر الى مجموع ليبيا فافريقيا فالمغرب الاوسط والاقصى وذلك كله لمطاردة البيزنطيين وتعقبهم حيثما حلوا حتى لا يعيدوا الكرة على العرب والمسلمين وقد عانوا منهم فيما سبق الشيء الكثير من الاذلال والاحتقار في الشام ، واما تتميم فتح فارس ايام الخلفاء الراشدين فيتبع نفس الاسلوب والسياسة اذ لم يكن من الممكن از لا تمتد الفتوحات الى هذه البلاد خشية ان يعيد الفرس الكرة ، ثم كان العرب مع هذا يؤدون رسالة ولا يلزموا أحدا قط بالدخول في الاسلام، فهناك التخيير كما هو معلوم بين الاسلام والجزية والحرب والعرب يفضلون الاسلام طبعا وهم قبل كل شيء حاربوا استعماريين وطهروا هذه البلاد من المعتقدات المتناقضة .

ويدخل العرب بعد هذا الى اوربا عن طريق الاندلس بعد ان كان بعض أمراء اسبانيا انفسهم هم الذين اوعزوا الى المسلمين بفتح هذه البلاد ، ويتعايش المسلمون والمسيحيون واليهود في كل الاراضي التي خضعت للعرب بشكل يدعو الى الاعجاب اكثر من اي شيء آخر وحتى اذا ارتكب القادة العسكريون العرب اخطاء فهم يتحملون وحدهم وزرها ؛ وهم في كل تصرفاتهم السيئة لا يطبقون تعاليم الاسلام الحقيقية ، وكيفما كان الامر فالمسلمون في الاندلس ابعد ما يكونون في مواقفهم النبيلة عن خطة محاكم التفتيش التي عرفتها اسبانيا المسيحية فيما بعد .

والخطأ الفادح الذي يرتكبه البعض ان يخلطوا مسألة الفتح بقضية نشر الاسلام ذلك أن فتح عدد من البلدان تم لاسباب اقتصادية وسياسية ودينية . فالفتوح في بلاد الهند مثلا اقتضتها مصلحة اقتصادية بقدر ما كان الاسلام باعثا لها ، ولكن المهم ان نشر الاسلام لم يتم بالقوة في هذه البلاد والا لاسلم كل أهلها أو معظمهم ، فاذا كان فتح عدد من مناطق الهند بالقوة فعلا فان نشر الاسلام لم يكن كذلك قط .

ولو اخذنا مثال الشمال الافريقي لوجدنا اقبال البربر على الاسلام عجيبا ، وانما أساء بعض الولاة الامويون السيرة فاثاروا بذلك من دخل في الاسلام ، وما كاد الادارسة يحلون بالمغرب حتى هرع البربر افواجا يؤيدونهم ثم كان للبربر انفسهم من صنهاجة افريقية والمغرب فضل اقرار الاسلام والمذهب المالكي في جل جهات الشمال الافريقي بعد ان كان للاغالبة والادارسة فضل مد الاسلام الى اعماق الصحراء الكبرى ، وكان للدول البربرية بعد ذلك اقرار الاسلام عن طريق الدعوة بوصفهم تجارا ثم مؤسسي دول .

غير ان الاسلام لم يستطع ان يحقق شيئا بالنسبة لاوربا لان مقاومتها كانت ضارية وهي يومئذ تتكون من شعوب معظمها جرمانية قد اعتنقت المسيحية قبل قرون ، ولكن اذا فشل الاسلام في الانتشار كعقيدة بهذه القارة فقد نجح كليا في نشر المعرفة والحضارة عن طريق الاندلس ثم بفضل الحروب الصليبية التي عاد الصليبيون منها باجماع المؤرخين بطبائع وعادات وخبرات عربية واسلامية لم يكن لهم بها عهد فيما قبل .

وفي آسيا انتشر الاسلام عن طريق التجارة بما في تلك الجزر الاندونيسية والصين وروسيا ، ولم يسبق لاية دولة اسلامية ان نظمت الدعاية للدين في بلد خارج منطقتها وبذلك تكاثر عدد المسلمين ولكنه مع ذلك ظل اقل نسبيا من عدد المسيحيين لان هؤلاء يتخذون التبشير طريقا لنشر المسيحية ، وليس صحيحا مع هذا كله ان المسيحية انتشرت بالتبشير وحده بل يصح ان نقول انها انتشرت اكثر من ذلك بالقوة ، نعم بقوة اباطرة الرومان المتاخرين حتى وان شهد

المسيحيون من قبل اضطهادا حقيقيا على يد الاباطرة الاولين ، وما يكاد يحل القرن الرابع الميلادي حتى يتولى الامبراطور قسطنطين حماية المسيحية ويضطهد الوثنية واليهودية ، وهكذا صارت المسيحية الزاما على رعايا الامبراطورية حتى ان الامبراطور تيودوز امر قبل نهاية القرن الرابع باغلاق جميع المعابد غير المسيحية، وعمد رجال الكنيسة منذ القرن الاول الى تنظيم عملية التبشير ابتداء من القديس بول الذي طاف آسيا الصغرى والشام وعمل على احداث التنظيمات الاولى للكنيسة التي اصبحت تخضع لتسلسل رهباني صارم فهناك الراهب والبطريق والقس والاسقف وما الى ذلك ، وهذا التنظيم لا يوجد له نظير في الاسلام .

ولم يستطع الاسلام ان يتغلغل الى اعماق افريقيا الا بعد قرون طويلة كما حدث في زنجبار ، وكل ذلك عن طريق التجار ومن غير اكراه. ولا يشك الان ان اغلبية سكان القارة الافريقية مسلمون ، وبذلك يكون الاسلام انتصر في هذه القارة على الوثنية والمسيحية معا ، ويمكن القول بصفة قاطعة ان الاستعمار الدولي من برتغالي واسباني وفرنسي وبريطاني ساهم بكيفية واسعة في دعم المسيحية ونشرها في جهات مختلفة من العالم ، والا لكان المسيحيون اقل عددا جدا مما هم اليوم .

الاسلام كعقيدة وحياة :

جاء الاسلام بعقيدة تتلخص في الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر واداء الاركان الخمسة المعروفة ، ثم كانت هذه العقيدة موضوع توسع وتفصيلات واتجاهات كثيرة احدثتها المذاهب المختلفة واولها كل من الفقهاء والصوفية ، كل منهم بطريقته الخاصة ، وفي الواقع كانت الاتجاهات الفلسفية في الاسلام وتناقض النزعات من عمل الشعوب غير العربية التي اعتنقت الاسلام ولقحته بافكارها اوادخلت فيه عناصر غير صالحة .

واجمع المستشرقون وسائر الذين درسوا الاسلام من غير اهله على انه لا يوجد في غير هذا الدين ما يوجد فيه ، من جمع بين الروحيات والماديات والدعوة الى العلم نظريا وتجريبيا فهو دستور سياسي واداري واجتماعي يحترم بشكل عجيب الاعراف والتقاليد المحلية التي لا ضرر فيها ، ويراعي ظروف البيئة والزمان ويسمح بتعدد الزوجات لانه نزل في ظروف كانت الشهوة المادية فيها تكاد تكون مقياسا للحضارة ، ولم يكن من الممكن ان يوقف بجرة قلم ما اعتاده الناس قرون ولنتصور ما تركه المذهب المزدكي من اثر في بلاد الفرس ، وما وصلت اليه الاوساط البيزنطية من خلاعة ، حتى اذا مرت قرون اصبح الناس فيها يقللون تلقائيا وتحت ضغط الاقتصادية والاجتماعية من استعمال هذا الحق الى ان كاد يضمحل في المجتمعات الراقية ، ولا شك ان مبدا تعدد الزوجات سينقضي العمل به حتى من غير اجراء قانون وضعي ، وبذلك تتجلى حكمة الاسلام العجيبة .

ولئن دعا الاسلام الى التمسك بالاخلاق الفاضلة وفصل الآداب التي يجب أن يتحلى بها المسلم مما لا يوجد له نظير في الكتب المقدسة المسيحية واليهودية فذلك ليخلق من المسلم انسانا اجتماعيا قبل كل شيء يعرف كيف يحسن الى الناس وكيف يعاشرهم ويواسيهم ويتعاون معهم .

ومع كل ذلك كان تأثير الاسلام في العقلية العربية خاصة تأثيرا مثاليا :

1) كانوا بسطاء في تفكيرهم وطريقة حكمهم على الاشياء ، فهداهم القرآن الى استخدام عقولهم والتدبير في احوال الكون واخذ العبرة من كل ما جرى في الحاضر والماضي .

2) كانوا يعبدون الاحجار وهي لا تضر ولا تنفع في شيء فأمرهم الاسلام بان ينبذوها نهائيا وكان صارما في ذلك حتى حرم عليهم التصوير في البداية حتى لا يتخذوا من التماثيل والصور اولياء يعبدونهم من دون الله ، وبذلك ارتفعت افكارهم وسمت عقيدتهم الى عبادة اله لا تدركه الابصار .

3) كان العرب اميين في معظمهم فاحالهم الاسلام الى جهابذة فكر وعلماء ومهندسين حتى بلغوا من درجات الحضارة في قرنين ما لم يبلغه الرومان وغيرهم في قرون طويلة .

ولقد استفادت البشرية كلها من دين الاسلام بما لا نحتاج الى اعادته في ميادين العلم والاقتصاد والحياة الاجتماعية .

وما نراه اليوم في الشباب الاوربي من اتجاهات شاذة ليس في الواقع الا نبذا لعقيدة لم يعودوا يجدون فيها مبتغاهم ولا ما يتفق مع تطور افكارهم ، ويقيننا انهم لو درسوا جملة من الاديان والمذاهب دراسة مقارنة لوجدوا في الاسلام ما يشبع رغبتهم في مجالات متعددة .

فاس — ابراهيم حركات



ـ ١ ـ

البشرية اليوم فى حاجة «ملحة» الى قيادة جديدة ، الى قائد يعيد لها الامن والاسلام ، الى الروح الملهمة التى تصنع لها النور والامل والطمأنينة، الى دين يهديها للحق والعدل، ولعزة الانسان وكرامته، ولخير العالم وسعادته .

لقد افلست الحضارات القائمة ، لانها انتهت الى ابتكار وسائل تدمير نفسها بنفسها ، وهي تفكر اليوم فى الوقت الذى تستخدم فيه هذه الوسائل المدمرة ، وتقف كتلتين متعارضتين مختلفتين فكرا وعقيدة ونظما واقتصادا ، تدبر كل منهما للاخرى اسباب الافناء وتحاول ان تضمن لنفسها وحدها اسلحة الغلبة والفوز فى المعركة القادمة . وافلست هذه الحضارات كذلك فى حل اية مشكلة من مشكلات العلم والفكر والروح : فمن جانب العلم : نجد ان ابسط مسألة من مسائله : وهي التربية مثلا ، لم تجتمع فيها المذاهب على راي ، فانقسمت الامم على نفسها افكارا متعادية متعارضة ، فى طرق التربية ونظمها ومناهجها ؛ وفقدنا فى جميع مدارس التربية الحديثة حرية الطالب وارادته ، المنافسة العلمية البناءة والبواعث الروحية الحافزة على النبوغ والتجديد والابداع ، وانحط مستوى التكوين العقلي للطالب فى جميع المستويات والمناهج ، يقول محمد اقبال : « ان نظام التعليم الحديث قد فشل فى اداء رسالته ، واخفق فى تكوين جيل جديد يحسن الانتفاع بمعلوماته ، ويحسن استعمال مادته العلمية، وثروته الثقافية ، ويضع كل شيء فى محله ، ويعيش حياة سعيدة مطمئنة ، وبالعكس من ذلك وجد جيل مثقف ثقافة عالية ، يعرف كل شيء الا نفسه ، ويسخر البخار والكهرباء والطاقة الذرية ولا يملك نفسه ، ويطير فى الهواء ويسبح فى البحار ولا يحسن أن يتمشى على الارض وما ذاك الا لان التعليم قد اختل ميزانه وفسد مزاجه » .

ومن جانب الفكر : نجد أن ابسط مسالة من مسائله، وهي الحرية، قد اختلفت فيها الامم اختلافا شديدا ، فهنالك مذهب حرية الفرد الكاملة التى انتهت الى الوجودية ، ومذهب حرية الدولة الكاملة التى انتهت الى النازية والفاشية والشيوعية ، ومذهب الحرية الوسط التى انتهت الى الراسمالية والديمقراطية، وهذه المذاهب لا يستقيم منها مذهب، ولا تهتدي من خصوماتها المستمرة الى منهج سليم .

ومن الجانب الروحي : نجد ان الحضارة الماثلة قد اسرفت فى تقديس المادة ، حتى انتهت الى مذاهب مادية قائمة ، تنادي بان المادة هي كل شيء وهي الموجهة والمبدعة للانسان والحياة ووقفنا امام الماركسية واللينينية والستالينية الالحادية ، التى تعد ارتكاسا لفطرة الانسان وخلقته ، وانهيارا كاملا لجميع مقومات الحضارة والمثل والقيم والمبادىء الشريفة .

فمن ذا الذي يقود العالم اليوم ؟

اهي الشيوعية بافلاسها والحادها وتخريفها وطغيانها وضلالها، وامانيها الكاذبة للكادحين والفقراء؟ كـلا

اهي الراسمالية باباحيتها ومجونها وعبثها وايمانها بحرية الانسان في ان يتدين او لا يتدين ؟ كـلا ..

اهي اليهودية التي استحالت الى نهب وخداع وايمان كاذب بان اليهود شعب الله المختار، وان اموال العالم وحرمات الناس حل لهم من اي وجه ، ولو كان ذلك عن طريق المؤامرات والغدر والتزييف ، او عن طريق الدسائس والمصارف المالية والقروض الدولية ، والتي جمعت كل اردية الغرور والكذب والتعالي فلبستها ، ومجدت في نفسها كل اكاذيب الادعاء والانتحال ، فنسبت الى اينشتين اليهودي نظرية النسبية ، وليس له منها الا ما سرقه من بحوث العلماء ، كبلانك ، وهان الالماني وبرجليس الفرنسي ، ثم ادعى كل ذلك لنفسه ونسبت الى ماركس كل عبقرية ، والعبقرية منه براء ، فقد سارت افكاره الهدامة بالعالم الى المادية الجدلية والى ما هو اخطر منها .. ايمكن بعد ذلك ان تقود اليهودية العالم ؟.. كـلا

ام ان الذي يمكن ان يقود العالم هو المسيحية ؟ واقول : كلا ايضا ، لان الحضارة القائمة هي حضارة مسيحية ، وفضلا عن ذلك فقد خلعت اوربا مسيحيتها ، وخلفتها وراءها ظهريا ، وسارت على نهجها كذلك دول العالم الجديد ، ولم تمنع المسيحية اوروبا الصليبية من ذبح سبعين الفا من المسلمين في بيت المقدس في شعبان من عام 492 هـ (يوليو 1099) ، وكتبوا الى البابا يهنئونه بقولهم : ثق انه في ايوان سليمان ومعبده كانت خيلنا تخوض في بحر من دماء الشرقيين (1) ولم تحل المسيحية كذلك بين اسبانيا وبين قتل وتشريد اكثر من ثلاثة ملايين من المسلمين بعد نكبة الاندلس ، وهذا تقدير الاوربيين انفسهم ، ويمكن ان تقول ان عدد القتلى والمشردين اضعاف ذلك ، وبامر رئيس الاساقفة الاسباني ءانذاك وهو «اكزيمنيس» احرق ثمانون الف مخطوط عربي (2) .

من الذي يحكم العالم اليوم ؟ اهي فلسفة القوة والاستعمار ، ام فلسفة المادية والالحاد ؟ ام فلسفة الوجودية والانحلال ام فلسفة اخرى لا نعرفها ؟ ولقد اعلنت الفلسفات المعاصرة في اوربا فشلها في علاج مشكلات الحياة ، فهي كصدفة لامعة خالية من اللؤلؤ ، لانها بمعزل عن الحياة والكفاح ، وهي لا تزيد صاحبها الا بعدا عن صميم الحياة ، لانها ليست الا حجابا للحقيقة .

قد تبهرنا الصواريخ ، وقد يؤثر على اعصابنا ما يقال عن الطاقات الذرية ، وما يشتق منها من قنابل ومدمرات ، ولكن اهذه هي الحضارة التي نريد ان تحكم العالم ؟ كـلا .. انما هي اسباب للدماره وافنائه .

ان الاحتكام الى الازرار الكهربائية التي تقذف بالحمم والصواريخ والذريات رجوع بالعالم الى شرائع الغاب ، والى ناموس القلة، وسياسة المصارعة التي بقيت ءاثارها في مصارعة الثيران الوحشية في بعض الدول المتحضرة .

لابد من قائد جديد يقود البشرية وسط الاعاصير الهوج ، والعواطف المردية ، الى شاطيء الامن والسلام ، والى القيم والمثاليات الرفيعة ، التي فقد عالمنا اليوم الايمان بها .

ولن يكون هذا القائد الا الاسلام ، ولن تنجح قيادة اخرى الا اذا كانت نابعة من فلسفته ومبادئه وقيمه العالية الحكيمة .

ونقول ذلك لا عن تعصب ولا غرور او وهما ولا سوفسطائية وحلما واملا كذابا ..

انما هو الحق والصدق ، هو الحقيقة وحدها ، وما عدا ذلك فهو كذب وزور ، واضاليل واوهام .. ان الواقع والتاريخ يؤيدان ذلك تأييدا مطلقا ، ويدلان دلالة صادقة على ان الاسلام وحده هو الدين القادر على قيادة الانسانية واسعادها ورفاهيتها ، وعلى السير بها الى ءافاق جديدة لم تبلغها من قبل

(1) 93 موكب الحرية في مصر الاسلامية ، ويقدر غوستاف لوبون عدد القتلى بستين الفا (326، 327 حضارة العرب ـ ط القاهرة 1956) .
(2) 274 حضارة العرب .

ولا اليوم ، يقول اقبال : ان الحضارة الغربية قد مثلت دورها ، ونشرت كنانتها ، وقد شاخت وهرمت ، اينعت كالفاكهة وحان قطافها وان العالم الذى حوله مغامرو الغرب الى حانة الفساد سوف ينهار قريبا ، ولقد رات اوربا بعينها النتائج المخيفة لمثلها الاقتصادية والاخلاقية والعالمية ، ولكن وا اسفاه ، ولسوف تتمخض الانسانية عن عالم جديد ، وهذا العالم الجديد لا يحسن تصميمه الا من بنى للبشرية البيت الحرام . وورث ابراهيم ومحمدا — صلى الله عليه وسلم — قيادة العالم .

فللاسلام من تاريخه الحضاري العظيم ، وله من ماضيه الخالد فى قيادة العالم وتوجيهه ، وله من مبادئه وقيمه ومثله وفلسفته ، له من كل ذلك براهين قوية لا تقبل الشك فيها ، على انه هو القائد والرائد المنتظر للعالم ، وعلى انه لن يصلح غيره فى تهذيب الحياة وتوجيهها ، وفى بناء الحضارة ودعم صروحها .

ولابدأ بتاريخ الاسلام الحضاري ، ثم اعرض لماضيه فى قيادة العالم ، ثم ارجع لمثاليه الاسلام وفلسفته .

— 2 —

ان تاريخ الاسلام الحضاري لا يمكن ان يكون محل شك من احد ، انه واضح وضوح الشمس فى ربعان النهار ، انه حق كما ان الاسلام الذى قام عليه حق .

ولقد بهر تاريخ الاسلام الحضاري العلماء والباحثين والمفكرين فى اوربا ، واخذوا — على الرغم من تعصبهم الديني ، ومحاولتهم تزييف الحقائق والتاريخ — يمجدون حضارة المسلمين وينوهون بها: ويثنون عليها ، ويعلون من منزلتها بين الحضارات ، الى حد يثير الاعجاب ، ويدعو الى الفخر ، ويبعث على الكبرياء .

لقد صاح «بتراك» الشاعر الايطالي من القرن الرابع عشر الميلادي (1334 — 1374 م) ، حين رأى تفوق العرب فى الميدان الحضاري والثقافي ، وعجز اوربا عن اللحاق بهم فى هذا المضمار قائلا : « يا عجبا !! لقد استطاع شيشرون ان يكون خطيبا بعد ديموستين ، واستطاع فيرجيل (19 ق م) أن يكون شاعرا بعد هوميروس ، فهل قدر علينا الا نؤلف بعد العرب ؟ لقد تساوينا نحن والاغريق وجميع الشعوب غالبا ، وسبقناها احيانا ، الا العرب فيما لعبقرية إيطاليا النائمة الخامدة » .

ووقف فيكتور هوجو الشاعر الفرنسي الكبير فى القرن التاسع عشر الميلادي امام حضارة العرب فى الاندلس ، ممثلة فى قصر الحمراء ، مبهورا ماخوذا ، ويدخل القصر ، فتمتليء نفسه بروعته ، وجلاله وينشد قائلا: «ايتها الحمراء ايتها الحمراء ايها القصر الذي زينتك الملائكه كما شاء الخيال وجعلتك اية الانسجام ، ايتها القلعة ذات الشرف المزخرفة بنقوش كالزهور والاغصان ، والمائلة الى الانهزام ، حينما تنعكس اشعه القمر الفضية على جدرك من خلال قناطرك العربية ، يسمع لك فى صوت يسحر الالباب » وهذا القصر الذى ملات روعته نفس الشاعر الفرنسي لم يشاهده « هوجو » على الطبيعة ، انما شاهده ، وجدره المزخرفة ، ونقوشه النادرة ، قد غطيت بطبقة سميكة من الكلس ، بعد خروج العرب من الاندلس ، وذلك بايدي الاسبان الملوثة بدماء العرب وحضارة الاسلام فى بلادهم ، يقول غوستاف لوبون: « كل ما فى قصر الحمراء عجيب وان المرء ليملكه العجب من جدرانه المزينة بالنقوش العربية الانيقة ، وقبابه ذات الزخارف الساحرة المتدلية ، المطلية فيما مضى باللازورد والارجوان والابريز ، ولقد قص جميع رجال الفن ، الذين زاروا قصر الحمراء العجيب ، والالم ملء قلوبهم ، ما لا يكاد العقل يصدقه ، من انباء التخريب الفظيع ، الذى احدثه الاسبان فيه ، حتى لقد عدته جميع الحكومات الاسبانية مجموعة من الخرائب القديمة ، التى لا تنفع لغير الاستفادة من موادها ، فبيعت الواح الميناء التى كانت تزين ردهات الحمراء لصنع الملاط ، وبيع باب مسجدها البرونزي كنحاس عتيق ، وحرقت منها ابواب ردهة بني سراج الخشبة الانيقة كما يحرق الحطب ، ثم اتخذ من ردهاتها الجميلة سجونا للمجرمين ، ومخازن للميرة ، بعد ان بيع ما امكن نزعه منا ، واراد الاسبان تطهير جدران الحمراء المزينة بالنقوش العربية الجميلة ، فكسوها بطبقات من الكلس ، وقيل للاسبان غير مرة : انهم يملكون بهذا القصر احدى عجائب الدنيا التى تجلب اليهم المسلمين من كل جانب ، فازيل شيء من الكلس الذى سترت به تلك النقوش العربية» .. هذا هو ما يقوله اوربي فرنسي عن اثر واحد من آثار حضارة الاسلام فى الاندلس ، ويستمر فى كلامه فيقول : واين غرناطة

اليوم الكئيبة القذرة من غرناطة الامس الجميلة المتحضرة ؟

وعندما وقف محمد اقبال فى مسجد قرطبة العظيم عام 1931 ، صلى فيه لاول مرة فى التاريخ بعد جلاء المسلمين ، وذرف على تربته دموعا غزارا ، وتذكر العرب السامين الذين حكموا هذا الارض ثمانية قرون ، واستنشق فى جوه وهوائه اريج حضارتهم ، وشعر كان هذا المسجد العظيم يشكو اليه حرمانه من سجود المؤمنين وكان جو قرطبة يشكو اليه اقفاره من الاذان الاسلامي ، وظماه اليه ، فنظم فى ذلك قصيدة من ابدع قصائده ..

ويقول غوستاف لوبون فى كتابه « حضارة العرب » مبهورا بعظمة الحضارة الاسلامية ، وبماضي العرب الحضاري : الحق ان اتباع محمد ظلوا اشد من عرفتهم اوربا من الاعداء ارهابا عدة قرون ، وعندما كانوا لا يرعدوننا باسلحتهم ، كانوا يذلوننا بافضلية حضارتهم العربية الساحقة ، ونحن لم نتحرر من نفوذهم الا بالامس .

ويقول مسيو ليبري : لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتاخرت نهضة اوربا عدة قرون .

لقد كان العرب اذا ما استولوا على مدينة ، صرفوا جهدهم الى انشاء مسجد ، واقامة مدرسة فيها ، واذا ما كانت تلك المدينة كبيرة اسسوا فيها مدارس كثيرة ، ومنها المدارس العشرون التى روى بنيامين التطيلي (1173 م) انه شاهدها فى الاسكندرية ، وهذا عدا اشتمال المدن الكبرى كبغداد والقاهرة وقرطبة وطليطلة على جامعات مشتملة على مختبرات ومراصد ومكتبات غنية، وعلى كل ما يساعد على البحث العلمي .

ويصف المؤرخ العربي الكبير ابو الفداء فى تاريخه عظمة الخلافة العباسية وحضارتها ، التى بهر منها سفراء قيصر الروم عام 305 هـ ، حين اقام الخليفة المقتدر بالله لهم حفلة استقبال فى قصره ببغداد ، يقول ابو الفداء : قدم رسل ملك الروم الى بغداد ، فلما استحضروا عبئت لهم العساكر وصفت الدار بالاسلحة وانواع الزينة ، وكان العسكر المصفوفون حينئذ مائة الف وستين الفا ، ما بين راكب وواقف ، ووقف الغلمان ذوو الزينة الباهرة والمناطق المحلاة ، ووقف الخدام بذلك ، وكانوا سبعة ءالاف ، اربعة ءالاف خادم ابيض ، وثلاثة ءالاف خادم اسود ، ووقف الحجاب كذلك وهم حينئذ سبعمائة حاجب ، والقيت المراكب والزوارق فى دجلة باعظم زينة ، وزينت دار الخلافة ، فكانت الستور المعلقة عليها ثمانية وثلاثين الف ستر ، منها اثنى عشر الفا وخمسمائة ستر من الديباج المذهب ، وكانت البسط اثنين وعشرين الفا ، وكان هناك مائة سبع من مائة سباع ، وكان من جملة الزينة شجرة من ذهب وفضة، وشاهد الرسل من العظمة ما يطول شرحه ، واحضروا بين يدي المقتدر وصار الوزير يبلغ كلامهم الى الخليفة ، ويرد الجواب عن الخليفة ..

ولقد سيطرت الحضارة العربية منذ اثني عشر قرنا على الاقطار الممتدة من شواطيء المحيط الاطلنطي الى المحيط الهندي ، ومن شواطيء البحر المتوسط الى رمال افريقيا الداخلية ، وكان سكان هذه البلدان المترامية الاطراف تابعين لدولة واحدة ، ويدينون بديانة واحدة ، ولهم لغة واحدة ونظم واحدة وفنون واحدة ، وكان تاثير لغة واحدة عظيما فى الغرب ، وهو فى الشرق اشد واقوى ، فلم يتفق لامة ما اتفق من العرب من النفوذ ، وانه لفرق كبير بين بناء الدولة وبين تاسيس حضارة ، ولقد انشأ العرب بسرعة حضارة جديدة لهم فابدعوا من فورهم حضارة افضل من جميع الحضارات التى كانت قبلهم ..

واذا قرانا ما كتبه الغربيون عن «تاج محل» الاثر الاسلامي العظيم فى الهند (1041 هـ — 1631م) راعنا وصفهم له ، يقول باحث اوربي ان كل ما يمكن ان يجود به الفن من الكمال صبه فى تاج محل الساحر الذى بناه شاهجهان ليكون ضريحا لزوجه ، ويعد من عجائب الدنيا ، وهو من المباني الاسلامية النادرة التى افلتت من ايدى التخريب الانجليزية المنظمة ، وكان الحاكم الانجليزي لورد بنتنك قد اقترح هدمه وان تنزع منه فضته ، وتباع قطعة فى الاسواق ، ولقد هدم الانجليز اثرا رائعا من ءاثار الحضارة الاسلامية فى الهند ، هو قصر المغول فى دهلي ويسمى قلعة شاهجهان ، الذى شيده شاهجهان المسلم عام 1058 هـ — 1648 م ، وكان من اجمل القصور الاسلامية فى بلاد الهند وفارس ، فهدموا جميع اجزائه ، واقاموا فى مكانها ثكنات ، ولم يبقوا منه الا على بعض الردهات التى شنوا على زخارفها وحلاها بالتجديد عند تحويلها الى اصطبلات ومراقد للجنود ، فطلوها بالجبس ، مما اثار سخط العالم بسبب مثل هذا العمل الهمجي ، الذى تحمر

منه وجوه البرابرة خجلا ، وعظمة الآثار الاسلامية في دهلي معروفة ، حتى لكان سحرة الف ليلة وليلة لا تستطيع ان تبدع ما هو اروع منها .. وحين استولى المغول على بغداد عام 656 هـ ـ 1258 م خربوها تماما ، وقضوا على آثار الحضارة العربية فيها ، ونهبوا كل ما فيها من الاموال بامر هولاكو التتري ودمروا كل ما وصل الى ايديهم والقوا في نهر دجلة بجميع ما وصلت اليه ايديهم من مخطوطات نفيسة كانت ثروة علمية وحضارية فريدة ، في مكتبات بغداد العامة ، وتألف من هذه الكتب الملقاة في دجلة جسر كان يمكن للناس أن يعبروا عليه رجالا وركبانا ، واصبح ماء دجلة أسود من موادها ، وكان اولئك الوحوش الضارية عادوا فخضعوا لسلطان حضارة المغلوبين ، ففي المدرسة العربية تمدن المغول ، واعتنقوا الاسلام وحضارته ، واقاموا بعد ذلك في الهند دولة عربية قوية .

وقد اذاع بعض الاوربيين ان العرب احرقوا مكتبة الاسكندرية القديمة بامر عمر بن الخطاب ، ولكن المحققين من الباحثين من عرب ومستشرقين وفي مقدمتهم بتلر نفوا ذلك نفيا قاطعا ، وكذلك نفى هذه الخرافة جيبون وغوستاف لون في كتابه حضارة العرب ، وتاريخ العرب الفكري والثقافي والحضاري ينفي عنهم ذلك ، فقد كانوا منذ نشأ الاسلام حمال الثقافة ورسل العلم ورواد المعرفة ، والمشجعين على البحث العلمي في كل مكان حلوا فيه، والصحيح أن جزءا من المكتبة احرقه يوليوس قيصر، على انه ليس مستبعدا أن تكون روما هي التي اغتصبت من هذه المكتبة اثمن كتبها ، كما انه من الصعب أن تقول ان المكتبة لم تصب بأذى في عهده وفي عام 391 م اصدر الامبراطور الروماني امرا بالقضاء على عبادة الاوثان في الاسكندرية ، ومن العسير ان نصدق انه كان بالاسكندرية مكتبة كبيرة بعد اواخر القرن الرابع الميلادي .

لقد بلغ المسلمون قمة مجدهم الحضاري في ظلال الرشيد وابنه المأمون في بغداد والناصر وابنه الحكم في قرطبة، والمعز وابنه العزيز الفاطمي في القاهرة، وءاثار المسلمين الحضارية في الهند وفارس والعراق ودمشق ، وفي كل مكان نزلوه ، لا تزال على الرغم من قدم العهد بها ، وعدم العناية بتجديدها ، ملء السمع والبصر .. ولفلاسفة الاسلام من مثل الكندي (253 هـ) والفارابي (339 هـ) ، وابن سينا (428 هـ)، وابن رشد (595 هـ) وابن طفيل (581 هـ) وغيرهم ، لهم مكانتهم الرفيعة في الفكر الانساني ، واشتهر من العلماء المسلمين ابن الهيثم (355 ـ 430 هـ) الذي يصفه البيهقي بالحكيم ، ويعده بطليموس الثاني ، ويصفه مستشرق بانه أعظم الرياضيين والطبيعيين في العصور الوسطى ، ويقول عنه مصطفى نظيف العالم المصري ، انه انشأ علم الضوء الحديث كما هو الآن ، ويعده رضا مدور في مرتبة انشتاين .. ومن العلماء كذلك جابر بن حيان والرازي وغيرهم ، وقد نقل كتاب جابر بن حيان (الاستتمام) الذي هو من اهم كتبه الى اللغة الفرنسية عام 1672 ، فدل هذا على نفوذه العلمي في أوربا مدة طويلة .

ولقد سبق العرب بيكون الى التجربة ، وكانوا حائزين لذا المنهج التجريبي المجدي ، الذي استعان به علماء القرون الحديثة بعد زمن طويل للوصول الى اروع الكشوف ، وهو المنهج العلمي الحديث السائد الآن في جامعات أوربا ، وكان الغزالي وابن رشد وابن حزم اساتذة لبيكون في هذا المضمار .. ويقول «بريفليف» العلامة في كتابه البحث «العلمي» ان محاولة اسناد الطريقة لغير العرب ليست الا تصحيفا في فهم المصدر الحقيقي للحضارة الاوربية ولا يوجد جانب واحد في الحضارة الاوربية دون ان تكون ثقافة المسلمين واضحة فيه ، وقد وصل العرب عن طريق منهجهم العلمي التجريبي الى كشوف مهمة ، وانجزوا في ثلاثة قرون من الاكتشافات ما يزيد كثيرا على ما حققه الاغريق وغيرهم في اطول بكثير من ذلك الزمن . ومنح اعتماد العرب على التجربة مؤلفاتهم دقة وابداعا ، ووصلوا الى اختراع البارود ، والمدفع والى اشياء كثيرة في كل علم وفن .

وكان تأثير العرب وحضارتهم في الغرب عظيما جليلا حتى ليقول غوستاف لوبون : ان اوربا مدينة للعرب بحضارتنا ، وقد ظلت كتب العرب المترجمة الى اللغات الاوربية ، ولاسيما الكتب العلمية مصدرا وحيدا تقريبا للتدريس في جامعات أوربا خمسة او ستة قرون ، ويمكننا ان نقول : ان تأثير العرب في بعض العلوم ـ كعلم الطب مثلا ـ دام الى ايامنا ، فقد شرحت كتب ابن سينا في مونبيليه في اواخر القرن التاسع عشر، وكان ابن رشد الحجة البالغة للفلسفة في الجامعات الاوربية من اوائل القرن الثالث عشر الميلادي ، ولما حاول لويس الحادي عشر تنظيم امور التعليم في فرنسا عام 1473 م امر بتدريس مذهب هذا الفيلسوف العربي المسلم ، ولم يكن نفوذ العرب في جامعات ايطاليا بأقل منه في فرنسا ، فقد كان للعرب فيها شأن

كالذي كان للاغريق واللاتين بعد عصر النهضة ، واقتبس الغرب اصول فن عمارته من العرب ، واستخدم الفرنسيون مهندسين معماريين من العرب في انشاء كنيسة نوتردام البارية ، وهكذا كان المسلمون اساتذة للغرب فى الفنون والاداب وفى الفلسفة والرياضيات والفلك والطب والفيزياء والميكانيك وفى العلوم الطبيعية والصناعية ، وفى الاخلاق ، بل لم يتخلص النصارى من همجيتهم الا بفضل اتصالهم بالعرب واقتباسهم منهم مبادىء فروسيتهم وما تؤدي اليه هذه المبادىء من التزامات كما يقولون، فالعرب هم الذين فتحوا لاوربا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والفلسفية والادبية ، فكانوا ممدين للغرب وائمة له فى ستة قرون .. وعن طريق العرب فى اسبانيا وصقلية وجنوى ايطاليا اهتدى الغرب الى تراث الاغريق ، واكتشف ماضيه فاخذ ينقب عنه ..

وقد كان ملوك النورمان فى صقلية بعد ان اسقطوا الحكم الاسلامي فيها يحترمون العرب فى هذه الجزيرة ، ويبسطون عليهم حمايتهم ، ويمنعون عنهم الاضطهاد بسبب امامة العرب فى الفنون والعلوم والصناعات ، حتى كان الرهبان فى الجزيرة يعجبون بحذق العرب ويعزون اكتشافاتهم الى السحر .

ولما زار الشاعر اقبال جزيرة صقلية سكب دموعه على اطلالها العربية، وقال قصيدة افتتحها ببيت يقول فيه : « ابك ايها الرجل دما ، لا دمعا ، فهذا هو مدفن الحضارة العربية » . وزار الامام محمد عبده ايضا الجزيرة ، وشاهد حضارة العرب فيها ، ووصف مقبرة مسينا المشهورة فيها .

ـ 3 ـ

وعندما نتحدث عن ماضي الاسلام فى قيادة العالم ، لا نتحدث الا عن واقع معروف ، وعن تاريخ مسطور ، ولا يمكن ان يتهمنا فى ذلك احد بالغلو او بالخيال .

فى مكة المكرمة ، وبعد البعثة المحمديه ، ومن فوق جبل ابي قبيس منذ نحو اربعة عشر قرنا ، ردد الكون صيحة البعث ، ونداء الحياة ، واذان الفجر ، ونشيد الحرية ووقف محمد بن عبد الله صلوات الله عليه يخطب قريشا : ان الرائد لا يكذب اهله ، والله لو اكذبت الناس ما كذبتكم ، ولو غررت الناس ما غررتكم ، والله الذى لا اله الا هو ، اني لرسول الله اليكم حقا ، والى الناس كافة .

ولما لجوا فى العناد والكفر ، وقف فيهم خطيبا يقول : ما جئت بما جئتكم به اطلب اموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني اليكم رسولا ، وانزل علي كتابا ، وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربي ، فان تقبلوا فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وان تردوا علي ، اصبر حتى يحكم الله بيني وبينكم وهو خير الحاكمين .

وخرج الى سوق عكاظ فوقف فى العامريين يقول لهم : اني رسول الله اليكم والى الناس كافة ، وذهب الى الطائف يبلغ ثقيفا دعوة الله والحق والهدى والنور ، ووقف على حجاج بيت الله فى كل موسم يدعوهم الى الاسلام ، ومشى معه ابو بكر وعلي ، حتى انتهى الى مجلس عليه السكينة والوقار ، واذا مشايخ من شيبان لهم اقدار وهيئات فجلس وجلس علي ، وقام ابو بكر يظلل رسول الله بثوبه فقال لهم صلى الله عليه وسلم : ادعوكم الى شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واني رسول الله ، وان تؤووني وتنصروني ، حتى اؤدي عن الله الذا امرني به ، فان قريشا قد تظاهرت على امر الله ، وكذبت رسوله ، واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد .

ولم يترك الرسول مكانا ولا قوما ولا جمعا الا قصدهم يبلغهم رسالة ربه ، وكذبوه واذوه هو ومن اتبعه ، وانتهى الامر بعد نضال مرير دام ثلاثة عشر عاما بالهجرة من مكة الى المدينة ، وخرج رسول الله ومعه ابو بكر من مكة فى اليوم الرابع من شهر ربيع الاول (20 من يونيو 622 م) قاصدين المدينة ، وتبعتهما قريش ، وخرجت فى اثرهما باحثة عنهما جماعات ، ثم عادوا الا سراقة بن مالك الكناني — . ولما راى سراقة ما راى من تاييد الله لرسوله هتف قائلا : انظروني اكلمكم فوالله لا أريبكم بشيء ولا ياتيكم مني شيء تكرهونه ، انا سراقة ، ووقف رسول الله وصاحبه واخذ يتحدث اليهما ، وعرض عليهما الزاد والمتاع فلم ياخذا منه شيئا ، وقال له : اكتم عن الناس خبرنا ، ويلتفت الرسول الاعظم الى سراقة قائلا : كيف بك اذا لبست سواري كسرى وتاجه ومنطقته ؟ ثم يسكت ويسكت سراقة متعجبا مشدوها متحيرا مما يسمع ويرى . ووصل ركب رسول الله الى المدينة . فى الثاني عشر من ربيع الاول (28 يونيو 622 م) ، فاستقبل فيها استقبال

الابطال الفاتحين ، وفي اول جمعة للنبي صلوات الله عليه بالمدينة ، خطب المسلمين : أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمدا عبده ورسوله ، ارسله بالهدى والنور والموعظة، وقد علمكم الله كتابه، وانهج لكم سبيله ، فاحسنوا كما احسن الله اليكم ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، هو اجتباكم وسماكم المسلمين ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة ، » وآخى رسول الله بين الانصار والمهاجرين ، واسس المسجد النبوي في المدينة مكانا للعبادة وجامعة اسلامية كبرى تنشر العلم والمعرفة والدين في العالم كافة .. وتمضي الايام ، وينتصر الاسلام ، ويفتح مكة ، ويقف رسول الله خطيبا في الناس يردد : لا اله الا الله وحده ، لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الاحزاب وحده.

وبعد قليل استقبل الرسول الاعظم في المدينة وفود العرب ، وجاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله افواجا .

ولم يقف رسول الله ساكنا ولا طالبا للراحة ، بل كتب كتبه ، وبعث برسائله الى امراء العرب كافة، والى اقوى ملوك الارض عامة ، يدعوهم فيها الى الاسلام ، لان رسالته صلى الله عليه وسلم عامة ، وهي خاتمة الرسالات ، ولا يكتب لاحد النجاة الا اذا آمن بها : كتب الى هرقل امبراطور الدولة الرومانية الشرقية : اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين ، وكتب الى كسرى امبراطور فارس : « ادعوك بدعاية الاسلام، فاني انا رسول الى الناس كافة ، لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، ووصلت هذه الرسالة الجليلة الى كسرى حين كان السفراء يوقعون معاهدة السلام بين كسرى وهرقل ، وعندما القى كتاب محمد بين يدي كسرى، ورأى فيه اسم محمد قبل اسمه ، وهو ملك الملوك ، غضب ، ومزق الكتاب ، وقال : يكاتبني بهذا وهو عبدي ، ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال: مزق الله ملكه كما مزق كتابي، وكتب كسرى لعامله باليمن : ان ابعث الى هذا الرجل الذي يزعم في الحجاز بانه نبي ، ولكن ابن كسرى ثار على أبيه وقتله ، قبل أن ينفذ عامله على اليمن ما كلفه به عامل فارس ، وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك الى النجاشي : اني ادعوك الى الله وحده لا شريك له ، وان تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فاني رسول الله ، اني ادعوك وجنودك الى الله عز وجل ، وكتب الى المقوقس ملك مصر يدعوه الى الله وتوحيده والى رسالة الاسلام الحقة ، ويقول له: سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام ، اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فعليك اثم كل القبط .

وهكذا ، وفي احرج الازمات بلغ محمد صلى الله عليه وسلم رسالة الله الى الناس كافة ، ودعا المشركين واهل الكتاب الى الايمان بالاسلام والقرءان .. وقبل وفاته خطب المسلمين في ايام التشريق خطبة الوداع المشهورة ، وفيها يقول : ان الشيطان قد يئس ان يعبده المصلون ، ولكن في التحريش بينكم .

ومات رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وتولى بعده امور المسلمين ابو بكر ثم عمر ، وهزم الروم في اليرموك هزيمة ساحقة (13 هـ ـ 634 م)، وتوالت هزائمهم ، فصاروا يرتعدون خوفا حينما يذكر الاسلام وخليفة المسلمين عمر ، وفتحت القدس ، وامن الخليفة عمر الناس على أموالهم ودينهم ، وكذلك فتحت مدن الشام ، وطرد منها الروم . وفي عنف المعركة اسر الروم قائدا عربيا، فبعث عمر بن الخطاب الى هرقل في سوريا يطالبه باطلاق القائد العربي ، ويقول له :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله ، من عبد الله عمر بن الخطاب الى هرقل ملك الروم ، اطلقوا الاسير المسلم ، عبد الله بن حذافة ، حين وصول كتابي هذا اليكم ، فان فعلتم رجوت الله ان يهديكم الصراط المستقيم ، وان لم تفعلوا ، فانني أبعث اليكم رجالا لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن الجهاد في سبيل الله » .. وارتد هرقل خوفا حين قرا الكتاب ، واطلق سراح الاسير ، وبعث معه هدية ثمينة الى عمر .. وفقد الروم السيادة على الشام ، واكره قيصر على مغادرة سوريا الى الابد بعد ان حكمها اسلافه سبعة قرون ، غادرها والدموع في عينيه ، وهو يقول : سلام عليك يا سوريا سلاما لا لقاء بعده .

وجاءت معركة القادسية (13 هـ ـ 635 م) . وهزم فيها الفرس ، وقتل قائد الجيش الفارسي رستم فيها ، واستولى المسلمون على العلم الفارسي الاكبر ثم سقطت المدائن عاصمة الفرس ، وتوالت هزائم كسرا في كل مكان ، واسر الهرمزان ، وارسل الى المدينة ، ولبس كسوة من الديباج المذهب ولبس

تاجه المكلل بالياقوت ، ليراه عمر والمسلمون ، وبحثوا عن الخليفة عمر فوجدوه ودرته في يده ، وليس بجواره حرس ولا حجاب ولا كتاب، فصاح الهرمزان: ينبغي ان يكون هذا نبيا ، فرد عليه المسلمون : انه ليس بنبي بل يعمل بعمل الانبياء ، واستيقظ عمر فاستوى جالسا ، ثم نظر الى الهرمزان ، وقال : الحمد لله الذى اذل بالاسلام اعداءه ، وأمر بنزع ما عليه ، فنزع ولبس ثوبا ، فقال له عمر : يا هرمزان كيف رايت عاقبة الغدر وعاقبة امر الله ، قال : انما غلبتمونا بالاسلام ، وكان المغيرة بن شعبة هو الذى يترجم بينه وبين عمر ، وكان يعرف الفارسية ، واسلم الهرمزان ، ولكنه لم ينس وطنه فدبر مؤامرة اغتيال عمر ابي لؤلؤة الفارسي فيما بعد .

واستمرت الفتوحات ، ودارت معركة «نهاوند» عام 21 هـ ـ 643 م وهزم فيها كسرى ، وسحق الجيش الفارسي وجمع يزدجرد امواله وخزائنه فرارا لان يذهب بها الى ملك الصين او خاقان ملك الترك ، فقال له وجوه قومه : ان هذا راي سوء ، ارجع بنا الى المسلمين فنصالحهم ، فانهم اوفياء واهل دين ، فابى عليهم ذلك ، فقالوا له : دع خزائننا نردها الى بلادنا ، فاخذوها منه عنوة ، وانهزم يزدجرد ، وظل يكتب الى شعبه يحرضهم على الثورة ، حتى قتله عام 31 هـ ـ 652 م جماعة من الترك طمعا في الاستيلاء على ملابسه الفاخرة ، وفي اثناء فتح فارس شاهد المسلمون فرسا محملا بذخائر كسرى : حليته ووشاحه ودرعه المحلاة بالجواهر ، فاخذوها ثم شاهدوا فرسين آخرين يحملان حقائب كسرى وفيها تاجه وثيابه المصنوعة من الديباج المنسوجة بالذهب المنظوم بالجوهر فاخذوها ، كما استولوا على درع كسرى ومعها درع هرقل ودرع ملك الهند ودرع خاقان ملك الترك وقسمت الغنائم بين المسلمين ، وحمل تاج كسرى وجواهره الى عمر في المدينة ولما شاهدها قال : ان قوما ادوا هذا لذووا امانة فقال له : علي : عففت فعفت الرعية ، ودعا عمر سراقة الكناني ، فدخل عليه ، واستدناه منه ، والبسه سواري كسرى ومنطقته وتاجه ، وقال له : ارفع يديك وقل ، الله اكبر ، الحمد لله الذى سلب السوارين كسرى بن هرمز الذى كان يقول انا رب الناس، والبسهما سراقة رجلا اعرابيا من مدلج ، ورفع عمر صوته ينادي الناس ، ثم اركب سراقة وطيف به في المدينة والناس من حوله يحتفون بسراقة ، ويحتفلون بهزيمة كسرى، ويتعجبون لمعجزة نبوية رفيعة ، ويصدقون كلام رسول الله حين قال وهو مهاجر لسراقة : كيف بك يا سراقة اذا لبست سواري كسرى ومنطقته وتاجه ؟ ويمضي الموكب في المدينة جليلا رائعا خالدا تشهده الانسانية ، وهي تبتسم ابتسام الجد والفرح بسقوط معقل حصين من معاقل الوثنية والطغيان وبسطوع شمس الرسالة المحمدية في كل الآفاق .. حدث ذلك كله مع ان العرب كانوا يجهلون فن الحرب وتنظيم الجيوش جهلا تاما ، وعلى العكس الفرس والروم اللذان كانت معرفتهما بفن الحرب عظيمة جدا ودخلت فارس في الاسلام وظلت حتى اليوم مرتبطة بالاسلام . تاثرت بدين العرب ونظمهم ، وشاعت العربية بينهم ، واسس العرب : البصرة والكوفة ، ثم بغداد (145 هـ ـ 763 م) التى صارت اعظم معقل اسلامي من معاقل الحضارة والمدنية .

وفتح العرب مصر والشمال الافريقي والاندلس واسست مدينة الفسطاط عام 21 هـ ـ 641 م فصارت عاصمة مصر الاسلامية بعد الاسكندرية، وبنى عمرو في الفسطاط جامعه الكبير الذى صار جامعة كبرى بعد قليل ، وصار الفسطاط عاصمة مصر الادبية والثقافية والفكرية وفيها من المدارس وحلقات العلم ما لا يحصى كثره ، وكان جامع عمرو مثابة للعلماء ومباءة للتدريس وعلوم الاسلام من عهد الصحابة والتابعين ويتصدر حلقاته امثال : الليث بن سعد ، والشافعي والبويطي وسواهم ، وكانت مكتبة هذه المدينة حافلة بمئات الالوف من الكتب الاسلامية المخطوطة ، وفي جامع عمرو درس ابو تمام الشاعر العربي الكبير، وكان المتنبي حلقة ادبية فيه .. وبتاثير الحضارة الاسلامية في مصر نمت الفنون وازدهرت الآداب ، ولم يكن العرب حين فتحوها كما يقول غوستاف لوبون من رجال الفن المتضلعين ولكن ما فطروا عليه من الذوق الفني العالي حفزهم الى ابتداع طراز عمارة جديدة من عناصر الفن البيزنطي، بعكس الترك الذين لم يكونوا اهلا للانتفاع بمواهب اساتذة الفن ، والذين لم يروا ـ حين ارادوا بعد فتح القاهرة انشاء جامع فيها غير نسخ عمارة ايا صوفيا الثقيلة التى كانت كنيسة بيزنطية ، والتى هي عنوان مرحلة فنية جاوزها العرب منذ زمن طويل فعند تلك المرحلة ، وقف الترك ولم يستطيعوا قطعها .

واسس عقبة بن نافع مدينة القيروان ومسجدها الكبير عام 50 هـ ـ 675 م ، وسار حتى وصل المحيط الاطلنطي وخاض بفرسه وهو يقول : والله لو

اعلم ان وراء هذا البحر بلادا اخرى لخضته اليها فى سبيل الله ، وانشا المسلمون كذلك مدينتي تونس وفاس ، واصبحت فاس بعد قليل عاصمة كبيرة من عواصم الاسلام ، وصارت تنافس بغداد ازدهارا ومدنية ، وغزا العرب جزر البحر الابيض كلها ، ونشروا فيها الاسلام واللغة العربية ، وبعد ان فتح موسى بن نصير اسبانيا فكر فى العودة الى دمشق من بلاد فرنسا والمانيا ، وفى الاستيلاء على بيزنطة (القسطنطينية) ، وفى اخضاع العالم القديم للاسلام والقرءان ، ولكن لم يعقه عن هذا العمل العظيم سوى امر الخليفة له بأن يعود الى دمشق ، ولو وفق موسى بن نصير الى ذلك لجعل اوربا مسلمة ولحقق للامم المتمدة وحدتها الدينية ، ولا نقذ اوربا من دور القرون الوسطى الذى لم تعرفه اسبانيا بفضل العرب .

وصارت قرطبة عاصمة الاندلس فى ظلال الحكم الاسلامي تعادل اكبر عواصم دول اوربا العظمى الحديثة ويسكنها مليون من الانفس ، فأين منها اليوم قرطبة التى اصبحت مدينة التاخر ، وليس بها سوى نحو خمسين الف نسمة وجعل المسلمون اسبانيا ماديا وثقافيا وحضاريا على راس الممالك الاوربية ، وقد وضع اول ملك من ملوك بني عباد فى اشبيلية فى القرن الخامس الهجري لشعبه حكومة نيابية على احدث النظم العالمية الحديثة ؛ وعلم المسلمون فى الاندلس الشعوب النصرانية التسامح الذي هو اثمن صفات الانسان ، وسمحوا للاساقفة بعقد مؤتمراتهم الدينية كمؤتمر اشبيلية المسيحي (165 هـ — 782 م) ، ومؤتمر قرطبة المسيحي (337 هـ — 852 م) وسمحوا كذلك للنصارى ببناء الكنائس فى المدن الاسبانية .. واين هذا مما حدث للعرب بعد نكبة الاندلس (897 هـ — 1492 م) حيث قتل وشرد الاسبان المسيحيون المتعصبون اكثر من ثلاثة ملايين عربي على الاقل ، فخبت الى الابد شعلة الحضارة التى كانت تنير من عواصم الاندلس الاسلامية اوربا كلها طيلة ثمانية قرون ، وعمد الاسبان الى الآثار الاسلامية الرائعة فهدموها او خربوها او كانسوها ، كلسوا زخارف جامع قرطبة ونقوشه ولم يفلت من تخريبهم فيه الا محرابه . ولم يبق من مدن ولاية شملنقة: المائة والخمس والعشرين مدينة التى كانت موجودة ايام الحكم العربي للاندلس سوى ثلاث عشرة مدينة صغيرة اليوم . ويقول نيتشه : « حرمتنا المسيحية من ميراث العبقرية القديمة ، ثم حرمتنا بعد ذلك من الاسلام، لقد ديست بالاقدام تلك المدنية العظيمة ، مدنية الاندلس العربية ، ولماذا ؟ لانها نشات من اصول رفيعة ، ان تلك المدنية الاسلامية لم تنكر الحياة ، بل اجابتها بالايجاب ، وفتحت لها صدرها ولقد قاتل الصليبيون تلك المدنية بعد ذلك وكان اولى بهم ان يسجدوا لها على التراب ، وما مدنيتنا فى هذا القرن التاسع عشر الا قصيرة واهية بجانب مدنية الاسلام فى ذلك الوقت » .

واستولى المسلمون بالتدريج على نصف فرنسا الحاضرة ، وكانت معركة بواتييه بين المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقي وبين المسيحية بقيادة شارل مارتل من اهم المعارك الفاصلة فى تاريخ اوربا ، ومع هزيمة المسلمين وقتل الغافقي فيها عام 114 هـ — 732 م فان مارتل لم يستطع ان يطرد العرب من اية مدينة احتلوها ، واقام العرب بفرنسا قرنين كاملين واوغلوا فى سويسرا عام 935 م . ويقول غستاف لوبون : انه لو انتصر العرب على «شارل مارتل» لاصاب اوربا النصرانية المتبربرة مثل ما اصاب اسبانيا من الحضارة الزاهرة تحت راية النبي محمد، ويقول كلود فارير الفرنسي الاستاذ بمدرسة اللغات الشرقية بباريس : حدثت فاجعة كانت من اشأم الاحداث التى نزلت بالانسانية فى القرون الوسطى وكان من نتائجها ان غمر العالم مدة ثمانية قرون طبقة عميقة من التوحش ، لم تبدا بالتبدد الا على عهد النهضة ، هذه الفاجعة هي الانتصار البغيض الذى ناله اولئك البرابرة من الافرنج بقيادة شارل مارتل على كتائب العرب المسلمين تحت لواء الغافقي ، ففي ذلك اليوم المشؤوم ، تقهقرت المدنية الى الوراء ثمانية قرون ، ويكفي المرء ان يطوف بين ءاثار مدن الاندلس فى اشبيلية وغرناطة وطليطلة وقرطبة ليشاهد والالم ءاخذ ما عساها ان تكون بلادنا الفرنسية لو انقذها الاسلام العمراني الفلسفي ، المتسامح . وفى عام 217 هـ فتح العرب صقلية ، وتقدموا فاستولوا على جنوبي ايطاليا ، وبلغوا فى تقدمهم ضواحي رومة ، ولم يرجعوا عنها الا بعد ان وعدهم « البابا يوحنا الثامن » بدفع جزية اليهم وصاروا سادة البحر الابيض ولما طرد المسلمون من صقلية المسيحية عام 464 هـ — 1072 م بأيدى فرسان النورمان النصارا أمعن هؤلاء الفرسان فى العدوان على أهلها ، ولم يلبث أهالي الجزيرة أن اعترفوا بأن صداقة النورمان لهم اشد عبئا عليهم من

عداوة العرب حتى اضطر البابا ليون التاسع الى حرب النورمان فاسروه وصاروا يدخلون الاديرة ويذبحون رهبانها ويسلبون ما فيها من الاموال وحين فتح النورمان صقلية كانت الحضارة الاسلامية مزدهرة فيها وقلد ملوكهم المسلمين فى نظمهم وشملوهم برعايتهم ، وتمتعت صقلية برخاء عظيم حتى اجلى بعض ملوكها العرب عنها فعادت الى الخراب والدمار ، ومن اعلام المسلمين الذين نشأوا فى هذه الجزيرة ابن حمديس الصقلي الشاعر الكبير (447 — 527 هـ) وجوهر الصقلي ، وابن القطاع اللغوي والشريف الادريسي الجغرافي ، وغيرهم .

وكان سلطان العرب السياسي فى عصر الرشيد (786 — 809 م) وابنه المأمون اقصى ما انتهى اليه سلطان المسلمين فى الشرق فقد كانت الصين حدا لدولة العرب فى ءاسيا ، ودحروا قبائل افريقيا المتوحشة الى حدود الحبشة ودحروا الروم الى البسفور ، ولم يقفوا فى الغرب الا عند المحيط الاطلنطي ، واقاموا دولة كانت اكثر دول الارض هيبة ولمدنا ، وكان للمسلمين جالية «اسلامية» فى الصين، وجالية من التجار فى كوريا . وفى عام 309 هـ — 921 م حدث اتصال سياسي بين الخليفة العباسي المقتدر بالله وبين ملك اهل الفولجا ، وفى العام التالي اسلم هذا الملك ، واسلم اهل بلاده . وفى عام 1000 م اكمل الغزنويون فتح بلاد الهند ، واعلنوا انهم دعاة لدين الاسلام وحضارته، وخضعت الهند للمرة الاولى فى تاريخها منذ زمن الاسكندر للفاتحين المسلمين ، ودام سلطان الغزنويين فيها الى عام 1186م ، أي قريبا من مائتي عام ، وخلفتهم فيها دولة الغوريين ، ثم توالت عليها دول اسلامية كبيرة، كان ءاخرها دولة المغول التى قضى المستعمرون الانجليز عليها عام 1857 م وحدثت بذلك نكبة كبرى شبيهة بما حدث للاندلس من قبل ..

وقد حافظ الفاطميون والايوبيون والمماليك (656 — 923 هـ : 1258 — 1517 م) فى مصر على التراث الاسلامي وعلى حضارة الاسلام ، ولا ننسى جهود الايوبيين وبطولاتهم فى الحروب الصليبية، وقد انتصر صلاح الدين على الصليبيين فى حطين انتصارا خالدا (السبت 25 ربيع الثاني 538 — 5 يوليو 1187 م) ، وفتح جيش صلاح الدين بيت المقدس وحررها من جور الصليبيين بعد ذلك بقليل (الجمعة 27 رجب 538 هـ — 2 سبتمبر 1187) ، بعد ان حكمها الصليبيون واحدا وتسعين عاما ، وصفى صلاح الدين القواعد الصليبية فى فلسطين ولم يبق لهم الا شريط صغير على سواحل الشام ، ظلوا يحكمونه مائة عام اخرى ، حتى نهض سلطان مصر الاشرف خليل (عام 690 هـ — 1291 م) ففتح عكا وباقي المدن الساحلية وطهر ارض فلسطين من الاستعمار الصليبي المدمر ، وكذلك قضى المماليك على الغزو المغولي للشرق العربي وهزموا المغول فى عين جالوت (25 رمضان 658 هـ — 4 سبتمبر 1260 م) هزيمة ساحقة ، وحرروا الشام من اسار الاستعمار الصليبي .

كما لا ننسى ما قدمه الخلفاء العثمانيون من جليل الخدمات للاسلام ، فقد ورثوا العرب فى حكم العالم بعد فتحهم لمصر عام 923 هـ — 1517 م ، وحملوا لواء الزعامة السياسية والدينية للمسلمين اربعة قرون (1517 — 1917 م) ، وعلى ايديهم امتد الاسلام وانتشر نوره فى كل مكان فى اوربا ، وفتح محمد الفاتح مدينة القسطنطينية فى 30 مايو 1453 م — 856 هـ ، ودخلها من باب القديس رومانوس ممتطيا صهوة جواده فى موكب ضخم ، وسار الى كنيسة سانت صوفيا ، فأذن من فوق قبابها للصلاة ، وصارت مسجدا جامعا من اعظم مساجد الاسلام ، وساد الذعر اوربا ، وقتل الذعر اوربا ، وقتل الامبراطور قسطنطين ، وحاول « البابا بيوس الثاني » ان يجمع شمل اوربا لقتال المسلمين وطردهم من المدينة ولكنه فشل فى ذلك فشلا ذريعا .. واستمر الاتراك فى حمل رسالة الاسلام ونشره ، وكانت معركتهم الفاصلة مع الغرب حين ارتدوا عام 1863 منهزمين بعد وقفتهم الطويلة امام اسوار فيينا .

ولا ننسى فضل التجار العرب الذين كانوا يسافرون من حضرموت الى شرق افريقيا ووسطها وجنوبها فينشرون الاسلام واللغة العربية اينما يحلون ، وقد كونوا ممالك اسلامية فى مدغشقر وجزائر القمر وزنجبار ودخلوا افريقيا ، وكونوا سلطنة كبيرة فيها عرفت بسلطنة رابح وتتحدث عنها دائرة المعارف الفرنسية كثيرا ، كما هاجر الحضارمة الى مالديف وسرنديب وجاوه وسومطرة والفيلبين وانتشروا فى جزر المحيط الهادي حتى استراليا ، ونشروا الاسلام فى كل موضع نزلوا فيه .

ومع ما اصاب الاسلام فى العصور الوسطى من نكبات كبرى ، ومن بينها : احراق الفاطميين مرتين لمدينة الفسطاط العامرة قضاء على ثوراتها ضدهم ، وكان الحريق الاكبر هو الحريق الثاني

الذي حدث في المحرم 564 هـ ــ 15 اكتوبر 1168 م قدمر مساجدها وجامعاتها ومدارسها ومكتباتها وكل ما كان فيها من مخطوطات ، ثم سقوط بغداد في ايدي التتار عام 656 هـ ــ 1258 م ، والحرب الصليبيه التي كانت عبئا ثقيلا على الاسلام والمسلمين، ثم الغزو المغولي للشرق العربي وسقوط الاندلس (897 هـ ــ 1492) ، ثم اكتشاف البرتغال طريق راس الرجاء الصالح عام 1498 م بارشاد ابن ماجد الربان العربي البحري وتحول التجارة العالمية مع الهند الى هذا الطريق بعد ان كانت تمر بمصر وتدفع لملوكها الضرائب المجزية اجرا لذلك ، ثم هزيمة الوحدات البحرية العربية امام سفن البرتغال وتحطيم اساطيل العرب التجارية في المحيط الهندي ، ثم الغزو التركي لمصر والشام والعالم الاسلامي .. مع ذلك كله فان الاسلام ظل شامخا ، وراية القرءان بقيت مرفوفة في شتى الآفاق . وقد جددت انتصارات صلاح الدين على الصليبيين والماليك على المغول وفتح الاتراك للقسطنطينية ، جددت كل هذه البطولات الامل والتفاؤل في نفوس المسلمين عامة في كل مكان .

لقد بقي الاسلام يقود العالم منذ البعثة النبوية حتى الغزو الاستعماري للشرق العربي في القرن التاسع عشر ، وكان الاسلام ينتشر في كل مكان من افريقيا واسيا واوربا حتى ان المغول المخربين الوثنيين بعد ان دمروا العالم الاسلامي عاد ملكهم غازان خان يعلن في الرابع من شعبان عام 694 هـ ــ التاسع عشر من يونيو 1295 م اعتناقه هو وشعبه للاسلام ، ولم ينتشر القرءان على هذا النحو بقوة السيف ، انما انتشر بمبادئه وحدها ، وعلى ايدي الدعاة المجردين من كل نفوذ وسلطان ومال ، فبالدعوة وحدها اعتنقت الاسلام الشعوب التي قهرت العرب من قبل ومن بعد ، كالفرس والترك والمغول ، وبلغ الاسلام من الانتشار في الهند ــ التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل ما زاد معه عدد المسلمين فيها على مائة مليون .. ومع ان مصر كانت من أصعب اقطار العالم اذعانا للمؤثرات الاجنبية ، فانها قد نسيت في اقل من قرن واحد مر على الفتح الاسلامي لها ماضي حضارتها الذي دام نحو سبعة الاف عام، واعتنقت دينا جديدا، ولغة جديدة، وحضارة جديدة، اعتناقا متينا دام حتى اليوم ، وبعد ان توارت الامة التي حملتها عليه . وما وفق المسلمون له من التاثير البالغ فيها ، اتفق لهم مثله في كل بلد خفقت فوقه رايتهم في افريقيا وءاسيا كسوريا والفرس مثلا ، وبرغم نفوذهم بلاد الهند التي لم يزوروها الا عابري سبيل ، وبلاد الصين التي لم يزوروها الا تجارا .

هذا هو ماضي الاسلام في قيادة الانسانية ، ماض كله فخار ومجد وعظمة ، وذكريات جليلة ورصيد ضخم من البطولات، لا يوجد مثله لاية امة من امم العالم ، وتراث عظيم خلفه لنا اسلافنا الاولون ، وليتنا نتدبر ما فيه من عظات ، وما يحتويه من جلائل الاعمال وخالد الذكريات والصفحات .

— 4 —

ما سر ذلك كله ، وما سببه ؟

ما عوامله ، وما بواعثه ؟

السر هو مثالية الاسلام وفلسفته ؟

هو انه الدين الحق المنزل من السماء ، هو انه خاتم الرسالات ، وشريعة الله الى الناس كافة ، هو ما يحتوي عليه كتابه الحكيم من شتى مقومات الحضارة ، واصول المدنية والعمران .

هو عقائده السامية ، ومبادئه العالية .. التوحيد المطلق، والايمان الكامل، والعدل والاحسان، وما يامر به ويلزم المسلم اياه ، من الآداب الرفيعة ، والاخلاق النبيلة ، والانسانية المهذبة، والمثالية الجليلة .

ان الاسلام اعظم حظوظ البشر في الاولى والعقبى ، أي والله انه ــ كما الرسول الاكرم ــ حظ الدنيا والآخرة .

انه شريعة الله والحق والهدى ، وسماه الله عز وجل دين القيمة ووصفه تعالى في الآية الكريمة بانه ملة ابراهيم حنيفا ، فقال : « قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم ، دينا قيما ، ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين » .

دين وضع اصولا خالدة لاصلاح جميع مجالات الحياة ، ونواحي النشاط الانساني ، وساوى بين الاجناس والعناصر والالوان ، ودعا الى اخوة بشرية عامة، لاتفاضل فيها لاحد على احد الا بالتقوى والعمل الصالح ، والى العدالة والشورى والاخاء والرحمة والمحبة بين الناس .

نادى بالحرية لكل الافراد . وحل الجماعات والشعوب ، حل جميع العصبيات وابطلها ، وكل المشكلات وازالها ، هذب المشاعر والعواطف وسما بها ، جمل الحياة امام الناس وجعلها تعاونا ومشاركة وتبادلا للمنافع والخبرات ، ومد فى الامل فيها بما حث عليه من السعي فى مناكبها . ومن الصبر على لاوائها ، ومن الثقة برحمة الله وفضله .

عزز الشعور بالمسؤولية ، وغرس فى كل نفس الايمان بالقيم واعز الاسلام وكرمه فى الكون ، وجعله خليفة له فى الارض ، وامر الملائكة بالسجود له ، ودعا الى اعظم عقيدة روحية ظهرت على وجه الارض ، وربط الانسان بالله لبعث العزة والطموح والامل فى نفسه ، وحمله المسؤولية ، المسؤولية تجاه الحياة والحضارة والتقدم والرفاهية لجميع الناس ، لجميع البشر .

ومن قباب مسجد قباء الذي اسس على التقوى ، انبعثت اعظم دعوة ، واكرم فلسفة ، تدعو الى الله والحق والى سواء السبيل ، فلسفة لم تكن الانسانية تعرفها ، ولم يكن للحياة عهد بها من قبل ، فلسفة القوة والسلام والاخاء .

القوة التى تحارب الضعف فى جميع مظاهره ، وتحالف الحرية ، وتحمل المسؤولية ، وترعى الامانة، وتوفي بالعهد ، وتؤدي الحقوق ، وتهدف الى ابل ما فى الحياة من مثل وشعائر وءاداب ، وتمشي فى النور مرهوبة محبوبة .

والسلام الذى لا يعرف الاعتداء ، ويعمل جاهدا على نفي الخوف من الارض .

والاخاء المبني على المحبة والتعاون ، والذى وضع الرسول الكريم اصوله بعد الهجرة ، بمؤاخاته بين الانصار والمهاجرين ، وبدعوته الى التعاطف والتكافل بين الغني والفقير ، والكبير والصغير ، والحاكم والمحكوم ، الجميع عباد الله اصبحوا فى الاسلام بنعمة الله اخوانا ، حتى اناب الرسول عنه على المدينة سلمان الفارسي ، واسند الى مهران الفارسي ولاية اليمن ، وعاتب الله رسوله فى عمار وسلمان وصهيب الرومي ، واذن عمر لجماعة من الموالي قبل سادات قريش ، وشملت الناس وحدة كاملة بما يتفق وعالمية الرسالة المحمدية التى هى الاساس الاول لكل نهضة .. والاسلام من اعظم الديانات ملاءمة لاكتشافات العلم ، ودستور هذا الدين هو القرءان الكريم ، هو كتاب سماوي يحدد معالم الحياة الانسانية ، فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها : ويربطها بالكون ، وبنهاية الحياة ، وبحياة جديدة ، ويصلها بالعقل والفكر والعلم والمعرفة ، والمدنية والحضارة . ويتضمن شريعة الله الخالدة ورسالته الى الناس كافة — انها الدين الحق انها الوحي الصادق : من اي جوانبك نتناولك، ومن اي اهدافك وفلسفاتك نصفك ، انت انت سر كل حضارة بناها الاسلام ، وسر كل مجد وعظمة وسلطان ونفوذ وسيادة وفخر بلغه المسلمون ، ولذلك قال الهرمزان لعمر : انما غلبتمونا بالاسلام .

حينما اجتزت الصحراء الغربية وانا قادم الى وطن اسلامي مجيد ، وهو ليبيا العربية ، وشاهدت الصحراء والجبال وصعوبة السير فيها لم املك الا ان اسائل نفسي : هكذا نحن اليوم وفى ظلال مدنية القرن العشرين نشقى بالسفر فى الجبال والصحراء على متون السيارات القوية السريعة ، فما بال اجدادنا المسلمين الاولين ، كيف احتملوا مشاق القفار والبيد والصحاري والجبال فى سبيل تبليغ رسالة الله الى الناس كافة ، حيث لا طرق ولا مواصلات ولا سيارات ولا طائرات ، كيف ساحوا فى الارض ، وجابوا الوديان ، وقطعوا البيد ، واقتحموا الممالك والشعوب ، لا يرهبون شيئا ولا يخافون من احد ؟ انه الايمان ، ولا شيء الا الايمان . وان الاسلام هو الذى طوى لهم الصحاري ، وقرب لهم المسافات، وسهل عليهم المشقات والصعاب .

— 5 —

وقف الاسلام فى العصر الحديث امام غزو استعماري مدمر، وامتحان قاس شديد ، وامتصاص كامل لمقدرات شعوبه وثروات اممه ، وكما ورث الترك العرب فى سيطرتهم على العالم الاسلامي ، فقد ورث الاستعمار الغربي الترك والعرب فى السيطرة على الشعوب العربية والاسلامية فى افريقيا وءاسيا ..

ووقف الرا ي العام الاسلامي فى انحاء الدنيا ، يندد بالاستعمار ، ويعلن الثورة عليه فى كل مكان ، وكانت الصدمات والمحن التى نزلت بالمسلمين ، عاملا كبيرا فى يقظتهم ، فدبت فيهم روح الحياة ، واخذوا يفكرون ويبحثون عن السر فى تخلف المسلمين ، وفى استعمار الغرب لبلادهم ، وكان لابد من قيام حركات اسلامية جديدة تصمد للمستعمر ، وتجاهد من اجل طرده من الوطن الاسلامي ، وقامت الحركات

الدينية الاصلاحية من الشرق ، لتجديد الفكر الاسلامي المعاصر ، كما قام السنوسي في ليبيا ، والمهدي في السودان ، وعبد القادر الجزائري في الجزائر ، وعبد الكريم الخطابي في المغرب والامام محمد بن عبد الوهاب في نجد ، ومحمد عبده في مصر ، والكواكبي في سوريا، والامام الشوكاني في اليمن ، ومدحت باشا في تركيا ، والشيخ شامل في القوقاز ، ويعقوب بك في الصين ، والسيد احمد خان ومحمد علي واقبال في الهند ، قاموا بحركات سياسية وفكرية واسلامية في انحاء العالم الاسلامي، تهدف الى تحريره من نير الاستعمار ، وبعث الامل في نفوس المسلمين وتبصيرهم بالدين الذى كان هم المستعمرين الاوربيين القضاء عليه في ربوع الاوطان الاسلامية . وانشا محمد عبده والافغاني في باريس جمعية العروة الوثقى وصحيفتها ، ثم انشا محمد عبده وميرزا محمد باقر جمعية التاليف والتقريب في بيروت للدعوة الى الاسلام في جميع العالم وتعريف الغرب بحقائقه ، هذه الحركات القومية لها خطرها واثرها لانها كانت تستند الى اصول قوية من الدين والقرءان الكريم ، وقد كان الاسلام هو المحرك الاكبر لهمم المسلمين ليناضلوا المستعمرين وليجادلوا الصليبيين الاوربيين الذين ظهروا من جديد في بلاد الشرق العربي في ثياب المبشرين والمستعمرين والاساتذة والخبراء في مختلف جوانب النشاط القومي تمدهم الدول الاوربية بالنفوذ والمال والهيمنة على مصائر المسلمين ومقدراتهم ، واخذوا يفترون على الاسلام والقرءان والعربية ، ورد محمد عبده على هانوتو مشهور ، وردد «كرومر» قوله الكاذب : ان المسلم غير المتخلق بالاخلاق الاوربية لا يصلح لحكم بلاده : وان الاسلام ناجح كعقيدة ، ولكنه فاشل كنظام اجتماعي ، ودعا ويلمورماسيتيون وعبد العزيز فهمي الى اصطناع الحروف اللاتينية حروفا لكتابة اللغة العربية ، ودعا فريق ءاخر الى العامية ، وقصيدة حافظ في الرد عليهم مشهورة ، واوجد الاستعمار طبقة من الشباب العربي ، الذين راعتهم حضارة الغرب المادية فتنكروا لماضيهم وعروبتهم ودينهم ، وسائد هذه الطبقة لتعمل على تغيير التفكير الاسلامي وربطه بالتفكير الاوربي .

ثم اخذ المستشرقون الاوربيون باسم العلم والفكر يدسون افكارهم الصليبية في بحوثهم وكتبهم ، ويشوهون الاسلام وتاريخه في نظر العالم المتحضر ، وكان من ذلك البلاء كل البلاء فان الاساتذة في الجامعات العربية اخذوا يدعون لهذه الاراء ويذيعونها بحجة انها ءاراء علمية خالصة ، وفاتهم ان الغرب لا يفرق بين العلم وبين مصلحته في القضاء على الاسلام ، وان اوربا تقدم الفكرة اليوم لتخدم بها غدا او بعد غد غرضا سياسيا او استعماريا او تخدم بها مصالحها الاقتصادية .

ان الغرب يخشى الاسلام ويحذر قيام حركات اسلامية جديدة ، انه يخاف من الاسد وهو مكبل بالسلاسل فكيف به لو تحرك وفك قيوده واغلاله ؟ ثم جاءت الشيوعية فقضت على الاسلام في كل بلد من بلادها ، ولقد اصطدم الغرب بالاسلام في معارك كثيرة ليؤخر سيره العظيم ، والحروب الصليبية في العصور الوسطى ، والحروب الاستعمارية في العصر الحديث ، من مظاهر هذا الاصطدام الرهيب . ولقد ملا الاوربيون انفسهم بالتعصب الديني ضد الاسلام ، وعباوا شعوبهم معنويا وماديا لمحاربته ، والادهى من ذلك انهم سرقوا الحضارة الاسلامية ، ونسبوها لانفسهم زورا وبهتانا ، وان كانوا قد زادوا عليها اشياء تعد امتدادا لبحوث العلماء المسلمين ، ثم امتدت ايدي الغرب لتصفية المعامل الاسلامية ، ولسرقة النفوذ الاسلامي على العالم ، وخضع الشرق العربي لنفوذ الاستعمار وحضارته ، وظنها كل شيء واخذت اوربا تتجسس على الحركات والاتجاهات الاسلامية ، وتخنقها في مهدها ، وزادت على ذلك في بعث التاريخ الاسلامي والحضارة العربية ، وعمدت الى تشويههما وساعدت على قيام مذاهب جديدة منحرفة في وسط العالم الاسلامي ، وعلى الدعاية للغرب وحضارته وللمذاهب الغربية الهدامة من ماسونية وصهيونية ووجودية والحادية وغيرها ، وعلى قيام مذاهب اسلامية متخاصمة متعادية واخذوا فوق ذلك يزيفون الحقائق والمفاهيم الاسلامية ويحرفون كثيرا من اصول ثقافتنا وحضارتنا ، ويجهلون الشباب الاسلامي بدينهم وبكتابهم العظيم وبلاغة القرءان الكريم ، واخذوا يفهموننا انهم كشفوا افريقيا ، وان بدء البعث العربي كان يحمله نابليون على مصر عام 1798 ، او بوصول الجمعيات التبشيرية الفرنسية والامريكية الى الشرق العربي في نصف القرن التاسع عشر ، ويقول الدكتور حسين الهراوي : اني لاعلم ان المستشرقين ينقصهم في مباحثهم عن الاسلام الروح العلمية ، وان لهم في الاستقصاء طريقة لا تشرف العلم ، وهي انهم يفرضون فرضا ، ثم يلتمسون الدليل عليه فاذا وجدوا في

القرءان ما يهدم نظريتهم تجاهلوه ، والتمسوا الآيات التي تناسب المعنى المراد، ولا مانع عندهم من بترها اذا اقتضى الحال ، او تحريف معناها حسب الرغبة ، فيخرج القارىء من كلامهم وهويتهم الاسلام بالتلفيق .

ان الافكار الاوربية الفاسدة البالية للاسف الشديد لا تزال تسيطر على عقلية كثير من شبابنا ، وهم بتلك الافكار الهدامة على الاسلام جد متأثرين..

يقص علينا محمد اقبال شاعر باكستان الروحي قصة صديق له هاشمي اثرت فيه الفلسفة الاوربية تأثيرا وزلزلت عقيدته الاسلامية ، وان اقبال كتب اليه قصيدة يقول له فيها :

« انا رجل انحدر كما تعرف من اسرة عريقة في البرهمية .. ولكنك يجري في عروقك دم الهاشميين ، وتنتمي الى سيد الاولين والآخرين .. وانا قد امتزجت الفلسفة بلحمي ودمي ، وجرت مني مجرى الروح ، وتغلغلت في اعماق هذه الفلسفة ، وبعد ذلك اقول بانا ليست الا حجابا للحقيقة ، وانها لا تزيد صاحبها الا بعدا عن صميم الحياة ، هذا هيجل الذي تبالغ في تقديره ان صدفته خالية من اللؤلؤ ، وان نظامه ليس الا وهما من الاوهام . لقد انطفات شعلة القلب في حياتك ايها السيد ، وفقدت شخصيتك ، فاصبحت أسيرا لفلسفة الغرب ، وان البشرية تريد ان تعلم كيف تتقن حياتها ، وكيف تخلد شخصيتها ، وابناء ءادم يطلبون الثبات ، ويتطلعون الى دستور الحياة ، ولكن الفلاسفة لا تساعدهم على ذلك ، وبالعكس من ذلك فان المؤمن اذا نادى الآفاق باذانه اشرق العالم واستيقظ الكون، ان الدين هو الذي ينظم الحياة ، وانه لا يكتسب الا من ابراهيم ومحمد ، فعليك ايها السيد الاهتمام بتعاليم جدك صلى الله عليه وسلم .. فالى متى يا ابن علي ، تقلد ابا علي ابن سينا ، اذا لم تكن بصيرا بالطريق فالقائد القرشي — رسول الله — خير لك من القائد البخاري — ابن سينا .

— 6 —

واخيرا ما هو واجبنا نحو الاسلام ؟

ان امامنا نماذج اسلامية كاملة تتجلى لنا في حياة ابطال الاسلام وقادته ، وان امامنا كذلك مثلا عالية نريد ان نصل اليها ، ونبلغ ببلوغها ما نتمناه للاسلام والمسلمين من مجد وازدهار وقوة .

ومن هذا وذاك نستطيع ان نتبين مسؤوليتنا الكبرى حيال ديننا الخالد العظيم ، والواجب الملقى على كواهلنا نحو الاسلام وشعوبه .

واول واجب علينا هو الثورة على وصاية الغرب على الانسانية ، هو تحطيم الاغلال التي قيدنا بها الاوربيون والتي تزعم كاذبة اننا لا يمكن ان نعيش بدون الغرب وحضارته ، وتزعم كذلك ان الحياة بالاسلام ، وفي ظلال مبادئه ، رجعية وجمود وتأخر.

هو بعث الثقافة الاسلامية من جديد ، والرجوع الى مبادىء التربية الاسلامية ، وتحديد الايديولوجية الاسلامية تحديدا لا لبس فيه ، حتى تتحدد للمسلم شخصيته وذاتيته .

هو التطبيق العملي للاسلام ومبادئه ، في انفسنا واهلينا ، وفي كل مجالات الحياة .

هو ان ننقل صراعنا الفكري والعلمي الى صراع حول المذاهب الفكرية الاسلامية فتصبح انديتنا الفكرية اندية يناط بها العمل لايقاظ الروح الديني في نفوس الشباب الاسلامي في كل مكان ، وتتعهد بالرعاية والنماء طبقات جديدة من الشباب الاسلامي ، تخرجهم ليكونوا دعاة صالحين للاسلام ورسالته ، وطالما كان الامام محمد عبده يتجه الى جمال الدين الافغاني في المحن والخطوب ، يقول له : ايها السيد، ارى ان نترك السياسة وتذهب الى مجهل من مجاهل الارض لا يعرفنا فيه احد ، نختار من اهله عشرة غلمان او اكثر من الاذكياء السليمي الفطرة ، فتربيهم على منهجنا ، ونوجه وجوههم مقصدنا ، فاذا اتيح لكل واحد منهم تربية عشرة ءاخرين لا يمضي بضع سنين الا ولدينا مائة قائد من قواد الجهاد في سبيل الاصلاح ، ومن هؤلاء يرجى الفلاح.

وواجبنا كذلك نحو الاسلام ان نعمل على تعاون جميع القوى والجامعات والشعوب الاسلامية، للعمل من اجل الاسلام ونشر دعوته في كل مكان وان تصبح الجامعات الاسلامية مصدر اشعاع روحي وفكري للمسلمين . فتغير من طرقها الواهية في البحث، ومناهجها البالية في المدارسة ، لتستطيع ان تؤدي واجبها الاكمل في خدمة العقيدة الاسلامية ، والفكرة الاسلامية خدمة صادقة ، فحتى اليوم لا نرى ترجمات دقيقة صحيحة لمعاني القرءان الكريم بمختلف اللغات ، وحتى اليوم لا يزال تاريخنا مدفونا في الاسفار المخطوطة او المطبوعة ،

دون أن نعمد الى بطولات ابطاله وقادته والى ذكرياته الخالدة وايامه المجيدة ، فتقدمها للناس قصصا وتمثيليات وحوارا وافلاما وصورا وغير ذلك من وسائل النشر والاعلام والبعث ، وحتى اليوم ليس للشعوب الاسلامية دائرة معارف جديدة تقوم بالتعريف بالاسلام وتاريخه وحضارته وابطاله وتراثه ومختلف جوانب نشاطه الانساني العام ، تعريفا صادقا ، وحتى اليوم لم نقم بنشر اعمال مفكري الاسلام وبطولات ابطاله ، ومواقف زعمائه وقادته ، بمختلف اللغات .

اننا نتمنى ان نرى جيلا جديدا يكرس كل حياته للعمل الجاد من أجل مجد الاسلام ، والتبشير برسالته ، لخير الحياة الانسانية ، جيلا يكون يقينه بين اوهام العصر كمصباح الضوء فى ظلمات الصحراء، ان الانسان الكامل ليس هو السوبرمان الذي نادت فلاسفة التطور المادي فى أوربا به بل هو المسلم الذى نجد فيه كل عزة ونبل، وما عداه فشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ، المسلم المثالى الذى يعيش برسالته ولرسالته ، والذي مهما تطورت الحياة ، فانه يظل الحقيقة الثابتة التى لا تتغير ولا تتحول ، واما ما عداه فهو الزبد يذهب جفاء ويظل الشجرة الطيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء وما عداه فشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار .

وما اروع ما يقول الشاعر اقبال : انك ايها المسلم حق فى العالم وحدك ، وما عداك سراب خادع ، ووهم باطل ودرهم زائف ، ويقول فى بيت ءاخر له : ان ايمان المسلم هو نقطة دائرة الحق ، وكل ما عداه فى هذا العالم المادي وهم وطلسم ومجاز .

والمسلم كما يقول اقبال كذلك : مصدر الانقلاب الصالح فى التاريخ ، ومطلع فجر السعادة فى العالم ، انه رسول الحياة ، ومؤذن الفجر فى الليل البهيم ، ليشرق العالم ويستيقظ الكون ، وقوة المومن الخارقة للمادة، المعجزة للبشر، مستمدة من رسالته وايمانه، واندماجه فى ارادة الله، يتحول الى قوة خارقة قوة قادرة لا تصدها الجبال ولا تقف فى سبيلها البحار ، واذا كان جسم المسلم من تراب فان فطرته من نور ، وهو يتخلق باخلاق مولاه ، وباخلاق القرءان ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرءان .

ونقف فى النهاية نسائل انفسنا : اننا لو نشأ لنا جيل جديد من هؤلاء المسلمين ، افما تكون مصائر الحياة والحضارة والبشرية بين ايديهم؟ افما يصبحون قادرين على خلق معجزات جديدة كتلك التى صنعها بالامس ابو بكر وعمر وخالد وسعد بن ابي وقاص وغيرهم ؟ افما يصبح فى مقدورهم أن يبعثوا من اي مكان كان واو فى الصحراء برسائلهم الى جميع قادة العالم في اوربا وامريكا وءاسيا وافريقيا يقولون لهم : ءامنوا برسالة الله والا طواكم الاسلام تحت سنابك خيله ، ووقعت عليكم الدائرة ، ونزل بكم وعيد الله .

— 7 —

ولقد راعتني قصيدة الرصافي عن الاسلام ، وفيها يقول :

يقولون فى الاسلام ظلما بانه
يصد ذويه عن طريق التقدم

فان كان ذا حقا فكيف تقدمت
اوائله فى عهدها المتقدم

وان كان ذنب المسلم اليوم جهله
فماذا على الاسلام من جهل مسلم؟

هل العلم فى الاسلام الا فريضة
وهل امة سادت بغير التعلم

لقد ايقظ الاسلام للمجد والعلا
فليس لمثر نقصه حق معدم

بصائر اقوام عن المجد نوم
ولا عربي بخصه فضل اعجم

وحات له الايام عند قيامه
حباها ، وابدت منظر المتوسم

ولا فخر للانسان الا بسعيه
ولا فضل الا بالتقى والتكرم

فاشرق نور العلم من حجراته
على وجه عصر بالجهالة مظلم

ودك حصون الجاهلية بالهوى
وقوض اطناب الضلال المخيم

وانشط بالعلم العزائم وابتنى
لاهليه مجدا ليس بالمتهدم

واطلق اذهان الورى من قيودها
فطارت بأفكار على المجد حوم

وفك اسار القوم حتى تحفزوا
نهوضا الى العلياء من كل مجثم

فخاوا طريقا للبداوة مجهلا
وساروا بنهج للحضارة معلم

فدوت مستن العلا نهضاتهم
كزعزع ريح او كتيار عيلم

وعما قليل طبق الارض حكمهم
باسرع من رفع اليدين الى الفم

وقد حاكت الافكار عند اصطدامها
تلالؤ برق العارض المتهزم

ولاحت تباشير الحقائق فانجلت
بها عن بني الدنيا شكوك التوهم

وما ترك الاسلام للمرء ميزة
على مثله ممن لآدم ينتمي

ولكنها ترك القبيح وفعل ما
يؤدي من الحسنى الى نيل مغنم

فهل مثل هذا الامر يالاولي النهى
يكون عثارا فى طريق التقدم ؟

وان لم يكن هذا الى المجد سلما
فاي ارتقاء بعد ام اي سلم

الا قل لمن جاروا علينا بحكمهم
رويدا فقد فارقتم كل مأثم

فلا تنكروا شمس الحقيقة انها
لاظهر من هذا الحديث المرجم

علونا وكنتم سافلين فلم تكن
لتبدي اليكم جفوة المتهكم

ولم نترك الحسنى او ان جدالكم
وتلك لعمري شيمة المتحلم

فلما استدار الدهر بالامس نحوكم
كشفتم لنا عن منظر متجهم

فلا تامنوا الايام ان صروفها
كما هي اذ اودت بعاد وجرهم

د. محمد عبد المنعم خفاجي



الجسور الحضارية

بين الإسلام وأوربا

للأستاذ عبد القادر زمامة

كانت قصة الجسور الحضارية بين الاسلام واوربا ، قصة دخلتها كثير من الظنيات والحدسيات..! وكان الباحثون فى شأنها يعتمدون على الفروض والاستنتاجات ، اكثر مما يعتمدون على النصوص والآثار الصحيحة ..! المكتوبة او المرسومة ..!

ولكننا الآن وفى النصف الثاني من القرن العشرين ، حيث تيسرت لنا من الامكانيات فى ميادين البحث والاطلاع فرص موانية ..! اصبحنا نتحدث عن هذه الجسور باعتبارها من الامر الواقع الذى ليس له من دافع ..! وباعتبارها جسورا حقيقية كانت منصوبة بين الاسلام الذى يسمونه الشرق ..! واوربا التى يسمونا الغرب ..! واستمر عبور الثقافة والحضارة عليها طيلة احقاب .. بأساليب وكيفيات أصبحت بعد البحث والدرس يقينية، لا مجال فيها للحدسيات ولا للظنيات..!

ونستطيع الآن ان نقول ــ والنصوص والآثار تؤيدنا ــ ان لكل جسر تاريخا حقيقيا وروادا وابطالا وادوارا لامجال لسدل الستار عنها .. وادخالها فى عالم الظلام والنسيان ..!

والقصة تبدا كما تبدا كل قصة بين غالب ومغلوب ..! وقوي وضعيف ..! فاوربا بقضها وقضيضها ، مرت بحقبة تاريخية وقفت فيها موقف الحيرة ، والاندهاش ، والياس ..! حينما شاهدت تقويض الامبراطورية الفارسية ..! وتفكيك اجزاء الامبراطورية البيزنطية، وسيطرة الامتداد الاسلامي على حوض البحر الابيض المتوسط ..! بما فيه قبرس ، وسردينا ، وصقلية ، وجنوب ايطاليا .. بالاضافة الى الاندلس والشمال الافريقي ..! وحقبة الاندهاش هذه امتدت ما يزيد على ثلاثة قرون من عمر الزمان ..!

وطبيعي فى حقبة الاندهاش والياس .. ان يسود التعصب والجمود والحقد والجهل ..! وان تغلق هاته الاشياء كل باب من ابواب التعارف والتفاهم ..! فتجاهلت اوربا او جهلت كل شيء وراء حدودها ..! ثقافة كان او حضارة او دينا ..! بل ان الصورة المرسومة اذ ذاك امام اليائسين .. للاسلام والشرق كانت صورة الاسد الضاري الذى لا يفهم ولا يرحم ..!

وبدات صورة هذا الاسد تفقد هيبتها .. حينما احتك احتكاكا مباشرا مسلمو الاندلس بمواطنيهم هناك ..! واظهرت الايام المحاسن والمساويء ..! ونقل هؤلاء الاخبار ..! الى من ورائهم من ابناء ملتهم .. وطلبوا معونتهم ..! واعتبروا المسيحية اذ ذاك دينا وقومية فى نفس الوقت ..!

وتكون هذا الجسر فى الاندلس ..! وبدات الفرص تتاح لكثير من رجال الدين والسياسة والحرب للاطلاع على الحضارة الاسلامية ، ونظام

الحياة عند المسلمين .. وعناصر القوة والضعف عندهم ..! وبدات الاسئلة والتعليلات، والاجوبة . كيف ..؟ ولماذا ..؟ حصل المسلمون على هذه القوة التى امتدوا بها من الشرق الى الغرب .. ومن ءاسيا الى افريقيا واوربا ..! وكان الجواب يعني أن هناك اشياء تكون هذه القوة اولا .. وتساندها ثانيا ..! وكلها ترجع الى النظام ، والثقافة ، والحضارة .. وقد حرمت اوربا منها اذ ذاك او كادت ...

واذن فلم يبق هناك مجال للتردد .. وبدا الجسر يؤدي مهمته التى نصب من اجلها وهي النقل والترجمة والبحث والدرس لكل مقوم من مقومات هذه القوة الاسلامية التى سببت كل هاته الامتدادات!.

ولم يشرف القرن الحادي عشر الميلادي على النهاية حتى كان الجسر الاندلسي قد قام باهم دور حضاري بالنسبة للدول الاوربية المجاورة حيث عكف المترجمون فى طليطلة وغيرها من مدن الاندلس على ترجمة كتب العلوم والفنون والدين من العربية الى اللاتينية واستعانوا بكل شيء فى هذا الميدان ..

وبذلك تهيات الاجواء للمغامرين والحاقدين وظنوا انهم عرفوا سر الشرق ..! وفهموا عناصر قوته وضعفه ..! فلم يبق الا السير اليه برا وبحرا .. لاسترداد البلاد المقدسة اولا .. ثم السيطرة على منابع الثروة فيه ثانيا ..!

وفى الوقت ذاته كانت الاعمال جارية لنصب جسر ءاخر فى جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا .. والمعروف تاريخيا ان هذه البقاع ظلت فى حكم المسلمين الى اواخر القرن الخامس الهجري ، والحادي عشر المسيحي .. قبل ان يغلب عليهم النورمان والجرمان ..!

وبعد استيلاء هؤلاء حدث شيء غريب فى التاريخ ..! وهو ان المتغلبين اتصفوا بشيء من الوعي والتبصر وقدروا انه ليس بامكانهم أن يستغنوا دفعة واحدة عن حضارة المسلمين وثقافتهم ونظامهم ومظاهر العمران عندهم.. والخطوط البرية والبحرية التى مدوها لتصريف تجارتهم وصناعتهم .. وربط مواصلاتهم ..!

كما ان ملوك هؤلاء النورمان والجرمان اقبلوا هم انفسهم على الثقافة الاسلامية فعرفوا اشياء من اللغة العربية والتاريخ الاسلامي ..! ولم يكونوا متعصبين فى الظاهر ضدا على الاسلام والمسلمين..! ولذلك اسباب لا مجال لتفصيلها الآن ..

واستمرت هذه «السياسة النورمانية» ازاء الحضارة الاسلامية ..! والمواطنين المسلمين فى تلك البقاع ما يقرب من ثلاثة قرون .. واستمر الجسر الصقلي يقوم بمهمته خير قيام ..! وكان تاليف الادريسي الجغرافي المغربي لكتبه الجغرافية والطبية ..! فى بلاط ملوك النورمان بصقلية ايذانا بان هذا الجسر كان على جانب كبير من الاهمية بالنسبة لجنوب اوربا وغربها ..

واذا قمنا بعملية موازنة بين الجسرين : الاندلسي والصقلي نجد أن للثاني اهمية بالغة وءاثارا واضحة .. واستفادت منه اوربا حضاريا واجتماعيا وثقافيا .. الشيء الذى حال التعصب الصليبي فى الاندلس دونه ..

فصناعات المسلمين الصوفية والحريرية والقطنية والجلدية وصناعة الورق والخشب والنحاس والحديد والخزف والزجاج .. وقصص المسلمين الدينية والبطولية والاسطورية ... واخبار الفتوح والمسالك والممالك ..! والمعارف الفلكية والبحرية كلها عبرت من هذا الجسر، وترددت اصداؤها فى المعاهد والمدارس والاسواق واللهجات.. وقامت الآن حولها الدراسات والمقارنات .. وتحددت المعالم والآثار ..!

وتبلورت الفكرة الصليبية فى اوربا فى هدفين :

– الاستيلاء على الاراضي المقدسة فى فلسطين ...!

– ابعاد الامتداد الاسلامي وآثاره عن اوربا والجزائر الملحقة جغرافيا بها ..!

ومن اجل تحقيق هذين الهدفين نصب جسر ثالث بين الحضارة الاسلامية وأوربا ..

فآلاف المغامرين الذين جندوا للزحف الجارف على بلاد المسلمين كانوا يظنون انهم سيجدون وحوشا ضارية لا تملك شيئا سوى القوى البدنية..! فصرعها كاف للشعور بالفوز وتحقيق الهدف وتغيير الواقع ..!

ولكنهم وجدوا مدنا ونظاما ودولا وملوكا وجنودا ومدارس وحضارة قائمة ، وثقافة سائدة .. كما وجدوا اخلاقا وضمائر وقلوبا وعدلا ورحمة وتفرقة بين الحرب والسلم ، والعدو المحارب ، والعدو المسالم .. وبين المرأة والرجل ، والضعيف والقوي ...

ودامت الموجات الصليبية في تدفقها طيلة قرنين لم تحقق فيها شيئا من الاهداف التى جعلتها نصب عينها يوم عزمت على خوض هذه المغامرة ..

لكنها حققت الجسر الحضاري الذى كان فى مصلحتها من حيث تدري او لا تدري .. واطلعت على سر الشرق حقيقة .. ورجعت الى بلادها تحمل عقلية اخرى وتفكيرا فى الخلق ، والفكر ، والحضارة، والعمران ، والنظام ، والفن ، والاقتصاد .

وبدات هذه البذور تعطي نتائجها اول الامر فى الطبقات المكبوتة فى المدن الاوربية التى كانت الى ذلك الحين تعيش فى نطاق من الارهاق والظلم بسبب نظام الاقطاع .. فقد شاهدت هاته الطبقات نظام المدنية الاسلامية فى الشرق .. وشاهدت ان الناس فيها يملكون حريتهم الخاصة فى التصرف الشخصي .. يملكون .. ويحترفون .. ويتاجرون .. ويسكنون .. فى ظل نظام عادل مكتوب ..

فاذا كان الشرق قد ناله من الحروب الصليبية الخراب والدمار .. والاهوال طيلة قرنين .. فان الغرب قد ناله منها النور والضياء والنهوض والتقدم .. وكانت الحروب الصليبية جسرا ثالثا اضيف الى الجسر الاندلسي .. والجسر الصقلي ..!

ويمكننا ان نقف هنا وقفة لنسائل انفسنا .. كيف تاتى لاوربا ان تتقدم .. مع انها انما اخذت معارف الشرق عن طريق الجسور الحضارية ..؟ وكيف تاتى للشرق ان ينام أولا .. ثم ينهض ثانيا .. بعد ان وجد الزمام قد افلت من يده ..؟

وليس الجواب هنا سهلا ولا ممكنا فى سطور .. لكننا يمكن ان نقول :

ان الحروب الصليبية كانت بالنسبة لاوربا زيادة على انها كانت جسرا حضاريا .. كانت ايضا بمنزلة نقطة الارتكاز فى توحد الخطة لحرب الاسلام والاجهاز عليه بكل الوسائل والتعاون سرا وعلنا لعرقلة كل اسباب نهضته ووحدته مهما كان الثمن ..

واختارت الوسائل الثلاث المعروفة

ـ الاتجاه الصليبي ..

ـ الاتجاه الحربي ..

ـ الاتجاه الاقتصادي ..

وتنتهي الى نقطة واحدة ..

وهذه الاتجاهات تبتديء من نقطة واحدة ..

فاس ـ عبد القادر زمامه





انها ذكرى عزيزة علينا نعيش فيها مع شخصية عظيمة .. بل هي فوق العظمة .. تعددت نواحي العظمة للرسول الكريم فاخترت منها : **تربية الرجال وتكوين الابطال** الرجل منهم يقول (انا ..) في ميدان القتال .. ايثارا لا انانية . بل تضحية واى تضحية . وتنفيذا لا ادعاء .. والعظيم البطل في التاريخ هو الذي يكون الرجال ويربي الابطال . وقد وجدت كلمة **انا** : اخذت وضعها الصحيح ومعناها السامي في وقتها المناسب .. في الميدان .. واليك نماذج يعتز بها كل مسلم .. :

1 ـ الزبير بن العوام :

روى الشيخان (ج 8 البخاري ص 55 ـ ج 16 مسلم ص 188) .

عن جابر بن عبد الله قال : ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير . ثم ندبهم فانتدب الزبير .. ثم .. ثلاث مرات . فقال النبي (ص) ان لكل نبي حواريا . وان حواريي الزبير ابن العوام .. يعني كلما نادى الرسول : من ؟ يقول الزبير : **أنـا** .. ـ كما روى النجاري (ج 5 ص 21) قال الزبير بن العوام : قال النبي (ص) من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم ؟ فانطلقت . فلما رجعت جمع لي بين ابويه : قال (فداك ابي وامي) ـ والمهمة كانت لكشف خبر بني قريظة هل نقضوا العهد بينهم وبين المسلمين ؟ وهل اتفقوا مع قريش على حرب المسلمين؟

وجاء نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي يوم الخندق وسال المبارزة .. من ؟ فقال الزبير (انـا) وبارزه فقتله وشقه بالسيف نصفين .

وقبل ذلك في احد جاء طلحة بن ابي طلحة العبدري ودعا الى المبارزة .. من ؟ فاحجم عنه الناس .. ولكن الزبير قال (**أنـا**) فوثب حتى صار معه على جمله ثم اقتحم به الارض فالقاه عنه وذبحه بسيفه . فاثنى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : ان لكل نبي حواريا . وان حواريي الزبير .. ثم قال : لو لم يبرز اليه برزت **أنـا** اليه لما رايت من احجام الناس (البداية ج 4 ص 20) .

قال سعيد بن المسيب (ج 1 الاصابة ص 545) سمع الزبير بن العوام اشاعة في مكة ـ وهو ابن اثنتي عشرة سنة ـ يقولون ان محمدا قد قتل .. فاستل سيفه وجرى مسرعا يبحث حتى وجد الرسول في اعلى مكة .. فساله الرسول .. فقال : قيل كذا وكذا .. فدعا الرسول له ولسيفه : فكان هذا اول سيف في الاسلام .

2 ـ علي بن ابي طالب : انا .. انا .. انا ..

من كتاب شباب قريش للاستاذ عبد المتعال الصعيدي قال : وفي يوم الخندق خرج عمرو بن ود فارس المشركين وقال من يبارزني ؟ فلم يجبه احد من المسلمين . وقال علي بن ابي طالب : **انا** يا رسول الله. فقال له الرسول اجلس فانه عمرو بن ود .
وعمرو يقول اين جنتكم التي تزعمون أن من قتل منكم دخلها ؟ وعلي يقول **انا** يا رسول الله .. وان كان عمرو ابن ود .. ثلاث مرات .. فاذن له الرسول.. فذهب علي اليه ، فقال له عمرو من انت ؟ قال : علي . قال : ابن ابي طالب ؟ قال : نعم . قال : غيرك يا ابن اخي من اعمامك من هو أشد منك . واني اكره ان اهريق دمك فقال علي : وانا والله ما اكره أن اهريق دمك . فغضب عمرو ـ وكان راكبا على فرس . فقال له علي : كيف اقاتلك وانت على فرسك ؟ فاقتحم عمرو عن فرسه وعقرها واتى الى علي فضربه بالسيف فاتقاها علي بالدرقة ثم ضربه علي فوق عاتقه فسقط قتيلا . وكبر المسلمون . ورجع علي وقال : لو كان اهل المدينة في جانب وانا في جانب لقدرت عليهم ..

روى مسلم . ج 15 ص 176) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لاعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه. قال عمر بن الخطاب : ما احببت الامارة الا يومئذ فتساورت لها : اى تطاولت لها وحرصت عليها واظهرت وجهي وتصديت ليتذكرني رجاء ان أدعي لها .. فدعا رسول الله (ص) علي بن ابي طالب فاعطاه اياها وقال امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك فسار علي شيئا. ثم وقف ولم يلتفت فصرخ : يا رسول الله على ماذا اقاتل الناس ؟ قال : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله . فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم واموالهم الا بحقها . وحسابهم على الله .

قال الخفاجي فى شرح الشفاء : فمشى علي وهو يقول : **أنا** مفرق الكتائب . **أنا** ليث بني غالب .

واخرج الامام احمد والبزار والطبراني فى قصة جمع بني هاشم للطعام فى اول الدعوة فقال (ص) يا بني هاشم اني بعثت اليكم خاصة . والى الناس عامة . فايكم يبايعني على ان يكون اخي وصاحبي ؟ فلم يقم اليه احد . فقال علي بن ابي طالب .. **أنا** فاعاد الرسول السؤال ثلاث مرات وعلي هو الذي يقول **أنا** .. فبايعه على ذلك.

3 ـ حذيفة بن اليمان : انا .. انا .. انا .

روى الحاكم عن حذيفة بن اليمان قال : فى غزوة الاحزاب وقد اشتد الظلام والبرد ليلا قال الرسول : من يأتيني بخبر القوم ؟ فقال حذيفة بن اليمان .. انا.

وروى مسلم (ج 12 ص 145) عن ابراهيم التيمي عن ابيه قال : كنا عند حذيفة بن اليمان فقال رجل : لو ادركت رسول الله لقاتلت معه وابليت ! فقال حذيفة : أنت كنت تفعل ذلك ؟ لقد رأيتنا مع رسول الله (ص) ليلة الاحزاب واخذتنا ريح شديدة وقر فقال الرسول الا رجل يأتيني بخبر القوم ؟ جعله الله معي يوم القيامة . فسكت القوم فلم يجبه أحد . ثم اعادها الرسول ثلاث مرات . فلم يجبه احد . فقال (ص) قم يا حذيفة فاتنا بخبر القوم فلم اجد بدا اذ دعاني باسمي ان أقوم . قال اذهب فاتني بخبر القوم ولا تذعرهم علي . فلما وليت من عنده جعلت كانما امشى فى حمام . حتى اتيتهم فرأيت ابا سفيان وظهره الى نار يستدفيء بها . فوضعت سهما فى كبد القوس فأردت ان ارميه فتذكرت قول الرسول (ص) . ولو رميته لاصبته . فرجعت وانا امشي فى مثل الحمام . فلما اتيته واخبرته بخبر القوم وفرغت قررت (احسست بالبرد) فألبسني النبي (ص) من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها . فلم أزل نائما حتى اصبحت فقال لي قم يانومان .

4 ـ العباس بن عبد المطلب : انا .. انا .. انا.

(ج 1 حياة الصحابة ص 539) اخرج ابن عساكر عن جابر قال : بعث رسول الله (ص) يوم الطائف حنظلة بن الربيع الى اهل الطائف فكلمهم فاحتملوه ليدخلوه حصنهم فقال (ص) من لهؤلاء؟ من لهؤلاء؟ وله مثل غزاتنا هذه؟ فلم يقم الاالعباس بنعبد المطلب حتى ادركه فى ايديهم قد كادوا أن يدخلوه فى الحصن فاختطفه العباس ـ وكان رجلا شديدا .. وأمطروا العباس بالحجارة من الحصن فجعل النبي (ص) يدعو له حتى جاء به الى الرسول .

5 ـ من الانصار : فى يوم أحد : انا .. انا .. سبعة شهداء يفتدون الرسول ..

(ج 12 مسلم ص 147 قال انس بن مالك : **افرد** الرسول يوم احد فى سبعة من الانصار ورجلين من قريش . فلما رهقوهم قال من يردهم عنا وله الجنة ؟ ـ او هو رفيقي فى الجنة ـ فتقدم رجل من الانصار فقاتل حتى قتل . ثم رهقوهم فقال الرسول من يردهم عنا وله الجنة فتقدم رجل من الانصار فقاتل .. وهكذا حتى قتل السبعة فقال (ص) لصاحبيه : ما أنصفنا اصحابنا ..

وروى الامام احمد والنسائي والطبراني عن ابي ريحانة قال : كنا مع النبي (ص) فى غزوة فآوينا ذات ليلة الى مرتفع فاصابنا برد شديد حتى رايت الرجال يحفر احدهم الخندق فيدخل فيها ويلقي عليه جحفته (ترسه) . قال : فلما رأى الرسول ذلك قال : من يحرسنا الليلة فادعو له بدعاء يصيب فضله ؟ فقام رجل من الانصار فقال **أنا** يا رسول الله . قال من أنت؟ قال فلان . قال ادنه . فدنا . فاخذ ببعض ثيابه ثم استفتح الدعاء . قال ابو ريحانة : فقلت .. **وأنا** . قال من أنت ؟ قلت ابو ريحانة فدعا لي دون ما دعا لصاحبي .. ثم قال : حرمت النار على عين حرسته فى سبيل الله .

وروى الشيخان عن ابي هريرة ان الرسول جاءه ضيف ليلا .. فلم يجد في بيوته ما يقري به الضيف . فقال : من يضيف هذا الليلة ؟ رحمه الله . فقال ابو طلحة الانصاري انا .. وآثر ضيفه على عياله .. ونزلت الآية (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) (ج 14 مسلم ص 13) .

ابو دجانة الانصاري : في يوم احد : انا .. انا ..

قال ابن اسحق : وقال الرسول : من ياخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام اليه رجال .. **انا** . **انا** فامسكه عنهم . حتى قام اليه ابو دجانة فقال وما حقه يا رسول الله ؟ قال ان تضرب به في وجه العدو حتى ينحني . قال **انــا** آخذه بحقه يا رسول الله . فاعطاه اياه .. وكان رجلا شجاعا .. فمشى ينشد نشيد الحرب ويقول :

انا الذي عاهدني خليلـــي
ونحن بالسفح لدى النخيل

الا اقوم الدهـر في **الكيولــي**
اضرب بسيف الله والرسـول

(الكيولي) المؤخرة .. ولبس عمامة المـوت ومشى يتبختر .. فقال (ص) انها لمشية يبغضها الله الا في مثل الموطن . (وهو الذي انحنى على الرسول يوم احد يتلقى السهام بظهره)

انا : الانسان يحب نفسه ولا باس . ليعلي امرها في الدنيا والاخرة .. ولكن الى حد ما . فلا يزيد عن حده ولا يتمادى في تكبير شانه وتهوين غيره .. فقد قال سيدنا يوسف (اجعلني على خزائن الارض .. اني حفيظ عليم) ومن اغتر بنفسه هلك ..

وانــا تكون قولا وعملا ..

واذا ما خلا الجبان بارض
طلب الطعن وحده والنـزالا

وقد زادت **انــا** عند فرعون حتى قال (انا ربكم الاعلى) فاختنق بها كما يختنق الدود في خيوطه .. **وانــا** التي يقولها امرؤ في مجال الادعاء غير **انــا** التي يهتف بها الشجاع في ميدان القتال .. وبين الاثنين بعد المشرقين ..

فاذا قيلت عند تحمل التبعات الضخمة لذكر حقيقة يجب ان تتقرر في الاذهان فهي ايثار وتضحية وفداء .. فقد قال الرسول : انا النبي لاكذب . انا ابن عبد المطلب .. (فهي صيحة القوة لنصرة الحق وفاتحة العمل لدعم الايمان والتعهد باداء الواجبات وان بهظت تكاليفه) . فليس فيها غرور او استعلاء .. نصرح لكل شهم ان يتقدم الى ميدان النضال ويقول **انا** ونفرح بكل موسر يساعد الفقراء .. ويبني مستشفى ويكتب اسمه على بابها ويقول انا .. ونقول له انت .. ونخبر عنه .. ونقول هو بني مستشفى .. ولا ننتظر منه ان يقول (اعوذ بالله من كلمة انا) .

ونطرب عند ما يقول شخص انا ابن من وقف مواقف البطولة والمجد ونحيي آباءه في شخصه . فقد دخل بعض ولد قتادة على عمر بن عبد العزيز وقال:

انا ابن الذي سالت على الخد عينه
فردت بكف المصطفى احسن الرد

فعادت كما كانت لاول امرهـا
فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد

فقال عمر :

تلك المكارم لا قعبان من لبـن
شيبا بماء فكانا بعد ابـوالا

واحسن جائزته . (ج 1 شرح الشفا ص 358)
وعند التعريف يقول فلان بن فلان .. ولا يكتفي بكلمة انا .. ففي حديث جابر قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فدققت الباب فقال من هذا ؟ فقلت انا. فقال انا .. انا . كانه كرهها . وفي حديث ام هاني .. وقد سال الرسول من هذه ؟ فقالت انا ام هانـي . وفي حديث الاسراء .. قيل من هذا ؟ قال جبير .. قيل ومن معك ؟ قال محمد .

اما بعد : فقد كون الرسول رجالا وربى ابطـالا يقول الواحد منهم عندما يدلهم الخطيب .. انا .. انا ويبذل روحه .. ويضحي بنفسه : وكما قال الشاعر:

لا يسالون اخاهم حين يندبهـم
في النائبات على ما قال برهانـا

وفي ذكرى الميلاد النبوي الكريم نذكر ما وهبه الله لهذا المولود من قوة .. ساس بها الرجال على اختلاف طبائعهم .. وجمعهم بعد تفرق منازعهم وكونهم رجالا يحملون راية الاسلام شرقا الى حدود الصين وغربا الى المحيط الاطلسـي .. وافاض عليهم من شجاعته .. وبعث فيهم من همته .. ودربهم على العزة .. ورمى بهم الباطل فازهقوه .. وحملهم الحق فحملوه واحتمى بهم الحق . فلنقتبس من معجزات الرسول اسوة حسنة هي تربية الشعب على العـزة والكرامة .. وعلو الهمة .. وتاديب الاولاد وتهذيب البنـات .

الرباط ــ احمد عبد الرحيم عبد البر

منهج التربية الإسلامية في شؤون الأسرة ومسؤولية العلاقات الاجتماعية

للأستاذ عبد الكريم التواتي

من البدهيات أن الاسرة في الاصل تتكون من تعاقد زوجين ذكر وانثى على تجسيم فكرة قيام ترابط بينهما ، قوامه الحب الخالص ، والتعاطف والتوادد (خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) .

وعلى ان يتم ذلك في نطاق التفاهم الكلي ، والمراعاة التامة لاحاسيس وشعور كل من الطرفين تجاه الآخر اولا ، وتجاه ذاتية كل منهما ثانيا ، وتجاه مسؤولياته الفردية والجماعية ضمن شروط وبنود التعاقد المبارك بين الطرفين والمتوج بقول من خلق الناس كافة من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها) ثالثا واخيرا .

والاسلام حين يبارك هذه الثنائية بوصفها الطريق الاوحد والطبيعي ، للحفاظ على النوع ، وخلية الحياة فيه ، يسعى — وبكل تاكيد — لان يحتفظ كل طرف بذاتيته ، وأنانيته ، وفرديته . حتى لا تفنى في الطرف الاخر ، او تنصهر فيه ، او تذوب ، او تطغى عليه ، ولكن لتنسجم معه وتتعاون ، وتتساوى وتتناغم في وحدوية روحية صوفية هادفة .

فالزواج او التزاوج في الاسلام ليس معناه انقياد احد الطرفين للآخر انقيادا اعمى ، وليس معناه تخلي احدهما عن حقوقه وذاتيته للطرف الاخر ، وليس معناه كذلك انصهارا كليا فيه ، وانما معناه — وهذا ما يقرره الاسلام وتباركه الفطرة — قيام تشاركية او مشاركة بين الرجل والمرأة لتجسيم آثار دوريهما الطبيعيين في هذه الحياة ، وعلى هذه الارض .

ثم اثناء ذلك وقبله وبعده ، يبقى لكل منهما ان يستقل بشخصيته ، في الحدود التي لا تعرقل الغاية التي من اجلها قامت اول الامر هذه التشاركية (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) .

وهذه الدرجة ، او التمايز الذي ذيلت به الآية القرآنية السالفة (وللرجال عليهن درجة) لا يعني البتة فرض سيطرة الرجل على المراة ، او اخضاعها لانانيته وباطلاق ، ولكن يعني ان طبيعة الرجل — وهو الاقوى اعصابا ، والاكثر احتمالا ، والاصلب عودا ، ومن ثمة كان القوام على اعالة الاسرة ، والمكلف فطريا بالبحث لها عن الرزق والغذاء ، وما يقيها الغوائل والضوائق ، ويرد عنها العوائق والكوارث ، داخل العش وخارجه — اقول ان هذه الميزات الطبيعية تستلزم ان يتولى هذا الرجل دفة القيادة وزمام الامر ، حفاظا على ديمومة التشاركية واستمرارها ، وصونا لها من عبث العواطف وتقلباتها ، وتجسيمها للمبدأ المتعارف عليه والمسلم به من ان لا شركة يمكن ان تبقى ، او يكتب لها النجاح اذا لم تحظ بقيادة حكيمة رشيدة .

والمراة — ودورها الطبيعي مهما حاول المنكرون — هو انتاج الاطفال وتربيتهم ورعايتهم وتنمية عواطفهم ومداركهم الفطرية ، يقضي هذا الدور ان تظل المراة حيث تتأتى المحافظة على الامانة الموضوعة في كفالتها ورهن توجيهها اي في البيت .

وبهذه التعادلية في المسؤوليات والواجبات ، يتحقق التكافل الذي يجب أن يسود بين الجانبين ،

ويتم التراضي الذي يضع التكوين البسيكولوجي والفيسيولوجي حدوده لكل طرف من المتعاقدين ، هذا التكافل والتراضي اللذين يحققهما ويجسم بعض اختصاصاتهما مضمون الآية القرآنية الكريمة (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم) .

ولا يخطرن ببال احد ان هناك تفضيلا ذاتيا مجردا ، ولكن الذي هناك هو ان تقديرات جانب ما تتناسب ومدى استعداده للقيام بما اسند اليه من مهام ، دون ان تتضارب القيم الاساسية والذاتية للجانبين ، او يعتورها جحود او انكار .

وهذا ما يفسر لنا ما نجده فى القرءان من آيات تشعر بقيمة ذاتية للمراة خاصة . ويتجلى هذا فيما فرض على الرجل تقديمه للمراة ، عند مايرغب فى طلب يدها من دلائل الرغبة ، وشدة التعلق . اذ ليس كاف — فى عرف القرءان — ان يدعي الانسان التعلق بشيء ليصدق ، اذا لم يقدم هذا المتعلق الدلائل المحسوسة عربونا على تعلقه ومحبته ... ومن هذه الزاوية فرض على الرجل تقديم المهر او الصداق عند عقده على المراة

فمطالبة الرجل بان يقدم مع طلبه يد المراة صداقا ونحلة — ونحن نعلم ان المال احب الاشياء الى النفوس — انما اراد الاسلام به اقامة البرهان على صدق وحب الرجل واخلاص نيته فيما يعتزمه من ربط مستقبل طرف آخر بمستقبله وفى أخص الخصائص وتاكيدا لهذه القيمة التي اختصت بها المراة ، حين فرض لها على الرجل النحلة والصداق ، يتوعد القرآن الرجل ويحذره ان يسترجع اى جزء ولو قليل من هذا المال الذي دفعه للمراة غداة عقده عليها ، والذي كان الدليل المحسوس على رغبته الصادقة والاكيدة فى قيام هذه الرابطة التي سعى اليها بمحض ارادته ، وكامل اختياره ، وعمل على تاكيدها بتقديم اعز شيء لديه وهو المال (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) (وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا ، اتاخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا !)

ثم اكد الاسلام بعد كل ذلك ان يعاملن باللين والرفق وحسن المعاشرة (وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)

ومن كلمات محمد عليه السلام : « خير الرجال من لا يتطاولون على اهليهم ، ويحسنون اليهم ، ولا يظلمونهم » . ومن الاحسان الى الاسرة والاهل ، فى نظر الاسلام ، اهتمامك المطلق باسرتك ، حتى ان محمدا عليه السلام ليوازي فى هذا الصدد بين الاجر الذي يناله من يهتم باسرته وبين أجر ملتزم المساجد. قال محمد عليه السلام : « مشيك الى المسجد وانصرافك الى اهلك فى الاجر سواء » .

وشيء آخر ، يعطي المراة قيمة ذاتية مجردة ويبرز استقلال شخصيتها يقرره الاسلام ، وهذا الشيء هو ما اعطاه اياها وقرره من حقوقها الانسانية ومبادئها من : حرية كاملة ، وحق التملك والتمليك ، وحق قيامها بكل الاعمال التي لا تمس راحة الاسرة وهناءها بسوء ، او تصيبها باضطراب .

ثم هناك ايضا ما أعطاها الاسلام من مساواتها للرجل ، المساواة التامة والمطلقة ، فى كل المجالات والجوانب الروحية ، هذه المساواة التي يسجلها القرءان فى هذه الآية الكريمة (ان المسلمين والمسلمات، والمومنين والمومنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما) .

وعن ابي سعيد الخدري — كما فى البخاري — جاءت امراة الى النبي فقالت : يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوما ناتيك فيه تعلمنا مما علمك الله قال : اجتمعن فى يوم كذا ، فى مكان كذا . قال الراوي : فاجتمعن فاتاهن الرسول فعلمهن مما علمه الله .

وفى البخاري ايضا عن ابن عمر « اذا استاذنكم نساؤكم بالليل الى المسجد فاذنوا لهن » .

وفى موطا مالك عن عائشة ما يؤيد رواية البخاري قالت عائشة : « أن كان رسول الله ليصلي الصبح فتنصرف النساء متلفعات بمروطهن مايعرفن من الغلس » .

وفى البخاري ايضا عن ام عطية قالت : « كنا نؤمر بالخروج يوم العيد حتى تخرج البكر من خدرها، وحتى تخرج الحيض (1) ، فيكن خلف الناس يكبرن

1) فى بعض الروايات « والحيض يعتزلن المصلى»

بتكبيرهم ، ويدعون بدعائهم ، يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته » .

وفى كتابنا « الاشتراكية الاسلامية والمذاهب الاقتصادية الحديثة » تحدثنا بتفصيل عن الحالات التي قد تنعدم فيها المساواة بين الجنسين ، وبينما هناك اسباب ذلك ، كما اسهبنا فى كتابنا الآخر « الاسلام والمراة » الحديث عن الحقوق والواجبات التي منحها او فرضها الاسلام للمراة وعليها .

ومن الطرافة أن نذكر هنا ، ان السلوك الاسلامي فى علاقة الزوجين : القلبية والعاطفية ، يسعى خاصة لابراز الجوانب الايجابية فى هذه العلاقات ، ويأمر فى نفس الوقت بوجوب التغاضي عن كل علاقة منفرة او سالبة . ومن كلمات عمر فى الموضوع — وقد جاءته امراة تصرح له انها لا تحب زوجها — « اذا كانت احداكن لا تحب الرجل منا فلا تخبره بذلك ، فان اقل البيوت ما يبنى على المحبة ، وانما الناس يتعاشرون بالحسب والاسلام »

ولكن الاسلام مع ذلك يضع حدودا لما ينبغي ان تكون عليه العلاقات والمعاملات بين الرجل والمراة . وفى حدوده المقررة تلك ، انما يصدر عن المبادىء الفطرية الخالصة السليمة ، ما دام هو نفسه انما جاء لتاكيد هذه المبادىء الفطرية ، وانما من اجوائها انطلق (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله)

فتمكين المراة من القيام بدورها فى الاسره كأم ، وكمسؤولة عن الشؤون المنزلية مامور به ومعقول فى الاسلام . واعتبارها عضوا نافعا وعاملا فى المجموعة الاجتماعية ومن زاوية كونها انثى ، فمن حقها ان تتولى حماية حقوق المراة وصيانتها ، وتوضيح واجباتها مامور به ومعقول فى الاسلام ، وتعاونها مع الزوج فى تنشئة البراعم ، وتهذيبها ، وتشذيب نزعاتها واهوائها الانانية ، شيء مامور به ومعقول فى الاسلام . ومساواتها المطلقة للرجل فى الآداب الاجتماعية من حيث التقدير والاحترام والعطف المتبادل : شيء مأمور به ومعقول كذلك فى الاسلام .

ولكن تحولها بوجه من الوجوه الى مترجلة او مسترجلة تتولى مهام الرجال وتتخلى عن مهامها .

ولكن محاولتها ايضا ايهامنا بأن فى امكانها ان تتولى فى نفس الوقت المهمتين معا ، اعني مهمتها كامراة ، ومهمة الرجل بحق ، فهذان الامران وما اشبههما امور تستنكفها الفطرة وتاباها الطبيعة . ومن ثمة يرفضها الاسلام ، لان مبدا الثنائية الذي قامت عليه الحياة فى هذه الارض ، والتي بدونها لا يتصور وجود الحي بها ، انما يتحقق هذا المبدا بوجود طرفين متخالفين سلبا وايجابا وقابلية وفاعلية .

وهذه الايجابية الثنائية انما تتجسم اذا كان هناك تعويض متبادل بين الطرفين الاثنين معا . والتعويض والثنائية معناهما ان احد الجانبين يعطي الاخر ما ينقص عند هذا الاخر ، ويأخذ ما ينقصه هو ، وفى نفس الوقت يتوفر عليه ذاك الاخر . وهذا الاخذ والعطاء يقتضي ان يتوفر كل جانب على معطيات وابعاد مغايرة لما عند الجانب المقابل . وكل هذا يعني ان دور احدهما يجب ان يكون مغايرا لدور الاخر ، لان بهذا التغيير وحده تتم وتتأتى الجاذبية من الطرفين ، والانسجام بينهما .

ومن المسلم به ان التشابه التام بين طرفين هو مدعاة للتنافر والاصطدام لا للتوافق والالتحام الا فى حالات الشذوذ او اللا معقول ، وحكمنا عليها بهذا الوصف كاف لادانتها وعدم اعتبارها حالات فطرية طبيعية محببة مقبولة .

مسؤولية الاسرة :

والمسؤولية فى الاسرة موزعة حسب المراكز التي يحتلها كل طرف ، وحسب المهام التي يتولاها هذا الطرف او ذاك . ولكنها فى عمومها وجملتها موزعة ابتداء على طرفين اساسيين هما الابوان . وهناك طرف ثالث يتحمل قسطه من هذه المسؤولية الاسروية وفى حدود ، متى وجد ، ونعني به نتاج الابوين :الابناء.

وفى نطاق هذه المسؤوليه الخاصة بالابوين نلاحظ ان هناك مسؤولية كل منهما تجاه الاخر اولا ، ثم مسؤوليتهما معا تجاه نتاجهما متى وجد ثانيا ، ثم مسؤولية هؤلاء الابناء ازاء والديهم وذاتياتهم حالا واستقبالا . ثالثا .

ولتحليل مجالات كل من هذه المسؤوليات وابعادها ، نقرر بأن ما يخص النوع الاول منها أي مسؤولية الابوين قد سبق أن اشرنا اليه فى الفقرات قبل هذه . واما فيما يخص المسؤولية الثانية اى مسؤولية الوالدين تجاه ذريتهما ، فالقرءان يقرر اهدافها وابعادها فى مضمون هذه الآية الكريمة (يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا) ولكن مع عدم اغفال ما قد يسببه الاطفال لآبائهم من عنت وارهاق ، وربما عداوة اذا لم تحسن تربيتهم ، ولم يعمل منذ السنوات الاولى لنمو وعيهم وتفتح ادراكاتهم ، على تجنيبهم كل

المضاعفات التي قد تصيبهم من جراء ترك الحبل على الغارب لهم . ولعل الآية القرآنية الاخرى التي سنوردها فيما بعد تعنى ببعض هذه المضاعفات اللازم العمل على تجنبها . قال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذرهم ، وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم ، انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم)

ومن كلمات محمد عليه السلام في الموضوع : « اكرموا اولادكم ، واحسنوا آدابهم ، فان اولادكم هدية اليكم » . وقوله « حق الولد على الوالد ان يعلمه السباحة والرماية وان لا يرزقهم الا حلالا طيبا » .

وهكذا نلمس باليد كيف ان الاسلام وقف من هذه القضية الموقف الذي تقتضيه الطبيعة من حنو الآباء على الابناء ، ورعايتهم ، بوصفهم زهرات حياة الاسرة ، وجمال متعتها وروعتها (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) ، (اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد) .

والاسلام بعد ان قرر إيجاب ذلك الحنو من الابوة على البنوة ، حذر اولئك الآباء من التهاون بشؤون الاطفال ، او الاخلال بما تتطلبه سعادة حياتهم ، وحذر في نفس الوقت من ارتكاب اية جريمة في حقهم ، وتوعد بالخصوص – وفي عنف وشدة – الذين قد يقتلونهم اي نوع من القتل (واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت) ، (ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ان قتلهم كان خطأ كبيرا) .

وبالمناسبة نحب ان نهمس في آذان من يتحدثون عن الخوف من التضخم الطبوغرافي ومن ان لا يجد المواليد ما يسدون به رمقهم أو يرد عنهم غائلة الجوع، وينادون تبعا لذلك بوجوب الحد من النسل ، او حتى اعاقته بشتى الوسائل الوقائية والادوية الطبية ، نحب ان نهمس في آذانهم بأن الله الذي اقسم في كتابه بضمانه الرزق لسائر الكائنات وجميع المخلوقات (وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثلما انكم تنطقون) ، (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل ذلك في كتاب مبين) اقول : ما كان هذا الاله الرحيم الكريم الحكيم ليخلق نسمة بدون رزق وبدون أن يقدر ويحدد مصيرها وهدفها .

وفي آذان هؤلاء المتشائمين من تزايد سكان العالم والخائفين من نقصان الاطعمة او فقدانها نهمس ونقول بأن التخطيط العائلي الذي تنادي به المنظمات الدولية الاوربية والغربية بدعوى ان الموارد والثروات اصبحت لا تكفي لسد جوع هذا العدد الضخم من المواليد المتزايد بكثرة مذهلة ، وهذه البرامج التي تضعها حكوماتها لتحديد النسل والانجاب ، لا ينظر اليها الاسلام نظرة الرضى او الاستحسان ذلك انها مخالفة لمضمون الآيات التي أوردناها آنفا ولانها تجسيم لما اشار اليه الامام علي كرم الله وجهه بكلمته الخالدة : « والله ما جاع فقير الا بما متع به غني » ، وتكون هذه الفكرة مجانفة لاهداف الاسلام اكثر اذا كانت موارد البلاد الداعية لتحديد النسل لا تستغل بالدرة لعجز في الاطر او الوسائل ، او تستغل استغلالا لا يتفق والمصلحة العليا والعامة للناس في البلد .

واما فيما يخص المسؤولية الثالثة اى مسؤولية الابناء نحو الآباء ، فتحدد خطوطها العريضة الآيات القرآنية الآتية : (وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عند الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) . (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا) (واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا) . (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا) .

كما يحددها قول محمد عليه السلام : « من الكبائر شتم الرجل والديه . قيل : وهل يسب الرجل والديه قال نعم : يسب – اى احدكم – ابا الرجل ، فيسب اباه ، ويسب – اى احدكم – امه ، فيسب امه » .

وكلمة محمد هذه ليست فقط موجهة لخصوص الاسرة الضيقة ، وانما هي كلمة تربوية عالية تتجاوز محيط الاسرة ، وتقوم سياسة عليا لما ينبغي ان يكون عليه السلوك الانساني في اطاره الاعم . وهذه السياسة تقرر مبدأ التكافل بصورة رائعة وبسيطة ؛ فمحمد يقول لك : انك حين تسب الآخرين انما تتعمد سب نفسك لان اولئك الآخرين في الحقيقة انطلاقا من وحدة المنبت والمصير هم انت ، والعكس صحيح .

وهذه الفلسفة العميقة المستوحاة من كلمة محمد تلك فلسفة قرءانية فقد رددها القرءان في آيات متعددة كثيرة ، منها : (ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم) مع اعتبارية ظروف وملابسات ما ذكر في سبب نزول هذه الآية من ان مخالفة ارتكبت وحوول فيها تضليل

النبي بتبرئة المجرم الحقيقي « طعمة بن ابيــرق » المنافق واتهام اليهودي البريء ، كما هو مذكور فى سورة النسـاء .

وهذه النغمة التي رددتها الآية وكلمـــة محمد ، أعظم حجة على ايجاد الاسلام قيام التكافل بين مختلف خلايا المجتمع الانساني .

مسؤوليـــة المجتمـــع :

المجتمع يتكون من هذا العديد المتنوع من الاسر وافرادها ، الذين منهم : أنا وانت والآخر . ولذلـك فمسؤوليته تتوزعها الانسانية كلها . وبالتالي نتحمل نحن جميعا تبعاتها ومن ثمة فاي خطأ يرتكبه واحد منا تكون عواقبه الوخيمة عائدة علينا وعلى الانسانية كلها. لان هذا المجتمع الانساني فى الحقيقة والواقع يتألف من الاصول والفروع والاطراف الاقارب والبعداء لهـــذه المجموعة الانسانية .

وفى نطاق مسؤولية هذا المجتمع تجاه بعضـــه البعض أوصى الاسلام معتنقيه أن يسلكـــوا سبيـــل التراحم والتعاطف والتوادد والاحسان مع انفسهم ، وفيما بينهم ، ومع كل ما يحيط بهـم من مخلوقـــات وكائنات بوصف انها جميعا تكون مجتمـــع الانســان والحياة ، وتعطيهما معا معنى الوجود الذي هو من نعم الله . ولهذا قرر الاسلام باديء بـــدء الاهتمـــام أولا بشؤون الاقربين لكـــل انسان ، فاوصـــى بعـــدم اهمال مصالحهم ، ووجوب مد يد المساعدة والعـــون للمحتاجين منهم (وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله) . (لا اسألكم عليه اجرا الا المـودة فى القربـــــى) .

والاسلام بعد أن يوصي بذلك يقرر ــ وكما سنرى فيما سيمر بنا من آيات واحاديث ــ بانــه يجـــب الا تخص هذه المودة والرحمة فحسب بالاقربين كالاخوة والاعمام والاخوال والعمات والخالات . ولكن يجب ان تشمل هؤلاء جميعا ، وتشمل من يحيط بهم من خدم وحشم ووصفاء ثم تشمل كل محتاج وفقير ومسكين (واذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه ، وقولوا لهم قولا معروفا . وليخـــش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهـــم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا) . (وآتى المـــال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين) .

والقرءان الذي يوصي بكل ذلك ــ وهو من وضع الله الذي خلق البشر وغرائزه ، وركب ما فيه من خير او شر ــ نبه على ان اتيان عمل الخيـــر مـــع هؤلاء لا يوجب من الذين اسدى اليهم ذلك الخير أن يكونوا عند حسن الظن وشكر النعمة ، فقد يكونون وقد لا . وقد ضرب القرءان لكل من الحالتين مثالا وشخصهـــا فى صورة ، فضرب للصورة الايجابية موقف هـــارون من اخيه موسى عليهما السلام . وضرب للسلبية موقف اخوة يوسف منه عليه السلام فقال عز من قائـــل : ــ وفيما يخص الصورة الايجابية ــ (وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا) . (واخي هارون هو أفصح مني لسانا فارسله معي ردءا يصدقني أني اخاف ان يكذبون ، قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون) .

وقال عن سورة اخوة يوسف السلبية (ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفـــي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين) .

وان اعتراف اخوة يوسف فيما بعد بغلطتهم فى حقه وحق أبيهم وطالبوا ملتمسيـــن من هـــذا الاب التجاوز لهم عن اخطائهم وذنوبهم (يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) .

ولكن أمثال هذه الصور الشاذة التي يذكرهـــا القرءان كاحدى جوانب الحياة يجب ان لا تكون أبـــدا حائلا المومنين برب الانسان والحياة عن اتيان المعروف والرحمة والتواصي بهما ، مع الاقرباء والبعـداء على السواء . بل يرى الاسلام أن التكافل الذي يجب أن يسود بين مختلف القطاعات البشرية يتحتم فى جميع الظروف والاحوال ويوجب عدم التخلي عن سد خلـة المحتاج ، وستر حاجته ، وجعله يشعـــر بالاخـــوة الاسلامية ، التي يجب أن تكتنفه ، وتكون سندا لـــه ودرءا يقيه العوز والفاقة .

ومن كلمات محمد عليه السلام فى الموضـــوع « الصدقة على المسكين صدقـــة ، وعلى ذي الرحـــم ثنتان : صدقة وصلة » وقوله : « اخوانكم خولكـــم ، اطعموهم مما تطعمون والبسوهم مما تلبســـون ، ولا تعذبوا عباد الله » .

ولقيام هذا التكافل والتكامـــل بين مختلـــف القطاعات البشرية التي يتكون منها المجتمع الانساني ، يضع الاسلام ــ لتحقيقهما ومدهما على الدوام بالروافد

الحية الايجابية ـ يضع نقطتين اساسيتين هما : الرحمة والاحسان .

ففيما يخص الرحمة اوصى الاسلام ، وفى الحاح، بالتراحم حتى ان الله ليقصر رسالة نبيه محمد عليه السلام من بعض الوجوه على مبدا الرحمة والتراحم (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) .

وهذا المبدا يعده الاسلام احدى الركائز فى الايمان بالله الرحمن الرحيم . الذي قضى بان رحمته وسعت كل شيء . (ورحمتي وسعت كل شيء) . (قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) .

ومحمد عليه السلام ، المبعوث رحمة للعالمين ، والمومن بالرحمة الى اقصى الحدود ، يرسم فى كلماته الحية صورا رائعة لهذه الرحمة التي يجب ان تسود كل القطاعات البشرية . ومن كلماته فى الموضوع : « ان الله تعالى لما خلق الخلق كتب على نفسه ان رحمتي تغلب وتسبق غضبي » وقوله « ان الله تعالى خلق الرحمة فى مائة جزء ، فامسك عنده تسعة وتسعين جزءا ، وانزل جزءا واحدا فى الارض ، ومن هذا الجزء يتراحم الخلق حتى لترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه » .

والاسلام حين يقرر وجوب الايمان بمبدا التراحم يقرره على اساس انه من صفات الخلق اللازمة . ويضرب محمد مثلين رائعين له فى هاتين القصتين : الاولى قال : « بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا فنزل فيها ، فشرب منها ثم خرج، فاذا هو بكلب يلهث ، ياكل الثرى من العطش فقال : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ بي ، فنزل البئر فملأ خفه ـ حذاءه ـ ثم امسكه بفيه ، ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له ... قالوا يا رسول الله ، وان لنا فى البهائم لاجرا ؟ فقال : فى كل ذات كبد رطبة اجر » .

والثانية قوله : ـ فيما روى عن عمر ـ قدم على النبي سبي فاذا امراة تحلب ثديها تسقي ، اذا وجدت صبيا فى السبي اخذته فالصقته ببطنها فارضعته ، فقال النبي عليه السلام لاصحابه : اترون هذه طارحة ولدها فى النار ؟ فقالوا لا وهي تقدر على ان تطرحه ، فقال : فالله ارحم بعباده من هذه بولدها » ثم ان محمدا لا يكتفي بضرب الامثلة بمبدا التراحم والرحمة وانما يامر بهما حين يقول : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء » .

واليكم صورا شائقة اخرى من مواقفه عليه السلام فى خصوص هذه القضية .

روى انه (ص) كان فى سفر مع جماعة من صحبه وانطلق هو لبعض شانه مخلفا اصحابه ، فاصطاد اصحابه فرخي طائر ، فجاء هذا الطائر يحلق فوقهما ويرفرف ، واتفق ان عاد محمد عليه السلام ليشاهد امامه هذا المنظر فتساءل : من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها اليها .

وحدث عبد الله بن عمر ـ كما فى كتاب المساقاة البخاري ـ ان محمدا قال : « عذبت امراة فى هرة حبستها ، حتى ماتت جوعا ، فدخلت فيها النار ، فقال لها الله : لا انت اطعمتها وسقيتها حين حبستها، ولا انت ارسلتها فاكلت من خشاش الارض » .

وايمانا بمبدا الرحمة والتراحم ، نرى الاسلام يامر بهما حتى فى احوال قد تبدو ـ لمن لم يسبر اغوار حقائق الامور ـ المطالبة بالرحمة شيئا عبثا لا طائل تحته ، ولكن الاسلام الخبير بالامور المطلع على سرائرها يامر معتنقيه باتيان الرحمة والتمسك بها حتى عندما يهمون بذبح ذبائحهم . ومن كلماته اى محمد عليه السلام : « ان الله كتب الاحسان على كل شيء ، فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة ، وليحد احدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » .

ومن التراحم ، بل ربما من آكده واوجبه التغاضي احيانا عن تطبيق نصوص القوانين ووجوب عدم التقيد بحرفيتها اذا كان فى ذلك ما يحقق مصلحة الناس العليا والعامة عن طريق تحقيق مصلحة اولئك الذين هم فى اشد الحاجة لمخالفة تلك النصوص ، وكانت مغبة المخالفة لا تمس الصالح العام ، ولا تعطل امرا دينيا ، او شعيرة من شعائر الاسلام .

فمن المقرر شرعا ـ ونورد هذه القضية للتمثيل ـ ان الغابات ، كسائر الاملاك العامة ، من . مراع ، وجبال ، وطرق ، وانهار ، وبحار ، يدخل امرها وشانها ضمن مفهوم كلمة محمد عليه السلام ـ كما فى البخاري ـ « لا حمى الا لله ورسوله » ، فيندرج فى الاستثناء من ينوب عن الله ورسوله ، وهو الامام او السلطان ، او الدولة ورئيسها . وقد فهم عمر من هذه الكلمة النبوية ، متاثرا بتلقينات الرسول العامة، والجو الذي كان يحيط به ، ان من المصلحة حماية المراعي ،

ويفهم ايضا ان هذه الحماية لا من كل احد ، وانما من الاغنياء فحسب ، فقد خص بعضها بابل الصدقة ، كما فعل بمراعي الربذة ، والمكان المسمى بالشرف ، ولكنه اوصى ـ تطبيقا لمبدا الرحمة والتراحم ـ بان يتغاضى عن المخالفين من الضعفاء والمساكين . واليكم في هذا الصدد موقف عمر ، وقد روى القصة ـ كما في البخاري وغيره اسلم .

قال : « استعمل عمر بن الخطاب مولى له يسمى هنيا على الحمى فأوصاه غداة تسلمه المهمة قائلا : ياهني اضمم جناحك عن المسلمين ، واتق دعوة المظلوم فانها مجابة ، وادخل رب الصريمة ـ القطعة القليلة من الابل ـ ورب الغنيمة ، واياك ونعم ابن عوف ، ونعم ابن عفان ، فانه ان تهلك ماشيتهما يرجعان الى نخل وزرع . ورب الصريمة ، ورب الغنيمة ان تهلك ماشيتهما يأتيني ببنيه يقول : يا امير المومنين ... افتاركهم انا لا أبالك فالماء والكلا ايسر على من الذهب والورق . وايم الله انهم يرون اني ظلمتهم ، وانها لبلادهم ، قاتلوا عليها في الجاهلية ، واسلموا عليها في الاسلام ، والذي نفسي بيده ، لولا المال الذي احمل عليه في سبيل الله ، ما حميت على الناس في بلادهم » .

ومن هذه القصة نستنتج ان منع الضعفاء من سكان البوادي والقرى ، وحرمانهم من الرعي في آجامهم وغاباتهم وخاصة منهم اولئك الذين لا يجدون القدرة على شراء المراعي الخاصة ، ولا مراعي للدولة او الجماعة موضوعة رهن حاجياتهم الضرورية ـ ان حرمانهم مجانب للرحمة والاحسان مناف لما ينبغي من رعاية مصالح كافة قطاعات المجتمع الاسلامي .

واما فيما يخص الاحسان لكل شيء وبكل شيء ـ وهو في مفهومه الحقيقي رحمة وتراحم ـ فان مما يحدد خطوطه العريضة هاتان الآيتان الكريمتان : (ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي) . (واحسن كما احسن الله اليك) .

والاحسان الذي يطالب به الاسلام كل افراد مجتمعه ليس هو فقط ـ وكما يقول الدكتور البهي ـ : « التفضل واعطاء الفضل من مال او غيره ، وانما هو التصرف طبقا لمستوى انساني مهذب . الاحسان مشتق من : احسن ضد اساء : احسن في التصرف ، احسن في العطاء ، احسن في العمل ، احسن في العلاقة، احسن في رعاية الروابط ، احسن في الاقناع ، احسن في الستر على الاعراض ، احسن في رعاية الحرمات وحفظها » . كل ذلك احسان يطلبه الاسلام .

وقد فهم المسلمون الاولون من مبدا التراحم واتيان الاحسان اللذين امر بهما الاسلام التضحية ، والايثار ، والفداء ، واليكم للتمثيل هذه القصة :

« روى ان الحارث بن هشام ، وابن اخيه عكرمة ابن ابي جهل ، وعياش بن ربيعة ، خرجوا يوم اليرموك ـ غزاة كانت بالشام اوائل خلافة عمر بن الخطاب ـ فلما اصيبوا جميعا ، دعي للاول بماء ليشربه ، فتابع الماء عكرمة بنظراته فقال الحارث : ادفعه لعكرمة ، فلما اخذه هذا ، لاحظ ان عياشا ينتظر هو الاخر هذه الجرعة من الماء ، فقال عكرمة : ادفعه الى عياش . وكانت نتيجة هذا الايثار ـ كما تقول الرواية التاريخية ـ انه لم يكد يصل الماء الى حيث كان يرقد عياش حتى كان قد فارق الحياة ، وحاول حامل الماء ان يقدمه للاخرين ، ولكنهما كانا قد لقيا ايضا نفس المصير وفارقا الحياة . وكان موقفهم هذا تجسيما لمفهوم الاية الكريمة (ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) .

والاحسان في الواقع ـ اذا تمكن من النفوس المؤمنة وعلى الشكل الذي يريده محمد وعقيدته ـ يرمي الى قيام شعور بالواجب ، تجاه النفس ، وتجاه الاخرين ، ويرمي في نفس الوقت الى اخضاع منافع الاشخاص ، والاسرة ، والقبيلة ، لمجهر الدين ، الذي يحولها الى منافع الاسرة البشرية عن طريق تاكيده بانه لا اعتراف لاى عمل ما اذا لم يكن يقصد الشمولية والمصلحة العامة .

والاحسان بهذا الاعتبار شبيه بشرطة اخلاقية، تنبعث من ضمير الفرد نفسه ، لحمايته هو من شهوته وانانيته ، ولدفعه الى الشعور بواجبه نحو الاخرين من بني عقيدته ثم بني الانسان كلهم .

ويدخل ضمن الاحسان عدم التعرض بالاذى لاى كان ، يعني الشعور بمسؤوليات الفرد امام الاخرين ، اخذا من كلمة محمد عليه السلام « المسلم من سلم الناس ـ وفي رواية المسلمون ـ من يده ولسانه » .

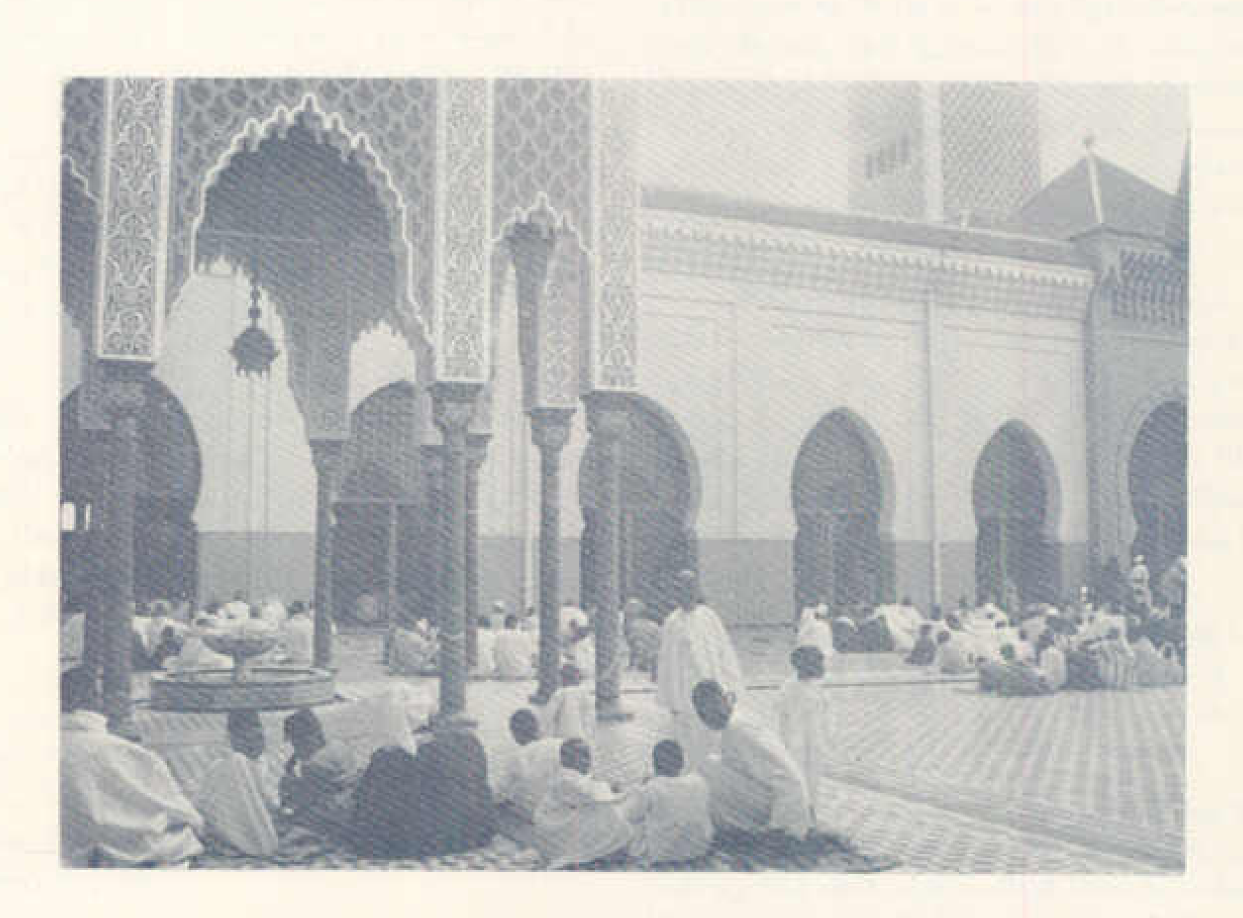
وتتاكد هذه المسؤولية في ميدان القضاء والحكم خاصة ؛ فمن كلمات محمد عليه السلام « أيما وال ولي شيئا من امر امتي فلم ينصح لهم ، ويجتهد لهم ، كنصيحته وجهده لنفسه ، كبه الله على وجهه يوم القيامة في النار » . « ايما رجل استعمل رجلا على عشرة ـ ولا مفهوم للعدد ـ وقد علم ان في العشرة من

هو افضل منه فقد غش الله والرسول وجماعة المسلمين » .

ويضرب محمد اروع الامثلة لهذه المسؤولية في وصيته هذه : « اوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله ، وبجماعة المسلمين ، ان يعظم كبيرهم ، ويرحم صغيرهم ويوقر عالمهم ، وان لا يضربهم فيذلهم ، وان لا يوحشهم فيكفرهم ، وان لا يغلق بابه دونهم فياكل قويهم ضعيفهم » .

ومن كلماته ايضا : « لست اخاف على امتي غوغاء تقتلهم ، ولا عدوا يجتاحهم ، ولكني اخاف عليهم ائمة مضلين ، ان اطاعوهم فتنوهم ، وان عصوهم قتلوهم » .

فاس : عبد الكريم التواتي



مسجد جامع بدكار عاصمة الجمهورية السينغالية وقد بني على الطراز المغربي

الفكر الاسلامي فى مواجهة

حملات التشكيك والتبشير

للأستاذ أنور الجندي

يواجه الفكر الاسلامي اليوم ، وفى هذه المرحلة بالذات ، حملات متعددة من التشكيك واثارة الشبهات تستهدف اخراجه عن قيمه ومفاهيمه وذاتيته عن طريق القاء ضوء حول صلاحية هذه القيم او عدم صلاحيتها كأساس لقيام النهضة ومحاولة رد « آثار النكسة » الى هذا المعنى ، بينما يبدو واضحا للباحث المنصف ان جذور فكرنا واصوله العربية الاسلامية ما كانت يوما ولن تكون حائلا دون النهضة ، بل ان النهضة بدونها سوف لا تكون كاملة على النحو القوي المشيد .

ومن الحق ان يقال فى مواجهة هذه الشبهات ان المجتمع العربي تديني والدين جزء منه لا ينفصل عنه واهم سمات الثقافة العربية (المستمدة من الفكر الاسلامي) لا تفصل بين القيم الروحية والقيم المادية .

ولعل من اول ما يحاول دعاة التبشير والتغريب التركيز عليه فى هذه الفترة هو الدعوة الى الاتجاه نحو « العلوم العصرية » وحدها باعتبارها الهدف الحضاري الذى يوصف بأنه عامل النهضة والتقدم ، ولقد نبه العرب الى ذلك منذ سنوات طويلة خير منصف هو العلامة جوستان لوبون ونصح بها الطلاب العرب والمسلمين الذين زاروه فى باريس حين قال لهم :

« ان العلوم العصرية لا تفيد المسلمين والعرب الا اذا اقترنت بتربيتهم الدينية وسارت جنبا الى جنب مع اوضاعهم وعقلياتهم ، وان تهذيب العرب والمسلمين بالمعارف العصرية الاوربية خارجا عن دائرة تقاليدهم وعقائدهم يزيدهم انحطاطا وفساد اخلاق ولن تنفعهم هذه العلوم الا اذا كانت ضمن دائرة عقيدتهم وقوميتهم ».

وقد صور هذه الرابطة بين الحضارة والدين فى الفكر الاسلامي كاتبان غربيان هما : ريفلين وسيلوفيكسي فى كتابهما : الشرق الاوسط المعاصر :

« ان اول ركائز الاجتماع والثقافة فى الشرق الاوسط هو « الدين الذى يحدد العلاقات بين افراد المجتمع ، ففى مجتمعات الشرق الاوسط خلافا للمعهود فى المجتمعات الغربية وحدة وثيقة بين الدين والمجتمع ، ولا انفصال هنا بين ما هو دنيوي وما هو اخروي ، والروح الدينية منبثة فى جوانب الحياة كلها فى موصافاتها ولغاتها ولهجاتها ، ولسنا بحاجة الى ان نصف الدور الهام الذى يقوم به الدين فى الحياة الاجتماعية والثقافية فى الشرق ، فان فى تاريخ اي بلد شرقي ما يثبت ان الدين ينفذ الى كل نشاط اجتماعي وعقلي للشعوب ، بل انه فى الواقع العامل المسيطر على حياة الشرق ، رجاله ونسائه ، ولا يمكننا ان ندعي وجود طائفة لها اعتبارها من ابناء الشرق لا تهتم بشؤون الدين السائد فى

مجتمعها ، لهذا من العسير على الغربي ان يفهم حياة الشرق الاجتماعيه دون ان يفهم « الدين » الذى تدين به الجماعة والتى نحاول دراسة تعاقتها » .

ويفهم هذا « أميل درمنجم » ويعبر عنه اصدق تعبير حين يقول :

« ان حضارة الاسلام هي مثل اعلى رفيع يجمع بين الدين والدنيا والبعد عن التعصبة والرهبانيه على سواء . »

ومن الحق ان يقال ان الاسلام لم يكن هو مصدر تأخر المسلمين ، بل كان مصدر تقدمها ، بينما كان الموقف مختلفا بالنسبة الى الغرب ، فان الاسلام لم يلبث فى خلال قرن واحد من بزوغ فجره ان اقام حضارة باهرة بينما ظلت الامم الاوربية عشرة قرون بعد دخول المسيحية اليها قبل ان تنهض ، وقد اصبح الترابط فى الدين والمجتمع فى مفهوم الاسلام بوصفه دين عبادة ونظام وحضارة جميعا ، هذا الترابط اصبح واضحا فى مختلف كتابات الغربيين والباحثين اليوم .

اما التبشير والتغريب ودعاوي كتابهما فانها مستمدة من مفهوم خاطيء اصلا ، وقائمة على خطا متعمد ، هذا الخطا يقوم على محاولة اعتبار الاسلام دينا تعبديا ولهذا فهي تحاول اقصاءه عن مختلف مظاهر المجتمع .

وقد وضح تماما للباحثين المنصفين استحالة ذلك واكد كل المؤرخين المنصفين ان جميع الحركات الاصلاحية والسياسية والوطنية والقومية والتحررية التى قامت فى العالم الاسلامي فى مجال العدل الاجتماعي او الحرية او الوحدة انما كانت تستمد مفاهيمها وجذورها من التراث الاسلامي الثر الخصيب الموحي دائما بالمقاومة والنضال والجهاد فى سبيل تحرير الارض وتحرير النفس ، واقرب مثل الينا (ثورة الجزائر) التى كان منطلقها الاسلامي ـ باعتراف خصومها انفسهم ـ كان هو منطلقها ومصدر نجاحها بعد استمرارها بعناد واصرار وتقديمها مليونا من الشهداء .

وقد اعترف كتاب الغرب بهذه الحقيقة التى لا سبيل الى انكارها وهي انه لم تقم حركة وطنية تقدمية فى العالم العربي الا وكانت روح الاسلام اساسها ، واكد (هاملتون جب) و (الفريد كانتول سميث) هذا المعنى فى دراستهما ، وقال جب بالحرف «ان العرب متمسكون بلغتهم وادبهم ومعتيون بمجد الاسلام » كما اكد ان العرب لن يتنحوا عن لغة القرءان التى تربطهم بالعالم الاسلامي كافة وان الروح الاسلامية ستبقى تسود بلادهم وستقدم ابدا بلا كلل ولا ملل ولن يطرا عليها اي ضعف او وهن»ا.هـ

ولذلك فان الدعوة المضللة التى تنطلق فى بعض الشعوبيين والتغريبيين تحت عنوان « تحرير الذات العربية من الاسلام » لن تجدي فتيلا وستواجه ما واجهته الدعوات التى سبقتها من الرفض والهزيمة .

وان الشعوبيين ودعاة التغريب الذين يتحدثون عن هذا ويظنون انه سيحقق لهم «املا» يهدف الى « اخراج الجيل الجديد من اطارات الدين » كما يقولون ، هم واهمون فان العرب يعرفون ان النصر القادم سوف لا يحقق لخصوم العرب املا ، وان استغلوا فترة النكسة لاذاعته فسوف يثبت لهم الغد ان هذه الامة ستظل متمسكة بقيمها الاساسية وتراثها وجذورها تستمد منها دوما النصر والقوة .

اما ما يرددونه من ان اسباب التخلف انما ترجع الى الاسلام او الى الايمان بالدين فتلك دعوى قديمة اعلنها كرولر وليوتي من قبل ستين عاما وما زال اتباعه يرددونها وكل الدلائل تكذبها ، لان الامة العربية بايمانها بالاسلام وبلغتها وتراثها العربي الاسلامي لا تعارض الدولة العصرية ، بل ان هذه المقومات الاصيلة هي التى تدفع الى النهضة والتقدم .

والعرب والمسلمون هم الذين انشاوا المنهج العلمي التجريبى الذي هو حجر البناء فى الحضارة الحديثة. والاسلام بدعوته الى العلم والى النظر فى الطبيعة انما هو الذى حفزهم الى ذلك .

ومن النظريات التي يحاول النفوذ الاستعماري اذاعتها عن طريق قوى التبشير والتغريب الدعوة الى « تقبل الحضارة الغربية بفكرها تقبلا كاملا » وهو ما لا تقره الشخصية العربية ذات الذاتية الاصيلة والملامح الواضحة فى ثقافته وقيمه التى كان لها ولا زال الرصيد الضخم والتاريخ الطويل الزاخر بالبطولة والايمان والطابع الانسانى المؤمن بالاخاء الانسانى والعدل الاجتماعي والحرية والكرامة .

ومن حق العرب التماس عوامل القوة والحيوية والايجابية فى الحضارة ، ولكنهم سيظلوا قادرين

دوما على الاحتفاظ بشخصيتهم قوية حية وذاتيتهم كريمة غلابة دون ان تذوب فى غمار الاممية او تسقط فى ظلال النفوذ الاجنبي او ما يطلق عليه الفكر العالمي .

وعلى الذين يرون ان محاولات تغريبية قديمة قد حاولت سلب الشخصية العربية والذاتية العربية طابعها وروحها ، وان هذه المحاولات قد فشلت او اجهضت عليهم ان يعلموا ان كل المحاولات الجديدة ستبوء بنفس الفشل ، وعلينا ان نذكر كيف واجه العالم العربي ازمتين خطيرتين هما هجوم الفرنجة وهجوم التتار وذلك فى خلال اكثر من مائتي عام وقد اثبتت الذاتية العربية ذات الجذور العميقة انها قادرة على الصمود والمقاومة .

واليوم تواجه الذاتية العربية نفس الموقف او شبيها به فى قوة واصرار لا يغلب ، وكل محاولات التبشير والنفوذ الاجنبي لاثارة هذه الشبهات سوف لا يحق شيئا لان الفكر الاسلامي العربي اشد ما يكون قوة وحيوية ومضاء .

انور الجندي





تمتاز حياة الرسول الاعظم ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، بالدعوة الى الله ، سرا وجهرا ، ومقاساة الشدائد العظام ، والمغامرات الجسام ، فى سبيل اعلاء كلمة الله ، وتثبيت دعائم الاسلام ، ونشر بنوده بين الخاص والعام ، حتى تعم رسالته القيمة جميع انحاء المعمور ، وحتى تنبض بمبادئه السامية ، وقواعده الرفيعة ، جميع القلوب . وفى ذلك خير وصلاح البشرية جمعاء ، لان الاسلام هو الدين المفضل عند الله ، (ان الدين عند الله الاسلام) فهو عليه الصلاة والسلام ، فى حياته الخاصة والعامة ، مثال الانسان الكامل خلقا وخلقا ، والرجل العاقل قولا وفعلا ، والبطل المغوار حقا وصدقا ، والنبي الصالح تلقيا وتبليغا ، والمعلم الاول تهذيبا وتقويما ، والعابد القوام ، المنيب الى الله فى خشية وتبتل ، والناصح الامين ، الذى ءاتاه الله الحكمة ، وفصل الخطاب ، « فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » والناشر الوية العدل ، بين بني البشر ، بسلوكه النير ، وسيرته القويمة ، « ولكم فى رسول الله اسوة حسنة » والغارس بذور الهدى والفضائل ، فى قلوب صحابته الاجلاء ، واتباعه النبلاء بعثه الله رحمة للعالمين ، ونبراسا للمهتدين ، فقال عليه الصلاة والسلام : ــ انا رحمة مهداة ــ وبذلك كان امام المتقين ، فيه تتجسد معاني الاخلاق الاسلامية ، ومنه تفيض ينابيع التقوى ، التى هي محور الايمان ، ومركز المبرات ، ولما كانت التقوى جماع اخلاق الاسلام ، حفل بها كتاب الله فى اكثر من مائتي موضع ــ من ذلك قوله تعالى :

« وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

وقوله تعالى : « يا أيها الذين ءامنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقو الله لعلكم تفلحون » فالمومنون متعاونون على الخير ، متضامنون فى القيام به ، ساعون فى بثه ونشره ، وصابرون على القيام بطاعات الله ، ومغالبون فى صبرهم اعداء الله ، ومرابطون فى مراكز الجهاد ، بخيلهم ورجلهم استجابة لامر الله ، واسوتهم فى ذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . ومن تتبع الآيات القرءانية الكريمة ، التى ذكرت فيها مادة التقوى ، يجدها مقرونة بالتعاون ، والبر ، والصبر ، والمصابرة ، ولرباط فى سبيل الله ، كما راينا ، ويجدها فى ءايات اخرى مقرونة بالشجاعة والعدل ، والوفاء ، والرحمة ، والامانة ، ورباطة الجاش، وقوة الشكيمة وغير ذلك من الصفات الحميدة التى يتحلى بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه من المومنين ، لذلك نبه الله تعالى فى كتابه الكريم ، على عظمة التقوى ، وسمو مكانتها، بين اخلاق الاسلام ، فقال فى حق المومنين الذين يتحلون بها :

« ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » .

هذا النبي الامي الذى نحتفل بعيد مولده الشريف ، ادبه الله تعالى فاحسن تاديبه ، وعلمه ، فعزز مناهل عرفانه ، وجعل رهن قطفه ، ثمرات احسانه ، وافاض ينابيع الحكمة من جنانه ، وعلى لسانه ، « وعلمناه من لدنا علما » فقال عليه السلام : انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق — ولذلك حض فى كثير من الاحاديث ، على اقتباس هذه المكارم ، ودعا الى التحلي بها واشاعتها بين الناس فى لباقة ودماثة. ولنشر هنا ، ولو اشارة عابرة ، الى بعض الصفات النبيلة ، التى تحيط بالتقوى احاطة الاسورة بالمعصم ، او النجوم بالقمر ، فنتصور النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتلو قول الله تعالى : « ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرءان ، ومن اوفى بعهده من الله » فتنمو بذلك فى قلبه الطاهر ، صفة الشجاعة التى لا نظير لها وتتربى فيه قضية المنة ، التى ذلل بها جميع الصعاب ، فاذا كان الوقت سلما ، كان شجاع الراي ، يصدع بالحق ويجهر به ، ولا تاخذه فى الله لومة لائم ، قل انصاره او كثروا — انما يعنيه امر بث العقيدة الاسلامية ، وغرسها فى النفوس ، مهما تحمل فى ذلك من اذى ، ومهما تكبد فى ذلك من ءالام ، ومهما لاقى فى طريقه من عناد ، صادر عن اولئك الجفاة ، غلاظ الطباع ، الذين وصفهم الله بقوله « فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ، وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه » .

وان كان الوقت حربا ابان عن شجاعة نادرة ، فى كل المواقف ، التى ديدنه منها تسفيه احلام الاعداء وتحطيم ءالهتهم ، التى يعبدونها من دون الله ، وهجيراه تقوية جنوده ، وتحريضهم على الثبات فى معارك الدفاع الى النصر ، وفى ذلك يقول لصحابته فى غزوة بدر : والذى نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل ، فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر ، الا ادخله الله الجنة .

ويقول فى غزوة احد ، وقد لبس لامته ، ورجاه أصحابه ، أن يقاتلوا دونه : ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته ، ان يضعها ، حتى يقاتل ، ويحكم الله بينه وبين عدوه ، وخرج فى الف من اصحابه « وفى هذه الموقعة ، يقول ابن هشام كسرت رباعيته ، وشج وجهه ، وجرحت شفته ، وسال دمه على وجهه ، فكان يمسح الدم وهو يقول : كيف يفلح قوم ، خضبوا وجه نبيهم ، وهو يدعوهم الى ربهم ؟ . »

ونجاه الله هو واصحابه ، وحماهم من مكر اعدائهم ، فرجعوا سالمين ، دون ان يمسوا بسوء ، وفى ذلك يقول الله جل جلاله : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

وفى حنين ، لم يفر رسول الله ، بل ظل على بغلته يقول .

انا النبي لا كذب
انا ابن عبد المطلب

كما قال البراء بن عازب

وشجاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم تكن لمجرد فرض السيطرة ، واخضاع الرقاب ، وانما كانت لاعلاء كلمة الله ، (قال اعرابي : يا رسول الله ، الرجل يقاتل حمية ، والرجل يقاتل شجاعة ، والرجل يقاتل ليرى مكانه فى سبيل الله ، فقال صلى الله عليه وسلم ، من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو فى سبيل الله)

ويكفي فى ذلك قول الامام علي كرم الله وجهه :

(كنا اذا حمى الوطيس ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يكون احد منا اقرب الى العدو منه) ومن الاخلاق النابعة من منهل التقوى ، فضيلة العدل ، التى بها تستقيم احوال الافراد والشعوب اذ لا تعايش بدون عدل ، ولا نظام بدون عدل ، ولا محافظة على الكيان بدون عدل ، ولا ظفر بدون عدل قال تعالى :

« يا ايها الذين ءامنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى » .

وفى طليعة المومنين ، المخاطبين بهذه الآية الكريمة سيدنا محمد (ص) ، الذى عرفنا عنه الشريعة المطهرة ، فمن احكامه ، يجب ان نصدر فى سلوكنا مع جميع الناس ، ومن عدله يجب ان نقبس ، وبه يجب ان نقتدي ، والى سيرته يجب ان نحتكم ، لان المثل الاعلى للعدل التام ، بين عشيرته الاقربين ، وبين صحابته ، وبين جميع الناس كما يتجلى ذلك فى اقواله وافعاله ، وشمائله كلها ، والامثلة على ذلك كثيرة ، منبثة فى كتب السير ، نجتزيء منها بما ذكره الامام الغزالي ، فى كتابه الاحياء ، حيث قال : « وجد من خيار اصحابه قتيلا بين اليهود — هو عبد

الله بن سهل الانصاري ، فلم يجر على اليهود في تقدير الدية ، ولم يزد على الحق والعدل بل طلب ديته مائة ناقة ، كما كان العرب يفعلون » . قارن يا اخي بين هذا ، وبين ما يرتكبه الصهاينة اليوم ، من اعمال وحشية ، يندى لها جبين الحياء ، سواء على ارض فلسطين الشهيدة ، او على بساط الاراضي المحتلة لترى الفرق العظيم ، بين سمو روح هذ النبي الكريم الذى «لم يجر على اليهود ولو فى تقدير الدية » — وبين نذالة شذاذ الآفاق ، الذين اصبحت نياتهم السيئة مكشوفة للخاص والعام ، ولن تكون الكرة فى النهاية ، الا عليهم ، اذ لا يحيط المكر السيىء الا باهله .

يأمر النبي عليه السلام من ولى القضاء من المسلمين ، ان يعدل بينهم فى لحظة ، واشارته ، ومكان جلوسه ، حتى يحسوا جميعا وهم يتحاكمون اليه ، انهم سواسية ، لا فضل لاحدهم على الآخر ، الا بما يمتاز به من مخافة الله وتقواه .

هذا هو الاسلام الصحيح ، الذى قبسنا من نوره الوهاج ، جذوة من سيرة قدوتنا فيه ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، بمناسبة عيد مولده الشريف ، لنذكر من يستحق التذكير ببعض اخلاق الاسلام ، فى ينابيعه الاولى ، التى لا يصلح آخر هذه الامة الا بها ، كما صلح عليها اولها ، ومن عقد مقارنة بسيطة بين الاسلام فى مجاليه الاصيلة الصقيلة ، وبين سلوك المسلمين فى القرن العشرين ، يجد الفرق عظيما ، والبون شاسعا ، بين ما انطوت عليه تعاليمه ، القيمة النيرة — وبين تصرفات المسلمين فى شتى الميادين ، سواء كانت مادية او معنوية — وضعية ، او تطبيقية . والجدير بالذكر هنا ، ان الاسلام صالح لكل عصر ومصر ، بما اشتمل عليه من قواعد متينة ، واسس مرنة ، وتقييم لشؤون المادة والروح واحتفاء بالجوانب التربوية والاقتصادية ، واسعاد عام لمتطلبات البشرية ، وقديما صوروه : ثريى ماسات لماعة ، يستضيء بها من دنا منها ، ويكون فى شبه غبشة داكنة، من بعد عنها، وكم يعجبني هذا التصوير، لان الاسلام فى حد ذاته ، نير خالد ، والمسلمون هم الذين يقبسون منه ، على قدر قربهم منه ، او بعدهم عنه ، وقد انطوت هذه المعاني فى خطاب مولانا الحسن الثاني حفظه الله ذلك الخطاب الجامع الذى افتتح به مؤتمر القمة الاسلامي الاول — يوم الاثنين 22 شتنبر 1969 — 9 رجب 1389 — حيث قال :

« ان الاسلام لا يقف حائزا بين من يعتقده ويعتنقه، وبين كل تقدم ملموس، فى الميدان الحيوي، والميدان التربوي ، وفى الميدان الاقتصادي ، والثقافي والتقني — لذلك أرى لزاما علينا ، اولا وقبل كل شيء ، ان نعيد للاسلام مكانته ، ولحضارتنا المقام الذى يجب ان تشغله » وذلك يتم طبعا بالقرب منه والصدور عنه وامتثال اوامره واجتناب نواهيه. والسير فى طريقه اللاحب ، ومحجته البيضاء ، وبذلك لا نجده عائقا ، بل على العكس من ذلك ، نجده حافزا لنا على كل ميزة ومهديا لنا كل فضيلة ، فى جميع الميادين . اذن فمعتقدوا الاسلام ، ومعتنقوه ، هم المسؤولون بالدرجة الاولى ، عن عظمة مكانته ، واستمرار شموخ حضارته ، فى القرن العشرين ، وغيره من القرون ، الى قيام الساعة .

سدد الله الخطى ووفق المسلمين لصالح القول والعمل حتى تستمر النهضة الاسلامية ، فى تكامل ، وتلاحم ، واستنارة .

فاس — الحاج احمد ابن شقرون

■

مولد المصطفى .. مولد أمة

للدكتور محمد كمال شبانة

حقا رغم هذا الزحف الحضاري الهائل الذي شمل مشارق الارض ومغاربها ، بما فى أساليب هذه الحضارة من خير وشر ، فان الامة الاسلامية « تؤمن بأنه لا يصلح آخرها الا بما صلح به أولها ، وأن بناء أية نهضة لا بد أن يتم على الاساس الذي قامت عليه النهضة الاولى للمسلمين » .

ومن هنا رأينا العالم الاسلامي فى السنوات الاخيرة ينفض عنه غبار الركود ، ويجهد ما وسعه الجهد أن تكون يقظته على مستوى الاحداث من حوله، ولا سبيل الى هذا الا ان يلتئم الشمل ، وتتوحد الكلمة ، وهذا ما وفق الله اليه القادة والحكام للشعوب الاسلامية ، فعقدوا المؤتمرات الاسلامية ، لدراسة المشاكل التي تمس المجتمع الاسلامي من قريب او بعيد ، فكان مؤتمر القمة الاسلامي المنعقد بالرباط من 22 ــ 24 سبتمبر من العام الماضي ، أحد هذه المؤتمرات التي يبشر بزوغها بفجر جديد على الاسلام والمسلمين باذنه تعالى .

ولا اكتم القارىء العزيز فى هذه المناسبة ، أني طالما خلوت الى نفسي بين حين وآخر ، محاولا من خلال معركة الحياة الدائرة رحاها ، وحركة الفلك الدائبة جيلا فجيلا ــ اسائل نفسي ماذا كانت عليه الامة العربية ــ قبل مولد الاسلام ــ سياسيا ودينيا واجتماعيا ، وهل كانت نظمهم تلك ذات اهداف سامية وغايات محددة ، بحيث كان من الممكن نتيجة اعتناقها أن تبرز الامة العربية من بين الامم المعاصرة مرموقة الجانب ، مشارا اليها فى مجالات التمدين ، والاخذ باساليب الحضارة ، وبالتالي يتسنى لها ان تؤثر فيما جاورها من امم لها تاريخها وعراقتها ؟؟

لا ريب فى ان كثيرين مثلي خلوا الى انفسهم ، واطرقوا مليا ، وقد طرحوا على خواطرهم هذه التساؤلات ، يحدوهم فى هذا ما تعيه مخيلتهم عن ماض مشرق للاسلام ، وتطلع فى الحضار لاسترداد اشراقة هذا الدين ، الذي يرتبط مجده باهله ، فيقوى بقوتهم ، ويعز بعزتهم . فلنطو عجلة الزمان الى الوراء حيث العرب فى جاهليتهم الاولى ، ملتمسين الوقوف على كنه هذا الماضي من تاريخ الامة العربية ، التى اصبحت منذ ميلاد نبيها (ص) تفرض وجودها فى خضم هذا العالم ، مهما تعالت الصيحات بالمبادىء فى الاديان الاخرى، مهما كان ما تعتمد عليه هذه المباديء من مقومات ، أو تتاح لها من امكانيات ونفوذ .

ان الاوضاع التي كان عليها العرب الاول بجزيرتهم وقبل الاسلام لم تعد سرا تضن به المؤرخات الوثيقة ، او ان انباءها لم تنلها يد المؤرخين منذ ذلك الحين ؛ ففي بساطة من العرض التاريخي يتبين لنا فى ايجاز ما كانت عليه تلك الاوضاع بين هؤلاء القوم فى مجالات السياسة والدين والاجتماع :

الوضع السياسي :

كان العرب فى جاهليتهم يسود مجتمعهم النظام القبلي ، بمعنى أن القبلية تمثل الوحدة التي رباطها

الدم والعصبية ، وتلحق القبلية بها العبيد والفقـــراء الذين يلوذون بحماها، دون ان تربطها عادة بهؤلاء صلة قرابة بالمعنى المعروف .

والحرية عند العربي اساس حياته ، لا يقبـــل التنازل عن جزء منها مهما كان المقابل ، والى جانـــب هذا نراه يتحلى بصفات اخرى كريمة ؛ كالشجاعـــة والكرم وحماية الجار ، وهي صفات ترقى بصاحبهـــا — في كثير من الاحيان — الى سيادة القبيلة ، بيد انه — من زاوية خاصة — نلاحظ ان تلك الحرية الشخصية كثيرا ما تبلورت عند الافراد الى انانية مفرطة ، حتى لتعوق احيانا تنفيذ احكام شيخ القبيلة ، بل ربما ادى الامر في هذا الشأن الى التمرد والعصيان ، وهكـــذا بينما نرى ان مسؤوليات زعيم القبيلة تبدو ضخمة ، نلاحظ — في الوقت نفسـه — ان سلطاته التنفيذيـــة محـــدودة .

اما الزعامة على مجموعة من القبائل فذلك رهن بالتفوق جاها وسلطانا وقهرا ، ومع هذا فربما شهرت احدى القبائل السيف ، فانسلخت عن هذا السلطان، واضحى وضعها عنه مستقلا ، ان تمكنت بقوتهـــا من ذلك ، والزعامة موروثة ، طالما كان الابن مثلا حائـزا لمثل صفات ابيه ، وكلما توارث ابناء القبيلة الرئاسة والزعامة كلما اصبحت قبيلتهم في مركز الجاه والشرف

وغني عن البيان ان نظاما سياسيا كهذا كفيـــل بوقوع الحروب بين القبائل المتساكنة ، بل كثيـــرا ما كانت تحدث الحرب بين افراد القبيلة الواحـــدة ، نتيجة الخلاف على الزعامة ، كحرب البسوس والفجار وبعاث ، تلك التي افنت على مر الزمن اعدادا من خيرة شباب العرب ، ومن هذا لم يعرف العـــرب معنـــى للاستقرار السياسي ، بل ولا نعمة بالامن والسكينـة نسبيا ، وطبيعي ان شعبا هذا ديدنه لا تتهيأ له وسائل الحضارة والمدنية بحال .

الوضـــع الدينـــــي :

ان تاريخ الاديان العام يؤكد لنا ان ارض المبعث قد احتوت على كافة الاديان التي اعتنقتها البشريـــة قبل الاسلام ؛ فقد عرفت الوثنية في مكة ، والمسيحية في نجران والحيرة وغسان وتخوم الحبشة ، والموسوية في يثرب وما حولها من مستعمرات يهود شمال الحجاز، وعرفت الصابئة عبادة النجوم ، وسمعت عن المجوسية بحكم اتصال امارة المناذرة العربية بالفرس .

ولكن ما من شك في ان الوثنيـــة بالجزيرة قـــد اتخذت من بين هذه الاديان طابع الغلبة والانتشـــار ، ولاسيما في مكة وما جاورها، بحكم المركز الديني الذي لا ينازع لهذه الاخيرة ، حتى لقد اضحت محج العرب في جاهليتهم ، يفدون اليها من كل صوب .

كذلك ما من ريب في ان هذه الوثنية لم تكن ذات اصالة عند العرب ، فقد وفدت اليهـــا كثيـــرها من المعتقدات بصورة او باخرى . ولعل رواية « الكلبي » في هذا الصدد لاقرب ما يكون الى الصحة ؛ فقد جاء في كتابه « الاصنام » ما يرجع به الكيفية التي دخلت بها هذه المعبودات مكة ؛ ومؤدى هذا ان عمـــرو بن لحي الخزاعي كان حاجبا للكعبة ، ثم اصابه مرض ثقيـــل ، فذهب يستشفي منه في البلقاء بالشام ، بان يستحم في عين هناك، وكان ان قدر له الشفاء بهذا العـــلاج ، وتصادف اثناء استشفائه ان راى اهل البلقاء يعبدون الاصنام ، فسالهم عن شانها ، فاجابوه بأنهم يستسقون بها الامطار ، ويستنصرون بها على الاعداء !! فطلـــب اليهم ان يستصحب بعضامنها الى قومـــه ، وكان أن قدم بها الى مكة ، ووضعت حول الكعبـــة ، وبمرور الزمن تعلق الناس بهذه الاصنام ، وتوارثـــوا هـــذا التعلق ، الذي ادى بهم في النهاية الى تاليهها وتقديسها.

ولقد كان من بين عباد الاصنام وعباد مظاهـــر الطبيعة على الخصوص من ادركوا بحاسة خفيـــة ان هناك قوة الهية بعيدة من كل هذه الاوهام ، فجاهروا بما اعتقدوا غير وجلين ولا متهيبين ، بيـــد ان هؤلاء كانوا قلة محدودة ، بحيث لم يكن في امكانها الوقوف امام الوثنية او ما شاكلها ؛ ويذكر التاريخ منهم قس ابن ساعدة الايادي، وامية بن الصلت ، وورقة بن نوفـــــل .

وتجدر الاشارة — في صدد الحديث عن الوضع الديني — الى ما كان سائدا لدى العرب من عـــادات يومئذ ، كضرب القداح ، وزجر الطير ، وغيرها من التقاليد ، تلك التي كان مبعثها الوهم والتخيل ، دون ان يتوفر لها قوة الواقع ، او برهان اليقين .

الوضـــع الاجتماعـــي :

لم تكن بين العرب في الجاهلية نظم اسرية تكفل وحدة القبيلة ، تبعا للاستقلال الذي كانت تتمتع بـــه البطولة يومئذ ، ولاختلاف العادات بينها احيانا ، بيد انه كان هناك اجماع نحو بعض المعايير الاجتماعيـــة ، مثل « الحرص على المراة » ، واعتبار عرضها اغلى من

المال والولد والنفس ، فمن مظاهر هذا الحرص مثلا عادة استصحاب العرب للنساء فى مؤخرة الجيوش ، ليدرك المحارب ان هزيمته انما تعني استحلال عرضه لاعدائه ، فكان هذا كفيلا باستماتته فى الصراع (1) ولهذا فكثيرا ما ادى هذا الاعتبار الى الكوارث والحروب بين القوم . كذلك من مظاهر هذا الحرص على المراة وحمايتها ما كان عند بعض القبائل العربية من واد البنات ؛ احتياطا للعار ، او الاسر فى الحروب .

اما نظام تكوين الاسرة العربية فى الجاهلية فهو نظام الزواج التقليدي ، مع اعتبار الفارق فى الطقوس والتقاليد ؛ فالرجل يتقدم الى اسرة المراة خاطبا ، فان وافق طلبه رضاهم زفت اليه المراة ، وبنى بها ، وكثيرا ما كانت استشارة المراة شرطا فى الايجاب والقبول ، وكان الطلاق فى معظم الاحيان بيد الرجل ، ولم يمنع هذا ان يكون احيانا بيد المراة ، كما حدث مع سلمى بنت عمرو احدى نساء بني النجار، وام عبد المطلب بن هاشم جد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فمن هذا يتبين لنا ان الطلاق كان معروفا لديهم ، كما كان مكروها بينهم على أي حال ، يتضح هذا من قصة أوس بن حارثة وبناته الثلاث ؛ عندما جاء الحارث ابن عوف خاطبا ، فاستدعى الكبرى ، وعرض عليها ، ولكنها اعتذرت لعيوب كانت تراها فى نفسها ، وتخشى معها ان يطلقها اذا ما اكتشفها ، واردفت قائلة : انه ليس قريبا لي فيرعاني ، او جارا لي فيستحي من ابي . فعرض الوالد الامر على الوسطى ، فاعتذرت بدورها لاسباب تقرب من عيوب الكبرى ، فمال الى الصغرى يرغبها ؛ فقبلت ، وكان ان قص عليها ابوها ما كان من امر اختيها ، فقالت : لكني — والله — انا الجميلة وجهاء الصناع يدا ، الرفيعة خلقا ، الحسيبة ابا ، ولما سالها الاب : الا تخافين الطلاق ؟ اجابت : ان طلقني — مع مالي من هذه الصفات — فلا بارك الله فيه ، فزوجها منه .

وفى مجال تعدد الزوجات لم يكن العربي يتقيد بعدد معين ، وتروي الاخبار ان بعضهم اسلم وكان تحته من النساء اكثر من اربع ، فطلب اليه ان يختار منهم اربعا ، ويطلق الباقي . والعرب يميلون عادة — ولا سيما يومئذ — الى الانجاب ، مباهاة بكثرة البنين والحفدة ، وحيث عماد الاسرة عليهم بقاء ، وحماية ذمار .

كذلك من عادات العرب — فى هذا المجال يومئذ — انهم كانوا لا يزوجون بناتهم للاعاجم ، وقصة النعمان ابن المنذر مع كسرى — فى هذا الشان — خير شاهد على هذا التقليد ؛ فقد رفض النعمان ان يزوج احدى بناته لكسرى ، ودفع حياته ثمنا لتلك ، ولن تبعد فى الزمن كثيرا ؛ فما زالت عادة كهذه على الخصوص تسود كثيرا من القبائل العربية فى مجتمعاتنا .

ومن العادات الاجتماعية الكريهة عند عرب الجاهلية ، ما عرف بينهم من « ان زوجة الاب كانت تورث كما يورث المتاع » ، وهو ما عرف فى الفقه الاسلامي بنكاح المقت ، وكان قاصرا حينئذ على المراة التي ليس لها اولاد كبار ، وربما كان هذا راجعا الى ما رسخ فى اذهانهم من ان المراة بزواجها قد انحلت صلتها باسرتها ، وبالتالي اصبحت قطعة من بيت زوجها .

ومن المبادىء السيئة التي كانت تسود المجتمع العربي القديم ، ما شاع بين القوم يومئذ من نصرة الاخ ظالما كان او مظلوما ، حتى اضحى مثلا جاريا ، وغني عن البيان ما كان يجره هذا المبدا من خصومات بين ابناء الاثنين عادة ؛ كما حدث بين ابن عبد مناف (هاشم وامية) ، وبين العباسيين والعلويين ، مع انهما فرعا عبد المطلب بن هاشم !!

وبعد ... فهل نستطيع بعد هذا العرض لتلك الاوضاع عموما ان نقول : ان ظهور الاسلام بالحجاز كان انقاذا للمجتمع العربي ، واعدادا للمسؤولية التى القاها هذا الدين على عاتق العرب ؟ وبالتالي الا يكون مولد الرسول ميلاد الامة العربية ؟

حقا ؛ فقد كانت الاحوال السياسية والدينية والاجتماعية فى الجزيرة العربية — كما راينا — قبيل الاسلام خاصة مدعاة لانقاذ سريع ، وتغيير يكاد يكون شاملا فى هذه المجالات ؛ فقد استشرى وبال ما ساء منها ، وجله كان يخضع لعامل الوراثة ، « انا وجدنا آباءنا على امة » ، وتطلع العقل البشري للخصوص من نير التقليد ، ومن زاوية اخرى طالما تاقت النفوس يومئذ الى حياة يسودها السلم والامن، بعد تلك الحروب القبلية الطاحنة ، فكانت ولادة المصطفى صلى الله عليه وسلم ايذانا بنجاة البشرية مما قاسته ؛ فقد اضطلع محمد النبي العربي باسمى رسالة فى الوجود ، حيث بعثه الله الى العالمين بشيرا ونذيرا « وكان النبي يبعث الى قومه خاصة ، وبعثت الى الناس كافة » .

---

1) البلاذري — فتوح البلدان — ص : 171 .

لقد جاء الرسول بكتاب من عند الله « لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه » جمع بين دفتيه تشريعات سماوية ؛ ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، وليقودهم الى حيث رفاهيتهم في دنياهم ، ونجاتهم في اخراهم ، فكانت أسسه ـ بهذا الاعتبار ـ صالحة لكل زمان ومكان ، وانه بالتالي يكون الاسلام دينا ودولة ؛ اذ معظم الآيات القرآنية هدفها التشريع، وقد شرحها الرسول بقوله او بعمله ؛ كما اشار النبي ـ فعلا او قولا ـ لما لم يرد فيه نص قرآني، وعلى هذا وجد مصدرا التشريع الاسلامي (القرءان الكريم والحديث الشريف) .

ويجمل بنا في هذه المناسبة ان نورد اشارات من هذه التشريعا على سبيل المثال لا الحصر طبعا ؛ ففي مجال السياسة اقر الدين مبدا الشورى ؛ فقال تعالى: « وامرهم شورى بينهم » ، وفي مجال الاقتصاد وضع الاسلام مبدا كفالة المجتمع بعضه لبعض بقول الرسول: « ليس بمسلم من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم »، ومن الاسس في مجال الاجتماعات مبدا المساواة بين الجميع في الحقوق والواجبات ، ايا كان الجنس واللون والدين « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » فالتقوى ـ اذن ـ وحدها مجال التفضيل بين العباد ، يتبع هذا حسن المعاملة للجميع « وقولوا للناس حسنا » . وهكذا لا نكاد نحصر تلك التشريعات الاسلامية الفريدة ، ولا سيما منها ما كان متصلا بالنواحي الاجتماعية ؛ كقوانين الزواج والطلاق والميراث، وتنظيم الاسرة، وما الى ذلك من التنظيمات التي انقذت المجتمع العربي، واضطلع المسلمون بنشرها بين العالمين في كل زمان ومكان ، تحملا منهم للمسؤولية التي القاها الاسلام على عواتقهم جيلا بعد جيل .. ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ، يامرون وينهون عن المنكر » .

ولقد صدق اسلافنا الاوائل ما عاهدوا الله عليه، فشرق الاسلام على ايديهم وغرب ، ولم يالوا جهدا في سبيل انقاذ البشرية مما كانت تعانيه على أيدي الاكاسرة والقياصرة ، ففكوا عنهم اسرهم ، وخلصوهم من اغلالهم ، ونشروا بينهم نور المعرفة ، وكانت الحكمة والموعظة الحسنة السبيل الاوحد الى الايمان، وبذلك رد الاسلام الى الشعوب التي اعتنقته كرامتها وانسانيتها ، ونفث فيها روح التفكير وتحكيم العقل في اسرار الكون ، حتى اضحى المسلمون يوما قادة العالم وسادته ، ومصدر نور العلم والمدنية ، تشهد لذلك المراكز الثقافية الاسلامية حينئذ ؛ في بغداد والنجف وكربلاء ودمشق والقاهرة والقيروان وتلمسان وفاس وقرطبة وغيرها ، الامر الذي يجعل الانسانية كلها مدينة للاسلام برفعة شانها ، ورقي حضارتها ، لانه مهد لها آفاق المعرفة ، وارشدها الى الكشف عما يكتنفه هذا الكون من أسرار .

حقا لقد اتى على المسلمين زمن خمدت فيه جذوتهم ، وكانت لذلك عوامل ضعف وحيرة ، جلها مما كسبت ايديهم ، فتسلط عليهم الغاصب ، تملكهم في عقر دارهم ، ولولا ان اتاح الله لهم نعمة الاستقلال لظلوا في الاسار ، فما اجدرهم اليوم بالتضافة تجمع الشمل ، وتوحد الكلمة ، مترسمين خطى السلف الاماجد ، صونا لدولة الاسلام ، وصدا لزحف عدو غادر ، طالما ناصب المسلمين العداء منذ فجرهم ، فنظرة عجلى على مواقف اليهود من الرسول (ص) كفيلة بالحيطة والحذر لا سيما ونحن الان نتربص بهم الدوائر ، ونقطع عنهم سبل المخاتلة ، « ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين » .

واليوم ونحن بذكرى صاحب الدعوة المحمدية ، علينا ان نستشعر جميعا ما انيط بنا من واجبات دينية ووطنية ، كل في ميدان عمله ، مترسمين سيرة المصطفى كفاحا ونضالا في سبيل الحق والواجب ، داعين للابطال المقاتلين بالنصر ، ولولاة امورنا بالتوفيق. انه سميع قريب مجيب .

فاس : د. محمد كمال شبانه

الدعاء: اشعاع الروح

بقلم الدكتور الكسيد كاريل الحائز على جائزة نوبل فى الطب
ترجمة الأستاذ هادى مدرس

ما هو الدعاء ؟..

هل هو مجرد «عبادة» يتقرب بها المؤمنون الى اللـه ؟

فى نظري : كلا !

ان الدعاء، فى الواقـع، اشعـاع تفرزه الروح الداعية وهو اعظم «قوة» يخلقـه الانسـان ، فالاثر الذى يتركه الدعاء على الجسم والروح الانسانيين ، لا يقل تأثيرا عن الغدد المرشحة فى الجسم .

ويمكننا ان نقيس ءاثار الدعاء ، بالامور التالية :

ا ـ تعميق فهم الانسان للروابط الكونية .
ب ـ تقوية الفكر الانساني .
ج ـ تكبير الروح المعنوية فى الانسان .
د ـ تصعيد مقاومة الجسم للحوادث .

ولو ان الانسان كان يلتزم بالصلاة والدعـاء التزاما حقيقيا لكنا نشاهد تغييرا اساسيا فى جميع نواحي الحياة ..

ان للدعاء اثرا كبيـرا على اعمـال واقـوال الانسـان ، وان الذى لا يفتر يدعو ، يطبع كافة تحركاته بطابع رائع من المعنوية .

ادع من صميم قلبك ، وتفرغ الى الله العظيم، تشهد ميلاد مشعل فى داخل وجدانك .

الدعاء الحقيقي ، يكشـف «الانسـان» امـام «نفسـه» ويزيل كثيرا من المخاوف والشكوك التى لا مبرر لها ، كما انه يخلق فى ضمير الفرد وجدانـا اخلاقيا يحس من خلاله كأنه يقوم بجولة فى ملكوت الله الرحبة .

ان واقعية الدعاء ، لا تقل عن واقعية الجاذبية للارض ، وانا ، كطبيب محترف ، شاهدت كثيرا من المرضى الذين عجزت العقاقير الطبية عن معالجتهم فتوسلوا بالدعاء ، وعولجوا معالجة فعلية .

الدعاء هو «القوة» الوحيدة التى تنبعث مـن «الطبيعة» ولكنـها «تسيطـر» عليهـا فـى نفـس الوقت .

وعندما تحدث مثل هذه «السيطـرة» يقال : ان معجزة حدثت ، غير ان الذين يستمـدون مـن الدعاء ـ دائما ـ القوة والصمود ، تحدث لديهم مثل هذه «المعجزة» فى كل لحظة من لحظات حياتهم .

هناك كثيرون ممن يتصـورون ان الدعاء انمـا هو مجرد «الفاظ» يعتمد عليها ضعفاء النفـوس ، للحصول على اكبر قدر ممكن من الامـور الماديـة ، وهذا التصور الخاطيء يشبه الى حـد بعيـد : ان يتصور الانسان ان المطر انما هو : قطرات الماء التى تنزل من السماء لارواء طيور الحب !

ويجب القول بان الدعاء : خطوة اساسيـة فى طريق التكامل الحقيقي ، وهو ضروري على اغـلى الملكات الانسانية .

فى الصلاة والدعـاء ، فقط ، ينسجـم فكـر الانسان مع روحه وجسمـه لتعطيه قـوة اكبـر ، وصمودا اقوى .

ان واقعية كلمات هذه : « ادعونـي استجـب لكم» قد اثبتتها التجـارب البشرية اثباتـا لا يقبـل الترديد .

صحيح انه ليس باستطاعة « الدعاء » ان يحيي الطفل الميت ولكنه مثل اشعاعات « الراديو » منبع حقيقي لقوى كبيرة تنبعث من نفسها .

والسؤال هنا هو : كيف صار للدعاء ، كل هذا التأثير ؟

وللاجابة على هذا السؤال يجب ان نشير (طبعا خارج نطاق العلم) الى ان كافة الادعية تجمع على شيء واحد ، فدعاء المؤمنين داخل المساجد والكنائس ، ودعاء الانسان البسيط للحصول على غزال سمين في الصيد ، ودعاء الام لشفاء طفلها المريض ، كلها تشير الى حقيقة واحدة ، وهو الله تعالى .

فعندما يدعو الانسان ، او يصلي فانه يتصل بالقوة الازلية ويحاول عن طريقها جبر ضعفه ، فيحس بمناعة ، وسكون نفسي رائع ، كلما اتم دعاءه بنجاح .

ومن هنا فانه لا يستحسن الاستفادة من الدعاء للحصول على اهواء النفس ، وانما الضروري ان يدعو الانسان ليتخلق بأخلاق الله ..

ان الدعاء والصلاة تجعلان الانسان يشعر كانه في حضور الله ..

شوهد رجل في آخر صف في مكان للعبادة محملقا الى نقطة معينة ، فسئل : الى من تحملق ؟ فاجاب : انظر «اليه» و«هو» ينظر الي .

هكذا يجب ان يكون الداعي .. في حضور الله العظيم .

الانسان لا يدعو لكي يذكره الله ، فحسب ، وانما ليذكر الله ايضا .

ما هو الدعاء ؟

الدعاء ، محاولة مقدسة ، للتكلم مع القوة التي تسيطر على الكون ، وهذا الوصف يبقى مجهولا لدى العقل واللسان ما دام العقل واللسان عاجزين عن وصف الله .

وكما ان الله يعرف بآثاره، فان الدعاء ، اذا كان من اعماق القلب ، له تأثير حسن على الروح والجسم ، ومن هذه الزاوية يمكن معرفة الدعاء .

ولا يمكن ان يدعو اي رجل او امراة من غير ان يحصل على شيء ما ..

يقول امرسون : « لم يدع انسان الا وحصل على شيء »

اين ندعو ؟

في كل مكان ..

ان كل الامكنة صالحة للدعاء : البيت، الشارع، الباص ، الادارة ... الخ

يقول الفيلسوف الرواقي « ابكتتوس » : « على الانسان ان يكون دعاؤه اكثر من تنفسه » .

ولكي يتمكن الانسان من بناء نفسه ، من جديد ، فان اللازم ان يعتبر الصلاة والدعاء عادية يومية له ، وعليه ان يعرف انه لا معنى لان يصلي الانسان صباحا ثم تكون له حركات وحشية باقي النهار ، ان الدعاء الحقيقي طريق من طرق الحياة ، كما ان ارتياد الطريق المستقيم هو خير دعاء .

الفاظ الدعاء

ان احسن الفاظ للدعاء ، هي التي تشبه «غزل العاشقين » ، تتكرر المعاني ، من دون ان تتكرر الالفاظ .

صحيح اننا لا نتمكن من ان ندعو كالقديسين ، ولكن من المؤكد ، ان الدعاء له تأثيره مهما كانت الالفاظ ، فالله يسمع كل كلمة يفوه بها الانسان اذا كان فيها شيء من التوجه اليه ، واقل اشارة منه — تعالى — تعني كل شيء بالنسبة الى الانسان .

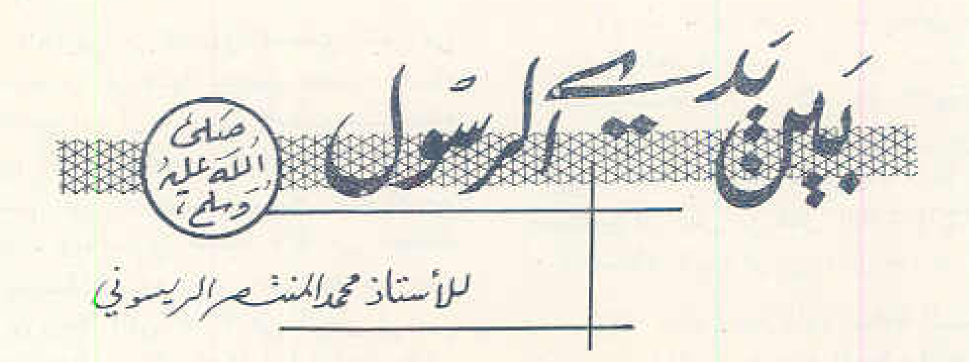
اننا اليوم بحاجة ماسة الى الرجوع الى الدعاء ، باعتباره متراسا، وباعتباره قوة روحية ..

فاهمال جانب الروح في الحياة العصرية ، هو الذي جعل العالم على حافة انهيار كبير ، ومن المؤسف ان اعظم منابع القوة لا تزال غير متطورة عند الانسان ، فالدعاء الذي هو اعمق رياضة روحية ، لا يزال مهملا عند انسان العصر الحديث .

ان على الروح ان تثبت وجودها من جديد ، في عالم لا يهمل بمقدار ما يهمل الروح .

وفي نظري : لو ان الدعاء كان يأخذ مكانه اللائق به ، لكنا نرى العالم اليوم في حلة اروع ، وشكل اجمل .

ترجمة : هادي مدرس



عالم القرن العشرين يعج بكثير من المذاهب المختلفة ، وعديد من العقائد المتنوعة ، وكل مذهب او عقيدة تحاول اكتساب الانصار والمؤيدين ، ولكن بالنظر الى هذه المذاهب بروية ، ومناقشتها مناقشة علمية عقلية يتبين انها جميعها زائفة ، لا تقوم على اساس صحيح يوفر للانسانية سعادتها المنشودة ، وخذ على سبيل المثال المذهب الشيوعي الذى يرتكز على فلسفة مادية لا تعترف الا بما تدركه الحواس ، وتسخر من القوة الروحية ، فتجعلها حقائق مزورة ، وتؤمن بان العالم حقيقته تتمثل فى ماديته كما يقول انجلز .

ولو عقل الانسان ، وفاء الى نفسه من شروده وذهوله ، فعمد الى الاسلام يستفتيه لوجد عنده منهاجا كاملا متناهيا فى الدقة ، مترابط الجوانب ، متفردا فى وسائله ونظمه ، هادفا الى معالجة الكيان الانساني بما فيه من قوى مختلفة ، مسايرا له في فطرته من غير ارهاق وقسر كما فى المذاهب العقدية الاخرى التى لا تراعي المخلوق البشري فى ضروراته وملابساته، وتساومه جوهر طبيعته الذى خلقه الله عليه ، فاذا حاولت تقويمه من جهة ، فانها من جهة اخرى تجور عليه ، ولا تمكنه من حقوقه المشروعة ، على نقيض النظام الاسلامي فانه يتميز بالاحاطة والشمول مع الانقياد لهدف واحد وغاية واحدة .

ومن بين ما يحويه منهاج الله القيم الاخلاقية، وهي فيه فريدة من نوعها بين القيم الاخلاقية الاخرى عند دعاة الاخلاق والعقائد ، وان تلاقت فى بعض الجوانب معها فانها تختلف عنها فى الجوانب الاخرى وفى الشمولية واليقظة الحية ، لكونها دقيقة تتناول كل خوالج النفس البشرية وتعزف على كل اوتارها ، ونتيجة لذلك كانت امتنا أمة فذة على مدار تاريخ الانسانية شيدت حضارات ، وانشات نظما استجابت لحاجة الانسان فوفرت له رغدا روحيا وجسميا وعقليا ما كان يحلم به لولا المنهاج الالهي الكامل الذى حمله المسلمون الحقيقيون باخلاص الخشوع وايمان المؤمن .

ونحن الآن مدعوون لنسرح فى عالم اسلامي سني متالق يتالق من مثل رائعة وقيم فاضلة تخطط فى مدونة للانسان دستورا يسير عليه فى حياة متناسقة مستطابة ، وهذه القيم ترسمها احاديث ثلاثة كانها غلالات من نور اخترتها من بين اخواتها الكثيرات . وهي تشكل موقفا شيقا ضد ما فى ظلمات النفس الادمية من حقد ، وتصنع مصابيح هادية الى دروب النور .

اذا ليسمع ما عند هذا الرسول الكريم .

قال صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » .

الحب دنيا مشرقة بالخير والصفاء ، حافلة بالنبل والفضيلة ، فجوهر الايمان الحب ، حب النفس النفس ، وانس القلب بالقلب ، لا انانية ولا بغض ، ولا كراهية انما هو الطيبة والتنكر للميول النفسية .

والحياة الانسانية ما احوجها الى رصيد كبير من المحبة رغم تسلقاتها الحضارية العملاقة ، هي اجدر بهذه الوصية النبوية السخية حتى يتسنى لها ان تحيا في شيء من العيش لا تكدر صفاءه شائبة حقد وضغينة .

فالانسان الحقيقي في التصور المحمدي البهي من تخطى ذاته منعتقا من قوقعتها ليشمل عطفه اخاه والكون بما فيه من اسرار ، وهذا العطف يستمده المؤمن من معين الحب الالهي الذي يوجهه من باطنه ، فيتجسم في تصرفاته اليومية وسلوكه مع اخوانه في الله ، وتحضرني حكاية غاية في اللطافة يحكيها ابن تيمية في معرض حديثه عن حب المتصوفة هي ان رجلا القى نفسه في البحر فرمى محبه نفسه بعده فقال : انا وقعت فما اوقعك خلفي قال : « غبت بك عني فظننت انك اني » ..

فما احلاها من حكاية سواء صدقت ام لم تصدق فان الانسان حرى ان يكون اقرب الى العطف والحدب منه الى القسوة والعنف كي تنتظم الحياة في مسيرتها المباركة متطلعة الى عالم مشع وافق وامض ، من اجل ذلك يمجد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الاخاء اعظم تمجيد ويحييه اروع تحية، ويدعو الى استثماره في العلاقات بين الافراد لانشاء مجتمع متآخ سليم من كل الاحقاد ، وعوامل الفرقة والخور ، عامر بالتراحم والتعاطف .

ثم يتحدث رسول الانسانية عن العمل عندما سأله اصحابه في الاحتراف هل يفتيهم عن السؤال فقال في لمسات صافية معطرة : لان ياخذ احدكم احبله فياتي بحزمة من حطب على ظهره ، فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من ان يسأل الناس اعطوه ام منعوه »

فهذا توجيه محمدي باهر ضد ما في الحياة من فراغ قاتل دخيل على الطبيعة الانسانية التي هي قمينة بأن تكون بمبعدة عن هذه الطفيليات واللحظات الضعيفة .

والمؤمن الحق في النظر الاسلامي من يكون شعلة متوقدة من النشاط والمثابرة ، لا يعرف اليأس الى نفسه طريقا ولا يعرف هو اليه طريقا، المؤمن ذلك الانسان المطمئن الفؤاد الذي ينطلق في ارض الله بثقة ويقين واستبشار وابتهاج ، يعمل ليكسب رزقه من مورد مشروع مهما كانت طبيعة العمل او جوهر الحرفة ، اذ لا تفاضل بين الحرف ما دامت غاية كل واحد ضمان عيشه الرغيد، والانسانية في كل مراحلها التاريخية محتاجة الى من يضطلع بالعمل اي عمل كيفما كانت صورته ونوعه ، العمل الذي يعود باحلى الثمرات على الامة .

ولو لم تكن الحرف وما يتعلق بها من بعيد او قريب لها اهمية قصوى ما كان انبياء الله اصحاب حرف وصناعات برغم الرسالة الالهية التي كلفوا بتبليغها لاقوامهم ، فاصغ معي الى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول : « ما اكل احد طعاما خيرا من ان ياكل من عمل يده ، وان نبي الله داود عليه السلام كان ياكل من عمل يده » .

وقد كانت مهنة داود صناعة السيوف والدروع، كما كانت مهنة نوح عليه السلام النجارة وصناعة السفن والى ذلك يشير كتاب الله العزيز في قوله : « واصنع الفلك باعيننا ووحينا ، ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ، ويصنع الفلك ، وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه »

وليس الغرض من اشتغال انبياء الله واولي العزم من الرسل بالحرف والصناعات الاثراء والغنى ليجمعوا الاموال ويكدسوها في خزائنهم ، وانما الغرض لطيف هو تعليم البشر كيفية العمل، وسلوك الفجاج للحصول على العيش الكريم الذي يصون كرامة الانسان من الوقوع في المذلة والهوان ، ويرفعه الى مستواه اللائق ، ومرتقاه السامي الذي يريده له الاسلام .

فالارشاد المحمدي الشريف في مجال العمل لا يقتصر على الخدمة الفردية فقط ، وانما يتعداه الى آفاق واسعة الارجاء ، ذلك انه يرغب ترغيبا جادا على ان يكون نوع العمل حيويا ايجابيا يشمل كل مرافق الحياة، ومسهما في بناء حضارة الفرد التي لا تقوم الا على تناسق المجهود تناسقا ينبثق عنه دفق من الخير طيب ، ولا ادل على ذلك من ان الكون ما خلقه الخالق ، لا ليستثمر بنو الانسان خيراته ، ويكتشف ما يتوفر عليه من اسرار خفية لا تتحقق في عالمنا المحسوس الا بالسعي المباشر المستمر ، والجد المتواصل ، والى هذا يشير القرآن الكريم في روعة آخذة بقوله : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله لعلكم تشكرون » .

فهذه شهادة بالغة الحجة من كتاب الاسلام المعجز ، تؤكد مدى ما يمكن للانسان ان يسعى اليه

فى حياته للظفر بالامنية التى تراوده ؛ وليس الانسان مطالبا بالعمل ءاناء الليل واطراف النهار فالقرءان الكريم – كما سبق – قد قسم الزمن فى كون الله الى قسمين : ليل نهار ؛ الاول يخلد فيه الانسان الى الراحة ، والثاني يستأنف فيه كفاحه المجيد .

ثم ماذا يقول معجزة الكون فى توجيهاته العملاقة : الدين النصيحة . قالوا لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ، ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم »

الاسلام نصيحة يا لجلال هذا الدين ويا لروعة رسوله الامي ، النصيحة عماده وقوامه ، تلك التى ينبني عليها العمران الانساني ، وتسير عليها خطوات البشرية فى صعودها التقدمي .

فكل من نصح فقد تمكن من ان يحقق لنفسه رضى الله ورسوله ، وان يشارك فى عمارة الوجود مشاركة فعالة عظيمة ، واول ما تكون النصيحة تكون لله ، وهي الانقياد له والخشوع لاوامره ، وطاعته ظاهرا وباطنا ، وتنزيهه عن النقائص والسير فى طريقه المستقيم ، ومحاربة كل من عمل على مجابهته بافكار هدامة ، ومعتقدات حيوانية منحرفة .

النصيحة لله التامل فى عجائب كونه ، واستبطان اسراره ، والاعتقاد بان ءايات وجوده متجلية فى كل شيء ، فى الوردة الالقة ، فى النجم الساطع ، فى النملة وهي تدب ، فى الطير وهي تغدو خماصا ، وتروح بطانا ، فى ملايين ملايين الخلائق.

النصيحة لله هي الايمان الكامل بانه يراقب مخلوقه فى تصرفاته الدقيقة والكبيرة ، فى قلبه نابضا ، وعقله مفكرا ، وجوارحه عاملة ، عندما يكون هذا التيقظ النفسي ، والحاسية الايمانية المثلى تجاه الخالق يستقيم الشعور ، وتتزن النفس ، ويحيا المجتمع سعيدا عن الدنس والاحقاد ، لكونه يتعامل مع الله ، متشاقا اليه بمحبة واطمئنان .

ثم النصيحة لمن بعد الله تعالى : انها لكتابه ، للقرءان، قرءان الله المعجز ، وكيف تكون النصيحة لهذا الكتاب الخالد ، انها تتجسد فى العمل به ، فى قراءته بقلب مليء بالخشية والايمان ، وفهمه فهما جيدا ، ومحاولة نشره بين الناس بشتى الوسائل ، وجعله فى متناول يد الانسانية جمعاء ، لانه كتاب حق وشريعة متناهية فى الدقة والاتقان ، ودستور لا كالدساتير ، جامع مانع صاغ تصورا هائلا عن النظم وقضايا الانسان ، فرفعه من جاهليته الى مشارق النور وءافاق الضياء ، ولكن الانسان جهول ظلوم .

وكتاب الله ما ذكره مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه ، لا ليتنبه العقل الانساني الى ان صلاحه وسعادته تكمن بالفعل فى الرجوع اليه فى كل شؤونه الحياتية ، ذلك انه نزل رحيما يعمل فى كل بيئة ، ءاخذا بعين الاعتبار فطرة النفس البشرية بما يعتريها من تغيرات مختلفة ، ومطاردا كل عبودية للاوهام والاساطير والتصورات الجاهلية الخاطئة .

فكتاب الله نور ليس كمثله نور ، وسناء ليس كمثله سناء ، والنصيحة له تنطوي على حياة بهية كاملة رائعة متزنة فى خطوطها لا اعتساف فيها البتة .

ثم النصيحة لمن بعد الله تعالى وكتابه الحكيم ؟ انها لرسوله ، باعث السلام ، وما نوع النصيحة له، انه الايمان به، والتفاني فى حبه ، والتصديق برسالته ، والتخلق باخلاقه الطيبة البارة ، وترسم خطاه فيما كان يصدر عنه من سلوك وتصرفات ، واتخاذه قدوة على مستوى رفيع جدا ، وتعبيد الطريق لسنته المطهرة وتعاليمه المضيئة الحية لتكون شعار العالم باسره لكونها حمام الامن ، والوسيلة الايجابية الفعالة لتماسك المجتمع الاسلامي والعالمي من الانهيار والتدهور ، ولكونها ايضا منهج حياة نلعمة متحركة متدفقة بنور متالق هاد الى سبيل كريم .

والنصيحة له كذلك تتشخص فى التعلق باهل بيته الاطهار ، واقتفاء ءاثارهم ، وصحابته الكرام الذين ايدوه وضحوا بانفسهم ومهجهم فى سبيل اعلاء كلمة الله، وجعلها ثابتة فى اهناء الكون ، قائمة فى قلوب الناس ، وتعظيم علماء السنة الذين سلخوا عمرهم فى الحفاظ على الادب النبوي ، والدفاع عنه بكل قوة وطرد ما دخله من طفيليات فوصلنا نقيا رتقا بهيجا .

وزبدة القول فى النصيحة لله عليه الصلاة والسلام قوله : لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين » .

وبعد هذا تاتي النصيحة لائمة المسلمين ، ومن يكون ائمة المسلمين اهم الحكام دون العلماء ام العلماء دون الحكام : انهم الحكام والعلماء جميعا ، واولئك قطب الرحى فى الامة، والمحور الذي تدور عليه تطورات حضارتها وتقدمها .

فالنصيحة للحكام ، اعانتهم على تطبيق شريعة الله السمحة ، وارشادهم الى الخير والصلاح ، ومن راى حاكما زاغ عن الطريق ساعده على الرجوع الى محجة الصواب ، وبصره المسلك الذى يتعين عليه نهجه، وجلاله المسؤولية التى ينبغي له الاضطلاع باعبائها ازاء الرعية ،ومدى اختصاصاته فى الدولة ، والدائرة التى يمكن له ان يتحرك داخلها دون انحراف او اعوجاج ، واضعا نصب عينيه المنهج الرباني يلجا اليه فى كل مسائله ، ويحذو حذوه ويستنطقه ويستنجد به .

اما رواد الفكر فليس من شك فى ان النصيحة لهم تستقطب فى ان المسلم يجدر به ان يذكرهم بما خلقوا له من جهاد فى سبيل الدفاع عن نهضة الامة، ذلك انهم مسؤولون عن التوعية العامية والتبصير الثقافي، والعمل الجدي لحفظ الحقوق الانسانية لكل فرد من افراد الامة الاسلامية بخاصة والامة البشرية بعامة ، فمن انتدب نفسه للعلم والثقافة نيطت به هذه المهمة العظيمة اديبا كان او عالما او شاعرا او قاصا ، فانه محاسب عن مدى جهده فى ابراز التصور الاسلامي الحقيقي فى شتى مجالات الحياة .

ولكن للاسف اصحاب الكلمة – والكلمة سلاح قوي هادف – اليوم فى عصرنا اصبحوا بعيدين عن هذه المسؤولية العظمى ، لم يهتموا الا بالقشور والظواهر المزيفة ولو انهم اكبوا على دراسة تاريخهم المجيد منذ انبثاق الوحي المحمدي لاحرزوا على امثلة رائعة لاصحاب الكلمة الذين دفعهم حب العلم وشغف المعرفة الى معالجة مشاكل مجتمعهم بالكلمة القوية الساحرة التى استهدفت البناء والتشييد فى غير انحراف وفتنة، فتضاءل ازاء قوتها كل جبروت، فاتسمت زمنئذ الحياة بصبغة جميلة محببة ، وكل ذلك جرى فى حدود خصائص المنهج الاسلامي .

وحبذا اليوم لو عمل القاص والشاعر فى جسر متناسق متزن ، فاستغل موهبته الخارقة لاستيحاء المفهوم الاسلامي الصحيح ، وابراز الارضية التى ينطلق منها ، والخصائص التى يتفرد بها ، والتى لا يتاتى للبشرية ان تحققها بالفعل الا فى اطاره الخصب المترابط الجوانب ترابطا حيا فى نظام بديع شامل لحقائق الوجود فى كل صوره ، بيد ان اصحاب الكلمة يعوزهم الايمان الشغيف الذى يملي عليهم السلوك نحو حقيقة الكون والحياة والانسان ، فيعبرون صادقين كما يتغلغل فى باطن انفسهم بطريقة اسلامية صائبة .

وقد يتبادر الى الذهن اننا ندعو الى الالتزام لقضايا الاسلام فقط ، فنحد من حرية الفنان ، ولكن بنظرة بسيطة الى الواقع نجد ذلك ليس قيدا بتاتا لان المفاهيم الاسلامية هي نفسها تصميم هندسي لحقائق الوجود ، متشابكة لا تنفصل عنها مطلقا ، بل انها تتبع سنة الله فى الخلق .. سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ..

اذا كيف يكون ذلك تكبيلا لحرية الاديب او الفنان ؟ الا اذا اراد ان ينعزل عن الحياة ، ويعيش بعيدا عنها فى برج عاجي يجتر فيه احلامه ووحدته فلحظتئذ للاسلام كلمته الفاصلة فيه .

ويختم مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه بالنصيحة لعامة المسلمين والعامة هم الشعب المسلم الذى يتكون من جماعات متعددة من المؤمنين ، وهم فى عوز كبير لمساعدة الآخرين من الناس القادرين على بذل النصائح ، ولا شك ان النصيحة للشعب تتمثل فى مظاهر طيبة مضيئة كاتاحة الفرص له فى شتى الميادين فيتعلم ويتثقف ، ويتكون اجتماعيا حتى يمسي قادرا على فهم مشاكله ، مستطيعا على تحمل تبعات امته .

فالمجتمع فى اشد الحاجة الى من يأخذ بيده ، ويهيىء له الاطمئنان النفسي والمادي حتى يظهر فيه راي عام مستنير ، يتعاون على تنشئة الاجيال فى ظل عقيدة رفيعة متحررة من الادناس ، كما يتعاون مع الحاكم على تنفيذ شريعة الله الكاملة ، واذا ظفر المجتمع بهذا تاكد ان تظهر امه مسلمة امينة ظافرة واصلة تثري القيم الحضارية وتقاوم الشر والفساد ، وتوجه الحياة نحو اليقظة الروحية والاقتصادية والفكرية وذلك هو المجتمع النموذجي فى نظر الاسلام الذى صنعه اسلافنا فى الماضي البعيد باخلاص قوي وعزيمة فولاذية .

فليكن لنا نحن هذا (الاخلاص) وهذه العزيمة ، لننشر على العالم الشارد المضطرب منهاجنا الاسلامي الخير ، كي نعيد التوافق بين المستويات الخلقية والفكرية والروحية ، فينحسر الظلام قطعة قطعة ، ويسود النور سربا سربا .

تطوان : محمد المنتصر الريسوني



... لكن مسلمي القرن الرابع عشر ، الذين يعيشون في زحمة الاعمال والمواصلات والمنافسات والثقافات واللغات ، ضاق وقتهم عن استيعاب وامتصاص حضارة الاسلام في القرن الاول .

في الوقت الذي يوشك فيه العالم الاسلامي ان يكمل القرن الرابع عشر من حياته الخالدة ليدخل في قرن جديد ، يحق للباحث المعاصر ان يتساءل بعلم وتجرد ! عن امكانات حدوث تطور ثوري في هذا العالم، وعن آفاق واتجاهات هذا التطور ، لا نحو اليسار ، فهذا موضوع قائم على حدة ، ولكن نحو قيام مجتمع اسلامي جديد ، شبيه او قريب الشبه بمجتمع الاسلام الاول ، تنبثق عنه دولة اسلامية القانون والنظام والاخلاق في خلال القرن الخامس عشر الهجري ؟ .. ام هل هذا مجرد امل يداعب قلوب المومنين ، ومثل اعلى عند نخبة المسلمين ؟

واذا قلنا ، نظريا ، ان هذا ممكن ، مثلما امكن في القرن الاول للاسلام ، فهل نستطيع خلق الظروف الضرورية لتحقيقه عمليا ؟ وما هي هذه الظروف ؟

ومن البديهي ان نقطة الانطلاق في هذا الحديث ، تقوم على الاعتراف منذ البداية ، بان اسلام المسلمين المعاصرين ، شعوبا ودولا ، شرقا وغربا ، ليس الا صورة قاتمة للاسلام الاول ، والمسلمين الاولين ، ولا يمكن ان تؤخذ هذه الصورة على انها المثال الحقيقي للاسلام الحق .

وهناك حقيقة اخرى يجب ان نشير اليها ايضا ، وهي ان حضارة القرن الذي يعيشه المسلمون اليوم تتميز بتراكم المعرفة من جهة ، وتراكم المشاكل من جهة اخرا ، ومن المعلوم ان التقدم العلمي الذي واكب التطور البشري ظل منذ فجر التاريخ في تضخم ونمو مطردين ، وقد ساهمت كل الحضارات والاديان والشعوب خلال التاريخ ، في اتساع المعرفة الانسانية وعملت الثورة الصناعية ، وخاصة منها وسائل النشر والاعلام والمواصلات على نشر وتعميم هذه المعرفة لدى الشعوب ، بعد ان كانت محصورة في النخبة ، وبالجملة فانه لم تتراكم الاعمال والمواصلات والعلوم والثقافات واللغات في عصر من العصور مثلما تراكمت في اواخر هذا القرن لدى الدول المتقدمة ، ولم تتراكم المشاكل الناتجة عن التخلف الاجتماعي ، والاستبداد الداخلي ، والاستعمار الاجنبي ، في عصر من العصور ، مثلما تراكمت منذ القرن الماضي لدى الدول المتخلفة ، التي تنتمي اليها دول العالم الاسلامي.

في مثل هذا العصر ، بهذه الحضارة ، مع هذا التوزيع السيء للمعارف والثروات والقوات ، ما هي العراقيل التي تقف في طريق انبعاث المجتمع الاسلامي؟

للجواب على ذلك يمكن ان نقول انها صنفان : خارجية وداخلية ، فاما العراقيل الخارجية فهي شهيرة لا تحتاج الى تذكير ، واخطرها الاستعمار والصليبية والصهيونية ، وعداؤها وتحالفها جميعا ضد الاسلام والبلدان الاسلامية اكدته وفضحته قضية فلسطين منذ اوائل هذا القرن حتى اليوم ، ويتمثل خطر هذا التحالف الثلاثي ، ليس فقط في المواجهة الصريحة ، بل وأيضا في انعكاساته وضغوطه السياسية والاقتصادية والثقافية على المواقف الداخلية ، اذ بقدر ما تزداد هذه الضغوط ، تتأثر المواقف والاتجاهات الاسلامية في

الداخل ، صحيح ان الاستقلال السياسي للبلـــدان الاسلامية خفف الى حد من آثار هذه الضغوط ، ولكن المصالح ظلت قائمة ، والمجتمعات المعاصرة هـــي مجتمعات مصالح قبل كل شيء ؛ هذا بالاضافة الى ان الاجيال التي بيدها مقاليد الامور في البلاد الاسلامية نشأت وتربت اغلبيتها في مدرسة غربية ، اولها صلة وثيقة بالغرب ، فعلاقتها بالاسلام اما ضعيفـــة او منقطعة .

واما المراقيل الداخلية ، وهي التي تعنينا الآن ، فيمكن ان نرجعها الى العناصر الرئيسية التالية :

1) مناهج التعليم والتربية الحالية
2) تقلص ظل اللغة العربية
3) الصراع السياسي والمذهبي .
4) ضعف القدرة على استيعاب الاسلام ككل .

وسنوجز فيما يلي تحليل الدور الذي يلعبه كل واحد من هذه العناصر في عرقلة تكوين المجتمـــع الاسلامي ، وانبعاث الدولة الاسلامية المرجوة :

1 ـ مناهج التربية والتعليم الحالية :

لقد برهنت هذه المناهج حتى الآن ، وفي جميع البلدان العربية والاسلامية ، على انها عاجزة ، ليس فقط ، عن تكوين المواطن المسلم الصالح ، بل وايضا عن محاربة الامية فيما يقارب 80 ٪ من سكانها ، وعن تكوين الاطر العلمية والتقنية وحتى الثقافية العامة ، ولم يعد يخاف على احد من خبراء التربية والتعليم انه ما لم يبذل جهد استثنائي كبير لتغيير هذه المناهج بما يتلاءم مع متطلبات الثورة الصناعية ، ويخضـــع لضرورات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، ويلبـــي حاجات الســوق ، الى جانب المحافظة على الشخصية القومية ، وضمان قدر مشترك وكاف من التكوين الديني والخلقي لجميع المواطنين ، فان عملية التغييـــر الاجتماعي للشعوب العربية والاسلامية لن تتم بالسرعة المطلوبة التي يفرضها التخلف الحالي ، والسبـــاق العالمي ، والزمن السريع ، وبالتالي فان انبعـــاث المجتمع الاسلامي الجديد سوف يتاخر بدوره ايضا ، ولا يخفى ان قيام هذا المجتمع مرتبط الى حد كبيـــر بتوفره على القوة التي يفتقدها للدفاع عن وجـــوده وخاصة ضد التحالف الثلاثي الانف الذكر ، ومـــن الاهداف الاساسية لنشر التعليم اكتساب هذه القوة، وقد اشار دانييل بيل استاذ علم الاجتماع بجامعـــة كولومبيا الى ان العلاقة بين المعرفة والقوة قد طـــرا عليها تغيير كبير في اواسط القرن العشرين ، ذلك ان القوة على صورة مهارة تكنولوجية ، قد اصبحت من مظاهر القوة ، تعمل كرادع لمن يملكون القوة ، وبسبب التغيير في طبيعة القوة في المجتمعات العصرية اصبحت المعرفة سببا للوصول الى القوة .

2 ـ تقلص ظل اللغة العربية :

كان العالم الاسلامي قويا ومتماسكا ومندمجا عندما كان يستعمل لغة رسمية وعلمية ودينية واحدة هي اللغة العربية ، فلما تصدعت دولة الخلافـــة الاسلامية ، وتغلبت القوميات المحلية ، وحلت اللغات الوطنية او الاجنبية محل اللغة العربية ، انقطعـــت الشرايين الاصلية التي كانت تمد تلك الشعوب بالطاقة الروحية المتجردة مباشرة من معينها الاول الذي هـــو القرآن العربي ، واهتزت علاقات التفاهم والتعاطف والتآخي التي كانت قوية بين مجتمعـــات الخلافـــة الاسلامية ، واصبح من الممكن ان تحتل اسرائيل مدينة القدس ، وتدوس باقدام جنودها المسجد الاقصى ، بل وتشعل فيه النار، دون ان تتحرك عاطفة هذه المجتمعات لمقاومة هذه التحديات ، بل ودون ان تعارض بعضهـــا في انشاء علاقات مع اســرائيـــل ! . ان انبعـــاث المجتمع الاسلامي يستلزم دعم ونشر لغة الاسلام الام بين الشعوب الاسلامية ، وتوحيد المفاهيم الدينيـــة وتقوية المشاعر الاخوية عن طريقها .

ومن الغريب ان عدة شخصيات رسمية وغير رسمية في بعض الدول الاسلامية بافريقيا وآسيا اعلنت عن رغبتها في نشر اللغة العربية في بلادها ، واحلالها محل اللغة الاجنبية ، ولكن المؤسف ان تكون الدول العربية عاجزة عن تلبية هذه الرغبة .

3 ـ الصراع السياسي والمذهبي :

كان للصراع السياسي والمذهبي في البلـــدان العربية والاسلامية اثر كبير في عرقلة وبعثرة الحركات الاسلامية ، وتأخير قيام مجتمع اسلامي جديـــد ، فبسبب اخطاء سياسية وتنظيمية ، وتنافس علـــى النفوذ ، واختلاف في المذاهب ، تعرضت عدة حركات اسلامية لصدمات هزت كيانها ، ولا يزال الصراع على الحكم ، والطموح اليه ، والمغالاة في التمسك بـــه ، من ظواهر المجتمعات المتخلفة بصفة عامة ، وسيظل هذا الصراع احد العوامل الخطيرة في اجهاض الحركات الاسلامية ، وامتصاص دعاتها ، ومنع البيئة الاسلامية الصالحة من الظهور والنمو والاستقرار .

4 — ضعف القدرة على استيعاب الاسلام ككل :

يرجع هذا العنصر فى اصله الى القصور العام الملاحظ فى أسلوب التعليم التقليدى الاسلامي ، والى مناهج التعليم التي قللت من وقت واهمية الحصة المخصصة للتربية الدينية ، وقد أدى ذلك الى ضعف الفكر الديني سواء عند بعض الفقهاء الجامديين المتاخرين ، أو عند الذين لم يتح لهم ان يعرفوا عن الاسلام الا النزر اليسير ، وهذا الضعف شكك الاجيال الناشئة ، كما شكك الباحثين الاجانب ، فى قدرة وصلاحية الاسلام لحل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة ، بل شكك ايضا فى مدلول العدالة الاجتماعية فى الاسلام ، وفتح مجالا لنقد وتهجم المستشرقين على بعض الاحكام الدينية التي تطبق فى البلاد الاسلامية تطبيقا سيئا لجمود الفكر الديني بها ، وضيقه عن استيعاب احكام الاسلام ككل ، ويضيق المجال الآن عن سرد الامثلة ، ولكن يكفي ان نعلم ان الاقطار الاسلامية تقيم بعض الاحكام الدينية وتهمل البعض الآخر لاسباب متنوعة . وقد نهى الاسلام عن ذلك بقوله تعالى : « أتأمرون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » ذلك لان هذه النظرة الجزئية لاحكام الاسلام لا يمكن الا أن تعطل الاسلام كشريعة كاملة ، عادلة وخالدة ، وان تعطل بالضرورة انبعاث المجتمع الاسلامي الجديد .

تلك بعض الصعاب الكبرى التي تجعل المجتمعات الاسلامية المعاصرة تعيش فى زحمة الاعمال والمواصلات والثقافات واللغات ، وتحت ضغط التحالف الثلاثي المخيف ، عاجزة عن استيعاب وامتصاص حضارة الاسلام الاولى ، فهل يستطيع دعاة الاسلام اليوم ، ونحن على عتبة القرن الخامس عشر الهجري، ان يذللوا هذه العقبات طبق تخطيط علمي مدروس ، وان يضعوا للامة الاسلامية العالمية ميثاقا جديدا لثورتها التحريرية ونهضتنا الكبرى ؟ ..

الرباط — ادريس الكتاني



محمد الفاضل ابن عاشور ... في ذمة الله

رزىء العالم الاسلامي في الايام الاخيرة بوفاة علم شامخ من اعلامه ، ورائد مصلح من رواده هو فضيلة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور مفتي الجمهورية التونسية وعميد الكلية الزيتونية للشريعة واصول الدين ، وحبيب العالم الاسلامي عموما ، والمغرب خصوصا ، والذي عاش رحمه الله ينبوعا فياضا من العلم ارتوى من معينه طلاب المعرفة واليقين ..

وقد عم الاسى والاسف لوفات الفقيد العزيز مجامع العلم ، ومحافل الفكر والادب التي عرفته عالما واسع المعرفة والدراية بشؤون العالم الاسلامي قديما وحديثا ... ومتفتحا على العالم الغربي وثقافته ، ففقدت فيه محاضرا بليغا ، ومجددا للفكر الاسلامي ، وخطيبا مصقعا يدوي على لسانه صوت الحق ..

والمغرب وملكه العظيم يكن للفقيد اكبر التقدير ، وباهر الاعجاب ، ووافر الاعتبار .

وقد اوفد صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني وزيره في الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد احمد بركاش على رأس وفد هام لابلاغ تعازي المغرب ملكا وحكومة وشعبا الى الحكومة التونسية وعائلة الفقيد وعلى رأسها العلامة الكبير السيد الطاهر ابن عاشور والد الفقيد حيث استقبلوا بمطار تونس قرطاج الدولي من طرف السادة محمد المسعدي وزير الدولة لدى الوزير الاول ، وحسن حشيش مدير المراسم ، وكمال التارزي رئيس مصلحة الشعائر الدينية بالوزارة الاولى . فرحم الله الفقيد ، واسكنه فسيح جنانه .

وانا لله وانا اليه راجعون .

دعاة..
وأعلام..

رائد السلفية بالمغرب
المولى سليمان

للأستاذ محمد الأمري

كان السلطان سيدي محمد بن عبد الله يقول عن ولده المولى سليمان « ان ولدي سليمان رضي الله عنه لم يبلغني عنه قط ما يكدر باطني، فاشهدكم اني عنه راض»ويذكر المؤرخ الناصري في الاستقصا (1) ان المولى سليمان لم يكن يلتفت قط الى شيء مما كان يتعاطاه اخوته الكبار والصغار من امور اللهو كالصيد والسماع وغيره وانه لم يات فاحشة من صغره الى كبره .. انما كان معتكفا على طلب العلم بسجلماسة ، ومن اجل ذلك استحق ان يثاب من طرف والده ، وان يوفر له جميع الامكانيات التي تساعده على الارتشاف من حياض العلم ، فكان يختار له نخبة من العلماء والادباء ليتلقى عليهم دروسه في مختلف العلوم فكان لكل ذلك اثره وانعكاساته على تكوينه الثقافي واستقامته الدينية والخلقية الامر الذي افاض فيه كثير من المؤرخين (2) والكتاب قدماء ومحدثين (3) وهذا ما يعفينا من الاطناب في غير النقطة التي نخصها بالدراسة ، وهي موقفه من الطوائف ومحاربته للبدع الضالة ، وقبل ذلك نرى من اللازم ان نذكر ولو باختصار اهم الطوائف والطرق التي كانت سائدة لذلك العهد ، ما استجد منها ءانذاك ، وما امتدت جذوره الى ما قبل ذلك التاريخ . وقبل ذلك نلقي نظرة خاطفة على الحركة الصوفية في المغرب وتطورها .

كان من نتائج انحلال الدولة الادريسية على يد الفاطميين بافريقية، والامويين بالاندلس بواسطة مناصري هؤلاء واولئك من مغراوة وبني يفرن ان انتشر كثير من الاشراف الادارسة في كثير من القبائل المغربية متنكرين منقطعين للعبادة زاهدين في الدنيا ، دون ان نستبعد لجوء البعض الى ذلك من اجل تكتيل الناس حوله بهذه الوسيلة لاسترجاع ما ضاع، على ان هذا لا يمنعنا من القطع بأن الكثير منهم زهد حقا في الدنيا وانقطع للعبادة والتبتل . فاعتصم الكثير من هؤلاء بجبالة والريف ، والبعض الآخر بزمور، ولم تكن المنطقة الجنوبية تخلو من بعضهم ومن نسل هؤلاء بالجنوب سيدي احمد امغار وولده المولى ابراهيم ، ومنهم في الشمال المولى عبد السلام بن مشيش وابو الحسن الشاذلي وهكذا نشأت مراكز للعبادة منعزلة في الجبال ساهمت في نشر الاسلام بالقبائل ، دون ان تصطبغ في اوائلها بالصبغة الصوفية ، كما ظهرت مراكز اخرى بعيد انحلال دولة

(1) الاستقصا ج 8 ص 86
(2) الزياني في الروضة «السليمانية» واكنسوس في «الجيش» وغير هؤلاء
(3) مقال الاستاذ عبد القادر الصحراوي في دعوة الحق عن المولى سليمان ع 4 س 10

الادارسة لم يكن مؤسسوها من الاشراف الادارسة ، وانما من بعض طلبة العلم من مثل « وجاج بن زالو » تلميذ ابي عمران الفاسي المستقر ءانذاك بالقيروان ، وعبد الله بن ياسين تلميذ وجاج ، وعبد الله هذا هو الذى صحب يحيى بن ابراهيم الكدالي للقيام بتعليم مباديء الدين الاسلامي للبرابرة ، وقد كان يحيى بعد رجوعه من الحج واتصاله بابي عمران الفاسي طلب منه ان يبعث معه من يعلم الناس امور دينهم ، وهذا بعث معه خطابا الى تلميذه وجاج الذى انتدب لهذه المهمة تلميذه عبد الله بن ياسين ، فقام بمهمته احسن قيام . الا أن ارتداد بعض البرابرة ، وتقاعس البعض الآخر عن تطبيق بعض شعائر الاسلام حمله على اللجوء الى جزيرة تقع قرب مصب نهر السينقال، وهناك بنى رباطا استقر فيه مع جماعة من اصحابه الذين صدق اسلامهم ، ولم تلبث الوفود ان توالت عليه من مختلف الجهات الى ان كثر عدد المرابطين معه فحينئذ قرر عبد الله بن ياسين ان يخرج من مرحلة التعليم والارشاد الى مرحلة الجهاد لنشر الاسلام . وبهذا اعطى عبد الله بن ياسين لرباطه حيوية وفعالية فاقت ما كان عليه رباط استاذه ابن زالو ، وكان من ثمرة ذلك ان تاسست الدولة المرابطية وامتد اشعاعها فى الدعوة الاسلامية جنوبا وشمالا . حتى اذا قوي ساعد هذه الدولة وامتد سلطانها راينا الحرص الشديد لملوكها على الاخذ بالكتاب والسنة ، وهذا ما يفسر مقاومتهم لبعض المتصوفة والفلاسفة وغيرهم من اصحاب الفروع ، ومن هذا الجانب الذى كان يخشاه ملوك المرابطين لدغوا ، فقد ظهر ابن تومرت تلميذ الامام الغزالي صاحب احياء علوم الدين ، وشرع فى نشر مذهبه علانية في مختلف مدن المغرب ، وما ان استفحل امره حتى القي عليه القبض وحمل الى مراكش ليحاكم أمام جمع من العلماء بمحضر الخليفة المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين ، وقد اشعر العلماء هذا الاخير بخطورة الرجل ، ونصحوه بوضع حد لحياته ، الا ان ورع الخليفة المرابطي حمله على الاقتصار على نفيه وفى تينمل انقطع لتوطيد مذهبه ونشر دعوته ، ومن هناك انطلقت الشرارة الاولى للاطاحة بدولة المرابطين وقيام دولة الموحدين على انقاضها ، وعلى عهد هذه الدولة برز متصوفون كبار من امثال ابي العباس السبتي ، وابي الحسن المسفر ، وابي محمد صالح الآسفي، وابي يعزى ، وابي مدين الغوث وابي عبد الله بن حرزهم دفين اكمة المعروفة باسمه قرب فاس، وابي محمد صالح ابن ينصار الدكالي ، وابي الحسن الشاذلي الادريسي الحسني ، وهو مؤسس الطريقة الشاذلية بمصر ، حيث اصبحت هذه الطريقة تنافس الطريقة القادرية فى الشرق وفى المغرب كذلك ، وحيث تعد الشاذلية منبعا لكثير من الطوائف والفرق المغربية ، كما ان الشاذلية ترجع فى اصلها الى الطريقة المشيشية ، ويعد الشاذلي احد تلامذة المولى عبد السلام بن مشيش . ولا نغفل هنا ما اشيع عن المنصور الموحدي من انه زهد فى الملك واختار طريق الصوفية الى ان مات بالشام مجهولا .

وما ان حل عصر بني مرين حتى اتسعت دائرة التصوف بالمغرب وبرز متصوفون كبار من مثل الشيخ احمد بن عاشر ، وزروق ، وابن الدباغ المراكشي ، وعبد الله بن يعقوب السملالي الجزولي، والشيخ عبد الله الغزواني الممتحن من قبل محمد الشيخ البرتغالي وغير هؤلاء كثير . وفى القرن التاسع للهجرة تدهورت الاحوال بالمغرب نتيجة التطاحن المريني الوطاسي ، والهجمات المتكررة على الشواطيء المغربية من قبل الاسبان الذين اجلوا المسلمين من الاندلس وامتدت اطماعهم الى ثغور المغرب لاحتلالها . وكان دور رجال التصوف فى هذه الحقبة فعالا فقد دعا اكثرهم الى الجهاد وساهموا بانفسهم فيه ، كما كان لهم دور هام فى استتباب الامر للسعديين ، ولم يكد يحل القرن الحادي عشر للهجرة حتى كثرت الزوايا وتعددت حتى قاربت المساجد من حيث العدد او اكثر . وطبيعي ان تعددها بهذه الدرجة يعني انتشار دعوة الصلاح والولاية والجذب عن حق حينا ، وعن باطل احيانا كثيرة ، ولم تكن مناطق النفوذ العثماني بافريقيا الشمالية تخلو من هذه الزوايا ، بل ان الاتراك شجعوها واوقفوا عليها الاوقاف لاغراض مختلفة . وتدعونا الامانة التاريخية الى الاشارة الى ان ثلاثا من هذه الزوايا التى انتشرت فى المغرب عرفت بالصلاح والعلم . وكان لها اثر قوي فى الازدهار الثقافي بالبلاد ، هذه الزوايا هي :

1) الزاوية الدلائية

2) الزاوية الفاسية .

3) الزاوية الناصرية .

على ان الزاوية الاولى لم تكن تخلو من اهداف سياسية ، فلقد سيطرت بالفعل على عرش المغرب ازيد من عشرين سنة ضيقت فيها الخناق على النفوذ السعدي وقضت على المجاهد العياشي ، كما ان الزاوية الفاسية قامت بدور هام في مساعدة المولى الرشيد العلوي على احتلال فاس بواسطة رئيسها الشيخ احمد الفاسي رئيس زاوية القلقليين بفاس . ولا ينبغي ان يتبادر الى الذهن ان التصوف المغربي نشأ وتطور في عزلة تامة عن عناصر خارجية اندلسية كانت او شرقية ، بل انه استمد عناصر مختلفة من الاندلس واخرى من الشرق كما ان التصوف المغربي كان لهايضا تاثير في التصوف المشرقي على يد اقطاب من مثل ابي الحسن الشاذلي المذكور سالفا . ولقد ظهرت نواة التصوف الاندلسي منذ بداية القرن الثاني الهجري على يد بعض الصالحين من مثل حنش بن عبد الله الصنعاني احد التابعين ، وميمون ابن سعد ، وابي الفتح الصدفوري وفرقد السرقسطي وغيرهم ، ويشير الدكتور محمود علي مكي في مقال له عن التصوف الاندلسي (1) الى كثير من الزهاد والمتصوفين في القرن الثاني والثالث والرابع ، ومن اشهر من ذكرهم في القرن الثالث : ابن مسرة الجبلي القرطبي ، كما اشار الى بعض الاربطة والزوايا ويذكر ان التصوف الاندلسي على ذلك العهد كان متأثرا ببعض صوفية مصر كذي النون الاخميمي ويعترف بان التصوف الاندلسي رغم بساطته الى نهاية القرن الرابع كان «مقرونا بالعمل الصالح ولاسيما بالجهاد» ونحن نعلم ان الاندلس انجبت فيما بعد متصوفين عظاما من مثل محيي الدين بن عربي الحاتمي ، وابي العباس احمد بن عاشر الذي رحل الى المغرب واستقر بسلا بخلوته قرب البحر ، يتعبد ويعلم ، وهو الذي يقول في التشوق الى هذه المدينة وهو بفاس :

سلا كل قلب غير قلبي ما سلا
ايسلو بفاس والاحبة في سلا

بعد هذا نخلص الى مختلف الطوائف والفرق التي كانت سائدة على عهد السلطان الصالح مولاي سليمان ، وقد داخل معظمها كثير من الزيادات والبدع كاستعمال بعض الآلات التي كان لها تأثير قوي على جلب المريدين من العامة والفقراء ، والواقع انهم كانوا بهذه الوسيلة يؤثرون حسيا على الناس ، فمن طبول ودفوف وبنادق وصرنايات تصك الآذان وتثير الاعصاب ، الى انواع من البخور كالجاوي وغيره مما يؤثر في الاعصاب ايضا عن طريق حاسة الشم وكل هذا لا يدع لفقراء الطائفة ومريديها مجالا للتاخر عن الانخراط في الشطح والرقص وارتكاب كثير مما يخل بالمروءة كافتراس بعض الدواب ، وشدخ الرؤوس واكل الشوك وبعض الهوام السامة ، والتعرض للنار الى غير ذلك .

1) الطائفة القادرية :

تعزى الى الشيخ عبد القادر الجيلاني (471 هـ ـ 561 هـ وهي طريقة في منبعها الصافي لا تجافي الكتاب والسنة ، وكان لها الفضل الكبير في نشر تعاليم الاسلام في كثير من الاقطار بافريقيا وآسيا ، وقد اتسع نفوذ هذه الطائفة وكثر انصارها الذين كونوا زوايا في مختلف البلدان ومن بينها المغرب ، فلم تكن تخلو مدينة من مدنه من زاوية تعرف بالخلوة.

2) الطائفة التباغية :

تنسب الى الشيخ عبد العزيز التباغ المتوفى سنة 914 .

3) الفرقة الغزوانية :

نسبة الى الشيخ ابي محمد عبد الله بن احمد الغزواني المتوفى سنة 935 . واليها ينسب «اصحاب الناقة» حيث يطوفون بناقة مزينة على ارباب المهن والصنائع لجمع المال وذلك في العشر الاول من شهر ربيع الاول ، وتذبح تلك الناقة في ضريح ابراهيم بن احمد امغار قرب مراكش ، ومن عادتهم ايضا بيع الشموع وبعض الاشياء عن طريق المزايدة، وقد شاعت هذه الطائفة بكثرة في مراكش الجنوب المغربي عامة .

4) الطائفة العيساوية (2) :

نسبة الى الشيخ ابي عبد الله محمد بن عيسى المعروف بالشيخ الكامل ، والمتوفى آخر العقد الرابع

(1) دعوة الحق ـ عدد 8 و 9 س 7
(2) اعتمدنا في ذكر هذه الطرق على كتاب « الرحلة المراكشية تاليف محمد بن الموقت ج 1 من ص 140 الى 156 .

من القرن العاشر الهجري بمكناس ، وضريحه هناك معروف ، وذكر احد العارفين بهذا الموضوع ان الشيخ المذكور ابن سيدي عيسى دفين سوق اربعاء الغرب ، وان هذا احد ابناء سيدي احمد الصرصري الاثنى عشر ، وقد عاصر شيخ الطريقة العيساوية المولى اسماعيل ، ويحكي عنه اصحابه كثيرا من الكرامات ، وقد داخلت هذه الطريقة اساليب عن الطريقة الرفاعية المشهورة بمصر ، فاستعمل اصحابها الدفوف والطبول والبيادق والصرنايات وغيرها مع استخدام الرقص والشطح ، واكل الشوك وافتراس الخرفان حية، وكانت اكثر الطوائف انتشارا في المغرب لدرجة انه لم يكن يخلو حي من أحياء المدن الكبرى من فرقة تنتسب اليها .

5) الطائفة الرحالية :

رئيسها الشيخ رحال الكوشي المتوفى في نهاية العقد الخامس من القرن العاشر الهجري .

6) الطائفة الشرقاوية :

منسوبة الى الشيخ ابي عبد الله محمد الشرقاوي المتوفى سنة 1010 هجرية .

7) الطائفة الاراهيمية :

نسبة للشيخ ابراهيم بن حسان المتوفى سنة 1072 .

8) الطائفة الصادقية :

تنتسب للشيخ ابي العباس احمد بن عبد الصادق السجلماسي المتوفى سنة 1065 هـ

9) الطريقة الناصرية :

تنتسب للشيخ محمد بن ناصر الدرعي المتوفى سنة 1085

10) الطريقة الحمدوشية :

رئيسها الشيخ علي بن حمدوش المتوفى في العقد الرابع من القرن الثاني عشر ، وربما اتت هذه الطريقة في الدرجة الثانية من حيث الانتشار بعد الطائفة العيساوية ، وقد اشتهر اصحابها بشدخ رؤوسهم بالشواقير وقطع الحديد وبعض أواني الطين .

11) الطائفة القاسمية :

نسبة للشيخ علي بن ابي القاسم الملقب بابي سجدة والمتوفى في اوائل العقد الخامس من القرن العاشر .

12) الطريقة الفازية :

للشيخ الفازي بن العربي السجلماسي المتوفى حوالي العقد الرابع من القرن الثالث عشر .

13) الطريقة الطالبية :

منسوبة للشيخ ابي العباس احمد بن الطالب السجلماسي المتوفى في العقد الثالث من القرن الثالث عشر .

14) الطائفة الوزانية :

نسبة للشيخ ابي محمد عبد الله بن ابراهيم الحسني الادريسي المتوفى سنة 1080

15) الطريقة التهامية :

نسبة للشيخ مولاي التهامي الوزاني المتوفى سنة 1127 هـ

16) الطائفة التيجانية :

نسبة الى الشيخ ابي العباس احمد التيجاني المتوفى سنة 1230 هـ وهناك طوائف اخرى من مثل البونية والمختارية والدرقاوية والعمرية وغيرها ، باختلاف انتشارها وشيوعها في انحاء البلاد ، وانحصار البعض الآخر في بعض المناطق او المدن . وقد شاع ايضا التسكع باسم الدين ، على اننا اذا لم نسمح لانفسنا بالنيل من مثل اولئك الشيوخ او الطعن في صلاحهم وزهدهم فان الذي لا ينبغي تجاهله هو أن مختلف تلك الطرق ، عرفت تغييرات

مختلفة عما كانت عليه على يد مؤسسيها ، الامر الذي خرج بالكثير منها عن الجادة واصبحت بعيدة كل البعد عما قصده اصحابها الاوائل ، ومن ثم يمكن ان نسجل المضاعفات التالية :

1 ـ تغالي اصحاب كل طائفة في تقديس مؤسسها .

2 ـ اشاعة كثير من الخوارق التي صدرت عن كل من هؤلاء وفيها الكثير من الاختلاق والتشويه .

3 ـ استغلال العامة وذوي الاغراض المختلفة بشتى وسائل الانتهاز. (ا) جمع الدراهم لاجل اقامة المواسم والذبائح على الاضرحة (ب) بيع بعض الاشياء بالمزاد العلني من اجل البركة وقضاء الاغراض .

4 ـ اعتقاد الناس عامتهم وخاصتهم بأن خدمة هذه الطائفة او تلك يحقق ما يتمنونه من مال او جاه او شفاء من الامراض .

5) تعصب كل جماعة لطائفتها وتعدد الطائفة الواحدة الى عدة فرق يستنكر بعضها البعض . ويحارب بعضها الآخر ، ونستشهد هنا فقط بما اورده الزياني عن الطائفة التيجانية من انها كانت تدعي ان اورادها تغني عن سائر الاوراد في الدين والدنيا، كما ذكر ان شيخهم التيجاني كان يقول : « من سلك طريقتي دخل الجنة ، ومن خالف طريقتي دخل النار، وطريقتي تدخل على كل طريقة ، ولا تدخل عليها طريقة غيري ، ومن تمسك بطريقتي فهو آمن في الدنيا والآخرة » وقوله ايضا حسبما ذكره الزياني « هذا الذى افتتكم اخذته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مشافهة من غير واسطة » وامرني ان اعين لكم تصلية ان قراتموها في حلقة يجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسطكم » . ويقول الزياني بعد ذلك : « ولما شاع عنه من هذه الاباطيل والاناجيل المؤذنة بزندقته وانكشف حاله وبلغ امير المومنين مقالاته وكذباته لم يسعه الا الاعراض عنه ووكل امره الى الله تعالى » . ويذكر ابن الموقت في رحلته عن انصار الطائفة التيجانية قوله : « ومن تغاليهم في محبته ما تفوهوا به في حقه ، ونقلوه عنه في كتبهم المؤلفة في سيرته ، وهو كما في جيشهم وغيره انه قال : « صلاة الفاتح لما اغلق » تعدل ستة آلاف ختمة من القرءان (1)

ويذكر الزياني الشيء الكثير عن الشيخ التيجاني وحياته ، ومن ذلك انه نفي من تلمسان من قبل الباي احمد بن عثمان صاحب ولاية وهران ، وذلك من اجل اشتغاله بتدليس النقود وسوء عقيدته كما يقول ، ومن هنالك انتقل الى قرية ابي صمغون جنوب الجزائر ، ثم رحل الى فاس بعد ان بلغه تهديد الباي عثمان اهل قرية ابي صمغون ان بقي بين اظهرهم . ولما وصل الى فاس كتب رسالة الى المولى سليمان يطلب منه الاذن بالاقامة بهذه المدينة ، لانه هاجر من ظلم الاتراك ، فاذن له السلطان بذلك ، وقد اجتمع به فوجده متقشفا وله اطلاع في مختلف العلوم ، فقدره واكبره ، واهداه دارا من دياره يذكر الزياني ان السلطان انفق في عمارتها عشرين الف مثقال و « رتب له ما يكفيه » فهل يدخل له كل هذا في نطاق حملة الزياني ضد خصوم الاتراك وعلى راسهم الوهابيون الذين اتصل بهم الشيخ التيجاني بالصحراء كما يذكر الزياني على وجه الاحتمال (لعل هذا المبتدع اتصل بهم) وكما يذكر صاحب الاستقصا من مشاطرة التيجاني للوهابيين الراي في مسالة منع زيارة اضرحة الاولياء ؟ فهل كان اضطهاد الاتراك للشيخ التيجاني ناشئا عن تشبعه بمذهب الوهابيين ونشره لدعوتهم، ومن ثم اضطهدوه ونفوه واشاعوا عنه انه مدلس محتال ؟ ومن ثم استحق نقمة الزياني كما استحقها الوهابيون خصوم الاتراك الذين لم ينس الزياني ما اضفوه عليه من ابهة واجلال في سفارته اليهم على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، ورحلته ايام السلطان مولاي سليمان ، وقد علمنا في مقال سابق عن «اكنسوس» تحامل الزياني على الاديب حمدون ابن الحاج الذي اجاب على رسالة الوهابي ابن سعود باذن من السلطان مولاي سليمان كما يذكر اكنسوس في الجيش ؛ اننا نرجح كل ذلك يحفزنا على ترجيحه عدم تحامله بنفس الدرجة على الطوائف الاخرى من مثل عيساوة وغيرهم ، وان كان لم ينس التنديد بجميع الطوائف واصحاب البدع الضالة ، مكتفيا بالاشارة فقط الى عيساوة في الترجمانة عندما شبههم بالطائفة الرفاعية بمصر الذين « يأكلون الافاعي كطائفة عيساوة بمغربنا » وينوه الزياني جد التنويه بموقف السلطان مولاي سليمان من تلك الطوائف وجميع البدع .

---

(1) الرحلة المراكشية ج 1 ص 152

والحق ان التاريخ يسجل لهذا السلطان الصالح مواقف خالدة في هذا الباب ، فانه وهو السلطان العالم المتضلع في علوم الدين الملتزم باقرار السنة وتطهيرها من كل الاوشاب لم يتاخر عن الاجابة على رسالة الوهابيين بواسطة الاديب حمدون ابن الحاج ، بعد ان لمس صدق هذه الدعوة ومطابقتها للكتاب والسنة ، وذلك بعد اتصال وفد من العلماء الذين ارسلهم للحج برئاسة ابنه ابراهيم بابن سعود بمكة ، ومذاكرتهم مع هذا الاخير حول عدد من المسائل (1) .

ويذكر الزياني في الترجمانة ان السلطان مولاي سليمان كتب خطبة من انشائه لخطباء المساجد «حذر فيها من اتباع اهل البدع والانكار عليهم ، ونهى عن الاجتماع في المواسيم بالانشاد والآلة والرقص ، واوعد بالعقوبة ان لم ينتهوا » وقد ساق نص الخطبة.

فبعد الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وتذكير الناس بضرورة طاعة الله ورسوله واولي الامر يقول : « ولهذا نرثي لغفلتكم وعدم احسانكم واستيلاء الشيطان عليكم بالبدع على انواعكم واجناسكم ، فالقوا لامر الله ءاذانكم ، وايقظوا من نوم الغفلة اجفانكم » الى ان يقول : « واتركوا عنكم بدع المواسيم التى انتم بها متلبسون ، والبدع التى يزينها اهل الاهواء ويلبسون ، وافترقوا اوزاعا ، وانتزعوا الاديان والاموال انتزاعا بما هو صراح كتابا وسنة واجماعا ، وتسموا فقراء ، واحدثوا في دين الله ما استوجبوا به سقرا «قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الآية » وكل ذلك بدعة شنيعة ، وفعلة فظيعة ، وشيمة وضيعة ، وسنة مخالفة لاحكام الشريعة ، وتلبيس وضلال ، وتدليس شيطاني وحبال زينه الشيطان لاوليائه فوقتوا له اوقاتا ، وانفقوا في سبيل الطاغوت في ذلك دراهم واقواتا وتصدى له اهل البدع من « عيساوة وجلالة » وغيرهم من ذوي البدع والضلالة والحماقة والجهالة ، وصاروا يرتقبون للهوهم الساعات ، وتتزاحم على حبال الشيطان وعصيه متهم الجماعات،وكل ذلك حرام ممنوع، الانفاق فيه انفاق غير مشروع ». وفي مكان ءاخر يقول : « فليس في دين الله ولا فيما شرع نبي الله ان يتقرب الى الله بغناء وشطح ، والذكر الذي امر الله به ، وحث عليه ، ومدح الذاكرين به هو على الوجه الذي كان يفعله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن على طريق الجمع ورفع الاصوات على لسان واحد ، فهذه سنة السلف ، وطريقة صالحي الخلف، فمن قال بغير طريقهم فلا يستمع ، ومن سلك غير سبيلهم فلا يتبع » ومن هنا يتبين انه لا يقتصر على استنكار الطوائف التي تقوم باعمال منافية للدين ، بل انه يستنكر حتى الطوائف التي تقتصر على تلاوة الاوراد جماعة بصوت واحد ، ويذكر ان التقرب الى الله لا يكون « بالبدع والمعاصي بل بما يتقرب به الاولياء والصالحون ، والاتقياء المفلحون باكل الحلال وقيام الليالي ومجاهدة النفس في حفظ الاحوال ، بالافعال والاقوال ، البطن وما حوى ، والراس وما وعى ، وءايات تتلى وسلوك الطريقة المثلى ، وحج وجهاد ، ورعاية السنة في المواسيم والاعياد ، ونصيحة تهتدي وامانة تؤدي ، وخلق على خلق القرءان يحدى ، وصلاة وصيام ، واجتناب مواقع الآثام ، وبيع النفس والمال من الله « ان الله اشترى من المومنين الآية » ويقول بعد سوق الآية الكريمة : « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه » : الصراط المستقيم كتاب الله وسنة رسول الله ، وليس الصراط كثرة الرايات والاجتماع للبيات ، وحضور النساء والاحداث وتغيير الاحكام الشرعية بالبدع والاحداث والتصفيق والرقص وغير ذلك من اوصاف الرذائل والنقص » ثم يذكر واجب اولي الامر في محاربة هذه البدع « فيجب على من ولاه الله من امر المسلمين شيئا من السلطان والخلائق ان يمنعوا هؤلاء الطوائف من الحضور في المساجد وغيرها ، ولا يحل لاحد يدين لله واليوم الآخر ان يحضر معهم او يعينهم على باطلهم فاياكم ثم اياكم والبدع فانها تترك مراسيم الدين خالية خاوية ، والسكوت على المناكر يحيل رياض الشرائع ذابلة ذاوية » ثم يذكر بعواقب شيوع البدع في قوم حيث يحيط بهم سوء عملهم وكسبهم ويظلم ما بينهم وبين ربهم ، وتنقطع عنهم الرحمات وتقع فيهم المثلاث الخ .. » وذلك « لان سوء الادب مع الله يفتح ابواب الشدائد ، ويسد طريق الفوائد والادب مع الله يتلخص في نظر السلطان الصالح في ثلاثة اشياء :

(1) تراجع هذه المحاورة في دعوة الحق ع 3 س 12 في مقال « اكنسوس »

1) حفظ الحرمة بالاستسلام والاتباع

2) رعاية السنة من غير اخلال ولا ابتداع .

3) مراعاتها فى الضيق والاتساع لا ما يفعله اليوم هؤلاء الفقراء ، فكل ذلك كذب على الله وافتراء » .

ويختم المولى سليمان خطبته القيمة بالانذار والتهديد لمخالفي السنة النبوية : « وها نحن عباد الله ارشدناكم وحذرناكم وانذرناكم ، **فمن ذهب بعد** لهذه المواسم ، او احدث بدعه فى شريعة نبيه **ابي** القاسم فقد سعى فى هلاك نفسه ، وجر الوبال عليه وعلى ابناء جنسه ، وتله الشيطان للجبين ، وخسر الدنيا والآخرة الخ » . ويلاحظ ان صاحب الاستقصاء استشهد فى اشارته الى هذه الخطبةبفقرة لم ترد فى النص الذى اورده الزياني فى الترجمانة، هذه الفقرة هي : « من الغلو البعيد ابتهال اهل مراكش بهذه الكلمة « سبعة رجال » فهل كان لسبعة رجال شيعة يطوفون عليهم » ويضيف صاحب الاستقصا الى ان قال : «فعلينا ان نقتدي بسبعة رجال، ولا نتخذهم ءالهة لئلا يؤول الحال فيهم الى ما ءال اليه فى يغوث ويعوق ونسرا » . والخطبة حافلة بالآيات القراءانية والاحاديث النبوية . ويقول ابو القاسم الزياني بعد ان يسوق خطبة للقاضي عياض اوردها ابن الخطيب فى الاحاطة : « هذه الخطبة احسن ما رايت من الخطب المقتبسة من كتاب الله العزيز التى انشاها ائمة التبريز فان قابلتها مع خطبة مولانا امير المومنين الفيتها كالعقيم مع ذات البنات والبنين » .

ولقد كان لها ايضا صدى عند الشعراء ، فهذا الشاعر احمد الحبيب الرشدي يمدحها ويمدح السلطان مولاي سليمان بقصيدة طويلة اوردها الزياني فى الترجمانة ومنها قوله :

يا حسنها من خطبة احيا بها
ما مات من سنن الشيوخ المجد

نصح الورى نصحا بليغا شرحه
ينسى فحول العلم كل مجلد

هي نقطة من بحره بركاتها
عمت وجاءت بالعلوم السرد

فيها دعا الله قوما اعلنوا
بالشطح والتصفيق والفعل الردي

جعلوا مواسم ما لها فى سنة
اصل باضرحة الفحول الزهد

الى ان يقول :

حتى رماهم ربنا بثواقب
من عدل سيدنا الهمام الاجود

فاقامهم والله راض عنه فى
سجن المهانة بالمقام الابعد

يدعو العباد لربهم ويدلهم
ابدا على نهج الصواب الارشد

وكذاك شانه ليس تحدث بدعة
الا محاها باللسان وباليد

وقد حرص الاستعمار فيما بعد على تشجيع تلك الطوائف حتى عادت اشد مما كانت عليه ، وقامت الحركة السلفية بدورها فى محاربة البدع بتوعية المواطنين ، ونشر رسالة مولى سليمان السالفة الذكر بتحقيق الاستاذ الجليل سيدي ابراهيم الكتاني وكان لكل ذلك اثره فى اخمادها لسنين طويلة .

على ان مجهودات السلطان مولاي سليمان فى نشر السنة ومحاربة البدعة لم تقف عند هذه الخطبة، بل تعدتها الى تاليف عدة كتب موضحا فيها نظر الشريعة فى بعض البدع ، ومن ذلك كتابه « امتاع الاسماع بتحرير ما التبس من حكم السماع » اي ما كان منه بآلة او غيرها ، ورسالة بعنوان « جواز التجمير منها بالقسط فى رمضان » بل انه لم يكن يكتفي بما يؤلفه هو من كتب فى هذا الميدان ، وانما كان يوعز الى بعض العلماء الاكفاء بذلك ومن هذا النوع «رسالة فى العقائد» مجهولة المؤلف لعل الهدف منها كان تلقين الاطفال الصغار مباديء الدين بأسلوب مبسط . ويحق لنا ان نقول فى النهاية ان المولى سليمان كان رائد السلفية بالمغرب .

وزان ـ محمد الامري

رائد من رواد الدعوة الإسلامية

الشيخ محب الدين الخطيب

للأستاذ أحمد زياد

لقد تكالبت عند اواخر القرن الماضي وفي مطلع هذا القرن ـ كما هو معلوم ـ على العالم الاسلامي قوات مختلفة الاجناس ومختلفة الاتجاهات والمناهج، قصد اذلال اهله والسيطرة والهيمنة على ما تختزنه اراضي البلدان الاسلامية من ثروات، وتنافست في الاستئثار بمواقعه الستراتيجية، وفي اعقاب الحرب العالمية الاولى، خرج الحلفاء المنتصرون بتخطيطات بعضها علني والآخر سري قرروا فيها مصير البلدان العربية والاسلامية في نطاق المكاسب والمغانم التي حصلوا عليها من تلك الحرب الضارية، ومن جملة ما تضمنته تلك المخططات مناهضة الدعوة الاسلامية الاصلاحية التي كانت قد ابتدأت في اواخر القرن الماضي وبأساليب مختلفة ووجد من بين هذه الاساليب « التخدير الديني »، عن طريق تنشيط الشعوذة والمشعوذين، واعطاء فلسفة «القضاء والقدر» مدلولا يساوي الخضوع والاستسلام لمشيئة اطلق عنها زورا وبهتانا انها مشيئة الله، كما عززت عملية التخدير هذه بتوسيع الحملات التبشيرية في البلدان الاسلامية سواء منها البلدان التي تتكون من اغلبية اسلامية أو تلك التي تقطنها أقليات مسلمة.

وكان نصيب المغرب في هذا المخطط نصيبا « محترما » قوامه الشعوذة الدينية والتبشير وجاء عقد الحماية ليبلور فلسفة القضاء والقدر في شكلها الصليبي الاستعماري، بينما تشعبت حملات التبشير في جهات مختلفة من المغرب، وبالاخص في النواحي الاطلسية.



المجاهد الكبير الاستاذ محب الدين الخطيب

ولم يكن استصدار الظهير البربري سنة 1930 سوى بند من بنود فصول مخطط يرمي الى تمزيق كيان الشخصية المغربية تمزيقا معنويا يتلاقى مع التمزيق المادي للتراب المغربي الذي كان قد تقسم الى مناطق لكل منطقة لها **وضعيتها** وتشريعاتها وجنسياتها.

ولم يكن الشعب المغربي الا ان ينتفض انتفاضته التاريخية الشهيرة لمقاومة الظهير البربري الذي يعتبر في تاريخ المغرب النضالي نقمة كانت تنطوي

على نعمة ما في ذلك من شك اذ كان من نتائج استصداره ظهور الشعب المغربي في حواضره وبواديه بذلك المظهر التلقائي والجماعي الذى وقف امامه دهاقنة الفلسفة الاستعمارية حيارى ومشدوهين .

وفي تلك السنة اي سنة 1930 ، كانت جروح عملية قرض عقد الحماية ما تزال طرية وبالتالي فان المغرب لم يكن يملك من الوسائل التى تمكنه من اسماع صوته للعالم شيئا لا قليلا ولا كثيرا، فاخذ يبحث لنفسه عن منفذ ، ولئن كان « الصندوق الاسلامي » الذى عبر عنه المارشال ليوطي بقوله : ان دقة على جانب من جوانبه لا بد ان يتردد صداها في بقية اجزائه – فان الوضع مع ذلك كان يحتاج الى تحقيق عنصر التجاوب فيما بين اجزاء ذلك الصندوق ، وبالفعل فان هذا التجاوب قد ولد وحدث وذلك حينما استنجد المغرب بالعالم الاسلامي في محنة الظهير البربري ، وتلقى هذه النجدة في مواقف مختلفة واشكال مختلفة كذلك ؛ وكان من جملة الذين هبوا لنجدته ذلك الرائد الاسلامي الصامت الشيخ محب الدين الخطيب ، حيث جند **صحيفة** الفتح ، للتشهير والتنديد بالفعلة الاستعمارية وكانت صحيفة الفتح يومئذ محطة ءامال ومعقل رجاء ، واداة من الادوات الفعالة التى وقفت في وجه الغزو الاستعماري ، وفي مظاهره المختلفة التى هي وان كانت تتباين من حيث الاساليب فانها كانت متفقة سلفا من حيث الغايات والاهداف .

ويومئذ تعرف المغرب على الشيخ محب الدين الخطيب ، وتطلع اليه كداع من دعاة الاسلام .

ومنذ ذلك الوقت بدا يتلمذ عليه افراد جيل الكفاح الوطني والرعيل الاول في طليعة ذلك الكفاح الذى ابتدا مريرا وانتهى مريرا كذلك .

لقد وضع الشيخ محب الدين الخطيب صحيفة **«الفتح»** تحت تصرف الحركة السلفية منذ اول وهلة، وسرعان ما اصبحت صلة وصل فيما بين الدعوة الاصلاحية من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق .

وبالرغم عن الاسوار المنيعة التى كان الاستعمار قد اقامها للحيلولة دون وقوع هذا الاتصال فان العزائم القوية قد استطاعت ان تجعل من مناعة تلك الاسوار مجرد اسطورة ، اذ سرعان ما اخذت صحيفة **«الفتح»** تصل الى المغرب ، وبالطبع فانها كانت تصل اليه مهربة عن طريق الحيل التى تفتحها ظروف الحرمان والاحتياج في كل زمان وفي كل مكان ، ثم اصبح لها زبناء قارون في المغرب يقتانونها وينشرونها ويذيعونها في خلايا ذلك الوقت .

ومنذ ذلك الحين ارتبط اسم الشيخ محب الدين الخطيب بهذا البلد الذى ظل رحمه الله وفيا له اشد الوفاء حتى في ءاخر ايامه .

وافراد الفوج الذين تلمذوا عن الشيخ محب الدين الخطيب في المغرب عديدون فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا .

وبعد مرور فترة من الزمن انضم الى الشيخ الفقيد المجاهد الكبير الاستاذ شكيب ارسلان الذى خص المغرب بجزء غير قليل من جهاده .

ان جهاد الرائد الصامت الشيخ محب الدين الخطيب كان جهاد امتد بفعله وبتاثيره الى كافة انحاء العالم الاسلامي ، وليس في وسعي ان الم بكافة اطراف ذلك الجهاد وصوره الرائعة المثالية ، ولذلك فضلت ان ابرز من مراحله المديدة والشاقة الوجهة التى تخص المغرب ، وفاء واعترافا بما اسداه الرجل لهذا البلد من خدمات ، وبما وقفه من مواقف مشرفة هي وان كانت من صميم وواجب الدعوة الاسلامية التى كان يضطلع بها هو الى جانب جماعة من المصلحين الصالحين فانها تطوقنا نحن بصفة خاصة بجميل ليس من الشيم الاسلامية ان ننساه او ينسيناه اياه تعاقب السنين وقدم العهد ، وما جد من الامور في البلدان الاسلامية بخيرها وشرها .

لقد علمنا الشيخ محب الدين الخطيب اشياء كثيرة ، وكما علمنا الاعتزاز بالسيادة السياسية فانه لقننا الاستمساك بالسيادة الفكرية .

واذا كانت صحيفة «الفتح» تعتبر وسيلة من وسائل الكفاح من اجل انتزاع السيادة السياسية فان ما كان ينشر في «الحديقة» من ضروب الثقافة العربية وفنون الاداب العربية كان بمثابة تذكير بالسيادة الفكرية العربية الاسلامية . لما كنت في مصر خلال محنة من محني زرت الشيخ محب الدين الخطيب زيارة تقدير واعتراف ووفاء ، فوجدته حريصا اكثر من ذي قبل على ان يكون المسلمون في عهود استقلالهم ، رشداء حتى لا يتهموا بالقصور والسفه ، وهي التهمة التى كان يبرر بها الاستعمار

وجوده في ديارهم ، وكان مما قاله رحمه الله : ان استرجاع قوة المسلمين امر صعب وسهل في نفس الوقت ، صعب لان المسلمين لم يتفقوا فيما بعد على سلوك خطة واحدة في اكتساب وسائل القوة، وهي وسائل لديهم وفي متناول ايديهم اليوم اكثر مما كنا نعهدها نحن ونعيشها بالامس وهي امر سهل لو انهم التزموا بمبدأ الاعمال ، بدلا من عادة الاقوال .

ان حياة الشيخ محب الدين الخطيب المديدة والمليئة لتنبسط امام الاعين وهي في شكل دروس قيمة تشخص الاخلاص والدأب وقوة الشكيمة، وحسن التدبير ، والتفاني ، وفهم الاسلام فهما يكسبه القوة والمناعة ، خصوصا وانه لا يوجد دين تفتح اكثر من غيره عن ءافاق مختلفة من انواع الفكر البشري وضروب المعرفة الانسانية مثل الدين الاسلامي .

فلو انمسلمي اليوم انكبوا بنفس الرغبة وبنفس الحماس وبنفس العصامية على التلقي والتلقيح والتطعيم مثلما فعل ءاباؤهم واجدادهم الذين ترجموا علوم اليونان ، واقتبسوا من حضارة الفرس والرومان لما وقفوا حيارى مشدوهين امام هذا الزحف التكنولوجي ، ذلك لان المسلمين قد تعرفوا الى التكنولوجيا التى كانت سائدة في عصرهم ، ولا اقل انهم اخذوا منها ، بل انهم اغترفوا منها باقداح كبار »

واذا كان الشيخ محب الدين الخطيب قد ترك هذه الدنيا فانه خلف ميراثا ثريا كل الثراء ، وغزيرا وبكل ما تنطوي عليه الغزارة من معاني الكمية والكيفية ، ميراثا ما يزال يتجلى في خزانته التى تضم مائتي الف مجلد — وافضل ان اثبتها بالارقام هكذا 200.000 ، نعم مائتا الف ، والمكتبة السلفية التى كان لها شأن كبير ودور اصيل في تعليم وتثقيف جيل بكامله ، كما يتجلى ذلك الميراث في العدد العديد من تلامذته ومريديه والاخذ عنه بطريق مباشر او غير مباشر .

فرحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عنا وعن الاسلام والمسلمين خيرا ، وانها لكلمة عزاء ووفاء اهديها الى روح الشيخ الفقيد واعتبر ذلك مرتبة من مراتب الايمان، وهي والله اضعف الايمان ، وارجو ان يكون اسهاما في تخليد ذكرى مولد الرسول الاعظم صلوات الله عليه وسلم ، لان الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله كان من دعاة اعزاز رسالته التي ولدت بمولده وكان لها الاشعاع الذى كافح وناضل من أجل الابقاء عليه الفقيد الشيخ محب الدين الخطيب .

الرباط : احمد زياد

أبو المحاسن المدني بن الحسني

مفخرة الرباط وعمدتها في الماضي القريب

(1307 هـ - 1387 هـ)
(1889 م - 1959 م)

للأستاذ مصطفى الغرني

هو الحافظ الواعية المتمكن، الطلعة الفذ الدؤوب. الدراكة الخبير النابه، العلامة المحقق المشارك ذو الكفايات الواسعة المحاطة بعقلية راجحة متفتحة لتفهم انواع الفنون علما وادبا وتاريخا في مختلف العصور. مع تباين الآراء واختلاف المذاهب، وتباعد المشارب. مستوعبا شتى المضامين لاستخراجها للطلبة والمستفيدين من غيرهم، باوضح نموذج وامثل نهج، وافصح تعبير في اكمل مرغوب، الصائل في ميادين المعرفة قديمها وحديثها، مثيرته لالتهامها ملكة قوية وقريحة وقادة وفكر ناضج، وسجية منطلقة مبدعة لا تحبسها قيود، ولا يعقلها جمود، ولا يعوق سير ذاكرتها المسرع حدود، يربطها تركيز ذهني منتج، وعقل متزن رائع في الاستطياد يرتمي بخفة بارعة على المروم المقصود، معززته رحابة كاملة في المدارك، انبنت على استعداد نادر المثال، مستطيع ان يتلقى الموضوعات المتباينة، واخراجها في اشكال مشرقة، تنبض حياة وتسطع نورا وتسمو اسلوبا سهلة العرض سلسلة البيان حلوة المقال. مكنوزة بموضوعات مختارة قد اتسمت بجمال اللفظ وحسن التركيب ووضوح المعنى مع سلامة المبنى معبرة اوفى تعبير عن ذاتيته الحق المكنونة تحت ستار الحياء والتواضع وسماحة النفس وليونة الجانب والطيبوبة الزائدة، المعرب كل ذلك عن عبقريته العريقة المجيدة الموسومة بالطابع المحمدي النبوي الاصيل الممتد اثره النبيل ابا عن جد من افضل واكرم سلف، لشخص السمي جليل، خليق أن يكون خير خلف — ابو المحاسن المدني بن



المرحوم العلامة سيدي المدني بن الحسني
تغمده الله برحمته

محمد الغازي المفضال الحيسوبي المعدل بن الحسني العلمي، ذلكم العصامي الرائد الخريت البحاثة. الشريف النسب الكريم الحسب، ذو الخلق الحسن، الذي تفرقت شخصيته الجذابة النشطة ذات الطاقات

العديدة الممتازة بتطلع غريب فى محبة العلم والميل الى الاطلاع على القديم منه والحديث ، بباعث طبعي حاث له ودافع للتواصل المتتالي فى العمل . دون فتور او كلل ، بعيد عن السأم والملل ، داعيه نهم وشره للانكباب المستديم ، وحاديه رغبة ملحة للسبح فى آفاق المعرفة ، والخوض فى فضائها المنير المتلالىء بالذخائر المغمورة، والجولان فيجوانبه الشاسعةالمليئة تراثا قيما خالدا ، تقوده عين فاحصة ونباهة يقظة وهمة طموحة. تزودها ارادة منساقة بشدة للبحث عن المناطق المجهولة ، واستكشاف ما غمض من نقول ذات الاصالة والطرافة والجودة . وسبكها بدماغ منقد فى قالب بليغ مفهوم مستساغ . ولقد تتجلى لك — ايها القارىء العزيز فى هذه الاوصاف المعروضة عليك باسترسال متتابع صورة حقيقية عن شخصية هذا الرجل الكبير السليم العقيدة منذ البداية ، السلفي المذهب الخالي من التعصب ، النير الفكر المتسم بسعة الافق الخارج عن النطاق المحلي الضيق المحدود ، الموسوعي المعلومات ، ليس كحاطب هائم ولا ناقل مرتجل ، بل واع متثبت ، عميق الادراك ، نفاعة مفيد ، اذا فوجىء بسؤال أجاب عنه فى الحين مدليا بمن تكلم عن موضوعه ، منبها عن مواطن الضعف، مشيرا لمحجة الصواب ، معلقا على محلات الاخطاء بادلة منطقية مدعمة بحجج نقلية — صحيحة المصدر — موثوق بها ، ولا تخلو هذه الاجوبة — فى غالبها من مستملحات وتوريات أقحمها لادنى الصلات ، يسمها بالبصمة « المدنية » فتزداد فائدة وتكتسب رونقا ولطفا يخفف عنها — أحيانا — ثقل جفاف الموضوع ، ويسبغ عليها حلة القبول ، فتكون حديث مجلس السائل مدة يتملى بها مع اصدقائه، هذا ولخفة روح شخصيته الكريمة — المعلومة لدى الجميع — ولطف سريرتها ورقة عاطفتها . ونبل طبيعتها ، فقد تغلب عليه — احيانا — مرة مرة جانب المرح على جانب الجدية ، رغبة فى الترويح على النفس وتخفيف جد الكل المثقل بعناء متلاحق لتهييء دروس قيمة ، وقصد تجديد تقوية نشاط طلبته خشية من وقوع الخمول والكسل ، اذا الدرس طال لاقتضاء الحال ، فينطلق لسانه العذب القول ، بدعابة جميلة الوقع موافقة المأتى ، نزيهة المغزى ، تنبثق فى مداها عن نكتة حارة ، لا يعنى بها ايلام أي شخص ولا التنكيت عليه ، او لمزه بما يغض من قدره ، وانما يقصد المفاكهة والمباسطة والاحماض المحمود ، ينطقها بالفاظ مختارة مستأنسة فى التعبير ، خفيفة التركيب ، تنسجم سداها بسجع لا تكلف فى ايراده ، تمتلك بابداعها الرائع المترمت المحافظ، وتهتز لالقائها النفوس المنقبضة وتنشرح لالتقاطها العقول المتحجرة ، وتنتفض لسماعها المواطف الجامدة ، فيضحك لها الكل بانبساط وارتياح لمعناها بمزيد الاغتباط ، فتستجم بها ارواح الطلبة مستردة نشاطها لاسترجاع الحياة الجدية بانتباه زائد لما يلقيه الاستاذ المحبوب من بقية الدرس. وحينذاك يعود للمجلس وقاره المعهود ، ويسوده جو الاحترام برعاية هيبة المقام .

اجل لقد اخذ المترجم العزيز العلم ملازما الحضور لمجالسه بالرباط فى سن مبكرة حوالى الحادي عشر من سنه — بعد ما اتقن حفظ القرآن الكريم ، ومجموع المتون ورسالة أبي زيد القيرواني ، ومختصر خليل ، والفية ابن مالك وغيرها من امثال ذلك ، وثابر على الدراسة بعقل متفتح وذهن صقيل ونفس وثابة وتجرد كامل ، وتفرغ محروس برعاية جده الاريحي الكريم الحاج عبد السلام التازي، فقرأ فيها — الفنون المتداولة فى عهده — على جلة من خيرة العلماء ، كشيخ الجماعة بالرباط ابى حامد المكي البطاوري ، والمحقق النوازلي الجيلالي احمد بن ابراهيم ، والقاضي الفقيه عبد الرحمان بناصر بريطل — الذي كان عمدته فى أغلب ما حصل عليه من الفنون — والاديبين الالمعيين احمد بن قاسم جسوس ، واحمد بن موسى السلوي ، وحافظ المغرب ومسنده السلفي الكبير ابي شعيب الدكالي ، والدراكة المدقق محمد بن عبد السلام الرندي ، وبرز نبوغه — أثناء الدراسة — فى المعهد الاول متفوقا على الاقران فاكبره الخاص والعام ، فساورته نفسه الكبيرة لمزاولة مهمة التدريس مندفعا بشجاعة ادبية ، توجهه ثقة مثالية صادقة المرمى فتربع على كرسي الدراسة فى طور شبابه اليافع ، واجتمعت عليه نخبة من طلبة الرباط وسلا ، وشهد له الكثير باستحقاقه وكفايته الصالحة واهليته لذلك ، حيث أبان فى دروسه عن مقدرة فائقة فى التبليغ تتصف باطلاع وسيع مصحوب ببراعة فى التوضيح ، أعجب لها شيوخه . وأدهشت الاوساط العالمة ، وأفادت الفائدة الجلى عددا كبيرا من طلبته النجباء مزناحيتي التحصيل والتمكين ، فكنت تراهم لتفانيهم ومحبتهم للحضور فى مجالس دروسه — أثناءها دائما — مشرئبة اعناقهم الى وجهته لا تلتفت يمينا ولا شمالا ولا خلفا — لمعرفة داخلمتأخر او قائم لحاجة — وهو يملي درسه املاء — كأنه محاضرة منسقة التبويب ، مرتبة فى تسلسل الموضوع — يحفظه عن ظهر قلب . ويلقيه بصوت حنون مؤثر عذب ، يعلو وينخفض حسب مقتضيات

مطلوبة ، فلا يستطيع الطلبة — آنذاك — ان تتحرك او تنبس ببنت شفة ، او تتزحزح عن موضعها كانها في حالة تنويم مغناطيسي ! ماخوذة ببلاغة الالقاء ، وفصاحة التعبير ، وسلاسة الاسلوب المؤسس على الاحاطة الشاملة للعلوم الاصيلة الاسلامية التي كان يقوم بتدريسها من تفسير وحديث واصول وفقه ونحو وادب ، وما اضيف اليها من توابع ، وقدرته على التحكم في معلوماتها العديدة المتنوعة الاوجه والنظرات، واستطاعته الكاملة في احرازها مؤمنة برصيد وافر ثمين مكتنز بانواع من القول شرعي وعقلي لتقديمها للطلبة المتعطشين للاستفادة ، والافاضة فيها بايضاح منتظم ممتاز بكلام مسهب غير ممل ، فصيح طلق مرسل ، لا تلعثم في التائه ، ولا توقف لتامل ، ولا تراجع لاستدراك ، كانه يتلوه من كتاب امامه ، يؤكد كل ذلك ويقوي سنده بالمراجع العالية الهامة ، والمصادر القيمة النادرة ، تضمنت الالتفاتات التاريخية والادبية ، اكتنزت باستطرادات من الافادات والانشادات . مشتملة على نقول جيدة لها صلة بالموضوع خلال الدرس في مستواه العالي ، واني اراني لست ابالغ في هذا العرض ، ولن ارغب في شحنه بغير ما عرفت عن مجلس عالمنا الكبير العمدة المقتدر الحجة النقادة ، فكل من كان يحضر مجالسه العامرة وسبقت له العناية الالهية في ملازمة دروسه — صباح مساء — والتملي بما كان يلقى فيها من علوم قد اكتست حلة جديدة رائعة من الاشراق والوضوح بفضل جهوده العلمية وبيانه الساحر ، يعرف كل ذلك حق المعرفة، ويتحقق اكثر منه في بعض المواطن اكون قد قصرت فيها لضيق الوقت وذهول الخاطر وندرة المراجع ، ورغم الاعمال الدراسية التي كانت تتطلب منه وقتا كبيرا لتحضير الدرس وتهيئه في صورة تناسب همته السامية وتجود بها مداركه المليئة الواسعة ، وعلاوة على مهام الحياة الوظيفية التي جذبته للانخراط فيها حوالي الربع الاخير من عمره ، وغمرته بكثرة الاشغال المبنية على تحقيق قضايا الاحكام بمجلس الاستئناف الشرعي الذي تقلد فيه اولا استشارته ثم نيابة رئيسه ثم رئاسته ، نعم كل هذا لم يمنعه من الاهتمام بالتاليف ، او يحل بينه وبين هوايته زمان التحصيل ، فلقد اولع بالاشتغال فيه ، وقضاء اوقات راحته به وهو صغير لا زال في عقده الثاني من العمر نحو سبعة عشر سنة ، فكانت اول باكورته منه شرحه على قصيدة الاديب ابن عمرو الشهير التي عارض بها قصيدة الشمقمقية وسماه « الفتح القدسي والمنح الاوسي في شرح قافية ابن عمرو الاوسي » اردفه بكتاب « نفائس الدرر على باب الخصائص من المختصر » ثم اتبعه بكتاب « حسن المرافقة بتقرير باب المسابقة » ثم بعد هذا التاليف تاقت نفسه الابية ذات الشعور الحي والعاطفة الجياشة في محبة وطنه ان يكرس جهده على اخراج شرح حافل قيم على « النصيحة » التي الفها الامام الكبير الغيور العلامة المحدث محمد بن جعفر الكتاني المهاجر في سبيل الله احتجاجا ضد المحتل المغير على وطنه ، استنهض فيها الامة المغربية المسلمة في مقاومة المحتل « الكافر » وصده على البلاد بالجهاد ، ولقد اختار المترجم العزيز الانكباب على هذا الشرح ، والسهر في الليالي الطوال لاتمامه في مدة لم تتجاوز احد عشر شهرا انتهت في عام 1328 هـ وخرجه في عام 1330 هـ — 1911 م ، وهو — وقتذاك — ابن ثلاثة وعشرين سنة في طور الشباب الاول المتوثب الطافح — عادة — بالحيوية المغرية اللاهية ، ويقال « المرء يدل عليه اختياره » ، وفي المثل الغربي : « قل لي ماذا تقرا اقول لك من انت ؟ ! » . ومن تاليفه — ايضا — « اقامة الدليل او منار السبيل لمختصر خليل » و « الاشراف على اسباب الخلاف » و « اريج الزهر وتفريج البصر بتخريج احاديث المختصر » و «التنصيص والتمحيص لاحاديث التلخيص » و « نظم الرسالة المستطرفة في كتب السنة المشرفة » لمحمد بن جعفر الكتاني المتقدم ، و « حواشي على الزرقاني على الموطا » وغير ذلك من التصانيف والتقاييد العديدة في شتى الموضوعات ، يسالونه عنها او ينتقيها لطرافتها. وقد يساعده على التاليف بسرعة مع الكيف في التصنيف كثرة اطلاعه المستديم . فلقد اعتكف على المطالعة بانتظام واستمرار منذ صغره ، وصرف ايامه بكاملها لها عدا اوقات الدرس وضرورة الحياة ، فمما يدل على ولوعه الكبير بها ، فاي كتاب جيد او مؤلف لكاتب مشهور ظهر في السوق او في الاوساط الثقافية الا ويطلبه حثيثا بالشراء او الاستعارة ، ويلتهمه التهاما ويعطي لجليسه عنه نظرة مجملة عن محتوياته لا تفلت منها شاردة ينقد محلات الضعف فيه بنزاهة موضوعية ، حقيقة لقد جعل « الكتاب » صديقا حميما لا يفارقه في السفر ولا في الحضر بل ولا ايام النزه واوقات الاستراحة ، ومن ذكرياتي — منذ زمان الصبا — حول تفان هذه الشخصية الكريمة في محبة « الكتاب » التي لا تزال تعلق بذهني على طول الزمن ويصعب زوالها لمداها الاصيل في التاثير على توجيهي — وهو ان شخصا منتسبا فاضلا عزيزا لدي من

الاسـرة تربطني معه روابط وثقى متينة لا انفصام لها بموته — رحمه الله — ولا انقطاع . كانت له صداقـة مكينة مع بيت المترجم دعمتها أخوة الانتساب الممتدة من ابيه — الذي تركه في المهد — الى عمه — رحمهما الله — وبقيت بعد هذه الاخوة على حالتها من الصفاء والوفاء ، وكثيرا ما كان يزوره مفردا أو مع بعـض الاصدقاء ، ويدعوه — دوما — بابي الغربي ، تقديرا لوفائه ومحبة لاخلاصه ، ومرة زاره مستعجـلا — وصادفني الحال حضوري معه — فاستدعاه للخروج صحبته برفقة الحاج احمد التازي احد قربائه لقضاء نزهة خلوية ببستان في ناحية شالة فلبى طلبه في الحين تكريما لمقامه العلمي ، ولما رجعوا بعد قضاء ما يقرب من أسبوع ، سألته كيف مرت نزهتكما مع « سيدي المدني » فاجاب على احسن حال ، ولكن لم نجتمع معه الا قليلا فقلت باندهاش ولماذا ؟ فقال استقر في بيت هناك وعن يمينه عشر مجلدات ضخام ، يطالع الاول فالثاني فالثالث الى آخرها ، وينقل منها على التتابع حتى استنفد ما يريده ، وقال : لما سألته ما هذه الكتب ؟ اجاب هي « مجلدات دائرة المعارف لمحمد فريد وجدي أتت من الشرق حديثا » ، ولقد اضطررت لايراد هذا ولو كان في جانبه ما يرمي لنطاق شخصي، فان في بعض دلالته ما يفيد عن جزء هام من حياتـه الخاصة الثقافية » ، حقا لم يقنعه الكتاب ولم يغنـه — ابدا — عن مصاحبة المجلات والجرائد ذات الجودة والطرافة « كالمقتطف » و « الهلال » و « العرفان » و « والمنار » و « الاهرام اليومية » و « المقطـم اليومي » و « السياسة الاسبوعية » و « الرسالة » و « الثقافة » زيادة على الجرائد والمجلات التونسيـة « كالزهرة » و « الزهو » و « النديم » و « الثريا » و « البصائر » الجزائرية ، وما يصدره المغرب من ذلك . وتراه يتفكه بما تذكره جريدة « النديم » التونسي من نكات عذبة فحواها الاحوال السياسية — آنذاك — مع الطلبة ، ويتحدث معهم عن حديث الصاوي اليومي في جريدة « الاهرام » المصرية معجبا بقوله الموجز المركز ومبتسما بارتياح لعنوانه الظريف « ما قل ودل» وفي مطالعته لكل ذلك ، يكون لتتبع الاحداث السياسية العالمية وعلى الاخص احداث البلاد العربية والاسلامية وقد تشعر لدى مجالسته انه على خبرة تامة فيمـا تدبره لها الدول الاستعمارية من مؤامرات ، ومـا تحيكه — حينذاك — الدول الكبرى ذات الاطمـاع الاقتصادية في الخفاء من مكايد ، كما كانت له — أيضا — دراية واسعة برجالاتها السياسية وادبائها رواد النهضة يحدث عن كل واحد منهم كأنه لازمه عن كثب ، ويذكر كتبهم لا ذكر العناوين فقط ، بل معرفـة موضوعاتها واستقصاء ما فيها بروح خبير نقادة يبرز الاخطاء وينبه عليها بعض طلبته الولوعين بالاطلاع ، ويزيدهم فائدة وتشويقا وترغيبا لتقوية حياتهم الثقافية. فيحدثهم عن مميزات هؤلاء الرواد الشخصية بذكـر بعض كتبهم وبسوقها — بروح فكاهية ودعابـة في الاسلوب فيقول — قدس الله روحه — مبتسما ، طه حسين نظراته في « الشعر الجاهلي » جعلته مـن « قادة الفكر » بعد « الفتنة الكبرى » ، والعقـاد « عبقرياته » و « الله » و « ساعات بين الكتب » ، واحمد أمين ذوقه الخاص في الاسلام عند « الفجر » و « الضحى » و « الظهر » ، والمازني « في الطريق » و « من النافذة » و « صندوق الدنيا » وبعد « حصاد الهشيم » كـ « قبض الريح » ، واحمد حسن الزيات « وحي الرسالة » الاحمدية في ثلاثيات الافتتاحية ، وتوفيق الحكيم عنده « زهرة العمر » في « عـودة الروح » مع « اهل الكهف» ، ومصطفى صادق الرافعي « وحي القلم » أبعده من النار « على السفود » منتصرا « تحت راية القرآن » ، وزكي مبارك « وحي بغداد » الهمه الكتابة في « ليلى المريضة في العـراق » بـ « النثر الفني » ومحمد حسين هيكل عنده « ثـورة الادب » في « منزل الوحي » « في أوقات الفراغ» ، وكل من خالطه يدهش كثيرا لسرعة استحضاره للتوريات والنكات المليئة بالالتفاتات التاريخية والادبية ، توجد ضمنها معلومات عديدة معبرة عن غزارة في التنوع دال على سلامة ذوق في حسن اختيار وحبك عرض، اما حديثه عن الشرق العربي وحركاته الاستقلالية ، فلقد كان على المام كبير بها يحيط بما يروج في الاوساط من انقلابات واضطرابات تسببت عن اضرابات شعوبها المتوثبة ضد كابوس الاستعمار الجاثم بالبلاد ، وعلى تطور الاحوال فيه الى جانب التحرر والتخلص من نير القيود الى حياة الاستقلال الطليقة ، يلم بكل ذلك كأنه هنالك شاهد عيان ، وهذا الامر — حقا — يدهش بعض القراء الذين لم يسبق لهم التعرف به والحضور في مجالسه ، وكان — قدس الله روحه — يتعمـد سوق هذه الاخبار المثيرة الموقظة للمشاعر الخامدة ، أثناء الدرس — لادنى مناسبة — واحيانا يسبح ذهنه المكتنز لتفصيل بعض القضايا السياسية الهامة فيه تكون حديث الساعة فيحمد الكل البيان عنها ، ولا يقتصر في عمله التوجيهي هذا على حلقة الـدرس ، بل وفي الندوات الشعبية — أيضا — التي كان يحضر

فيها ؛ وفى مجالسه الخاصة بالنخبة المثقفة ، قصد بث الوعي ، واحياء الشعور الوطني الكامن في النفوس وتكوين نموذج صالح من طلبته الكثر كي يتحملوا مسؤوليات البلاد بصفة ايجابية عاملين لخدمة مصالحها، والعمل على استرداد مجدها في دائرة الحرية التامة ؛ وهذا الموقف الجليل للمترجم علمه الكثير من خلطائه واصفيائه ، واني لا زلت اذكر من ايام عامرة غابرة عن تلكم الجماعة الصغيرة التي كانت تجتمع يوميا — بعد الظهر — في بستان يطل على البحر المحيط خارج باب العلو ، تطربها نغمات قوادس بئر السانية ، وبرفقتها « ندماء اعزاء » كتب عصرية ومجلات علمية ادبية وجرائد سياسية ، تتسرب — كل حين — من الشرق العربي ، تطالعها وتناقش عما فيها ، وكان من افرادها الاخ الغيور المرحوم مولاي الطاهر الرفاعي ، فيحدث لها — اثناء المناقشة — لمزيد من التعرف عن مسالة سياسية او ادبية — توقف في فهمها قد يطول بعض المرات ، ويسوء بتخييم السكوت فيقف عند ذاك مولاي الطاهر — وسط الجماعة — تعلوه روح حماسية ، مقطبا ما بين عينيه ، متافقا من كثرة الجدال والنقاش دون جدوى ، وكان — رحمه الله — ضريرا « بصيرا » مدركا نابها متوقد الذكاء ذا وعي صادق وشعور وطني خالص، فقال بصوت جهوري متسم بتوتر عصبي؛ فما هذا السكوت فلنسال « سيدي المدني » فعند جهينة الخبر اليقين ! ، ولم يكن نشاطه العلمي واثره الثقافي منحصرا في حلقات دروسه في مساجد الرباط او ندواته الادبية التي يحضر بها او مجالسه الخاصة ، بل كانت له جولات في بعض المدن المغربية يلقي فيها بعض الدروس كطنجة ومراكش ومكناس ، وبفاس مرارا تراس امتحانات جامع القرويين ، وكان من اطيب الفرص اتصاله المباشر بجلة من علمائها ونخبة من طلبتها ، وكثيرا ما كنت اسمع ممن اجتمعت بهم من بعض علمائها وطلبتها من الثناء على اخلاقه الفاضلة والتنويه بعلمه الغزير واقتداره في فنون شتى ، بفكر متفتح ؛ ووسع في المدارك ، بل تعدى اتصاله هذا باثره العلمي الى اقصى الجنوب ، مع رجالات علماء سوس وعلى راسهم الاخ الجليل الفهامة المفيد مؤرخ سوس « العالمة » المرحوم المختار السوسي احد طلبته النجباء المعجبين به ، ومن الذين ارتووا من معينه الفياض بحظ وافر، والمفتخر اكبر الافتخار بالتلمذة عليه ، والاخذ عنه في عدد من الفنون بتقدير واعجاب، والذي كان يعد السنوات التي قضاها ملازما لحلقة دروسه هي محطة انطلاق بالنسبة اليه في تحويل

وجهته العلمية والادبية الى تفتح ذهني قابل لمطالعات كتب عصرية وجرائد ومجلات مختلفة الميادين ، والخروج من نطاق ضيق محلي بوعي هادف لغاية ثقافية ، غير مقتصر على التراث القديم فحسب ؛ وذكر غير ما مرة انه ترجم له ترجمة حافلة في كتابه « اساتذتي الحضريون » استعرض فيها — كما قال — ذكريات جميلة طريفة عما استفاده من مجالسه العلمية فضلا عن هذا فلقد كان المترجم العزيز من جملة العلماء الكبار المرشحين للحضور في اوقات المجالس الحديثية الملكية في المعهدين « اليوسفي » و «المحمدي» ولقد كلف فيها بتدريس صحيح الامام مسلم ابتداء من عام 1357 هـ — 1938 م فما بعدها ، وابرز في مجلس تدريسه براعة فائقة في قوة حفظه للحديث ، واتقان تام لمصطلحاته ، مصحوب كل ذلك بذاكرة واسعة المدى في ستيفاء معرفة رجاله على اختلاف طبقاتهم ، محدثا عن مكانتهم بفيضان من القول مسترسل لا توقف فيه ، يعيد للتاريخ بصورة شخصه الكريم الحية املاءات حفاظ السلف في العصور المجيدة للاسلام ، مما اذعن له خصوم المعاصرة قبل اعجاب الحاضرين ، وكان لدروسه صيت حسن محمود خارج المجلس ، هذا ولم يقتصر — قدس الله روحه — في التوجيه ، وبث الوعي وتحريك الشعور الوطني على الجيل الصاعد من الشباب فحسب الذي كان يتعاطى الطلب في مجالسه او من كان يتصل به من نخبة تلاميذ المدارس الحكومية استكمالا لثقافتهم العربية ، بل كان يرعى بكامل الاعتبار عن كثب الاطفال الصغار الذين كانوا يزاولون تعليمهم في المدارس الحرة — التي تكونت — اول ظهورها — في المغرب متواضعة في امكنة بسيطة المبنى من زوايا ومساجد مهجورة ترفرف عليها روح الاخلاص ، وصدق النية ، وحب مثالي للعمل ، فانتشرت فكرتها الطيبة في ربوعه فتاسست في البداية بالمدن الرئيسية كفاس ومكناس والقنيطرة وسلا والرباط والدار البيضاء والجديدة وآسفي ومراكش والصويرة وكان رؤساء جيش الاحتلال — حينذاك — يطلقون على مجموعها « بؤرة الخطر ! » ولم يستطيعوا القضاء عليها جهارا للشعار الديني الذي تحمله ، ولكن اغروا اساتذتها المبرزين بزيادة الاجور بانتقالهم الى المدارس الحكومية . فخربت واقفل معظمها ؛ نعم فهذه المدارس الحرة التي استعرضت حالتها بايجاز ، كانت محل اهتمامه الكبير في كل حين يعلق على ابنائها المتخرجين آمالا كبارا في تكوين نخبة منهم تكون ذا ثقافة عربية تتسم بروح

العصر متحررة من قيود الرجعية ، والجمود العائق فى السير رفقة الركب « المدني » كي تتجاوب رغباتها مع المطامح التحررية التي صارت — وقتذاك — تظهر بوادرها في الشرق العربي بسرعة فى الاوساط كالشرر ، ولقد حقق الله آماله فى بعض الافراد الذين ارتووا من معينه الغزير بحظ وافر ، فبرهنوا على ذلك بكفايتهم فى العلم والادب والسياسة الشاهدة عليهم أعمالهم الايجابية المحمودة التي قاموا بها في ميادين التدريس والتأليف والدعوة الى الاصلاح ، وفى الحقل الوطني اليانع بفضل مساهمتهم الفعالة في ازدهاره ، وكان اهتمامه الكبير لهذه المدارس الحرة جعله يتفقد احوال الموجودة منها بالرباط ويتتبع باستفسار دائم سير أعمال تعليمها ، ويزور مرة مرة — القريبة من منزله كمدرسة درب والزهرا (الزاوية الحراقية) والمدرسة الشدادية (بالزاوية الكتانية) وكان يحضر حفلاتها ، ومن ذكرياتي العزيزة فى عهد الصبا التي لا يمكنني نسيانها ولا محوها من ذاكرتي حفلة اقيمت بمدرسة والزهراء ، بمناسبة انتهاء السنة الدراسية سنة 1339 هـ — 1920 م تحت اشراف لجنة ادارتها المركبة من المرحومين الاديب النقادة الطلعة الاريب احمد الزبدي ، والوجيه الكريم المفضال الفاطمي بركاش ، والغيور المتفتح المقدام المعطي بوهلال وبالرئاسة الفعلية لمترجمنا العزيز ، فلما اكتمل الحفل بمجيء بعض آباء التلاميذ ، قام الرئيس الكريم بسمته الحسن وطلعته البهية ، وتبعه فى القيام اعضاء اللجنة والمدعوون ، ووضعنا المعلم نحن الصغار — امامه — جالسين — صفا صفا — عن قرب منه تلبية لرغبته فى مواجهتنا له وبيننا على اليمين والشمال التلاميذ الكبار والمعلمون يطوفون حولنا لتهدئتنا وسكوننا وفى فترة الهدوء والسكون المراقب ، أخرج « الرئيس » صحيفة اشتملت على قصيدة خفيفة المبنى لطيفة المعنى سهلة القافية تساعد الطفل على حفظها فالقاها علينا والكل يصغى لصوته الهادىء الحنون المؤثر بانتباه زائد ، فقال فى طليعتها :

أبناء قومي اليكم ترسل الخطب
ونحو تهذيبكم تسلسل الكتب

فانكم بعد حين من زمانكم
رجالنا فى غد اذ انتم النجب

قوموا بجد الى تحقيق بغيتنا
ونيل مطلبنا منكم كما يجب

الى ان قال :

ولازموا حب **أوطان لكم ابدا**
وسابقوا واسبقوا فحظكم قصب

انسمت فكري فى بحث وفى نظر
وجلت فيها به تستدفع الكرب

فلاح لي انه ما من فلاح لنا
الا **بخدمتها** فانها السبب

وقد استنسخها — آنذاك — عدد من التلاميذ ذوي القرائح الطيبة ، وصاروا يرددون قطعا منها على جماعتهم بنغمات اصوات صبيانية حلوة ، وانتشر ذكرها وحفظها فى الاوساط المدرسية الاخرى حتى فى خارج الرباط ، بل انتشارها — ايضا — بمفعول اثرها قد تعدى الى المدارس الحكومية ! مع قصيدة اخرى له له مثيلتها فى خفة المبنى وسهولة القافية وسمو المقصد. كان القاها على تلاميذ المدرسة الشدادية بمناسبة انتهاء سنتها الدراسية 1341 هـ — 1922 م تلك المدرسة التي كان يدير شؤونها ويشرف على التعليم فيها المرحوم المربى المنتسب الخطيب الموفق الصديق الشدادي ، وفى طليعتها :

بني قومى أفيقوا من منام
وجدوا فى المعالي باهتمام

فما نيل المعالي بالتواني
ولكن بالعزيمة والنظام

لقد كنا وكان العرب قدما
هداة الخلق من سام وحام

الى ان قال :

فكونوا خلفهم خلفا حميدا
يجدد ما تناثر من نظام

وكونوا مثلهم فضلا ومجدا
فينجو الكل من موت زؤام

الى آخرها

وعلاوة على هذا كان — رحمه الله — سامي الهمة ، ابى الشعور ، قوي الايمان ، لا يتساون مع المستعمرين رؤساء جيش الاحتلال فى أي حال ، ولا يؤدي لهم اي خدمة ترمي لمصالحهم تمس بشرف وطنه وكرامته ، ومن ذلك لما قامت الحرب العظمى

بدافع المانيا النازية ؛ وعمت موبقتها ، وانتشرت في اسرع حالات وحشية محطمة لمعالم الحضارة ومثاثر الامم في كثير من بقاع العالم ، وبصفة خاصة البلاد المجاورة لالمانيا ، ووقتذاك — فقد طلبت السلطة — لمكانة المترجم العزيز الكبرى المحتلة في قلوب الاوساط الشعبية — ترشيحه على أن يكون ضمن شخصيات من علماء مغاربة يلقون محاضرات في برنامج اسبوعي خصصته « الاذاعة بالمغرب » لنشرها وسط المجتمع المغربي كابواق للدعاية في تاييد دولة فرنسا واعانتها في الحرب القائمة بالجنود والتموين جزاء « الصداقة » بينها وبين المغرب ، والوفاء بالعهد لتحملها اعباء الحماية ، والاستمرار في الاضطلاع بمسؤولياتها ! ! كتعبيرهم حينذاك — فابى وامتنع كل الامتناع باعترافه بهذا الترشيح الداعي للمشاركة في هذا البرنامج المزري بمتامه ، غير عابىء بالظروف الحرجة التي كانت تسود البلاد المبنية على حالة الطوارىء التي استلزمتها نوائب الحرب وكوارثه ، فتدخل في الامر — للتخفيف من التوتر الناتج عن امتناعه — احد كبار المسؤولين من المغاربة — خشية اذايته من جانب المستعمر الغاشم — ففاتحه بطريق ودي على ان يلازم منزله في هذه الفترة المؤلمة — ريثما تنجلي هذه الزوبعة المؤسية — نظرا لمكانة شخصيته المحبوبة من الجميع، وقد شاع هذا الامتناع في الاوساط الشعبية وغيرها. فحمد الكل موقفه البطولي المشرف — الذي تحدى به رغبة السلطة — المبني على شجاعة مؤمن مخلص لمبادئه الدينية ، وقدروه بكامل الاعتبار والتقدير ، وزاد في اعينهم هيبة واحتراما ومحبة ، ومن جهة اخرى كان في حياته الوظيفية لا يتهاون في تحقيق الاحكام الشرعية المنوطة به لتحقيقها واخذ نظره فيها ، فلا يساعد في فتح باب الرخص وحشد الاقوال الضعيفة لتقوية اي مسالة تعرض عليه وتلوح الرغبة فيها لايجاد مخرج شرعي لها يتناسب مع ما تقتضيه الحالة التي يعيشها المغرب في اطار الحماية الاجنبية . فيابى كل الاباء الخوض في البحث عن اقوال مرجوحة لتوجيهها على مقتضى رغبة الطالب ، بل ولا يعتمد في تثبيت الحكم الا على صريح النقول واوثق النصوص ، ولا يعبا باي مصدر صدرت منه — ما دام مخالفا للصحيح عنها ، ولا يتاثر بمساعي نفوذه وقوته ، للعمل على جواز هذا الترخيص ، ورجالات « المخزن » وعلى راسهم عاهل البلاد كانوا يعرفون منه هذا الموقف الحازم المشرف الذي يابى فيه السير مع هوى السلطة المحتلة ويعهدونه — دوما — من خالصه الحميدة ، ويسرون لذلك — في انفسهم ، ويحمدونه منه اعتبارا وتقديرا.

وكانت ادارة الاستعلامات تتبع منه هذه المواقف ومن امثاله المخلصين بكامل الاهتمام وبالغه لانها تعد ضد اعمال « الحماية » وعائق كبير لتعطيل مصالحها الاستعمارية ، وتحفظها في ملفها « الاسود » ريثما تاتي الفرص الملائمة في نظرها لتحطيم شخصيتهم. والقضاء عليها في عيون الشعب ، ومن قلوبهم باختلاف وسائل مختلفة تزري بقدرهم ، واكاذيب تشوه سمعتهم بين الناس واذاعتها باساليب مصطنعة من طرف خفية قد تجوز حيلتها على « المغفلين » ، ومن المعلوم الشائع عن ساسة الاستعمار في حبك المكائد. انهم اذا اشتدت عليهم الازمات في الامم المستضعفة الجاثمة عليهم بالكابوس الثقيل، وتكاثرت — بوعيها — الضربات على هدم مخططاتهم ، وضاقت بهم الانفاس وحاروا في الحلول ، عمدوا اولا وقبل كل شيء الى تحطيم سمعة شخصيات ذات مكانة اصيلة شعبية ، باخبار ملفقة عنهم يختلقونها لمناسبة عارضة تعينهم على جواز ذيوعها وتخدير الجو لتصديقها كي تبعدهم عن صفوف الشعب خوف ان يلتف حولهم فيزداد قوة في اوار نار اشتدادها ، وتحويل شرره بسريان سريع الى طريق شائك معشوشب ، لا تحمد عقبى ذلك السريان بالنسبة لمؤامراتهم المدبرة المليئة بانواع الظلم واشكال الاستعباد ، وهذا نفس ما وقع في حق المترجم الجليل القدر العظيم الشان النزيه السيرة منذ حياته الاولى العامرة بالخير الحافلة بالمكرمات ، لما نفي جلالة الملك محمد الخامس — قدس الله روحه — مع عائلته الكريمة ، ووضعوا مكانه شخصا خاملا من الاسرة صنعوه ليشغل مقامه ! ، وفي هذه الحالة الكئيبة الجو المكهرب المحدث عن عواصف مقبلة ، راوا الفرصة سانحة لتحطيمه وابعاد قلوب الشعب عنه ، فغمروه بكثرة الاستدعاءات وتوالي الاتصال بالتلفون ليصعد للقصر الملكي للحضور يوم تنصيب « دمية المهزلة » ولعزيمته الثابتة وايمانه القوي بالله لم يلب الطلب في ذلك اليوم المشؤوم رغم التهديدات — لوجوب مشاركته فيه وبعد هذا قدم استقالته للسلطة القائمة في اسم الشخص الذي نصبته متوجا بالهالة المزوة المحبوكة بالدسائس — كما تقتضيه الاجراءات القانونية والنظم الادارية لتسويغ قبولها بصورة رسمية ، ولكن قوبل منه ذلك بالرفض وبمزيد من التهديد والوعيد بالتنكيل ؛ واشاعت خلاف الحقيقة بواسطة جواسيسها العملاء بين صفوف الشعب قصد اهانته وتجنب مجالسه

الخطيرة على سياستها الخرقاء ، حقا فما وراء سطور تقديم هذه الاستقالة فى ظروف أيام التنصيب المصطنع العصبية ، ورفضه للحضور فى يومه بالضبط لدلالة قوية غنية عن البيان ، واحتجاج صارخ معبر بصراحة تامة لا غموض فى فهمها ، على عدم الاعتراف بهذه الدمية المنصبة كملك شرعي للبلاد ، ولن يستطيع أن يتدمها فى تلك الايام المضطربة ببلبلة الخواطر ، والمحاطة بحذر الطغاة اليقظين ، الا شجاع الجنان ابي النفس ، مؤمن اقوى الايمان باحقية قضية البلاد الشرعية ، وبكل اسف جازت حيلة هذه المكيدة المدبرة على بعض النفوس الضعيفة الكليلة النظر التي تنظر الاشياء بمنظر سقيم لا يميز الا ظاهرها المغلف بسياسة « الواقع » ، لا الحقيقي المستكن تحت سحب كثيفة حالكة ، التي لما انجلت ظلمتها وصفا الجو من اكدارها وانفرجت الازمة برجوع عاهل البلاد الشرعي من منفاه ، ذهبت الاشاعات المكذوبة مخذولة من بين اوساط الشعب وغيره ، وانمحت من الاذهان اثرها السيء المؤلم و « جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » ، « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق » ! صدق الله العظيم .

وفى الختام اود ان اكون قد اديت فى هذه الكلمة بعض الشيء الواجب علي فى حق هذه الشخصية العظيمة ذات الابعاد الكبيرة بالنفع العام فى كثير من الميادين العلمية المعززة بروح الاسلام والمبنية على اهدافه السامية . والتي تعد من مفاخر المغرب المحتلة لمكان مشرف بين عظمائه المبرزين الذين فرضوا وجودهم باستحقاق كامل لاعمالهم الايجابية لخدمة الصالح العام ، فكانوا بذلك فى صف طليعة رجالات العالم الاسلامي الحاضر أصحاب الدعوة الاصلاحية العاملين على ايقاظ اممهم ونهضتها من السبات العميق الطويل ، وتجديد بناء صرح الاسلام على اسس متينة بقوة الايمان وثبات العزيمة وسمو الاخلاق والخروج من الجهالة الموبقة بالمعرفة الصادقة .

واخيرا اقدم رجائي لوارث سره الاخ الحميم البحاثة الفهامة ذي الذوق السليم سيدي عبد الكريم على أن يفتح لنا بابا من « التسهيل » لمراجعة بعض انتاجه وبصفة خاصة شرح « النصيحة » القيم لنشر كلمة اخرى تعبر عن حياته — رحمه الله — من خلال اقواله ، وتعرب عن ذاتيته الحق بعبارات من شق قلمه بيانها اجلى ومنطقها أقوى ومعلوماتها اوثق تغني عن التعليق والفروض والاحتمالات ، وللاخ الكريم كامل الاعتبار والفضل الجزيل سلفا والسلام .

الرباط : مصطفى الغربي

بطولة علي بن أبي طالب

للدكتور زكي المحاسني

لا ازال اتمثل عليا بن ابي طالب صغيراً ابن عشر سنين حين اقبل على النبي ــ صلوات الرحمن عليه ــ مسلما. لكاني كنت اراه مؤتـزرا بازار مشمر وهو منحسر الراس ضاحيه يدلف الى مجالس ابيه وقد ازدحمت عليها قريش تسائله خبر فتاه محمد بن عبد الله ، ما شأنه ؟ وما هذا الذي ابتدره في الدعـوة الى امر يسمى الاسلام ... وكان فيمن مثل الى ابي طالب يسائله عن امر هذا الفتى القرشي الذي تفرد بهـــذه الدعوة العنيفة التي خشي الكبراء ان تزلزل بهم ماكانوا عليه من مجتمع ودين . مثل « عتبة وشيبة بن عبـد شمس بن عبد مناف ومعهما ابو سفيان محرك الفتن يومذاك واسمه صخر وفيه صفات الصلابـة التي في الصخور وغيرهم نفر هائجون صاخبـون فـاذا هـم يبتدرونه :

ــ يا ابا طالب ، ان ابن اخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه احلامنا ، وضلل ابناءنا ، فاما ان تكفه عنا ، واما ان تخلي بيننا وبينه .

فتبسم في وجوه وفد الثـورة القرشيـة على الرسول عليه صلوات الله وصرفهم بسياسـة وسلام وكان يمارس حربا في نفسـه داخلية ، فهو لم يرض عن ابن اخيه فيما جاء به من هذه الشرعة الحديثة وهو الى ذلك مشفق منه يخشى عليه ما يخشى على ولده وقد شب في حجره فكان كأحد ابنائه .

وتعود وفود الثورة الى ابي طالب تناهده في امر ابن اخيه الذي لم يرجع عنه وانما مضى في ازديـــاد وصلابة وايمان ينشر دينه ويدعو اليه فقال له قائلهم المتكلم باسمهم وهو محتـسب في مجلسـه مقطب الجبين سادر في التفكير :

ــ يا ابا طالب ، ان لك سـنا وشرفا ومنزلة فينا، وانا قد استنهيناك من ابن اخيك فلم تنهه عنه ، وانـا والله لا نصبر على هذا حتى يهلك احد الفريقين .

وحين انصرفوا عظم الخطب على ابي طالب فلم يطب نفسا بخذلان ابن اخيه لقد احببت في تصويـر المجلس الذي كان يحتبي في بهرته ابو طالب زعيـم قريش وكبيرها وموضع ثقاتها وبيانها ، الاول على مـا كان يشهده علي بن ابي طالب ابن عم الرسـول صلى الله عليه وسلم ورضي عن ابن عمه . كان يقتعد عـلى غرارة صباه مكانا بجانب ابيه فيدير راسه في وجـوه اولئك المحتجين الصاخبين الذين كان يتلقاهم ابـوه بطول البال والاناة والابتسام ليصرفهم بسلام فجمع الى خلائقه السياسة والكياسة .

فاختمر في وجدان ذلك الصبي المتطلع الى الآفاق الآتية من حياة الاسلام والجهاد وصفاء الايمان ، التوق الى هذا الرسول الذي نهض في ابن عمم .

وكان اهل الرسول وابناء عمومته ومن لف لفهم من اهله منبهرين عجبين برسالته ودهشين لمفاجآتها فذكرت وانا احلك من وراء العصور اخلاقهم وسجاياهم اذ اقيسوا على اخلاق المعاصرين بان الحسد انما ينبع بين الاقارب اول ما ينبع وبين المتجاورين والمتشابهين، ومر في خاطري قول قاله الاديب الفرنسي امير الشعراء المعاصرين جان كوكتو عضو الاكاديمية الفرنسية وقد توفي منذ ثلاث سنوات وكان شاعرا وناثرا كما كان خطيبا وممثلا وهو الى ذلك كله كان مصورا ونحاتا ، فلقد تعددت مواهبه وكانت جميعا لا تملأ اعين اهله فلم يكن احد من اقربائه يعترف له بالنبـوغ فقـال قولتـه المشهورة :

« لا حظ للموهوب فى اسرته »

وفيم لا ادعو الى صاحبي على العمر ابي الطيب المتنبي (1) فلقد كان يقول :

ما مقامي بارض نخلة الا
كمقام المسيح بين اليهود
انا فى امة ، تداركها الله ،
غريب كصالح فى ثمود

وكان ابو طالب شاعرا رهيف الحس ، طلق اللسان ذا بيان معهود فى قوله وله شعر يحفظونه فكان على ابنه ليستمع الى هذا الشعر وهو صبي فيسلك فى سمعه وينساب الى خاطره ويولد موهبة الشعر المبكرة عنده .

— انطلق بنا الى ابي طالب فلنخفف عنه من حياته آخذ من بنيه وانت تاخذ من بنيه من يشاء .

وانطلقا ، وقدما على الشيخ الوقور أبي طالب وهو ملفف فى عباءته التى توشك أن تتمزق، فقالا له تلك المقالة الانسانية فى حمل العبء عنه . فاخذ الرسول عليه السلام عليا فضمه اليه ، واخذ العباس جعفرا فضمه اليه فكان أن اسلم علي اسلاما مبكرا وهو صبي ابن عشر سنين فاخذ الرسول يربيه ويعلمه امور الدين ويزرع فى فؤاده الصغير الايمان الكبير حتى نما فؤاده واتسع لهذا الدين المبين .

وجاءهما يوما ابو طالب وهما يلعبان فقال لابنه علي بعد أن انفتل من صلاته :

— أي بني ، ما هذا الدين الذي انت عليه ؟

فقال الفتى وهو يتالق نورا لابيه الشيخ الوقور .

— يا ابت آمنت بالله وبرسوله ، وصدقت ما جاء به وصليت معه .

يومذاك قال ابو طالب كلمته التاريخية الرائعة — للرسول صلوات الله عليه — التى كانت عنوان الذمم فى دنيا الاسلام ومثال الدفاع فى عالم الاسرة :

— والله لا يخلص احد اليك بشيء تكرهه ما بقيت حيا ..

ولعل التاريخ لم يفصل القول كيف كان الرسول يرتب عليا فى البطولة والفروسية واللعب بالسيف وركوب الخيل، فان عليا ظهر فى حروبه وجهاده كاروع بطل فى المناجيل فكان يجيد التمرس باظهر الخيل وهي مرضاة الازمة وكان مصمم الضربة لا تخيب طعنته ولا ينبو سيفه وكان شجاعا اذا برز فى العراك شق الصفوف وشتت الفرسان ولم يخسر اية مبارزة فى اية غزوة او حرب او مباطحة .

وهذه غزوة بدر الكبرى تشهد ببطولته حين تنمر الحارث فقتله علي بن ابي طالب وبرز فى المعمعة عتيبة بن ربيعة بين اخيه شيبة وابنه الوليد ، فاخذت اتصور هذا البطل المغوار الذى كان دعامة قريش فى حربها ببدر تلقاء جيش الرسول صلى الله عليه وسلم ولست اشك فى انه كان لابسا لامة مضاعفة مهنوءة تصل به ازرادها وسلاسلها كلما تحرك وعلى جواده درع سابغة وخوذته على رأسه بين منها عيناه فيما يغطي منها وجهه .

فبرز اليه نفر لم يملأوا عينيه ، فصرخ :

— يامحمد ، اخرج الينا اكفاءنا من قومنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— قم يا علي .

فنهض بطل الملحمة الاسلامية الاولى ، علي بن ابي طالب ، فهز سيفه القرضاب وقد اسلم العلم لمن يليه وتبارز البطلان الضرغامان وتخالفا ضربات حتى تمكن علي من مقاتل عتبة فقتله وقتل ابنه الوليد .

وتزاحف المتجالدون فكان علي يشق الصفوف بحسامه وينبري كالصاعقة حتى كانت له البطولة الاولى فى معركة بدر الكبرى .

وقد صورت هذه البطولة فى النشيد الخاص به فى الملحمة العربية ، فلقد ضم البيان الى الحسام والورع الى الفروسية والتقوى الى المقام العزيز ، فليت البطاح التى تواري جسده الطاهر فيها الخطاب او الكتاب اذن لهتفت فيه سجيس الليالي تقول :

علي يا دفعي على كل هالك
ضممتك فى قلبي بليل الحوالك
اذا لمعت شمس الضحى خلتها
سيوفك لما اشرقت فى المعارك

دمشق : الدكتور زكي المحاسني

(1) للدكتور زكي المحاسني كتاب فى (المتنبي) اعيدت طبعته مرارا بدار المعارف ببيروت (رابطة العالم الاسلامي)

السيد جمال الدين الأفغاني

فيلسوف الجامعة الإسلامية

للأستاذ محمد العزبي الشادوش

عاش صاحبنا كالطير فوق الغصن ، متنقلا من بلد الى بلد ، باحثا عن الحرية والعزة والكرامة ، داعيا الى الوحدة الاسلامية ، والى تجديد الفكر الاسلامي ، بلسانه الساحر ، وقلمه البليغ ، وذكائه النادر ، وايمانه الراسخ ، وعزيمته الصادقة ، في وقت تفككت فيه عرى الجامعة الاسلامية ، وضعفت فيه روح المسلمين ، وتقاص نفوذهم ، وخارت قوتهم الحسية والمعنوية ، وصاروا فريسة للاستعمار الغربي وعملائه واذنابه الذين طاردوا صاحبنا ولاحقوه اينما حل وارتحل ، للقضاء عليه وكبت دعوته ، وتحطيم مبادئه وتشويه تعاليمه ، بكل ما امكنهم من مال ورجال ، وحيل وخداع ، تارة يسلكون معه سبيل الاغراء والاغواء ، وتارة يلجأون الى التهديد والوعيد ، فلم ينفعهم ذلك امام شخصيته القوية الكبيرة ، ولم ينجحوا في الاستحواذ على الرجل الذى كرس حياته لخدمة الاسلام والمسلمين واعلاء كلمتهم واعزاز دولتهم ، زاهدا في متاع الدنيا وزينتها ، معرضا عن فتنتها ومباهجها ، فهو كما وصفه الامير شكيب ارسلان رحمه الله : « لم يكن يؤخذ لا رغبة ولا رهبة ، اما الرغبة فقد كان راغبا عن الدنيا بحذافيرها ، واما الرهبة فلم يكن يعرف الخوف الى قلبه سبيلا » . ذلكم هو مفخرة الاسلام والمسلمين ، وفيلسوف الجامعة الاسلامية ، السيد محمد جمال الدين الحسيني الافغاني رحمه الله ورضي عنه .

ولد السيد جمال الدين الافغاني في قرية (سعد اباد) سنة 1254 هـ ـ 1839 م . ويتصل نسبه بالامام الترمذي المحدث المشهور رحمه الله ، ويرتقي الى سيدنا الحسين بن الامام علي رضي الله عنهما ، فهو من عائلة عريقة في المجد والشرف ، وبسبب ذلك كان رحمه الله يدعى بالسيد ، وكان السيد فخورا بنسبته لآل البيت رضي الله عنهم .

نشأ السيد في (كابل) عاصمة الافغان ، ولم يستكمل الثامنة عشرة من عمره حتى كان قد احاط معرفة بالعلوم النقلية والعقلية ، وكان في مستهل حياته حنفي المذهب ، الا انه بعد ذلك مال الى الاجتهاد، وهو على تمسكه بالسنة الصحيحة وسلوكه مسالك الصوفية ، حاول ان يعقد اواصر الفة ووحدة بين اهل السنة والشيعة قائمة على اساس المودة والتسامح . وقد اتيحت الفرص للسيد لان يكون شخصية بارزة في البلاط العثماني ، ولكنه اختار ان يعيش حرا ، وان يسلك سبيل المصلحين .

وقد ذكر مؤرخو حياة السيد انه كان «جذاب الملامح ، طلق المحيا ، قوي الحافظة ، شديد الذكاء ، فصيح اللهجة ، بليغ العبارة ، مليح النكتة ، كريم النفس ، كثير الحلم ، فاطما نفسه عن الشهوات ، كثير القيام بالليل، لا ياكل الا مرة واحدة في اليوم ، مع ولع شديد بشرب الشاي والتدخين . » ووصفوه كذلك بانه « كان فيلسوفا وكاتبا وخطيبا وصحفيا ، ولكنه كان فوق ذلك سياسيا ، وكان في نظر المعجبين به وطنيا عظيما ، اما خصومه فكانوا يعدونه مشاغبا خطيرا . »

ووصفوه ايضا بانه « الباعث الاول للروح العصرية في الاسلام » .

وذكر الامير شكيب ارسلان ان السيد لم يتزوج في حياته ، وان السلطان عبد الحميد العثماني راوده على الزواج وحاول ان يعلق قلبه بالمال والبنين ، فقال له السيد « قضيت حياتي مثل

الطير على الغصن ، فلا اريد في ءاخر حياتي أن اتعلق بعائلة . » وزاد الامير يقول انه كان مسامرا عنده مرة فقال له احد الحاضرين : يامولاي، لماذا لا تتاهلون ويكون لكم الذرية الصالحة ؟. فلم يعجبه قوله !. ولما انصرف الرجل قال السيد للامير « لم تدخل روح الفلسفة في هذه الامة ! » وفسر الامير كلام السيد بقوله « مراده ان الفلسفة لا تبالي بالنسل والذرية ، وان الفلاسفة قلوبهم في شغل شاغل عن ذلك ! »

وكان السيد زاهدا في المظاهر والرتب ، وقد عرضت عليه رتب مرموقة فرفضها ، واوسمة رفيعة فابى ان يقبلها . ولما ساله الامير شكيب عن ذلك قال: « اكون كالبغل يحمل على صدره الجلاجل ؟! »

وكان السيد زاهدا في المال ايضا ، لا يدخره ، ولا ياخذ منه الا ما هو ضروري للحياة . بل انه كان عفيفا ابيا حتى في احلك الاوقات واصعب اللحظات ، فمن ذلك ما روي عنه انه حينما كان مقيما بمصر وصدر الامر بنفيه منها ، نقل الى السويس ولم يكن معه اكثر من ثلاثة جنيهات وبضعة قروش فضية اخذت منه جميعا ، فامتطى متن البحر وليس معه شيء من المال . فلما علم بذلك قنصل انجلترا وقيل بل قنصل ايران تقدم لتشييعه وعرض عليه مبلغا وافرا من المال ، فابى السيد ان ياخذ منه شيئا وقال له : « انتم الى هذا المال احوج ، والليث لا يعدم فريسته اينما ذهب ! »

وقضى السيد حياته متنقلا بين الشرق والغرب يدور كعقرب الساعة ، ناشرا دعوته الاصلاحية ، غارسا بذور الجامعة الاسلامية اينما حل وارتحل ، وكان اذا سئل عن وطنه اجاب « ليس لي وطن ! .. ولا وطن اليوم للمسلمين ! » ويعني بذلك ان وطنه هو العالم الاسلامي بأجمعه ، وان المسلمين غرباء في اوطانهم ما دام الاستعمار الاجنبي يسيطر عليهم .

— ◆ —

كان السيد فيلسوفا الجامعة الاسلامية التي وصفها الاستاذ لوثروب في كتابه (حاضر العالم الاسلامي) بانها شعور بالوحدة العامة والعروة الوثقى لا انفصام لها بين جميع المؤمنين في المعمور الاسلامي .» ويقول المستشرق جولد زيهير بان « جمال الدين بقلمه ولسانه كان اصدق ممثل لفكرة الجامعة الاسلامية » . وقد اصدر السيد في باريس مجلته الشهيرة (العروة الوثقى) لنشر مبادئه ودعوته.

وتتلخص مبادىء السيد ودعوته في : اشعار العالم الاسلامي بوجوب الاتحاد امام العالم النصراني الذى ما زالت الروح الصليبية كامنة فيه والتعصب الديني يسيطر عليه ، ولذا فالشعوب النصرانية متفقة على عداء الاسلام والمسلمين ، ويتجلى ذلك العداء في جميع المواقف . فهم يريدون اذلال المسلمين وسحقهم ، ويعتبرون ما فيهم — اي في المسلمين — من عزة قومية ونفس ابية وشرف وطني ، تعصبا مذموما وانانية ممقوتة . بينما يعدون تعصبهم هم — اي النصارى — تعصبا مباركا وقوميتهم قومية مقدسة ووطنيتهم وطنية معبودة . وكل هذا يفرض على العالم الاسلامي أن يتحد اتحادا عاما دفاعيا وثيق العرى ، وان يتكتل في اطار جامعة اسلامية ليستطيع بذلك الدفاع عن نفسه وكيانه .

ويبين السيد مراده من (الجامعة الاسلامية) فيقول : « لست اعني ان يكون لهم — اي للمسلمين — امام واحد ، وانما اعني ان يكون امامهم القرءان . »

ويذكر الشيخ عبد القادر المغربي ما رواه عن السيد حول هذا المعنى انه قال : « اننا معشر المسلمين اذا لم يؤسس نهوضنا وتمدننا على قواعد ديننا وقرءاننا فلا خير فيه ، ولا يمكن التخلص من وصمة انحطاطنا وتأخرنا الا عن هذا الطريق . » فقال له الشيخ عبد القادر : « ولكن الا ترى ايها السيد فرقا بين حالتنا اليوم وحالتنا منذ ثلاثين سنة من حيث الرقي والاخذ باسباب العمران مما يصح لنا القول باننا قد تقدمنا تقدما ملموسا» . فاجابه السيد: « ان ما نراه اليوم من حالة حسنة فينا هو عين التقهقر والانحطاط ! » قال الشيخ : وله ؟ اجاب السيد : لاننا في تمدننا هذا مقلدون للامم الاوربية ، وهو تقليد يجرنا بطبيعته الى الاعجاب بالاجانب والاستكانة لهم ، والرضى بسلطتهم علينا ، وبذلك تتحول صبغة الاسلام التى من شأنها رفع راية السلطة والتغلب، الى صبغة خمول وضعة واستئناس لحكم الاجنبي . » قال الشيخ : وما هي الطريقة القويمة التى تر ىان نسلكها لنتوصل الى التمدن الصحيح ؟. اجاب السيد : « لابد من حركة دينية ». قال الشيخ لم افهم معنى الحاجة الى الحركة الدينية التى تدعو اليها ! . فاجابه السيد : « ان الحركة الدينية هي كناية عن الاهتمام بقلع ما رسخ في عقول العوام ومعظم الخواص من فهم لبعض العقائد

الدينية والنصوص الشرعية على غير وجهها ، مثل حملهم نصوص القضاء والقدر على معنى يوجب عليهم ان لا يتحركوا الى طاب مجد او تخلص من ذل ، ومثل فهمهم لبعض الاحاديث الشريفة الدالة على فساد ءاخر الزمان او قرب انتهائه فهما يثبط هممهم عن السعي وراء الاصلاح والنجاح مما لا عهد لسلف الصالح به ، فلابد اذن من بعث القرءان ، وبعث تعاليمه الصحيحة بين الجمهور وشرحها لهم على وجهها الثابت ، بحيث ياخذ بهم الى ما فيه سعادتهم دنيا واخرى . » ثم قال السيد ايضا : « ان العرب قبل انزال القرءان عليهم كانوا فى حالة همجية لا توصف ، فلم يمض عليهم قرن ونصف قرن حتى ملكوا عالم زمانهم ، وفاقوا أمم الارض سياسة وعلما وفلسفة وصناعة وتجارة ، وكل هذا لعمري لم ينتج الا عن هدي القرءان ، وارشاد القرءان ، فالقرءان وحده الذي كان كافيا فى اجتذاب الامم القديمة وهدايتها جدير ان يكون كافيا اليوم ايضاق اجتذاب الامم الحديثة وهدايتها . » ثم قال السيد : « لولانا .. لولانا .. القصور منا ، والتبعة علينا ، انصرفنا عن الاخذ بروح القرءان والعمل بمعانيه ومضامينه ، الى الاشتغال بالفاظه واعرابه ، والوقوف عند بابه ، دون التخطي الى محرابه ! » . انتهى ما نقله الشيخ عبد القادر المغربي عن السيد حول القرءان والحركة الدينية .

وكان السيد ينتقد نظم التعليم ومناهجه، ويدعو الى وجوب تجديد الفكر الاسلامي ، والى اصلاح التعليم اصلاحا جذريا وجعله فى مستوى العصر . ويقول الشيخ رشيد رضا رحمه الله ان السيد « هو الذي نفخ فى الازهر روح النهضة وغرس بذور التقدم الفكري والعلمي ، وقد بدت ثمارها بظهور المدرسة الحديثة التى حمل لواءها الاستاذ الامام محمد عبده فى الازهر وخارج الازهر . »

وكان السيد يرى ان الاسلام دين عام عالمي ، قادر تمام القدرة على ملاءمة الظروف فى كل جيل . وكان يرى ان الاوربيين مستعدون لقبول الاسلام اذا احسنت الدعوة اليه ، وان الامريكيين أقرب من الاوربيين الى قبول الاسلام ، ولكن ذلك يتوقف كما قال على « علماء يصلحون للدعوة ويدخلون اليها من بابها المعقول » . وكان السيد يرى فى علماء عصره انهم « نفروا المسلمين من الاسلام فاجدر ان ينفروا الكافرين ! » ولذا كان يدعو الى تخريج طائفة من العلماء يصلحون للدعوة ، وكان يتلو على من يرى فيه المقدرة على الدعوة قوله تعالى « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون » .

هذا هو مجمل مبادىء السيد ودعوته وفلسفته التي لقي فى سبيلها البلاء ، وذاق من اجلها الغربة والاضطهاد . ولكنه لم ييأس ولم يستسلم . وقد كان يعرف جيدا انه ليس من السهل توحيد الامة الاسلامية وانقاذها بالسرعة المطلوبة بعد ان فسدت اخلاقها وتشتت شملها . وقد ذكر الامير شكيب ان السيد قال له مرة « ان المسلمين قد سقطت هممهم ، ونامت عزائمهم ، وماتت خواطرهم ، وقام شيء واحد فيهم ، وهو شهواتهم ! » وقال ايضا « بانهم اتفقوا على الا يتفقوا » ومع ذلك فانه لم ييأس من الانقاذ والاصلاح ، وقد تعززت مواقفه بتلميذه الشيخ محمد عبده الذى كان وفيا لاستاذه مؤمنا برسالته ، وكان يصدر معه فى باريس مجلة العروة الوثقى . على ان الشيخ عبده كان يشعر احيانا بصعوبة الموقف او استحالة تحقيق اهداف استاذه فكان يشير عليه بترك السياسة والانقطاع الى العلم والدرس ، فكان السيد يقول له : « اسكت .. انت مثبط ! » ولكن السيد كان يقدر تلميذه الوفي ويقول فى حقه : لا يوجد مثله فى مصر .

— ◆ —

وكانت طريقة السيد فى الدعوة والاقناع فريدة ساحرة ، فهو تارة يلمح وتارة يصرح ، وتارة يبشر وتارة ينذر ، وهو فى تصريحه وتلميحه ، وفى انذاره وتبشيره ، مثال للشخصية المؤمنة الموهوبة ، التى تنجذب اليها النفوس، وتقتنع بتعاليمها الافكار، وقد وصفه الشيخ عبده بانه « كان يلقي الحكمة لمريدها وغير مريدها . ومن خواصه انه يجتذب مخاطبه الى ما يريد » . وكان يناصر أهل العلم ويشد أزرهم ويواسي محتاجهم ، ويشجع القاصرين والخاملين منهم ويبذل لهم ما امكنه من مساعدات . اما بيته فكان منتدى للعلماء والادباء والطلبة النابهين.

وقد كان السيد فى المواقف الحرجة مثالا للثبات وصدق العزيمة ، فمن ذلك انه حينما كان فى الهند وقررت الحكومة البريطانية نفيه منها واعلم بذلك وهو فى جمع من زائريه قال : « انني ما اتيت الهند لاخيف حكومة بريطانيا العظمى ، ولا انا على استعداد لاحدث شغبا عليها ، ولكن تخوفها من زائر اعزل مثلي، يسجل عليها وهن عزيمتها وضعف شوكتها وقلة عدلها فى حكمها . » ثم التفت الى زواره من علماء وافاضل فقال : « يا اهل الهند ، وعز الحق وسر العدل ، لو كنتم وانتم تعدون بمئات

الملايين ذبابا لكان طنينكم يصم آذان بريطانيا !..
ولو كنتم وانتم مئات الملايين سلاحف وخضتم البحر واحطتم بجزيرة بريطانيا لجررتموها الى القعر وعدتم الى هندكم احرارا . » فما اتم كلامه حتى اذرفت العيون ، فنهض وقال : « اعلموا ان البكاء للنساء !.. ولا حياة لقوم لا يستقبلون الموت فى سبيل الاستقلال بثغر باسم ! »

واثناء مقامه بمصر كان يخاطب الشعب المصري بما معناه : « انكم معاشر المصريين قد نشأتم فى الاستعباد ، وربيتم بالاستبداد ، وتوالت عليكم قرون وانتم تحملون عبء نير الفاتحين ، وتعنون لوطأة الغزاة الظالمين ..! لو كانت فى عروقكم دماء حية ، وفى رؤوسكم اعصاب تتأثر فتثير النخوة والحمية ، لما رضيتم بالذل والمسكنة ، ولما صبرتم على الضعة والخمول ، ولما قعدتم على الرمضاء وانتم تضحكون!.. هبوا من غفلتكم ، اصحوا من سكرتكم ، انفضوا عنكم غبار الغباوة والخمول ، عيشوا كباقي الامم احرارا سعداء ، او موتوا ماجورين شهداء ! »

وكان ينتقد الحياة الاجتماعية فى مصر فيقول : « ما اكثر الجرائد السياسية والعلمية والادبية فى هذه البلاد ، مع ان اهاليها فى حاجة الى جريدة ابسط من ذلك كله ، الى جريدة تقول لهم : اغسلوا ارجلكم ، اغسلوا ايديكم ، اغسلوا ابوابكم ! » . كما ينتقد مسلمي الهند الذين لا يعرفون عن الاسلام الا انهم ياكلون لحم البقر والحمد لله !

ولكن السيد كان يحب مصر ويقول عنها : « مصر احب بلاد الله الي ، وقد تركت لها فى الشيخ محمد عبده طودا فى العلم الراسخ ، وعرمرما من الحكمة والشمم وعلو الهمم .» ولا غرابة فى هذا الحب الذى يكنه السيد لمصر ، ففيها وجد المؤازر والنصير ، وفيها نمت وازدهرت تعاليمه حتى صارت دولة اسلامية مرموقة ، ومنها سرت دعوته الى البلدان الاسلامية الاخرى فتسابقت الى النهوض والتحرر ، وقد عبر الزعيم المصري سعد زغلول رحمه الله عن ذلك فى احدى خطبه فقال : « لست خالق هذه النهضة ، لا اقول ذلك ولا ادعيه ، بل لا اتصوره، انما نهضتكم قديمة ، وللسيد جمال الدين الافغاني واتباعه وتلاميذه اثر كبير فيها ، وهذا حق يجب ان لا نكتمه ، لانه لا يكتم الحق الا الضعيف »

— ◆ —

هكذا قضى السيد حياته داعيا هاديا ، حتى لقي ربه راضيا مرضيا . ويذكر احد تلاميذه وهو الشيخ عبد الرشيد ابراهيم التتاري انه دخل عليه وهو فى مرضه الذي مات منه، فاشار السيد اليه ان اقترب . قال الشيخ : فدنوت منه ، وكان لا يستطيع الكلام ، فاخذ ورقة وقلما وكتب فيها « نشهد يا ابنه ان كلام النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته : امتي ، امتي . وانا اقول : ملتي ، ملتي . » قال الشيخ : وبعد ساعتين من ذلك توفاه الله .

وكانت وفاة السيد فى الاستانة سنة 1315 هـ — 1897 م واحيطت موته بغموض كبير ، فمن قائل انه مات مسموما ، ومن قائل انه مات متأثرا بمرض السرطان الذى اصابه فى آخر حياته ، ومن قائل ان المرض الذى مات منه ناتج عن التسمم الذى اصابه وعن تعمد فى اهمال علاجه . وذكرت تراجم حياته انه دفن فى الاستانة بعد ثلاث ساعات من وفاته «كما يدفن اقل انسان، فى بلاد آل عثمان!». وظل قبره مهجورا مغمورا ، بينما صارت مبادئه وبذور غرسه تنمو وتترعرع وتوتي اكلها باذن ربها ، حتى شهد العالم استقلال معظم الدول الاسلامية ، ومولد جامعة الدول العربية ، وانبثاق روح التضامن والوحدة الاسلامية ، ثم بزوغ شمس مؤتمر القمة الاسلامي وكلها اهداف سامية من الاهداف التى جاهد من اجلها السيد جمال الدين الافغاني . ويوم تتحرر فلسطين المجاهدة من الاستعمار الصهيوني الغاصب يكتمل عقد الجامعة الاسلامية بالجوهرة الغالية المغتصبة ، وما ضاع حق وراءه طالب .

هذا ، وبعد مرور نصف قرن على وفاة السيد رضي الله عنه احتفل الشرقيون باحياء ذكراه ، ونقل جثمانه من الاستانة الى بلاد الافغان فى شهر دجنبر سنة 1944 . ولدى مرور موكبه الرهيب ببغداد احتفل العراق حكومة وشعبا بهذا الحدث التاريخي الذى ان دل على شيء فانما يدل على يقظة ووعي الامة الاسلامية واعتزازها برجالها الابرار المخلصين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وتقديرها للجهود المباركة التى بذلوها فى سبيل المجد والكرامة والحرية والاتحاد . وقد القيت فى تلك المناسبة عدة خطب وقصائد فى الاشادة بالسيد وتعداد مناقبه ومآثره .

رحم الله السيد جمال الدين الافغاني ، وجزاه عن الاسلام والمسلمين خيرا يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم .

تطوان — محمد العربي الشاوش

الفيلسوف محمد إقبال

أحد رواد النهضة الاسلامية الحديثة

للأستاذ محمد عبدالرحمن السبيطي

اذا كان القدر قد ابتلى العالم الاسلامي بمحن ، بعد سقوط بغداد على يد التتار فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد ، وسلط عليه من لا يرحمه ولا يرحم شعبه المؤمن المسالم ، الذي غمرت جوانحه نفحات الروحانية الزكية ، منذ انبثق نور الله فى مكة المكرمة ، ونودي : « اقرا باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » فان هذا القدر لم يترك شعب هذا العالم الاسلامي تائها فى فيافي الظلام ، سادرا فى ظلمات الجهل والجمود والخنوع والاستسلام والكسل . بل وهب له روادا كانوا كالنجوم التي تهدي السائر فى الفلاة الى سبل النجاة ، وكالبلسم الناجع لمن أوشك السقم أن يأتي عليه .

وهؤلاء الرواد الميامين الذين سيبقى ذكرهم خالدا على مر الاجيال ؛ يحفظه جيل بعد جيل هم : جمال الدين الافغاني ، والشيخ محمد عبده المصري ، وعبد الرحمن الكواكبي السوري ، ومحمد اقبال الهندي .

لقد اصاب الهوان والضعف العالم الاسلامي ، لانحراف المسلمين عن تعاليم الدين الرشيدة ، ولعدم تطبيقهم لنصوص الشريعة السمحاء ، المتمشية مع واقع الحياة ، ومع الفطرة البشرية ؛ وهذا هو الاساس . واخذ الاستعمار الغربي يمد بصره نحو العالم الاسلامي ، تمتد معه أطماعه لتبتلع خيرات هذا الوطن الكبير ، الذي يمتد من منغوليا شرقا ، الى شواطيء الاطلسي غربا ؛ والذي تزخر أرضه الطيبة بمواد وثروات هامة ، لا غنى للغرب عنها ، بل ان صناعته تتوقف عليها .

فى سنة 1559 م اكتشف الرحالة البرتغاليون الطريق المؤدية الى الهند ، بعد اكتشاف راس الرجاء الصالح بجنوب افريقيا ؛ ومن تم اصبح من السهل الوصول الى ابعد نقطة فى منطقة الشرق الاقصى . وكان على البرتغاليين أن يدمروا الاسطول العربي الذي وضعته مصر فى منطقة البحر الاحمر ، لضمان امنهم وسلامتهم ففعلوا . ولم يكتفوا بسيطرتهم على تجارة الشرق ، التي كان يديرها العرب منذ قرون خلت .

ومنذ سنة 1600م. اخذ الانجليز يسيطرون على الامبراطورية التجارية التي أقامها البرتغاليون بصفة تدريجية . وكان للهولنديين نصيب فى هذا الاستيلاء الى جانب البريطانيين . وذاق الشرق الاسلامي مرارة جديدة ، لا تقل عن مرارة البرتغال . ومن تم اخذت اطماع بريطانيا تزداد يوما عن يوم حتى شملت الهند .

لقد انتهزت بريطانيا فرصة انحطاط الحكم الاسلامي فى شبه القارة الهندية ، التي عاشت فى ظله سنوات من الازدهار المتمثل فى الحرية والعدالة والمساواة ؛ هذه المزايا التي يمتاز بها الاسلام عن باقي الشرائع ، سواء منها السماوية أو الوضعية . فاحتلت الهند تحقيقا لاطماعها التجارية والاقتصادية . الا ان بريطانيا سلكت سبيلا معوجا فى تطبيق سياستها الاستعمارية الرامية الى تحقيق الارباح مهما

كان الثمن ، فقضت على الصناعة التقليدية الهندية ، واهملت كل صناعة يدوية محلية ، حتى يمكن لها ان تجعل من الهند سوقا رائجة تباع فيه منتوجات صناعة بريطانيا .

ونتج عن هذه السياسة المنحرفة ، قيام خلل كبير في التوازن الاجتماعي بين ابناء الهند على اختلاف آرائهم ومعتقداتهم ؛ الشيء الذي تمخض عنه حدوث مجاعة قاسية . وطبقا لسياسة بريطانيا الاستعمارية القائمة على نظرية « فرق تسد » فقد عمل الانجليز على خلق النعرات الطائفية في الهند بين المسلمين والهندوس ، فكانت تقوم بينهم معارك دامية في اغلب الاحيان يكون البقر الذي يقدسه الهندوس سببا في حدوثها .

ومن اجل ذلك ، وفي هذه الحقبة الحالكة من تاريخ الاسلام ، اخذ فيلسوف الاسلام محمد اقبال ، يفكر في انقاذ مسلمي الهند، من الهاوية السحيقة التي حفرتها بريطانيا ، لتقضي بذلك على دين التوحيد في الهند .

لقد كان محمد اقبال يرى ان من اللازم انشاء دولة مستقلة تضم مسلمي الهند ، حفاظا على الكيان الاسلامي وصيانة لكرامة الاسلام ، التي حاول الانجليز واذنابه من وثني الهند ان يقضوا عليها . فهو اول من بشر بهذه الدعوة التي اصبحت الغاية المرجوة ، والهدف المنشود لكل مسلم في شبه القارة الهندية منذ اعلنها سنة 1930 م .

وفي سبيل هذه الدعوة الكريمة اوقف اقبال كل جهوده وقواه، فكانت شغله الشاغل، واناشيده العذبة التي يرددها لسانه ، الى جانب الثورة على المجتمع الاسلامي الذي تخلف ركبه ، وخيمت على اجوائه سحب قاتمة ، كلها ضلال وجهل واساطير وخرافات ، ما انزل الله بها من سلطان ، ولا تمت الى الدين الحنيف بصلة ، فاعلن رحمه الله ثورته العارمة على التواكل المقيت ، الذي تفشى في نفوس المسلمين بسبب تمسكهم بنظريات دخيلة على الاسلام ؛ والاسلام منها بريء ، بل انه يستعيذ بالله ان تنسب اليه .

والحق ان الفيلسوف الشاعر محمد اقبال علم من اعلام الاسلام البارزين في العصر الحديث ، ورائد من اكبر رواد النهضة الاسلامية الحديثة ، وقائد من قادة الفكر الانساني عامة في الفلسفة والدين ، وشاعر فحل وهب كل عواطفه وافكاره لخدمة المسلمين خاصة، والبشر عامة .

— ◆ —

ولد المفكر الاسلامي الكبير محمد اقبال في بلدة « سيالكوت » باقليم البنجاب في الهند ، في 22 فبراير عام 1873 م ، من اسرة متوسطة الحال ، محافظة على تقاليد الاسلام الحنيف . وكان جل افرادها يشتغلون بالزراعة ، وتنحدر من اصل برهمي ، الا انها اسلمت على يد احد رجال الصوفية في كشمير ، وذلك منذ ثلاثة قرون ، حيث تنازلت هذه الاسرة العريقة عن كل امتيازاتها ، وعن منزلتها المرموقة بين طبقات الهند ، اسوة بتعاليم الاسلام التي تنكر الطبقية وتدعو الى المساواة ، لا فرق في ذلك بين غني وفقير ، ولا بين شريف ووضيع ؛ اذ الكل سواء في نظر الدين الحنيف، وليست الحظوة والفضل والشرف الا لمن اتقى الله تعالى في السر والعلانية .

كان والد فيلسوفنا رجلا ورعا متدينا يخشى ربه ويؤمن بالقيم الروحية باعتبارها سلم الرقي ، وعنه اخذ محمد اقبال مبادىء القراءة ، ومن ينبوعه الصافي الفياض اغترف الاخلاق الانسانية النبيلة ، التي تمثلها الرحمة والشفقة والمحبة اصدق تمثيل .

روى اقبال حادثة وقعت له مع سائل وقف في بابهم يسال صدقة بطريقة همجية ، وموقف ابيه الحاسم فيها ، فقال :

« وقع على بابنا سائل وقوع القضاء ، ورفع صوته كأنه نعيب غراب ، واخذ يهز الباب ... ولما ءالمني تصايحه والحافه خرجت اليه ، واهويت على راسه بضربة بعثرت ما بيده ، مما جمعه طوال يومه . فلما رأى والدي تلك الحادثة اصفر وجهه الاحمر ، وانحدرت الدموع نهرا على خديه وقال :

« تذكر يابني جلال المحشر ، يوم تجمع امة خير البشر ، وارجع البصر كرة الى لحيتي البيضاء ، وتحول جسمي المرتعش بين الخوف والرجاء . كن يا بني من البراعم في غصن المصطفى ، وكن وردة من نسيم ربيعه ، واظفر من خلق محمد بنصيب » .

ولعمق ايمان والد اقبال ، ورسوخ العقيدة في نفسه ، كان يوصي ابنه الذي كان اذ ذاك يدرس القرآن الكريم في احد الكتاتيب بسيالكوت قائلا :

« يا بني اقرأ القرآن كأنه نزل عليك » .

لم يكن الوالد يرضى لولده ان يكون كآلة التسجيل التي تفتقر الى الروح . بل كان يحث ابنه على درس القرآن الكريم دراسة حفظ وفهم وتدبر ، كي يعمل به ، ويهتدي بهديه ، ويجتنب نواهيه . وفي ذلك يقول اقبال:

« ومنذ ذلك اليوم بدات افهم القرآن واقبل عليه، فكان من انواره ما اقتبست ومن بحره ما نظمت » .

وبعد ان حفظ اقبال كتاب الله كما اوصاه ابوه ، انتقل الى مدرسة سيالكوت الابتدائية ، ولما اتم تعليمه بها التحق بمدرسة ثانوية تابعة للبعثة الاسكتلندية ، حيث اخذ اصول اللغة العربية والفارسية على احد اصدقاء والده ، واسمه مير حسن ويدعى « شمس العلماء » الذي توسم في تلميذه علامات النجابة والذكاء في سنه المبكر ، وهو الذي شجعه على قرض الشعر ، فكان اقبال ينظم الشعر باللغة الاوردية بدلا من اللغة المحلية التي يتكلم بها اهالي سيالكوت .

ثم دخل اقبال جامعه لاهور ، ثم التحق اثر تخرجه من الجامعة ، بجمعية حماية الاسلام . وفي مدينة لاهور التقى اقبال باستاذه المستشرق الانجليزي الكبير « السير توماس ارنولد » مؤلف كتاب « الدعوة الى الاسلام » فتوثقت عرى الصداقة والالفة بين الاستاذ وتلميذه ; اذ كان الاستاذ « ارنولد » معجبا جدا بذكاء اقبال الخارق ومواهبه النادرة . وكثيرا ما كان « ارنولد » يعبر لاقبال عن اعجابه بشعره الذي يفيض حماسة وثورة .

لاجل هذا طلب منه ان يتولى مكانه مهمة التدريس في جامعة لندن سنة 1905 وفي عاصمة الانجليز تعرف اقبال على عدد كثير من اهل العلم والفضل ، ثم ارتحل الى جامعة « هيدلبرج » ومنها الى جامعة ميونخ بالمانيا ، حيث حصل على الدكتوراة في الفلسفة برسالة تقدمها تحت عنوان : « تطور الميتافيزيقا في بلاد فارس » كما حصل في سنة 1908 على درجة في القانون .

وعاد اقبال الى وطنه المكلوم ، فاخذ يشتغل بالشعر والفلسفة والسياسة ، وانتخب عضوا بالمجلس التشريعي «بالبنجاب» . وفي سنتي: 1931 – 1932 ذهب الى لندن للاشتراك في مؤتمر المائدة المستديرة. كما عين رئيسا لحزب الرابطة الاسلامية ، ورئيسا لجمعية حماية الاسلام ، التي كانت لها مهمة الاشراف على عدد من المؤسسات الدينية والاجتماعية .

ففي هذه الآونة ، كان اقبال يواصل كفاحه ضد الاستعمار الانجليزي ، وضد اعداء الاسلام ، وذلك بالقول والفعل .

كانت لاقبال آراء في الدين والفلسفة ، تعكس لنا شخصيته القوية، التي لا ترضى بأن تعيش في هناء وراحة بال ، مقابل السكوت عن الحق كما يفعل كثير من العلماء المحترفين في جميع الاديان . بل ان اقبال كان لهيبا محرقا ، وشعلة متوقدة ، وشررا متطايرا يحرق الخونة والمارقين واتباع الشيطان وعباد المال، وما اليهم من الذين اتخذوا الدين الاسلامي ستارا ، وهم في حقيقتهم من الد اعدائه .

اما آراء اقبال الدينية فيجدها القارىء في كتابه: « تجديد بناء الفكر الديني في الاسلام » الذي نشره سنة 1934 . ويمكن القول بأن اقبال يعد من اكثر مفكري الاسلام في العصر الحاضر علما واحاطة وفهما لمذاهب الفكر في الشرق والغرب . كما يعد من اكبر رجال التصوف في العصر الحديث ، الا ان تصوفه سلفي ، فهو يخالف القائلين بالانزواء والهروب من شواغل الدنيا والقعود عن العمل كيفما كان العمل . بل انه يرى والحق معه ان اصحاب هذه الآراء وباء على الاسلام وشر على المسلمين . فالدين عنده سبيل واحد بدايته الدنيا ونهايته الآخرة ، فليس هناك فرق بين الدين والدنيا ، لان كل واحد منهما يكمل للاخر ما يحتاجه . وفي ذلك يقول :

« ان الدين لا يقنع بالتصور المجرد ، بل يطلب اتصالا بمقصوده . ووسيلة هذا الاتصال العبادة او الصلاة . الصلاة استنارة روحية تعرف بها الذات الانسانية انها موصلة بحياة اوسع. وكل طلب للمعرفة هو في حقيقته صلاة . فالباحث في العلم الطبيعي كالصوفي في صلاته . وتزيد الصلاة قربا من مقصودها بالاجتماع . والعبادة ، فردية كانت او جماعية ، هي اعراب عن تلهف الوجدان الانساني الى استجابة له في صمت الكون الهائل ... »

وكان يكره تلك الافكار الجبرية المشؤومة التي شاعت في المجتمع الاسلامي ، فالحقت به اضرارا جساما ; ويرى ضرورة اعطاء الحرية للانسان بحجة ان الاسلام اكدها ونافح من اجلها . وكان رحمه الله يبغض الجمود الذي خيم على المسلمين ، وينادي بالخروج من اوحاله . ولكنه كان يرى ان الخروج من متاهات الركود ، لا تتم الا اذا فتح باب الاجتهاد الذي اغلق . فيقول :

« والحركة في الجماعة الاسلامية بالاجتهـــاد . وبؤسفنا ان هذا الاصل الذي يهب للامة الحياه لـــم يعمل عمله في المسلمين . ان من أقوى أسباب ضعف المسلمين اهمال هذا الاصل ، اعني ابطال الاجتهاد »

وعن الاصل الثالث من أصول التشريع الاسلامي وهو « الاجماع » يقول اقبال :

« والاصل الثالث من اصول الشرع الاجماع . وهو عندي اعظم السنن الشرعية ، وعجيب ان هـــذه السنة الرشيدة نالت كثيرا من بحـــث المسلميـــن وجدالهم ، ولكنها لم تعد التفكير الى العمل ، وقلمـــا صارت سنة عملية في بلد اسلامي . ولعل اتخاذهـــا سنة دائمة وتظاما محكما لم يلائم مطامع الملك المطلق الذي نشأ في الاسلام بعد الخلفاء الراشدين . ولعـــل ترك الاجتهاد لافراد من المجتهدين كان اقرب الى منافع الخلفاء من بني امية وبني العباس ، من تاليف جماعة دائمة عسى ان تفوقهم قوة . ومما يبعث على الرضى والامل ان سيرة الحوادث في هذا العصر وتجارب امم اوروبا ، اشعرت الفكر المسلم الحديث بقيمة الاجماع وعرفته انه ممكن .

وآراء اقبال الفلسفية في الدين هي في جوهرها تحمل طابعا دينيا عميقا ، وترمز الى أن صاحبها يسعى الى بعث الحياة والقوة والامل في المستقبل في نفوس المسلمين الذين خذلهم الاحتلال ، فانساهم بسطوته وجبروته وقهره انفسهم ، حتى لم يعد احد ، الا القليل، يفكر في رفع كوبس الظلم عن هذه الامة .

فلقد استولت على عقول المسلمين فكرة الاستسلام للامر الواقع ، والرضوخ بصفة بشعة مميتة لسيطرة الاستعمار الغاصب . ويرى اقبال أن التحرر من قيود المذلة ، لا يتحقق للمسلمين ما لم يسيروا على هدي دينهم الحنيف ، واتباع الكتاب والسنة ، والتخلص من رواسب الجهل ، وبقايا العهد البائد ؛ عهد الجمـــود والركود ، والتمسك بالعوائد الفاسدة التـــي ينهـــى الاسلام عنها ، بل يحرم بعضها تحريما باتا .

ولا ينفك اقبال مشيدا بمآثر الاسلام ، يحـــث الهمم والضمائر على متابعة السير نحو حياة افضل ، وعلى الزحف لمسايرة الركب الحضاري الذي تخلـــف عنه المسلمون . وفي ذلك يقول فيلسوفنا :

« الغاية القصوى للنشاط الانساني هـــي حياة مجيدة فتية مبتهجة . وكل فن انساني يجب أن يخضع لتلك الغاية . وقيمة كل شيء يجب أن تحدد بالقياس الى تلك القوة على ايجاد الحياة وازدهارها . وكل ما يجلب الينا النعاس ، ويجعلنا نغمض عيوننا عن الحقيقة الواقعة فيما حولنا انما هو انحلال وموت » .

وفي رأي اقبال أن الرجل الغربـــي منحرف عن النهج القويم بسبب انسياقه للمـــادة ، وانخداعـــه ببريق معطياتها ، حتى اصبح الغربي لا يعطي لمعنـــى الروح اي مدلول ، ولا يؤمن الا بما يقع عليـــه الحس ، رغم ان الحواس محدودة الادراك ، ويجحد بكل ما هو غيبي لا تدركه الحواس لعجزها عن ذلك . وهـــذا ما جعل الغربيين يتصفون بانانية مقيتة ، وشهوة جامحة طائشة ، وفي ذلك شقاء وحسرة . يقول اقبال :

« ... لقد رات اوربا بعينيها النتائج المخوفـــة لمثلها الاقتصادية والاخلاقية والعلميـــة ... ولكـــن واأسفاه ! لم يستطع عباد القديم الذين سمعوا حقائقه ان يقدروا الانقلاب المدهش الذي كان يثور في الضمير الانسانـــي » .

وكان اقبال يؤمن بضرورة تغيير احوال الامـــم الاسلامية ، ولكن ، بأي طريقة يتم هذا التحول ؟ الحق ان كل ثورة اجتماعيـــة لا تتحقـــق الا اذا كانت الامم تعي مسؤوليتها ، وتنظر الى حالتها نظـــرة الناقـــد البناء . بمعنى ، ان الامة لا ترقى الى قمة المجد الذي تصبو اليه ، ما لم تكن تريد ذلك ؛ لان المجد والرفعة والسيادة اشياء لا تمنح ، بل تؤخذ بالقوة لانها حـــق مشروع . يقول محمد اقبال :

« ... لكن يجب على أمم الشرق، ان تتبين ان الحياة لا تستطيع أن تبدل ما حولها حتى يكون تبدل في أعماقها ، وان عالما جديدا لا يستطيع ان يتخذ وجوده الخارجي حتى يوجد في ضمائر الناس قبلا . هـــذا قانون الفطرة الثابت الذى بينه القرءان في كلمـــات يسيرة بليغة حين قال : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » انه قانون يجمع جانبي الحيـــاة كليهما الفردي والاجتماعي . وانه لجدير بالاكبار كل مسعى في العالم ، ولا سيما في الشرق ، يقصد الى ان يرفع انظار الافراد والجماعات فوق الحدود الجغرافية، فيولد او يجدد فيها سيرة انسانية صحيحة » .

ولاقبال ايمان شديد وراسخ بان للدين اهميـــة عظمى ، واثرا فعالا في نفوس بني البشر على الاطلاق ، وهو وحده الذي يملك القدرة على توجيـــه الفـــرد والجماعة ، نحو الصراط المستقيم ، والخير العميم ، والمستقبل الزاهر . ولا ينظر اقبال الى الدين على انه طقوس وصلوات واذكار كما ينظر الجهـــال اليـــه . فيقـــول :

« ان الدين في أعلى صوره ، ليس أحكاما جامدة، ولا كهنوتية ، ولا اذكارا . ولا يتيسر الا بالدين تهيئة الانسان المعاصر لحمل العبء الثقيل الذي يحمله اياه تقدم العلوم في عصرنا . والدين وحده يرد اليه الايمان والثقة اللذين ييسران له اكتساب شخصية في هذه الدنيا والاحتفاظ بها في الآخرة . ولا بد للانسان من الارتقاء الى تصور جديد لماضيه ومستقبله ، ليستطيع التغلب على المجتمع المتنافر المتصادم ، ويقهر هذه المدنية التي فقدت وحدتها الروحية بالتصادم الباطني بين الدين والمطامع السياسية . والحق ان سير الدين والعلم على اختلاف وسائلها ، ينتهي الى غاية واحدة، بل الدين اكثر من العلم اهتماما ببلوغ الحقيقة الكبرى»

وكانت نظريات اقبال في الدين مقتبسة من الاسلام نفسه ؛ الاسلام الطاهر من ادران العصور التي جاءت بعد الخلفاء الراشدين ، فهو ينظر الى الاسلام نظرة الامام علي وابي ذر الغفاري وعمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز اليه . اولئك الاقطاب الذين اغترفوا من ينبوع الاسلام الصافي غرفة فكانوا بها مثالا صادقا للمسلم ، في ورعهم وتقواهم وزهدهم وحبهم للعدل والمساواة وتمسكهم بالشريعة الاسلامية .

وكان يرى ان الاسلام صالح لكل زمان ومكان ، وان لا فرق بين الدين والدنيا ، كما ذهب بعض الجاهلين الفارين من حظيرة الله . يقول رحمه الله : «ليست غاية الاسلام محصورة في الواردات الذاتية التي تجعل المرء بمعزل عما حوله من الاشياء وعمن حوله من الناس ، بل بناء للتربية التي تجعل الفرد صالحا لان يكون منه ومن غيره مجتمع صالح له انظمته القديمة ، فان العصبيات التي تدعو الى البغضاء والتنفير وضيعة مهينة ليس لها في الاسلام وجود ».

وهكذا كان اقبال داعي خير ومحبة ، ورجل اصلاح يريد ان يرفع الانسان المسلم الى المكان الذي اراده له الله تعالى . كما كان ساخرا متهكما على اولئك الذين يتخذون الدين وسيلة لبلوغ اهدافهم ، فكان يتهكم عليهم ويصفهم بانقص الصفات ، لانهم نبذوا الاسلام بفرائضه وسننه ، واتخذوا من البدع ومحدثات الامور مذهبا لهم ، يحاولون خداع الناس بما يدعون ، فيطلقون اللحى، ويطوفون في الشوارع بهمهمون،فيظن الساذجون ان هؤلاء الشيوخ هم رمز الاسلام ونموذجه الصادق ! مع ان الاسلام لا علاقة له بهذه الاشياء التافهة ، التي لا تزيد في نفوس غير المسلمين الا نفورا من الاسلام ، ووصفه بالتخلف والجمود ، الشيء الذي يتنافى مع ما جاء في الكتاب والسنة .

ولقد وقف اقبال من هذا النفاق الديني موقفا صلبا يتجلى في قوله : « ان بعض قادتنا الروحيين انما وصلوا الى مكانتهم فينا بفضل البياض في شعر رؤوسهم، هم اضحوكة للاطفال في الشوارع والطرقات ، قلوبهم لا اثر فيها للايمان بالله ، ولكنها عامرة بأصنام الشهوات، وكل ذي لحية طويلة يتصدى للدعوة والارشاد . حمانا الله من قوم يتخذون الدين تجارة بالليل والنهار يجوبون البلاد مع الاتباع والانصار . لا يستجيبون لدعاء ذي الحاجة او المحروم . ينظرون ولا يبصرون في قلوبهم فقر ؛ وصدورهم من الحكمة خواء » وديوان محمد اقبال « بيام مشرق » طافح بقصائد في النقد الديني والاجتماعي والفلسفي .

اما آراء اقبال في الفلسفة ، فانها قبسات من آراء اصحاب المذهب المثالي والاخلاقي في الغرب ، نذكر منهم : كانط ، وبرجسون ، وفشته ، ووليم جيمس ؛ ويمكن اعتبار اعمال اقبال في الفكر الاسلامي الحديث شبيهة باعمال «كانط» في الفكر الغربي الحديث

لقد كان «امانويل كانط» يقول عن فلسفته: «اردت ان اهدم العلم (بما بعد الطبيعة) لاقيم الايمان» وكان لا يصدق في ايمان المرء اذا لم تؤيده الاعمال .

ولقد عبر اقبال عن آرائه الفلسفية شعرا ونثرا، فاعجب الشباب الهندي المسلم بهذه الآراء الاصلاحية البناءة . وفلسفة اقبال التي يسميها البعض « فلسفة الذات » نجدها زاخرة بخواطر «فشته» و «برجسون»

كان اقبال يعتقد ان الشخصية او الذات شيء له وجود حقيقي ، بعيد عن الوهم والتخمين اللذان يبدعهما العقل الانساني . فهو يعارض اتباع الفيلسوف الالماني « هيجل » اولئك الذين لا يؤمنون بوجود الفرد ، ولا يسلمون بالمطلق . فهيجل يعتبر الفرد ميال للانانية والشر ، وبعده عاجزا عن تحقيق المثل العليا للاخلاق . الا ان اقبال كان يحمل على هذه الفلسفة التي رآها غير صالحة ، خصوصا لامة انعدمت فيها الشخصية بوجود القهر الاستعماري . وكان يخشى ان تتفشى عدواها في النفوس فتضعف ، ويستولي عليها الوهن . بل كان يرى أن سبب انحطاط وفشل المسلمين ، راجع الى تمسكهم بفلسفة نكران الذات التي برزت في شعر ونثر بعض رجال الصوفية امثال حافظ الشيرازي ومن حذا حذوه .

وراي اقبال في فلسفة الذات ، ان الحياة كلها فردية ، وهي بما تحويه من تناقضات ، ما هي الا مجموعة من افراد ، بل ان الله سبحانه وتعالى فرد

الافراد ، في نظر اقبال ، وليس هناك شيء يسمى « الحياة الكلية » والكون عند اقبال ما هو الا ارتباط واقع بين افراد ، وعمل الكون لم يتم بعد ، بل انه دائم الصيرورة ، وسائر بخطى ثابتة الى التكوين ، كما ان عملية الابداع والخلق لا زالت مستمرة الى ان يشاء الله

وهذه الآراء التي يتبناها اقبال معارضة لنظريات « هيجل » ومخالفة للقائلين بوحدة الوجود ، التي تدعو الانسان الى الفناء في الحياة الكلية . وان المثل الاعلى للانسان عند اقبال هو اثبات الفردية وتوكيدها ، وفي ذلك يعطي لقول النبي صلى الله عليه وسلم « تخلقوا باخلاق الله » أي تشبهوا بصفات الكمال التي يوصف بها ، تفسيرا يظهر مدى تمسك اقبال بفلسفة الذات . بمعنى ان الانسان اذا تخلق باخلاق الله ، فهو واحد بتشبهه بالواحد الاحد، وهو الله سبحانه وتعالى

ويرى اقبال أن العقبة التي تعترض سبيل الحياة هي « المادة » . مع ايمانه بأن المادة ليست شرا يجب تجنبه والفرار منه ، وانما هي عنده وسيلة لاخراج القوى الكامنة في هذه الحياة .

واذا كانت الشخصية كما يعرفها اقبال ، هي أغلى شيء يجب على المرء ان يحققه ، فان ذلك يتطلب قوة النفس وصلابة الارادة، للتغلب على الصعاب والعراقيل، والثبات في وجه اعصار الدهر واحداثه ، وفي ذلك يقول:

اذا صانت الذات المتينة نفسها
اعيت على الايام كل ممات

ويقول ايضا :

« تنص كلمات القرءان على ان الكون الذي يواجهنا غير باطل : ان له منافع كثيرة . واهم نفع له أن الجهود المبذولة للتغلب على الصعاب فيه تشحذ بصيرتنا وتعدنا للنفوذ الى ما هو تحت سطح الظاهرات»

والانسان الكامل عند اقبال هو الذي يتوفر على ارادة قوية لا تقهر ، وطموح شديد الى المعالي ، حتى تصبح حياته تآلفا بين الدين والدنيا ، بين القلب والعقل ، بين الفكر والعمل ... والحياة الحقيقية عند اقبال هي حياة الكد والسعي والدأب والنمو والاقدام . يقول اقبال :

على كل غصن تبين أن النـ
ـبات مشرق لرحب الفضاء

فما قر في ظلمة الترب حب
جنون النشوء به والنماء

فلا تبغ في فطرة ترك سعي
فما ذاك معنى الرضا بالقضاء

وكان اقبال رحمه الله يحمل في نقده على أفلاطون ومكيافيلي وغيرهما ؛ ذلك انه لم يكن يتفق مع هؤلاء في بعض آرائهم ، فنراه يعيب على أفلاطون نظرياته التي كانت تهدف الى التأمل الخالص البعيد كل البعد عن العمل . كما سفه رأيه القائل بأن التفكير الصحيح والتفلسف الحقيقي هو ما كان تأملا في الموت !

واما نقده لمكيافيلي فهو في الحقيقة موجه لطبقة من السياسيين الخارجين على المبادىء ، الساعين بخضوع وذلة الى المنافع ، الداعين الى الانحلال الخلقي والفساد الاجتماعي بصفة مباشرة أو غير مباشرة . فيقول عن مكيافيلي :

« هذا الفاورنسي ، عابد الضلال
غشى باطله على البصائر والابصار
الف كتابا للطغاة من الحكام
فبذر بذورا للشقاق بين الناس
حول دينه الملكة الها معبودا
وصور منطقه المذموم في صورة الممدوح
ونشر تفسيره البهتان في ارجاء البلدان
وصير تفكيره الزور فنا مرموقا »

والمتصفح لديوان محمد اقبال يرى أن فلسفة الشاعر في الجمال ، هي جزء من فلسفة الذات ، فهو لا يسلم بأن هذا الشيء جميل اذا لم تدركه الذات في سموها واعتلائها ، ولا يسلم كذلك بقبحه ما لم تدرك انحطاطه وهبوطه . فيقول :

عالم الذات به علو وسفل
واعتراك القبح فيه والجمال

في اعتلاء الذات ما يبدو جميلا
وقبيح ما بدا في الاستفال

والجمال عند اقبال هو « القوى » في جلالها ورهبتها ، وفي روعتها وبهائها . ولقد ذهب به حبه القوة الى القول بانه اذا قدر له ان يكون من اهل النار في الاخرة ، فهو يتمنى أن تكون ناره التي سيحترق بها نارا قوية ملتهبة . فيقول :

وراى جمالا في بهاء ان ترى
في سجدة للقوة الافلاك

ولنغمة من دون نار نفخة
ما الحسن الا بالجلال يحاك

لا ارتضي نار الجزاء ولـم تكـن
وهاجـــة ولهيبهــــا دراك

لذلك نرى ان اقبال يمقت كل فن لا يحمل طابع القوة ، ويرى انه مميت للنفس والقلب على السواء . سواء كان الفن شعرا او موسيقى او غناء او رسما . . .

هكذا كان اقبال الفيلسوف الشاعر ؛ وهكـذا قضى حياته في الجهاد لاعلاء كلمة الاسلام والمسلمين، في وقت كان الاستعمار الغربي يحاول القضـاء على مقومات الاسلام وخصائصه ، ويسعى الى طمس مآثر الحضارة الاسلامية العريقة ، بإشاعة الجهل والفساد والضلال بين المسلمين .

لقد كان محمد اقبال من اشد الناس وطنيـة وغيرة على حرمة الاسلام . ولم يكن يهتم بوطنه بقدر ما كان يحمل احساسه المرهف آلام واحزان المسلمين في كل بقاع الارض ، وما آلت اليه حالتهم في العصور الاخيـــرة .

ولم يكن فيلسوفنا يبالغ في المناداة بالقوميات ، التي كان يراها سببا في القضاء على المواطف الاخوية بين المسلمين ، بل عنده ان جنسية المسلم هي عقيدته. يقول اقبـال :

« ما مقصود الفطرة وكنه الاسلام ؟
شيوع الاخوة وفيـض المحبـة
حطم اصنام الدم واللون والجنس
وافـن ذاتـك في الملـــة

انس الفروق بين التوراني والايراني والافغاني»

ظل اقبال طوال حياته ينفخ من روحه القوي في الانسان المسلم الذي ذله الاستعباد الغربـي ودس كرامته ، فجعله عبدا في زمن قامت فيه ثورات ضـد الاستعباد والاستغلال والاحتكار ، مطالبـة بتحـرر الانسان من كل قيد ، الا من قيود الدين والاخـلاق . فقـــال :

« الى اليوم لا يزال الانسان ضحية الاستغـلال والاستعمار ، وانه لبلاء عظيم ان يبقى الانسان فريسة للانســان » .

وراى اقبال ان الغرب الذي يفتخر بصناعته ، لا يملك من الحضارة الانسانية مثقال ذرة . فمدنيـة الغرب المتمثلة في الصناعة ، تخدم في الحقيقة اغراضا استعمارية عدوانية ، لا اقل ولا اكثر . يقول اقبال :

« وما العلم الذي يفاخر به رجال الغرب الا سيف معركة في قبضة جشع مخضبة بالدماء » .

لقد كان اقبال داعي خير ومحبة وسلام ، وزعيما من اكبر زعماء المسلمين في العصر الحاضر ، ورائدا من اكبر رواد نهضتنا الاسلامية الحديثة ، كرس جهوده لنصرة الحق المهضوم ، فكان اول داع لانشاء دولة باكستان لتكون حصنا منيعا ، يحمي الاسلام في شبـه القارة الهندية ، من تيارات الاستعمـار ، واعصـار الوثنية الهندية . الا ان المنية اختطفت مفكرنا الكبير قبل تحقيق امنيته الغالية التي ناضل من اجلها . فلقد توفي رحمه الله ورضي عنه في 21 ابريل سنة 1938م ودفن في مدينة لاهور .

وفي اغسطس سنة 1947 م تم انشـاء دولـة باكستان التي كانت الغاية القصوى لاقبال بفضـل كفاحه المتواصل وجهود اتباعه تحت قيادة الزعيم محمد علي جناح رحمه الله اول رئيـس لجمهوريـة باكستـــان .

العرائش : محمد عبد الرحمن السبيطي



تمهيـــد :

حببت الي منذ صغري رفقة عمر بن الخطاب ، واضحت مع مرور الايام عزيزة علي ترتاح اليها نفسي وتجد فى صحبتها الاطمئنان الذى يبدد ما يتسرب الى النفس من الضعف واليـاس ، ويجـدد الثقـة بالنجاح والتغلب على كل العقبات مهما تكن شدتهـا ؛ وفوق هذا وذاك اجد حين قراءة عمر اني اعيش من خلاله حياة الجماعة الاسلامية الحق كما بناها الرسول الامين وكما وصفها رب العالمين بقوله « كنتم خيـر امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عـن المنكر .. » فعمر لم يكن فى حياتـه رضي الله عنه الا ممثلا لخلق وفضائل الجماعة التى شرفته بمركز القيادة وشرفها بارتفاعه لمستوى مركـزه القيـادي فكانت به وكان بها خير امة ولم يكن هذا بالامر السـهل فقد كف عمر ما كلفـه وتحمل ــ راضيـا ــ وحمل عائلته معه المشاق التي يحتمل ان تصيب أى فرد من امتـه ، لقد كان واعيا خطورة مركزه وجعل من حياتـه مثالا وقدوة لغيره وراقب نفسـه باستمرار امام ربه وعلى هدى من تعاليمه وتعاليم رسولـه ، فان هفـا عاقب نفسـه علانية قبل ان ينتبه الغير لهفوتـه او علم به احد ، فقد ضرب بدرته ، اعرابيا بسوق فراجع نفسـه فلم يجـد لتصرفه تعليلا وبحث عن الاعرابـي حتى وجده فاسترضاه بمال وسلمه الدرة ليقتص منه واندهش الاعرابي عن السبب فقال له بتواضـع : لقد ضربتك في السـنة الماضية ..! فـرد الاعرابـي دامع العين من هذا الموقف الرهيب اميـر المومنيـن يسلم نفسـه لي لاقتص منه وعلى ضربات هفت ! لم اعد اذكرها ! .. فيرفع بادب راسه قائلا : يا أميـر المومنين والله لقد نسيتها واني اسامحك وسامحتك امام الله .. ويرتاح عمر لهذه الترضية ويقـول ان كنت نسـيت فانا لم انس وينصرف الاعرابي مسرورا بهذا الموقف العظيم وتبادل الامة عمر اخلاصا باخلاص ووفاء بوفاء فتطيعه فى الحضرة والغيبة وتنازع الفتاة امها اذ ارادت مخالفة عمر فى قضية عـدم خلـط اللبن بالماء فتحتج الام بان عمر لا يراهما ، فتثـورر البنت لهذا التصرف وتصر على احترام امر الخليفة ويقدر لعمر ان يكون حاضرا فعجب باخلاق البنـت ويزوجها لولده. ويدعى سيف الله خالد للثورة حين عزل فيقول اما مع عمر فلا . ويثور آخر فى وجـه الخليفة بالمسجد فيحـاول احد الحاضريـن منعـه فيشجع عمر على نقده قائلا : دعه لا خير فيكم اذا لم تقلها ولا خير فينـا اذا لم نسمعها .. وترتاح نفسي لهذا الانسـجام والتلاحم بين الحاكم والمحكـوم حتى يختلط الامر على الذى ينظر لهذه الجماعة من بعيـد فلا يستطيع التفرقة بين الامير المامور ، وليسـال امير المومنين عن امير المومنين فيدهش حين يعلم ان الذى ساله هو مقصده ، وكما يختلط الامـر علـى الاجنبي بين الناهي والمنهي يختلط عليه ايضا تركيب الامة وعائلر الجماعة والافـراد ، لهذا لا غرابـة ان وجدنا بعض المستشرقين ، وحتى بعـض المسلميـن الذين لم يستطيعوا النفاذ لاعماق حيـاة القـوم ،

يقعون في اخطاء وترهات بحق عمر يحسبونها نتيجة لبحثهم العلمي النزيه ، ودراستهم المستفيضة ، والواقع العلمي من كل ذلك براء. والرد على مثل هذه الاخطاء المقصودة والغير المقصودة في هذه القضية وغيرها من قضايا الاسلام التي تلاقي هجوما مستمرا – لن يكون عن طريق الكتابات التي تعتمد المدح والثناء واثارة العواطف .. الخ. تلك بعض ما تثيره في نفسي صحبة عمر وتجعلني اعيش سعيدا لحظات ضمن الامة الاسلامية الحق ولو في رحاب الخيال والتذكر حين عدمت السبيل لحياتها حقيقة، وقد دفعني هذا مرة الى كتابة شيء عن الفاروق ، وحسبت اني اعرف عنه الكثير وبدات استعد وما ان بدات العمل حتى عجزت عن المتابعة وايقنت اني ضعيف عن تقديم عمر لغيري كما كان وكما هو ، وتخليصه مما الصق به من تنقيص او مدح مفتعل والاشارة لمواطن عبقريته .. الخ . ورايي الخاص ان من عبقريات عمر ما هي من معطياته ومميزاته ، ان من عبقريات عمر ما هي من معطياته الشخصية ومميزاته ، ومنها ما تضافرت على اخراجها شخصيته وامته ، وارى من الصعوبة الفصل بين عمر وامته فقد كان احدهما يكمل الآخر ، فلا هو بدونها ولا هي بدونه ، وبديهي ان الاسلام هو اساس الكل ، وهذه الحالة لااحسبها تنطبق على غيره مثل العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وامام قلة زادي لمواجهة هذا العمل تركت الامر لمن هو اهل لهذا الشرف وعدت راضيا بما وجدته من متعة في هذه المدة القصيرة التي عشتها مع عمر ، ومضت الايام وجئت باريس اطلب المعرفة وذهب بي موضوع اختصاصي بعيدا فانغمست بكل طاقتي في البحث حول موضوع اتعبني ، واستغرق كل اوقاتي ، ولم اجد مناصا من اخذ قسط من الراحة وكانت فرصة اعادتني الى عمر وعصر عمر وكلاهما كما قلت يكونان ما اسميه بعصر الامة الاسلامية الموصوفة في القرءان والممثلة لعصر النبوة ورفيقه في الغار رضي الله عنه وخرجت من هذه الجولة الممتعة بتسجيل بعض اللمحات عن شخصينا وهي تسجيلات جاءت الى حد بعيد عفوية ولا نهدف من وراء عرضها تقديم دراسة علمية او ما شابه ذلك وحسبنا ان نذكر عمر بها .

نشأته :

القبيلة التي ينتمي اليها عمر قبيلة عدي بن كعب، والاسرة التي نشأ فيها هي اسرة الخطاب بن نوفل ، زعيم القوم وسفير قريش ، اما قبيلة عدي بن كعب فهي من اشرف قبائل قريش واكرمها حسبا بيد ان فقرها وقلة عددها حرمهما من المناصب الدينية الكبرى بمكة ولكنه لم يسلبها شرفها فظلت تنافس الشرف بني عبد شمس الى ان اجبرت في عهد الخطاب الى ترك ديارها والاحتماء بجوار بني سهم ، واما الاسرة فتحتل مركز القيادة في القبيلة فقد احتفظ الخطاب الاب بسفارة قريش لغيرها من القبائل العربية وحكومته مقبولة في المنافرات لما امتاز به من حكمة ، واما الام فهي شريفة النسب انها حنتمة بنت هاشم (1) بن المغيرة .

في حضن هذه الاسرة وتلك القبيلة ابصر النور عمر ، ولا سبيل الى تحديد التاريخ المدقق لهذا المولود ، وحسبنا بعد البحث والتنقيب ان نعتمد على الرواية التي تحدد السنة الثالثة عشرة (2) بعد ميلاد سيدنا الحبيب محمد رسول الله .

طفولة غير معروفة :

نعم ان طفولة عمر غير معروفة ولا سبيل لمعرفتها معرفة كافية ، ومحاولة تحديد معالم هذه الطفولة صعبة والاعتماد على الاخبار القصيرة والمتقطعة لا تكفي وحدها ، ومن هذه الاخبار نعلم انه عاش طفولة صعبة وشاقة كان لها ولا شك اثر في تكوينه ، ولم تستطع الايام ان تمحي ءاثار هذه الطفولة القاسية من ذاكرة عمر ، فقد مر ، وكان تولى الخلافة – يوما بمكان يسمى ضنجان فتامل المكان في صمت وقال « لااله الا الله المعطي ما شاء من شاء كنت ارعى ابل الخطاب بهذا الوادي في مدرعة صوف وكان فظا يتعبني اذا عملت ويضربني اذا قصرت »

واستمر مدة يرعى غنم ابيه وبعض غنيمات خالته (3) ويضطلع بمهام يومية شاقة لعجز ذات يد

---

(1) الرياض النضرة 1 : 188 ، شرح المواهب 1 : 320 – والصحيح انها بنت هاشم لا هشام

(2) الخلفاء الراشدون – النجار 113 .

(3) الخلفاء الراشدين 113 « ك » هيكل 24 – 26 .

الخطاب عن استعمال الخدم والحشم ، وكان الخطاب نفسه يشاطر ابنه العمل والكد فقد وصف حالته عمرو ابن العاص فى كلمته لمحمد بن مسلمة الذي كلفه عمر بمحاسبته عن الاموال التي جمعها « لعن الله زمانا صرت فيها عاملا لعمر ! والله لقد رايت عمر وأباه على كل واحد منهما عباءة قطوانية لا تتجاوز مابض ركبتيه وعلى عنقه حزمة حطب والعاص بن وائل فى مزرات الديباج » ! من مثل هذا التنتف يستطيع المرء تصور طفولة عمر ، ولكن هذا التصور يجب ان لا يتم بمعزل عن مركز قبيلته ومركز والده والتنافس الدائر بين قريش لتوالي المراكز الدينية بمكة ، وهي عوامل عاشها عمر ووعاها بعمق وتصور انه مؤهل لتولي سفارة قريش بعد ابيه ، وربما احتل منصبا دينيا ، فترك الرعي ومارس التجارة براس مال صغير . ولم يكن يهدف من ذلك جمع المال فقط وسافر الى الشام(4) وشارك اقرانه حياتهم وتفوق عليهم ، وكان يشعر بهذا التفوق فتحدى غيره فى المصارعة وركوب الخيل .. ولا يرضى ان يتفوق عليه احد ، ورأى يوما فارسا ينهب بجواده الارض نهبا فصاح « واللات والعزى لقد خلقتني اياه» (5) قال ذلك أعجابا بقدرته ، وشرب الخمر واحبها دون افراط وتهتك رغم انه كان يختص دون رفاقه بالكأس الكبيرة ، وتولى عن جدارة واستحقاق سفارة قريش (6) وتولى الدفاع عن آلهتها فعادى كل دعوة مناوئة بفظاظة وشدة كما سنرى .

شـدة عمـر :

كما نبهنا آنفا لا نبغي دراسة مطلقة وانما تسجيل لمحات ، عن عمر كما هي ، ومن المعلوم ان عمر عرف بشدته وهي صفة ابداها بعض الصحابة للصديق حين استشارهم فى تولية عمر امر المسلمين ، وتخوفوا منه ، والواقع ان عمر كان شديد المعاملة وهي شدة لا تعني الاعتداء فى اعتقاده وانما تعني فى نظره الدفاع عن حق مشروع ووضع للامور حيث يوجب ان توضع حسب ايمانه واعتقاده ، وقساوته فى الدفاع عما يومن بانه الحق كانت تصيب اقرب الناس اليه وكان اشد ما يكون حين يدافع عن معتقداته فى الجاهلية والاسلام فقد ثار لاوثان قومه عندما بلغه قول ابن عمه زيد بن عمرو بن نوفل :

فلا العزى ادين ولا ابنيها
ولا صنمي بني طمس ادير

اربا واحدا أم الف رب
أدين اذا تقسمت الامور

وقال مهددا « تبا له ولا غفرت العزى كفرانه خيرا فعل الخطاب اذ اخرجه من مكة ومنعه من ان يدخلها منذ ان فارق ديننا وعادى اوثاننا وصبأ يتلمس الها عند اليهود والنصارى فلم يظفر من هؤلاء واولائك بخير فزعم انه على دين ابيه ابراهيم ولو ان الخطاب ترك الي امره لصرعته فاوردته حتفه » (7) بمثل هذا يواجه عمر من اراد تسفيه معتقداته ، وان كان الامر يتعلق بابن عمه الذى اخرجه والده من مكة ووكل به سفهاء قريش وامرهم باذايته وطرده من مكة ان علموا بدخوله (8) لها .. ولم يكن موقف عمر من الاسلام احسن من موقفه من ابن عمه ، فقد ناصب الاسلام ورسوله العداء منذ اللحظة الاولى وقاوم الدعوة والمومنين بها بكل عنف وصلابة ، ويقول عن نفسه « كنت للاسلام مباعدا وكنت صاحب خمر فى الجاهلية احبها واشربها » (9) واستمر على عدائه الى ان شرح الله صدره للايمان فآمن واهتدى بعد ان كان يخيل للناس انه ابعد الجميع عن الاسلام. قال سعيد بن زيد « والله لقد رايتني وان عمر لموثقي على الاسلام انا **واخته** وذلك قبل ان يسلم وروت ام عبد الله بنت حنتمة قائلة لما كنا نرتحل مهاجرين الى الحبشة اقبل عمر حتى وقف علي وكنا نلقى منهج البلاء والاذى ، والغلظة علينا فقال لي : انه الانطلاق يا ام عبد الله ؟ قالت نعم والله لنخرجن فى ارض الله آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا فرجا ، فقال عمر صحبكم الله ، ورايت منه رقة لم أرها قط فلما جاءها عامر بن

---

(4) الطنطاوي 22 – 25
(5) هيكل ، 24 – 26
(6) الاستيعاب 2 : 459
(7) هيكل 26
(8) ابن هشام 1 : 149
(9) ابن هشام 1 : 217

ربيعة وكان قد ذهب في بعض حاجاته وذكرت له ذلك فقال كانك قد طمعت في اسلام عمر ! قلت له نعم فقال انه لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب ! نعم عداوة عمر للاسلام جعلت اسلامه امرا مستبعدا في راي من نالتهم عداوته ، ولكن دراسة نفسية عمر ربما جعلت اسلامه من الامور المفروغ منها ، وقد حل هذه النقطة جيدا المرحوم العقاد في عبقرية عمـــر .

اســـلام عمـــر

استجاب السميع العليم لدعاء رسوله الحبيب « اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطـاب خاصـة (10) فاسلم عمر وجهه لخالقه وانقاد للحق اذ عرفه طائعا فكان اسلامه فتحا عظيما ونصرا مبينـا وتختلـف الروايات في كيفية اسلامه، ونحن لا نعتقد ان اقتناعه جاء ابن لحظته دون سابق تفكير كما يمكـن فهمـه من روايات اسلامه، سواء تلك التي جـاءت عنـه حيث يخبر انه اسلم حين سمع الرسول يقرا بالكعبة وقد جاء يربد به شرا او تلك التي تحكي قصته مع اخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد تقول هذا ونحن على بينة من طبيعة عمر ، وسواء اسلم لاول مره في المكان الموجود بين دار العباس ودار ابن ازهر على يد الرسول لا ثالث لهما او اسلم بدار الارقم فان الروايات رغم صعوبة الجمع بينها تؤكد ان اسلامه جاء نتيجة تاثره المباشر بالذكر الحكيم (11) اولا وبخلق الرسول الامين ثانيا . وجاء اسلامه بعد اسلام حمزة بثلاثـة ايام في شهر ذي الحجة من السنة السادسة للنبوة ولم يكن عدد المسلمين يفوق الخمسين بينهم احدى عشر امراة (12) وبالرغم عن هذه القلة فان عمر ما ان اسلم حتى اخذته شدته المعهـودة في الدفـاع عـن معتقداته ، فقال بحث الرسول : يا رسول الله الســنا على حق ان متنا او حيينا ، قال الرســول بلى والله انكم على الحق ان متم او حييتم فقال ففيم الاختفاء والذي بعثك بالحق لتخرجن ، فخرج (ص) فـي صفين — عمر في احدهما وحمزة في الآخر — لهما كديد ككديد الطحين حتى دخل المسجـد فنظـرت قريش الى عمر والى حمزة فاصابتهم كآبة لم تصبهم قط وسماه الرسول (ص) يومئذ الفاروق (13) .

وروى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر . وقال صهيب بن سنان : لما اسلم عمر جلسنا حول البيت حلقا وطفنا وانتصفنا ممن غلظ علينا ، ويشتد عمر على المشركين كما اشتد بالامس على المسلمين فيقول : « والله مـا بقي مجلس كنت اجلس فيه بالكفر الا اظهرت فيـه الايمان غير هائب ولا خائف لا نعبد سرا بعد اليوم ، فانزل الله « يا ايها النبيء حسبك الله ومن اتبعك من المومنين » ، وذلك اول ما نزل من تسمية الصحابـة مومنين ، وابت عليه شهامته وشجاعته ان يجد نفسه محميا دون كثير من المسلمين من اذاية قريش فـرد مختارا جوار من اجاره حبا في مقاسمة اخوانه ءالام المشركين ولم يفعل ذلك شهورا بل عـن راي وبعـد نظر ، لهذا نجده يحجم عن المخاطرة حيث يكـون افضل ، فقد اعتذر للرسول حين كلفه بتبليغ ما جاء به لاشراف مكة قائلا يا رسول الله اني اخاف قريشا على نفسي وليس بمكة من بني عـدي بن كعب احـد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي ، اياها وغلظتـي عليها ولكني ادلك على رجل اعز بها مني عثمان بـن عفان (14) ونحسب ان اشارتـه لعثمان غير قائمـة على خوفه فقط وانما فيها تقدير لظروف لاحظهـا ولقيت استحسـانا من صاحب الرسالة عليه السلام .

---

(10) وعن ابن عمر ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعز الاسلام باحب هذين الرجلين اليـك بابي جهـل او بعمـر بـن الخطـاب وجمـع ابن عساكر بينهما بانه صلى الله عليه وسلم دعا بالاول فلما اوحي اليه بان ابا جهل لن يسلم خص عمر بدعائـه . شرح المواهب 1 : 317 — صحيح الترمذي 2 وغيرهما

(11) الطنطاوي 25 — 44 الاصابة 2 : 519 — ابن هشام 1 : 218 — مسند الامام احمد وغيرها .

(12) يقارن بين تاريخ الخلفاء 42 ابن الجوزي 13 — 14 حلية الاولياء 40 والاستيعاب 2 : 459

(13) تاريخ الخلفاء 42 حلية الاولياء 40

(14) ابن هشام 2 : 227

رجـل القيـادة

حظيت شخصية عمر باعجاب وتقدير الكـل ووقف عندها كل الذين كتبوا عنه بشكل او ءاخر ، ومن الكتابات المهمة كتابة المرحومين هيكل والعقاد ، ولم تسلم شخصية عمر من الاقلام الحاقدة مثل ايميل اتيان وغيره .. وقيادة عمر لا كباقي القيادات التي تبرز في ميدان من الميادين ولكن قيادته كانت غنية ومتنوعة الجوانب ، فقد قاد عن جدارة امتـه في الميدان السياسي والعسكري والتشريعي والاجتماعي .. الخ . وكان في كل ذلك القائد المبدع ، فهو صاحب فكرة جمع القرءان الكريم (15) بعد حروب اليمامة واهل الردة وهو الذي لقي الصديق بعد ستة اشهر من خلافته فقال له اين تريد ، قال الى السوق ــ وكان يرتزق من عمل يده ــ فقال عمر تصنع ماذا وقد وليت امر المسلمين ، قال فمن اين اطعم عيالي ؟ قال انطلق يفرض لك ابو عبيدة ، وقد فرض عمر لقاضيه على الكوفة مائة درهم شهريا مع مؤنته ، وادخل العسس الليلية ، وانشا ادارة لتسيير مالية الدولة تحت اسم الديوان وانشا نظام المقاسمة لكي لا يجور عمالـه .. الخ . والذي يتتبع ما احدثه من مرافق وما سنه من اعمال يدهش لمقدرة الرجل وسعة ادراكه، فموقفه من اراضي العراق وجيش اسامة وغيرهما ، وسلوكه مع الرسول وخليفته ومع المومنين في خلافته هو نفس السلوك العمري وهي استمرارية نلحظها في عمر حتى قبل اسلامه ، ويمتاز عمر بالسرعة التي يصل فيهـا لقراره ، فاذا قر رايه على امر اصر على تنفيذه كما في اراضي العراق ومسالة جمع القرءان ، وبنفس السرعة يتخلى عن رايه ان اقتنع او اقنع عن بينة مثل موقفه من جيش اسامة ووفاة الرسول ، وعمر يطلب الاقتناع الداخلي لا مجرد الاعتماد على الحجج الشكلية فكثيرا ما خالف النص ، مسالة قطع يد السارق عام المجاعة (16) ومسالة الطـلاق .. الخ .

وهذا لا يعني مطلقا انه كان متساهلا او معجبا برايه بل كان مجتهدا عديم المثيل ، « وكل عمل ياتيه يؤخـذ قضية مسلمة انه دخل في حدود الاسـلام (17) لانه ــ وتلك نقطة مهمة ــ كان يشرك معه الامة ما امكن في اجتهاده فيضفي على اجتهاده الصفة الاجتماعية مثل اختياره لخمسة معارضين وخمسة مؤيدين للتقرير في ارض العـراق ولان اتهم بالشـدة كما اتهـم بالتسـاهل فان شدته محببة الا على من كره الشدة في الحق وارد فتح الباب على مصراعيه للمستغليـن وحثالة القوم والسفهاء ليتلاعبوا بمقدرات الدولة كما وقع ايـام ذي النـورين عثمان رضي الله عنه حيث استغلت طيبوبته وليونته ، ذكر اعرابي عمر يومـا بانه قاتل قريبه فقال عمر اعرف واني ابغضك فقال الاعرابي وهل يمنعك هذا ان تعطيني حقي ، فاجاب عمر محتدا معاذ الله ، فقال الاعرابي انما تاسـف النساء على الحب وشدة عمر وصرامته في الحـق ، كانت هي معاملته منذ ان كان وعامل نفسه واهله بذلك قبل ان يعامل غيره وان كنا نرى انه اقسى ما يكون على نفسه وذويه حتى لتجد في قسوته هذه ما يتجاوز الحد ، وكان بذلك يهدف لضرب المثل وقطع القيل والقال ، وكان « اذا نهى الناس عن شيء جمع اهله وقال لهم اني نهيت الناس عن كذا وكذا وان الناس ينظرون اليكم يا معشر اهلي نظر جوارح الطيـر الى اللحم واقسم بالله لو احدا فعل ما نهيت الناس عنه الا زدته في العقوبة (18) وفعلا زاد عقوبة ولده فاعاد جلده رغم ان الحد اقيم عليه بمصر ، وكان يثور اشد ما تكون الثورة اذ يرى اصحاب السلطة يستغلـون سلطتهم لمصالحهم الخاصة ، مثل قصـة عمرو ابن العاص ومعاوية والامير الغسانـي مـع الشـاب الفزاري .. لانه قرر ان المجرم الكبير تكبر جريمته.

نكتفي بهذه الملاحظات السريعة عن شخصيـة عزيزة وحبيبة نقدرها ونعجب بها لانها تستحـق الاعجاب والتقدير .

---

(15) الخلفاء الراشدون 104 وغيره

(16) وكان يشتد حين يكون المبرر ، قال مرة لسارق اوتي له به لم سرقت ؟.. فقال قضـاء الله !.. فامر به فقطعت يده وضرب اسواطا فقيل له في ذلك.. فقال : القطع للسرقة ، والجلد لما كذب على الله !.. فكان رضي الله عنه يعتمد روح الدين وما يراه القلب بعد فكر وتامل وطلب لوجه الصواب . ابو زهرة ــ مالك ص 143 ــ 180.

(17) محمد قطب الانسان بين المادية والاسلام 199

(18) عبد القادر المغربي الاخلاق والواجبـات 180 ابو زهرة تنظيم الاسلام للمجتمع 32 ــ 33 .



محمد علي جناح من دعاة الوحدة الاسلامية

محمد علي جناح

داعٍ من دعاة الوحدة الإسلامية

للأستاذ أحمد تسوكي

محمد علي جناح من شخصيات التاريخ التي عاشت حياتها بالعرض وبالطول معا ، وهو فوق ذلك شخصية عظيمة بحساب كل الموازين وكل المقاييس ، بل انه ليفوق في عظمته بعض الشخصيات التاريخية المألوفة لنا ، فليس محمد علي جناح زعيما لامة قائمة تحدد كيانها وتميزت مقوماتها ، بل انه زعيم لامة حديثة انشاها في احلك الظروف الدولية وقادها الى الحرية والاستقلال واقام لها كيانها الجغرافي والاجتماعي والثقافي والحضاري، وهذه ميزة كبرى لم يحظ بها زعيم من زعماء العالم الا القليلون ، ولكن يبقى «القائد الاعظم» في طليعة هؤلاء القواد لما اجتمعت له من خصال اخرى عديدة كونت عظمته واكدت زعامته فوق عظمة العظماء وزعامة الزعماء .

لوحة حياته :

قلنا ان محمد علي جناح عاش حياته بالطول والعرض ، فقد كان ميلاده في 25 ديسمبر 1876 في مدينة كراتشي ، وتناول تعليمه في بومباي وكراتشي ودرس القانون بكلية لنكولن اي في انجلترا ومارس المحاماة بعد تخرجه سنة 1896 في كل من كراتشي وبومباي ، وانضم الى حزب المؤتمر الهندي ـ وهو الحزب الرئيسي في البلاد الهندية وكان ينضوي تحت لوائه المهاتما غاندي وجواهر لال نهرو ، وكان محمد علي جناح لا يفتأ يدعو الى الوحدة بين الطوائف الدينية المتصارعة ، وكان في الوقت نفسه من اعضاء حزب العصبة الاسلامية ، ولما فصم علاقته بحزب المؤتمر الهندي قاد بنشاط وفعالية حركة العصبة الاسلامية ، وفي عام 1929 اصدر محمد علي جناح البيان الذي يحتوي على اربعة عشر نقطة والذي طالب فيه بتخصيص ثلث مقاعد المجلس التشريعي المركزي للطائفة الاسلامية في مجموع ولايات الهند ، كما طالب بوضع تشريع دستوري يضمن حماية دينهم ولغتهم وثقافتهم وتقاليدهم العريقة ، الا أن هذه المطالب الجريئة جلبت على محمد علي جناح استياء بعض الزعماء المسلمين بالاضافة الى استياء الطوائف الدينية الاخرى ، ففضل الهجرة الى انجلترا وقضى فيها اربعة اعوام عاد بعدها الى الهند ليعلن في اجتماع العصبة الذي عقد في لكنؤ سنة 1937 ان الحزب يدعو الى نيل الاستقلال التام للمسلمين على شكل اتحاد يضم دولا مستقلة في كل اقليم يحتوي على اكثرية اسلامية ، وانتصر رايه هذا حين اعلن في اجتماع العصبة بلاهور سنة 1940 المطالبة بوحدة وحرية مسلمي شبه القارة الهندية في دولة مستقلة اسمها باكستان ، وفي 14 غشت 1947 اعلن محمد علي جناح قيام باكستان دولة اسلامية في اول مجلس تأسيسي لها ، ولم تطل به الحياة اكثر حتى يرى دولة الباكستان تشق الطريق بنفسها في المعترك الدولي وتساهم في بناء أسس العدل والسلام العالميين وتضطلع بدورها الايجابي البناء لتوفير اسباب الرخاء والازدهار ليس في شبه القارة الهندية فحسب ولكن في انحاء المعمور ايضا ، واسلم محمد علي جناح روحه الى باريها في سنة 1948 م .

المسلمون في الهند :

كان المسلمون في الهند جماعة من القوم شتيتة تعلن بين الحين والآخر سخطها على الاوضاع السياسية والاقتصادية التي يوجدون عليها وعن يأسها

ذلك هي شخصية عمر الفاروق الذي قال فيه الرسول الاكرم : ان الله جعل الحق على لسانه وقلبه » وقال علي كرم الله وجهه : ذلك امرؤ سماه الله بالفارق (19) فرق الله به بين الحق والباطل . وكان الشعبي يقول : من سره ان يأخذ بالوثيقة في القضاء فليأخذ بقضاء عمر ، وقال ابن المسيب ما اعلم احدا بعد رسول الله (ص) اعلم من عمر بن الخطاب .

وقال مجاهد : اذا اختلف الناس في شيء فانظروا ما صنع عمر فخذوا به .

نكتفي بهذه اللمحات عن شخصية لها مواقف جليلة في تاريخ الفكر الانساني ، يقصر بنا المقام عن ايفائها حقها ، وعسى ان تتاح لنا المناسبة لمعاودة صحبة عمر رضي الله عنه ورحمه .

باريس — الحجامي عبد الله

---

(19) بذلك لقبه الرسول عليه السلام وكناه يوم بدر « ابو حفص » فتوح البلدان 457 — الطنطاوي 13 — 22 — 25 ، وابن هشام 2 : 70 — 227 .

من ظهور زعامة تقودها الى مصيرهم وتعطي لهم تعبيرا مجسدا لمطالبهم العاجلة وامانيهم الملحة في الوحدة والاستقلال ، لقد تولى محمد علي جناح هذه المهمة الصعبة ـ مهمة توحيد المسلمين على اساس عقيدة واحدة يدينون بها وعام واحد ـ وهو يعلم انه سيواجه قوى عديدة في مهمته ، لذا لم يكن يدعم جناح في مسيرته هذه سوى الشجاعة التي يتحلى بها واقتناعه بعدالة قضية المسلمين في الهند وضرورة انشاء دولة لهم وثقته بنفسه وبشعبه وبروحه الكبيرة . لقد ايقظ المسلمين الى وعي جديد ومنحهم ارادة العمل وايمانا جديدا بمصيرهم ، ثم جعلهم ـ بفضل كفاحه الفريد ونضاله المتواصل ـ امة متحدة قوية وواعية بذاتها بعد ان كان المسلمون جماعة مشتتة وطائفة مهملة وقوما لا يحسب لطاقتهم السياسية حساب ما .

لقد تحول المسلمون في الهند من اقلية ثابتة تطالب بحمايات كافية لوجودها الى امة اصبحت مدركة كل الادراك قوميتها الجديدة ومليئة بالحماس لها ومستعدة للكفاح الى اقصى الحدود ضد اية محاولة للقضاء عليها او الانتكاس بها الى الوراء ، الى الماضي .

فكر جناح :

كان محمد علي جناح يقول: اننا امة نتمتع بثقافتنا المتميزة ، وحضارتنا البارزة ولغتنا وتاريخنا وهندستنا وفهمنا للقيم ، ولنا قوانيننا التشريعية وقانوننا الاخلاقي وعاداتنا وتقويمنا وتقاليدنا وكفاءاتنا ومطامحنا ، وبالاختصار ، فان لنا نظرتنا المتميزة للحياة وطريقتنا الخاصة في المعيشة .. ان هذه العبارات والكلمات البسيطة الملموسة السهلة الفهم ، قد جعلت كل مسلم في شبه القارة الهندية يشعر بأن ثمة مبررا معقولا لمطالبته بانشاء وطن قومي لامته المسلمة ولطائفته ، صحيح انه كان هناك شعور غامض من القومية موروث على الدوام في حركات المسلمين الهنود وسكناتهم طول تاريخهم المهزوز ، ولكن مجيء محمد علي جناح وتفكيره الواقعي الايجابي وضع فكرة انشاء الوطن الاسلامي موضع الفهم والادراك والتبسيط اللا متناهي وجعلها مفهومة حتى على المستوى الشعبي . هكذا اكتشف مائة مليون مسلم دوجهم الحقيقية ومصيرهم العظيم تحت زعامة واعية ومدركة للمصاعب والتناقضات وملابسات الظروف : ان فكر علي جناح وضع اقلية شتيتة في مكانها المناسب وبوأها مقامها الرفيع .

ولم ينس محمد علي جناح خلافه مع حزب المؤتمر الهندي الذي كان يضم ابرز السياسيين الهندوس ، ولكنه لم يفقد امله بامكانية التسوية والاتفاق ، لانه كان يرى قضية الهند بومئذ قضية واحدة تستدعي اتحاد جميع الطوائف ، وخاصة طائفتا الهندوس والمسلمين ، وفي احد الاوقات العصيبة من هذا الخلاف المستديم كان محمد علي جناح قد اصبح يائسا متبرما ، خائب الامل لا يوحي له المستقبل بأي انفراج للازمة ، حتى انه سعى الى نفي نفسه في لندن ، ولكن مسلمي الهند لم يقبلوا منه هذا النفي بل الحوا عليه لكي يتولى زعامتهم ، حدث هذا عام 1934 ، ولكنه ظل حتى سنة 1937 متفائلا بامكان ايجاد طريقة ما للوصول الى تسوية مع الهندوس .

وعقب الانتخابات الاقليمية واصرار حزب المؤتمر الهندي على التعاون مع المسلمين كافراد وليس مع حزب اسلامي ، احدث كل ذلك صدمة كبرى لعلي جناح ، واصبح مقتنعا بان المسلمين لا يمكن ان يثقوا مطلقا الانصاف والعدالة على ايدي الهندوس وحزب المؤتمر ، ونتيجة لذلك بدا يميل تفكيره نحو فكرة الانفصال واستقلال مسلمي الهنود عن حكم الهندوس . لقد كان جناح حتى ذلك الوقت قد قام باهم دور في بعث الانسجام والتوجيه للفكرة الانفصالية الاسلامية، ولقد استمر جناح على ثبات دائم واقتناع تام بفكرته ودعوته ، واستطاع ان يتغلب على الحواجز الشائكة الصعبة عند كل خطوة خطاها ، لقد كان علي جناح قويا وعظيما ورائدا وداعيا ، كان يتميز بقوة عميقة الجذور في الاقناع وشجاعة جبارة وتكتيك سياسي مرن واصرار دائم على المبدا والهدف

ان محمد علي جناح لا يتذكره مسلمو الهند فقط كداع من دعاة الوحدة الاسلامية في شبه القارة الاسلامية ، ولكن يتذكره جميع المسلمين في العالم ، لقد جمع طائفة واقام دولة واسس كيانا اسلاميا ، انه باني امة ومجترح معجزة ومنظم جماعة اسلامية كانت ضائعة .

الرباط ـ احمد تسوكي



يغلب على ظني ، ان الذى دفع الدكتور كمال نشات الى التاريخ للرافعي ، وتناوله من شتى جوانبه ، هذا الذى ضرب على حياة اديب العربية منذ ان انتقل الى جوار ربه ، تاركا سبحاته فى عالم الفكر ، وسوانحه فى دنيا القريض ، او لعل هذا الوفاء الذي قام به الدكتور نشات ، كان بتوجيه من استاذه الدكتور شكري عياد الذى لفت نظره الى الالمام بهذه السيرة ، ودراسة صاحبها الذى خلف هذا التراث فى الادب والنقد .

ولقد كان المفتتح فى هذه الدراسة الحية من خير المفتتحات فى دراسة الاعلام ، او هي خير ما وفق اليه الكاتب الشاعر .. اذ ليس اصعب من تناول اسرة المؤرخ له ، والاحاطة بها ، ووضعه بين افرادها ، ومكانته المحددة بين مختلف ثقافاتها ، او تباين اتجاهات نشاتها .

لكن هل كان الرافعي الاديب والشاعر والناقد من هؤلاء الذين يصعب وضعهم على صعيد اسرهم ، او تحديد معالم ثقافاتهم ؟

اعتقد ان الاحساس الذى احاط بالرافعي وحدد مكانته بوظيفته المتواضعة ، قد بث فيه روح النضال ، وغرس فيه حب الظهور ، لاسيما ذلك الاحساس الذى قد ظنه ماسا بكرامته ، فعمل على ان يكون برزة بين ادباء العصر ، وواحدا من اولئك الذين يعتزون بمكانتهم ، ويذهبون بانفسهم الى حد الغرور .

يحدد الرافعي نفسه ، ويصف مكانته ، حتى لا يتعب مؤرخيه ، بالبحث عنه ، او التماس وضعه ، فيقول فى احدى رسائله الى صديقه : ابي رية : « انه ارقى من «برجسون» لان افكارا له فى مقدمة كتابه : «المساكين» طابقت بعض افكار هذا الفيلسوف » .

ويحدد معالم ثقافته اكثر ، عندما يقول فى رسالة اخرى له : « لقد قرات : «اوراق الورد» هذا الاسبوع ، بعد ان فرغت من قراءة لشكسبير ، واخرى للامارتين ، وفى ظني ان «اوراق الورد» يرجح عليهما بكثير فى معانيه وبيانه ، ولكن هو الحظ .. » .

غير ان الاسترسال فى هذه الاستشهادات التى اوردها الدكتور نشات ، لمما تأخذ من الرافعي ، اكثر مما تعطى له ، وبخاصة اذا لم تجد من يناقشها او يسوق الحجج على الدافع للرافعي الى ان يذهب هذا المذهب ، ويغر هذا الغرور ، وان كان الرافعي نفسه ، قد كان يرى انه يعد صنوا للامارتين او شكسبير او برجسون اذا قيس بعديد من ادباء عصره ، والمتنافسين واياه على عرش الادب فى وقته ذلك ، وعصره الذى عمر بالادباء والباحثين .

على ان المؤلف الفاضل ، لم يقف سلبيا وهو المدفوع الى دراسة الرافعي بدافع التقدير ان لم يكن الاعجاب الذى املى عليه هذه الصفحات حول هذه السيرة الثرة ، امام ما اخذته عليه الدكتورة نعمات احمد فؤاد فى كتابها : « دراسة فى ادب الرافعي »، فالرسائل الخاصة التى كان يتبادلها الرافعي مع بعض اصدقائه ، وحاسبته الدكتورة نعمات عليها ، لم يكن بد من ان يفندها الدكتور نشات ، ويرجعها فى كتابه الى انها : « المجال الذى ينفض الانسان فيه كل ما بنفسه دون مواربة » .

ويذهب المؤلف الى ابعد من هذا ، وهو ان الرافعي ساعة كتابة هذه الرسائل ، لم يكن يعلم الغيب من انه سيموت ، وان صديقه الذى يراسله سينشر رسائله فى كتاب ..

والتعقيب المستطاب هنا كان اجدر بالدكتور نشات ، الذى قدر الموقف من كل نواحيه ، واحاط به من جميع ارجائه ، حتى كانت هذه التعلة التى تعلل بها فى الدفاع عن صاحبه .

« يجب ان نضع فى اعتبارنا ان هذا التطرف خصلة نفسية ، عرفت عن الادباء والفنانين عامة » وهم الذين كان الرافعي يسلك نفسه فى عدادهم ، ويضع قلمه حيث يشاء دون ان يخشى هذا الحساب، او يقدر ان يحصى عليه ناقد ، ما تطرف فيه ، او سبح قلمه به فى يوم من الايام .

وفى رأيي ان الدكتور نشات قد خشي ان يتولى وحده الدفاع عن صاحبه ، فراح يلتمس سندا عند صديق الرافعي الاستاذ سعيد العريان الذى كان يحاو له ان يحسم جل قضايا الرافعي بروح موضوعية ، واسناد من التواريخ

قال سعيد العريان يحدث عن الرافعي :

« جلست اليه ذات مساء نتحدث حديثنا ، فقال، وهو يدفع الي طائفة من رسائل القراء : اقرا يا شيخ سعيد ... ارأيت مثل هذا ؟ ايحق لاحد ان يزعم لنفسه القدرة على خير مما اكتب فى موضوعه ؟ ايملك كاتب ان يرد علي رايا من الراي ؟ ومضى فى طرائق من مثل هذا القول عن نفسه ، وعن طائفة من خصومه ، فعرفت انه فى لحظة من تلك اللحظات التى تنتبه فيها النفس البشرية الى طبيعتها، فتؤمن بنفسها من دون كل شيء مما خلق الله ، ايمانا هو بعض الضعف الانساني فى طبيعتنا البشرية ، وهو بعض اسباب القوة فى النابغين من اهل الآداب والفنون ، ذلك الايمان الذى نسميه احيانا صلفا وعنجهية وكبرياء ، ونسميه فى النابهين والعظماء ثقة بالنفس ، وشعورا بالقوة » .

وقد روى الدكتور نشات ، ما تميز به الرافعي عند كتابة مقاله ، وما الزم نفسه به حين كان يعالج موضوعا من الموضوعات ، فهو حينا يلتقط موضوعه من افواه الناس ، وحينا آخر ياخذه مما دونه فى ورقات احتفظ بها فى « جيبه » ، اما اذا لم يدفع الى كتابة الموضوع مباشرة، فيعمد الى ما اتفق له من الآراء والافكار ، ويكون منها حصيلة تكون اطارا لموضوعه، وبناءا لما اعتزم ان يمضي فيه ، دون تعب ، او اجهاد . ولهذا فقد انفرد الرافعي من بين الادباء عامة فى وقته بالكتابة انى شاء ، نتيجة لما كان يستحضره فى ذهنه وجيبه من هذه الثروات ، التى يجمعها ، ويحرص على ان تكون حاضرة بين يديه كلما هم بالكتابة ، او انتوى تسجيل خاطرة من الخواطر فى صورة مقال ، او سانحة من السوانح على هيئة نفثة من النفثات ، شعرا منثورا ، او نظما محكوما بقافية.

ولم يفت المؤلف ، ان يسجل ابرز القضايا التى لعبت دورا تاريخيا فى حياة الرافعي ، فقد سجل راي جورج ابراهيم صديق الرافعي ، وناقش راي فؤاد صروف فى تعليقه على موقف الرافعي من «مي» وما دار فى تلك الآونة من تعاطف وافتراق ، وان كان رأيه الذى استقاه من تواتر الانباء فى تهيئة الجو المنزلي الذى كانت زوجته ، تعمل على صفائه ، ابتغاء ان يكون الاديب الكبير فى راحة نفسية ، لا يقف طويلا امام المناقشة واعمال الفكر ، ايا كانت هذه المناقشة ، وايا كان هذا الفكر فى الوصول الى الحقيقة .

غير ان اخطر قضية فى هذا الكتاب ، وهي معارك الرافعي الادبية ، لم يكن من السهل ان تمر دون ان يحسب حسابها ، او تناقش على اي وضع من الاوضاع لاسيما وقد شغلت هذه المعارك فى وقتها، الادباء، وصرفتهم عما عداها من القضايا الادبية الجادة، لذلك كان جميلا من المؤلف ان يقف طويلا أمام هذه المعارك ، ويسرد ما اكتنفها ، وما لابسها من آراء ، وما احاط بها من قيل وقال ، وما تمخض عنها من فوائد ، جناها الادب ، وعاش على ثمراتها حقبة طويلة كثير من الادباء .

ولكن هل كانت هذه المعارك خيرا كلها ؟؟ ذلك ما مر به الدكتور نشات دون ان يقول رايا فيه ، وان كان الرافعي نفسه قد تولى الاجابة عليها ، وكانه كان يخشى التساؤل الذى يتمخض عنها بعد القضاء عليها، او اخماد اوارها فى وقت من الاوقات ...

والذين طالعوا هذه المعارك ، او يطالعونها اليوم، انما يهولهم ما حملته بين طياتها من الشتم والسب اللذين جرى الرافعي وراءهما ، دفاعا عن نفسه ، او دفاعا عن ادبه ، حتى انه اضطر الى ان يقول : «فان كان فى اسلوبنا من الشدة او العنف، او القول المؤلم، او التهكم ، فما ذلك اردنا ، ولكنا كالذى يصف الرجل الضال ، ليمنع المهتدي ان يضل ، فما به زجر الاول، بل عظة الثاني » . وكان يقول رحمه الله : « انه كان يسب العقاد بنفس الطريقة التى كان العقاد يسبه بها »

ولا يبعد المؤلف كثيرا ، او ينفك عن مساق هذه المعارك ، حتى يذكر معركة الرافعي مع طه حسين ، حين انتقد تدريس الادب فى الجامعة ، وكتب طه حسين عن كتابه : « تاريخ ءاداب العرب » او حين التقيا فى « جريدة السياسة الاسبوعية » وتعرض الدكتور طه لكتابه « حديث القمر » .

ولقد ركز الدكتور نشات على معركة الشعر الجاهلي ، وتناول الاساليب الساخرة التى كان يقلد فيها الرافعي ابن المقفع فى «كليلة ودمنة» ، وشرح الفرصة المواتية التى اتاحتها ظروف المعركة ، متمثلة فى هذ الكتاب الذى وجد فيه الرافعي ما يسهل له الرد ، وياخذ بيده الى الانتقام ، ويقوده الى ما يرضاه فى هذا الموقف ، ويثلج صدره فى هذه المعركة ..!!

وان نسي الادباء فلن ينسوا ذلك الخلاف الشخصي الذى قام بين الرافعي وعبد الله عفيفي على وظيفة ادبية كان يشغلها الثاني فى وقت كان يتطلع اليها الرافعي ، ويرى نفسه احق بها ، وان كان عبد الله ، قد لزم الصمت ، وءاثر السكون ، الى ان واتته فرصة الانتقام لنفسه ، حينما تناول الرافعي نبوغ شوقي فى الشعر ، وارجعه الى دمائه غير المصرية ، فكتب منتصفا لنفسه ، ومدافعا عن الشعراء المصريين الذين ظلمهم الرافعي ، وسلبهم اعز ما يملكون من الخيال والملكة ، ان لم يكن المعنى واللفظ ، والقدرة على الوقوف امام سائر الشعراء..

وللرافعي بعض معارك ادبية ، كان يقضى عليها فى حينها ، وتموت لوقتها ، لدقة الموقف الذى كان يتعرض له ، او لحساسيتها الرهيبة فى ذلك الوقت، وان كان حكم الدكتور نشات عليها كلها ، انها : « عداوات لم يستطع الموت ان ينال منها » .

ومن خير ما صنعه المؤلف فى هذا الكتاب ، انه افرد صفحات كثيرة لمؤلفات الرافعي ، وتحدث عن كل منها باسهاب ومناقشة ، وتعدى هذا الى كتبه التى لم تطبع فى حياته ، او التى كانت متناثرة، لم يكتب لها ، ان تاخذ ضميمتها فى كتاب .

وقد اثار الدكتور جملة قضايا ، تعد خلاصات لاتجاهات الرافعي فى الوانه البيانية .. فالرافعي الذى حقق ذاته ككاتب فى لون معين من الوان الادب: شعرا ونثرا ، قد كان اميل فى جملته الى روح التراث فى وسائل صياغته ، وطريقة تعبيره ، بل وفى معجمه اللفظي ، وزخارفه البيانية ، حتى يمكن ان يصدق عليه قول تلميذه سعيد العريان :

« تقرا له فتحسبه رجلا من التاريخ ، قد فر من ماضيه البعيد ، وطوى الزمن القهقرى ، ليعيش فى هذا العصر ويصل حياة جديدة بحياة كان يحياها منذ الف سنة او يزيد فى عصر بعيد » .

والحكم الذى ارتضاه المؤلف بالنسبة للرافعي من انه لا يمكن ان يكون قصاصا ، مهما قرا ، او استعرض ادب الغرب الذى افتتن فيه مرة ، وراح يطالع الفرنسية ، عله يصيب محزا ، كما اصاب فى العربية عرشا ، لا يمكن ان ينسحب على الرافعي ككل ، الا اذا رايناه يرضى لنفسه بالتبريز ، والسبق فى ءاداب العرب ، ويتراجع عما فتن فيه ، ويولي وجهه نحو السلفية المحافظة التى لفتت نظر صاحبته ، وعرفوها عنه ، حتى كان «ابو رية» ينصحه بقراءة اناتول فرانس ، وجمهورية افلاطون ، وغير هذا من الادب الغربي المترجم ، الا انه كان قليل الاقبال الى الحد الذى لم يؤثر فيه ، او يتاثر به ..

والسؤال الذى يتطلب جواب الدكتور نشات ، ويدعوه الى الدقة فى تحديد معالم الطريق ، او وضوح الرؤية امام الادباء ، يطرح نفسه فى ذات الوقت الذى كان فيه الرافعي ، يجري وراء عدة اغراض من اغراض الادب ، ويحاول الريادة فيها ...

هل نجح كاديب يمثل القرن العشرين ؟

يقول المؤلف :

« اقتصر الرافعي على قراءة التراث ، وقراءته لا تمسك اود كاتب يظهر في القرن العشرين ، ولذلك كان الرافعي اديبا مرحليا » .

على ان هذا الحكم الذى ركن اليه المؤلف، لا يمكن ان ينسيه ديتونة الادب العربي للرافعي في وقته . فقال محاولا الدفاع : « ان الزمن الذى عاش فيه الرافعي ، كان للادب الكلاسيكي فيه صولة ، وكانت فيه بقية رغبة في تقليد النماذج التراثية الشامخة ، وكان جمهور القراء ، اميل الى روح الادب القديم ، وكان المجددون لا يزالون في كفاحهم دون جمهور عريض يشد ازرهم » .

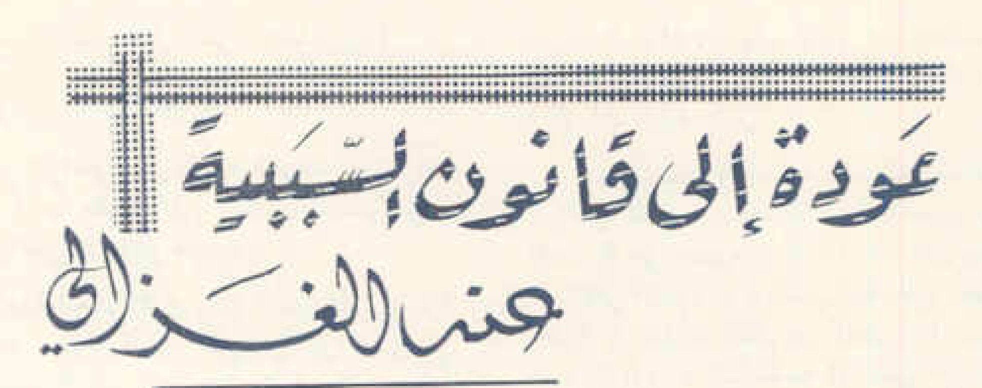
والقضية الكبرى التى ناقشها المؤلف ، وابدى فيها رايه صراحة ، هى قضية الرافعي شاعرا ، وان انتهى به الامر الى هجر الشعر الذى كان يتطلع من وراء الاشتغال به الى منزلة عليا ، تسلكه بين شعراء عصره : مكانة ومنافسة ، الا انه لم يكتب له ان يقف وشوقي او حافظ ابراهيم او البارودي على ساق وقدم ، وان كانت قد تحققت شاعريته فى كمالها ونضجها فى كتاباته النثرية وبخاصة فى « اوراق الورد » .

واستكمالا للبحث ، عقد المؤلف فصلا حلل فيه الرافعي كناقد ، وحصره فى لون معين من الوان النقد المتعارفة في عصره . اذ انه قد كان رحمه الله ينظر الى الاثر المنقود ، ويفتش فيه عن اخطاء لغوية او نحوية ، صارفا النظر عن المعنى ايا كان نوعه ، وان كنت انا ارى ، اننا نظلمه اذا نحن جردناه من النقد الادبي ، وبعدنا به عن مسرح النقاد فى مواضعات عصره ، وعرف بيئته .

فالرافعي الذى حدد لونه النقدي بنظرته ، لا يمكن الحكم عليه بان «اغلب ما كتبه فى هذا الباب مساجلات ، هي أدخل فى باب المعارك القلمية منها فى باب النقد بمعناه العلمي الحديث » والا ما اختلفت الآراء حوله فى يوم من الايام ، او اشير الى ان هذا الاختلاف دليل حي على اهمية الرجل فى مرحلة من مراحل ادبنا المعاصر الذى كان لابد من وجوده للوقوف امام الانكباب العنيف على حضارة الغرب منذ مطالع هذا القرن .

القاهرة ـ ابو طالب زيان





عودة إلى قانون السببية عند الغزالي

للأستاذ محمد صالح الزعيمي

نشرت مجلة دعوة الحق الغراء فى عددها لشهر غشت 1969 مقالا لفضيلة العالم الفاضل سماحة المفتي الاستاذ السيد نديم الجسر رد فيه على مقال نشر لي فى مجلة (الوحدة) المغربية منذ شهور ، حول (نظرية المعرفة عند ابي حامد الغزالي)

وابادر اولا الى الاعتذار للقاريء الكريم الذى ربما تطلع الى ما سوف يكون جوابي على اعتراضات الشيخ الفاضل ، دون ان يوافيه الجواب فى وقت قريب . فان مشاغل الادارة لم تترك لي – على تحرقي المخلص – فرصة المسارعة الى الرد دون التسرع فيه .

ثم اسارع بعد هذا الى ان اشكر للسيد الاستاذ اهتمامه بالمقال وبما ورد فيه ، وهو اهتمام ينبيء عن روح مخلصة لله ولدينه القويم ، مجاهدة فى سبيل الدفاع عن الاسلام واقطابه . واننى لارجو ان اكون من زمرة الاستاذ الكريم ولو اختلفت نظرتنا الى الموضوع .

واستاذن الاستاذ فى الاقتفاء بطريقة نقده للمقال ، حيث احسن فى بدايته عرض اهم فقراته التى اعتزم ابداء الملاحظة الناقدة عليها . واننى لارجو – مرة اخرى – ان اوفق فى هذا الاقتداء .

1 – لقد كانت اولى عبارات الاستاذ الفاضل بعد عرض فقرات المقال موضوع النقد هي العبارة التالية :

(ان هذه الاقوال التى نقلناها هنا بحروفها لتزري بعقل الامام الغزالي وتزري بعلمه، بل تزري بدين الاسلام وبعلماء المسلمين الذين لقبوا الغزالي بحجة الاسلام) .

2 – وقال فيما نقله عن فصل (خصومة المؤمنين) من كتاب (قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرءان) من ءاراء ابن رشد :

(... اما ابن رشد فلم يخرج ابدا عن هذا المنطق السليم والايمان الكامل حيث يقول : « واما هل الافعال الصادرة عن موجود ضرورية الفعل او هي اكثرية او فيها الامران جميعا ، فمطلوب يستحق الفحص عنه ، فان الفعل والانفعال الواحد بين كل شيئين من الموجودات انما يقع باضافة ما من الاضافات التى لا تتناهى ، فقد تكون اضافة تابعة لاضافة . ولذلك لا يقطع ان النار اذا دنت من جسم حساس فعلت ولابد ، لانه لا يبعد ان يكون هناك موجود يوجد له الى الجسم الحساس اضافة تعوق تلك الاضافة الفاعلة للنار ، مثلما يقال فى حجر الطلق. ولكن هذا لا يوجب سلب النار صفة الاحراق ما دام باقبالها اسم النار وحده » .. ثم يقول ، وما احكم ما يقول : « والعقل ليس هو شيئا اكثر من ادراكه الموجودات باسبابها ، وبه يفترق عن سائر القوى المدركة ، فمن رفع الاسباب فقد رفع العقل . وصناعة المنطق تضع وضعا ان هاهنا اسبابا ومسببات ، وان المعرفة بتلك المسببات لا تكون على التمام الا بمعرفة اسبابها . فرفع هذه الاسباب هو مبطل للعلم ورافع له ، فانه يلزم الا يكون هاهنا شيء معلوم اصلا على حقيقته بل ان كان فمظنون ، ولا يكون هاهنا برهان ولا حد

اصلا. ومن يقنع انه لا علم واحد ضروري يلزمه ان لا يكون قوله هذا ضروريا . واما من يسلم ان هاهنا اشياء بهذه الصفة واشياء ليست ضرورية وتحكم النفس عليها حكما ظنيا وتوهم انها ضرورية وهي ليست ضرورية فلا ينكر الفلاسفة ذلك» ... ثم ينتهي ابن رشد الى ان يقول ـ وما اعظم ما يقول ـ وما اصدقه اتفاقا ، في النتيجة ، مع الذى قصد اليه الغزالي من استدامة التوجه الى خالق الاشياء ومعطيها طبائعها وخواصها ـ « فلا ينبغي أن تشك في ان هذه الموجودات قد يفعل بعضها ببعض ، وانها ليست مكتفية بانفسها في هذا الفعل ، بل بفعل من خارج ، فعله شرط في فعلها بل في وجودها فضلا عن فعلها .)

3 ـ وقال الاستاذ ايضا نقلا من فصل (تلاقي العباقرة) من نفس الكتاب :

(.. ـ الشيخ ـ عظيم جدا يا حيران .. ان هذا المثل الذى جئتني به خير من مثال الزيت والآن اطرح عليك سؤالا جديدا : لو جئناك بجسم من الاجسام لم تعرفه في حياتك ولا سمعت به لم سالناك : هل من ضرورة عقلية تفرض عليك أن تعتقد (اقتضاء هذا الجسم للتحيز)

فماذا تقول ؟

حيران ـ اقول انني أرى ضرورة عقلية تفرض على أن اعتقد اقتضاء كل جسم للتحيز .

الشيخ ـ لماذا ؟

حيران ـ لانني ارى ذلك امرا بديهيا

الشيخ ـ ولماذا لا تجد بديهيا اقتضاء الزيت للاشتعال ، واقتضاء فترات الكليسيرين للانفجار ؟

حيران ـ لانني لا اجده بديهيا ، ولا اجد ضرورة عقلية تفرض هذه البداهة .

الشيخ ـ هذا هو ما أراده الغزالي يا حيران ، فالغزالي لم ينكر مبدأ السببية من اصله وأساسه وحاشاه ان ينكره ولكنه يقول أن هذه الظاهرة التى نسميها (سببا) ليست مقتضية اقتضاء عقليا ضروريا حصول ذلك الاثر الذى نسميه مسببا . فالعقل لا يجد ضرورة عقلية توجب عليه الجزم بان النار محرقة ولابد للخشب ، ولكنه راى بالتجربة أن ظاهرة الاحتراق عند مس النار للخشب هي ظاهرة مطردة ، فاعتقد ان النار سبب الاحراق . ولولا هذا الاطراد الذى يراه العقل ، لما كان مفروضا عليه (ضرورة) أن يعتقد اقتضاء النار للاحراق ، كما هو مفروض عليه (ضرورة) ان يعتقد اقتضاء الجسم للتحيز . وانما يريد الغزالي بهذا ان يتوصل الى القول : طالما ان خاصية الاحراق غير مفروض وجودها (بالضرورة عقلا) في النار ، وكان يمكن ان تكون هذه الخاصية بعكس ما هي عليه ، فلابد ان الذى اعطى النار ، وكل الاشياء خواصها وطبائعها ، هو الذى خلقها ، وهو الذى يستطيع سلبها هذه الخاصية).

4 ـ وقال اخيرا في نهاية نقله عن فصل (بين داروين والجسر) :

(... الشيخ ـ نعم وانت ترى ان (الجسر) لا ينكر الاسباب والمسببات ، والخواص والطبائع والنواميس كما لم ينكرها أحد من علماء المسلمين وفلاسفتهم ، وكيف السبيل الى انكارها يا حيران ، والاشياء ما كانت متمايزة الا بخواصها وطبائعها ، فاذا عدم الشيء خواصه وصفاته المميزة لم يعد هو هو ، بل عاد شيئا آخر . وما دام العقل لا يرى ضرورة عقلية تقتضي ان يكون للشيء خاصة بذاته من ذاته ، فلا مجال لهذا العقل ان يرتاب بان الله خالق الاشياء هو الذى منحها خواصها وطبائعها ، وانه قادر على سلبها . ولو كانت الشرائع السماوية تنكر الاسباب والمسببات لبطل التكليف ، ولقعد الانسان عن السعي ، ولفتح الناس باب القدر في ترك الاوامر واجتناب النواهي ، وهذا ابطال للشرع بل افساد للعقل ، وتعطيل للايمان الذى لا يكون الا بالعقل، فمن ظن ان دين الاسلام يقول بذلك فقد دل على جهله وقلة عقله) .

تلك مقتطفات من مقال الاستاذ الجسر أرجو ان يوافقني على انها تعبر عن مراميه من المقال .

1 ـ اما ملاحظتي على العبارة الاولى ، فأعترف بانني ـ عند بحث موضوع نظرية المعرفة عند أبي حامد الغزالي لم اكن حريصا على استبقاء سمعة الامام لدى مريديه اكثر من حرصي على تبين الحقيقة المنزهة عن الفرض ، والخالية من الهوى . فاذا كانت النتيجة التى خرج بها بحثي في هذا الموضوع تزري بعلم حجة الاسلام او بعقله ، فيشهد الله انه لا ذنب لي في ذلك .

واما أن تزري اقوالي بدين الاسلام ، فاستسمح الاستاذ الكريم في التنبيه الى ان اراء ابي حامد الغزالي لا تمثل **(بالضرورة)** وجهة نظر الاسلام . ان

اعجاب علماء المسلمين بأبي حامد وبمواقفه التي هدفت الى سد الذرائع ، والى حماية العقيدة لاهلها، وتجنيبهم اضرار الفلسفة الارسطية التي لم توفق دائما الى السداد بين حكمة اليونان وشريعة الاسلام .. ان ذلك الاعجاب هو الذى دفع العلماء المسلمين الى تلقيب الغزالي بحجة الاسلام .. واذا كان ابو حامد الغزالي فى غمرة دفاعه عن الدين — قد انتهى الى بعض النتائج التى تناقشها على هذه الصفحات ، فليس يعني ذلك ان العقيدة الاسلامية هي التى نضعها هاهنا موضع النقاش .

ان من اهم السمات الجوهرية التى تميز الاسلام عن غيره من الديانات — واخص منها المسيحية — هي معرفة الرجال بالحق لا الحق بالرجال ، وليس على دين الاسلام من وحي مطلق التصرف ، غير قابل للنقد .

2 — واما ملاحظاتي على الفقرة الثانية ، فاستاذن الاستاذ الفاضل فى التنبيه الى ان اقوال ابن رشد الواردة فى هذه الفقرة ، جاءت فى معرض الرد على ما قاله الغزالي فى موضوع السببية . لذا فان قول الاستاذ « اما ابن رشد فلم يخرج ابدا عن هذا المنطق السليم الخ .. » قول فيه نظر . والا فما قصد ابن رشد اذن من الرد على ابي حامد الا ان يكون قد لاحظ ما لا حظناه من تخلي ابي حامد الغزالي عن الاعتراف بوجود مبدا للسببية ينتظم الموجودات ؟

ان ابن رشد فى عبارته تلك يرد على الغزالي الذى حاول ان ينزع صفة الاحراق من النار بوصفها سببا فيه ، وذلك عندما يقول : «... ولكن هذا لا يوجب سلب النار صفة الاحراق ما دام باقيا لها اسم النار وحده .. » ، ثم يقول « .. والعقل ليس هو شيئا اكثر من ادراكه الموجودات أسبابها ، وبه يفترق عن سائر القوى المدركة ، فمن رفع الاسباب فقد رفع العقل .. » ، لماذا يقول لنا ابن رشد هذا الكلام اذا لم يكن قد فهم — كما فهمنا نحن :

ا — ان الغزالي يوهن من قيمة الاسباب والمسببات ؛

ب — وان فى ذلك خطرا يهدد التفكير العقلي السليم نفسه ، وبالتالي يبطل العلم . اليست هذه هي النتيجة عينها التى انتهى اليها مقالنا موضوع النقد ؟.

اما قول ان رشد ان الموجودات غير مكتفية بانفسها فى هذا الفعل الخ .. فامر يسلم به جميع المسلمين ولا جدال فيه .

نحن نؤمن جميعا بأن الله تعالى قد خلق كل شيء على هيئة مخصوصة ونظام مخصوص وعلائق مخصوصة مطردة ، وانه خلق العقل الانساني الذى يدرك الكليات الضرورية ، كما يدرك الممكنات والمستحيلات ،؛ خلق سبحانه كل ذلك على النحو الذى نعهده ، ونحن نؤمن ايضا بمضمون الآية الكريمة « ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد ، وما ذلك على الله بعزيز) .

ومعنى ذلك ان فى مقدوره تعالى ان يجعل النبات احمر والتراب اخضر ، وان يجعل الاجسام ترتفع فى العلا عوض ان تسقط فى الارض الخ.. ولكنه سبحانه قد اراد غير هذا ، اراد قوانين الطبيعة على نحو ءاخر غير هذا الذى تخيلناه. فكانت القوانين كما كشف عنها العقل البشري ، وكما اطردت منذ البداية ، وكما ستطرد ما دام الوجود الطبيعي والعقل الانساني على حالتهما الراهنة كما اراد الخالق لهما ان يكونا .

3 — لهذا ، فلا ضرورة للخوض فى موضوع ما هو بديهي دون تجربة وبين ما (كان يمكن ان يكون على نحو ءاخر) ؟

فان الجدل فى هذا الموضوع قد يدفع بنا الى ان نطرح السؤال التالي :

هل كان الله تعالى فاعلا مختارا عندما خلق العقل البشري ؟ واذا كان الجواب بنعم فان سؤالا يتولد : هل كان بمقدوره سبحانه ان يجعل للعقل قوانين اخرى غير التى يتميز بها حاليا ؟..

وسنصل الى نتيجة اخيرة هي ان ما نعتبره بديهيا ليس الا نتيجة تكويننا العقلي الذى اراده الخالق على نحو دون ءاخر .

واذا كان الجدل سيجرنا الى ان نتهم بالتشكيك فى القيمة المطلقة للعقل البشري ، فما اشبه هذا بما قلناه عن ابي حامد عندما توصلنا الى ان موقفه من مبدا السببية يجر الى ابطال قيام علم طبيعي ذي قوانين كلية ثابتة .

4 — واخيرا نقول ان الذى يؤمن بأن الله خالق كل شيء ، لا يمكن ان يعتبر صفات الاشياء وخصائصها

وعلاقاتها صفات وخصائص وعلاقات ذاتية ، لان سلسلة العلل والمعلولات لابد ان تكون لها نهاية .
ولست اتفق في شيء مع الاستاذ الفاضل اكثر من اتفاقنا حول عبارته التي يقول فيها : « والاشياء ما كانت متمايزة الا بخواصها وطبائعها ، فاذا عدم الشيء خواصه وصفاته المميزة لم يكن هو هو .. »، وقوله « .. ولو كانت الشرائع السماوية تنكر الاسباب والمسببات لبطل التكليف ولقعد الانسان عن السعي الخ .. »

لذا استسمح الاستاذ الكريم في لفت نظره السديد الى احوال عالمنا الاسلامي ، الذي غرق قرونا طويلة في ليل بهيم من التواكل والسلبية والخذلان، والذي لا زال يعاني الى الآن من ءاثار هذا الموقف العقيم ، بينما حقق الآخرون ما كان اولى بنا نحن ان نحققه ، لو استمرت انطلاقتنا الاسلامية الاولى انطلاقة متفائلة بناءة واقعية متجهة نحو المستقبل .

افلا يرى الاستاذ ان للتركيز على افكار من مثل قابلية كل شيء للتغير ، وعدم الضرورة العقلية في انتظام الاشياء ، ضلعا في هذا الواقع الذي لا يزال عالمنا الاسلامي يعاني منه ؟

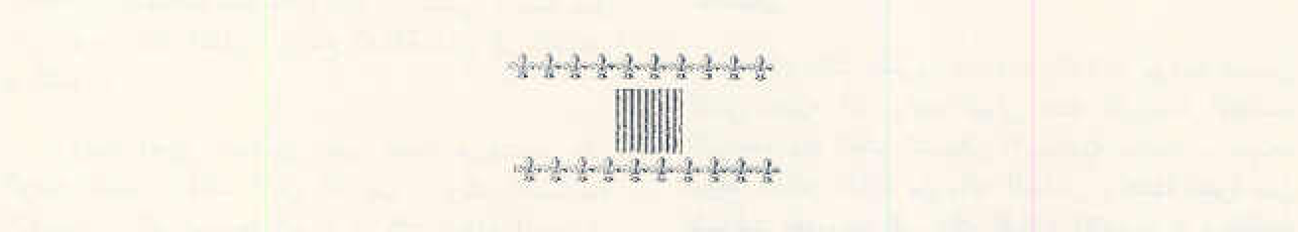
وبعد :

فقد نقل لنا الاستاذ الفاضل حفظه الله ما نقل من فصول كتاب (قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرءان) ، صيانة لشباب المسلمين من أن يسيئوا الظن بالغزالي فيسري سوء ظنهم الى دين الاسلام نفسه ، ولم يفعل ذلك دفاعا عن ابي حامد .

واني لم انته الى ما انتهيت اليه عند بحث موضوع نظرية المعرفة عند الغزالي وعند ردي على اعتراضات الاستاذ الفاضل الا اسفا على ما اصاب الموقف الذهني العام عند المسلمين ، نتيجة انتشار التشكيك في قيمة العقل البشري في الوصول الى قوانين ثابتة مطردة ، وذلك عن طريق الاعتراض غير الوجيه بالارادة الالهية التي تستطيع تغيير كل شيء، فان ذلك في نظري قد ادى الى تخلف المسلمين ؛ وبالتالي الى تحميل ديننا الحنيف تبعة هذا التخلف.

فاذا كان هدفنا جميعا هو رفع هذه التهمة عن الاسلام ، فلا مجال للخلاف ، وشكرا للشيخ الفاضل على سعة صدره .

الرباط ــ محمد صالح الزعيمي



وأذّن في الناس بالحج...

أحاسيس الحجاج الذين وقفوا بعرفات هذه السنة...

تهفو قلوب المسلمين في جميع الاقطار الاسلامية الى بيت الله الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا ، تلتقي فيه شخصيات اسلامية كبيرة ، جاءت من آفاق شتى تشهد موسم الخير ، وتشارك في ذلك التجمع الاسلامي الكبير ، الذي يجسد حقيقة الوحدة الروحية القوية بين ابناء العالم الاسلامي الذين يدينون بعقيدة التوحيد ، ويرفعون راية الاسلام ، فيتوجهون الى تلك البقاع المقدسة الطاهرة ، وينسلون اليها من كل حدب وصوب ، ليشهدوا منافع لهم ، ويقضوا تفثهم ، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ، فتجتمع لذلك مآت الآلاف ، من المسلمين في صعيد واحد يشكون لله ، ويضرعون اليه ، ويلوذون به ، ويدعون ويلبون بلغات مختلفة ، ولهجات متباينة وعبارات شتى ، مما يدل على روعة ذلك المقام ، وابلغ الدلالة على اثر الاسلام في القلوب ...

ومما يعين المسلمين على تادية فريضتهم على الوجه الاكمل ، ذلك الامن الشامل ، وتلك الطمأنينة النفسية ، التي يجدها الحاج في تلك البقاع المقدسة ، فلا مخافة من شيء ، ولا ترويع لنفس ، ولا ازعاج ولا قلق .

*

وقد بذلت الحكومة السعودية عناية كبرى ، وجهودا بالغة في موسم الحج الاكبر لهذا العام فأمنت السبل ، وعبدت الطرق ، ونظمت المرور واعدت ما يحتاج اليه الحجاج في المرافق ، واسباب الراحة والطمانينة .. بل ان الامراء انفسهم يتولون أمر هذا التنظيم في الطرق بين منى وعرفات ، وبين عرفات والمزدلفة ، وبين المزدلفة ومنى ، وبين منى ومكة المكرمة ...

وينتهز المسلمون القادمون من كل فج عميق ، الذين تضمهم رحاب مكة وجنبات يثرب ، هذه الفرصة السانحة الكريمة للتعارف المتين وتوكيد الصلات ، وتوثيق العرى ، والتشاور فيما يهم المسلمين في حاضرهم ومستقبلهم .. اذ المسلمون اليوم في أمس الحاجة الى هذا الاتصال المنتج، والتعاون الصادق بين ذوي الفكرة الصائبة ، والراي الصحيح من حجاج المسلمين .

وان ملك المغرب صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده ليولي هذه الفريضة المقدسة التي تعد من اعظم الشعائر الاسلامية عنايته ورعايته، فيوفد حفظه الله ، من ماله الخاص ، **عددا كبيرا ممن تشوقت نفوسهم الى تلك البقاع المقدسة ، وتطلعت** أرواحهم لزيارة قبر الرسول عليه السلام ، كما يبعث حفظه الله وفدا رسميا لتمثيل جلالته في كل سنة بتلك الديار ، ومن المعلوم ان الوفد الرسمي الذي توجه هذه السنة الى الحج كان برئاسة معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ السيد الحاج أحمد بركاش.

وقد استقبل مولانا صاحب الجلالة كما هو معلوم اعضاء الوفد الرسمي عشية يوم

الثلاثاء 10 — 2 — 1970 بالديوان الملكي بمحضر السيد ادريس السلاوي المدير العام للديوان الملكي والدكتور السيد احمد العراقي الوزير الاول ، حيث زودهم حفظه الله بتوجيهاته السامية ونصائحه الغالية ودعا لهم بحسن التوفيق والقبول من الله عز وجل والقى امامهم حفظه الله خطابا قيما ساميا جاء فيه :

انكم ستذهبون الى البقاع المقدسة نيابة عنا وانكم ستمثلوننا لدى جميع المسلمين الذين قصدوا تلك البقاع المقدسة ليعطوا لفريضة الحج معناها ومدلولها الحقيقي ، الا هو التجمع الاسلامي سنويا حتى يتعارف المسلمون بينهم وحتى تشتد بينهم الاخوة وتتوثق بينهم روابط الصلة .

وان وجودكم بمكة المكرمة وبالمملكة العربية السعودية الشقيقة فى هذه الظروف وفى هذا التاريخ ليكتسي بالنسبة لنا معنى خاصا .. الا وانه فى شهر مارس سوف يعقد مؤتمر وزراء الخارجية الذي كان قرره مؤتمر القمة لملوك ورؤساء الدول الاسلامية ذلك المؤتمر الذي له مهام كثيرة .

ومن أهمها احداث كتابة دائمة او امانة دائمة لرابطة الدول الاسلامية ، فنوصيكم معالي خديمنا الحاج احمد أن تؤكدوا الى جلالة الملك فيصل اخينا استعدادنا الكامل والمستمر على اتباع السياسة الاسلامية التي خطها مؤتمر القمة الاسلامي ونرجو منكم جميعا أن تكونوا سفراء للمغرب سفراء لجميع اخوانكم الذين تركتموهم هنا .

كما نأمركم ان تطلعوا جماعات وافرادا على احوال المغاربة ورعايانا الموجودين فى تلك البقاع من الناحية الصحية ومن الناحية المادية حتى يكون حجهم حجا مبرورا وحجا آمنا مطمئنا من الناحية المادية .

كما نرجوكم ان لا تنسونا فى دعائكم فى عرفات وان تدعوا لهذا الشعب ولهذه الامة وان تدعوا لها باستمرار تعلقها وتضامنها وتمسكها بالقيم الروحية وبالقيم الدينية وان تبقى دائما سائرة فى طريق الفضيلة وفى طريق الاتزان وفى طريق الميز بين الخبيث والطيب والصالح والطالح .

ودعاؤنا لكم بالسفر الميمون والعود الميمون وأرجو لكم حجا مبرورا وسعيا مشكورا والسلام عليكم ورحمة الله ..

وقد كلف مولانا صاحب الجلالة رئيس الوفد المغربي لحجاج هذه السنة بمهمة لدى اخيه صاحب الجلالة الملك فيصل بأن حمله رسالة ملكية سامية فى شأن العلاقات الاخوية التي تربط بين جلالة الملك الحسن الثاني وجلالة الملك فيصل وشؤون العالم الاسلامي ، وما يهم المسلمين بوجه عام .. وقد أجرى معالي الوزير عدة اتصالات مع بقية الوفود والسفراء للدول الشقيقة ، وخاصة مع اخواننا المغاربة المقيمين هناك حيث تناولت المقابلات المسائل ذات المصالح المشتركة ..

كما التقى مندوب « الاخبار » برئيس الوفد المغربي لهذه السنة حيث تفضل سيادته فأدلى بهذا الحديث :

انني لمست بكل فخر الجهود الكريمة التي بذلتها حكومة الملك فيصل المعظم لخدمة الحجاج ، وانني زرت المملكة عدة مرات وأديت فريضة الحج ، ولكنني أجد هذه المرة تحسينات عديدة تشكر عليها حكومة الفيصل المعظم ، ولا يسعنا نحن المسلمين الا أن ندعو الله سبحانه وتعالى أن يديم جلالته ذخرا للاسلام والمسلمين .

واود أن قول بأن الحجاج جاءوا من مختلف البلاد بلهجات عديدة وأجناس مختلفة ، ومع هذا فان النظام متوفر والخدمة يستطيع أي حاج أن يلمسها بنفسه .. واني أشكر كل القائمين على خدمة الحجيج، وان كل الخدمات المطلوبة تقدم فى آن واحد لمليون شخص من الحجاج وهو أمر يعجز عن تحقيقه لا محالة كل بلد آخر مهما بلغ مستواه الحضاري لكن ذلك يعد بحق معجزة الاسلام وعظمته التي تجلت فى أبهى مظاهرها واقدسها ... كما تحدث معاليه عن مؤتمر التضامن الاسلامي الذي عقد فى الرباط لوحدة المسلمين فقال :

ان الملك فيصل ، وأخاه الملك الحسن الثاني هما اللذان نظما المؤتمر الاسلامي الاول وقد بذلا جهودا مشكورة حتى يعقد المؤتمر وحتى ينجح ..

وان جلالة الملك فيصل دائما وأبدا يحمل راية الدعوة لتوحيد صفوف المسلمين وجمع كلمتهم ولا شك فى ان التعاون الاخوي سيعود على الامة الاسلامية بالخير والسؤدد والتقدم .

ثم قال معاليه : **لقد كان لي الشرف بأن حظيت بمقابلة جلالة الملك فيصل فى جو سادته روح المحبة الصادقة والاخلاص المتبادل لما يربط بين جلالة الملك الحسن الثاني وجلالته من علاقات طيبة عريقة وقد**

سلمت بهذه المناسبة رسالة خاصة من جلالة الملك الحسن الى اخيه جلالة الملك فيصل بشان هــذه العلاقات الاخوية وشؤون العالم الاسلامي وما يهم المسلمين بوجه عام .

ثم تخلص معالي وزير الاوقاف والشــؤون الاسلامية المغربي للحديث عن الروابط المتينة التي تجمع بين المسلمين فلاحظ **ان التضامن الاسلامي يعد الرابط الاساسي لنصرة الاسلام مستدلا بقوله تعالى : « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم »** وبقوله جل وعلا : **ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم** مشيرا الى انه لولا التفرقة والعصيان لاوامر الله لما حلت بالعرب والمسلمين اي نكبة ، ودعا الى الرجوع الى الله حتى نستمد من ايماننا القوة اللازمة للذود عن حرمة الارض المقدسة ..

عدد واجناس الحجاج الوافدين هذا العام الى الديار المقدسة لاداء فريضة الحج

وبالمناسبة فقد اصدرت « مطابع الثقافة » نشرة خاصة باجناس واعداد الحجاج الذين ادوا فريضة الحج هذا العام من مختلف انحاء العالم ، ووقفــوا بعرفات يوم الاحد التاسع من ذي الحجة 1389 الموافق 15 فبراير عام 1970 من خارج المملكة العربية السعودية ، ويتبين من هذه النشرة نسبة الحجاج الذين وفدوا الى مكة من انحاء العالم والذين بلــغ عددهم هذه السنة نحو مليون من الحجاج .

الحجاج القادمون من البلاد العربيــة

البلد	العدد
سوريا	22383
مصر	10875
العراق	10880
السودان	20495
ليبيا	13547
الجزائر	8735
الاردن	6376
عمان	609
الجنوب العربي	10310
الشارقة وام القوين	44
ابو ظبي	1826
المملكة المغربية	10943
فلسطين	496
الكويت	6935
لبنان	4570
اليمن	54658
تونس	2016
قطر	1131
البحرين	1940
راس الخيمة	37
العجمان والفجيرة	42
دبي	207

مجموع الحجاج القادمين من البلاد العربية 202942

— ♦ —

الحجاج القادمون من دول آسيا

البلد	العدد
تركيا	56578
ايران	15132
الهند	16057
باكستان	28535
اندونيسيا	10615
افغانستان	9121
ماليزيا	8353
تايلند	4263
سيلان	472
نيبال	94
كمبوديا	80
فيتنام الجنوبية	1
الصين الوطنية	8
سنغفورة	391
فلبين	1765
دول اسيوية اخرى	328

مجموع الحجاج القادمين من دول آسيا 151.897

— ♦ —

الحجاج القادمون من دول افريقيا

نيجريا	24185
السنغال	2097
النيجر	2810
الحبشة	2349
مالي	998
فولتا العليا	630
موريتانيا	416
الكمرون	1244
اوغندا	408
تنزانيا	309
كينيا	333
داهومي	356
ليبريا	126
زامبيا	379
تشاد	4271
غينيا	1786
الصومال	1457
جنوب افريقيا	1426
غانا	518
توجو	94
جنوب وسط افريقيا	58
ساحل العاج	683
سيراليون	284
جزيرة موريس	59
مالا قاسي	20
الكونغو كنشاسا	7
دول افريقية اخرى	137

مجموع الحجاج القادمين من دول افريقيا 47.644

— ◆ —

الحجاج القادمون من أوروبا وامريكا

بريطانيا	696
اليونان	147
يوغسلافيا	1517
فرنسا	341
البرتغال	45
الدول الامريكية	52
دول اوربية مختلفة	38
دول اخرى	970

مجموع الحجاج القادمين من اوربا وامريكا 3812

— ◆ —

تفصيلات عن الحجاج القادمين فى حج عام 1389

القادمون برا	170.331
القادمون جوا	144.972
القادمون بحرا	90.992
ذكور	274.066
اناث	132.229

المجموع الكلي لعام 1389 ..... 406.295

مجموع حجاج عام 1388 ..... 374.784

الزيادة عام 1389 = 31.511

— ◆ —

تطورات عدد الحجاج خلال عشر سنوات

مجموع حجاج عام 1379	253.369
مجموع حجاج عام 1380	285.948
مجموع حجاج عام 1381	216.455
مجموع حجاج عام 1382	199.038
مجموع حجاج عام 1383	266.555
مجموع حجاج عام 1384	283.319
مجموع حجاج عام 1385	294.118
مجموع حجاج عام 1386	316.226
مجموع حجاج عام 1387	318.507
مجموع حجاج عام 1388	374.784

سبحات في أجواء الرسول

للشاعر عمر بهاء الدين الأميري

الاستاذ عمر بهاء الدين الاميري ، شاعر انساني وجداني معطاء ، له دواوين كثيرة ، اخر ما اخرجه منها « الوان طيف » وقد ضم فنونا من شعره الرفيع . على انه قد عرف خاصة بتألقه في شعره الالهي السامي ، الذي يكاد يكون نسيج وحده ، في الادب العربي ، وقد أصدر منه ديوانه الاول « مع الله » وكانت « دعوة الحق » نشرت بعض قصائده ، في اعداد ماضية . وان له منه ديوانين آخرين، لم يطبعا بعد : « اشراق » و « قلب ورب » .

في هذا العدد النبوي من « دعوة الحق » قصيدتان من روائع « اشراق » : « في محراب الرسول» و « صراط الخلود » ــ التي لم يسبق نشرها ــ وقد خصنا بها ... الاميري ، مشكورا .

تنطلق القصيدتان ، من أجواء الرحاب النبوية المطهرة ، في فترتين زمنيتين مختلفتين : فقد انبحث للشاعر سبحات مطمئنة في الروضة النبوية الغراء ، خلال رمضان ، بعيدا عن زحام الحج ؛ فكان يسمو بروحه ، وهو يصلي مثالها في « المحراب » يسبق اليه الناس ، ولا تحجزه عنه الحشود ، حتى نشأت بينهما عاطفة من الهيام العلوي ، وثمة نظم قصيدته « في محراب الرسول » ... وسافر الشاعر شهورا ثلاثة ، وتلك العاطفة تعتلج في قلبه ، وقضى حجه ، ثم عاد زائرا ، وكله شوق وحنين الى المحراب النبوي وتجليات صلاته فيه ! وهرع اليه ، ولكنه لم يستطع الوصول هذه المرة ، لتحاشد الحجيج عليه ، فكان يتحرى ان يقف في صلاته حياله ولو من بعيد ... وهكذا نظم القصيدة الثانية « صراط الخلود » :

في محراب الرسول

تأله قلبي ، لما سجدت ... اهيم بمحراب خير الأنام

وفي اعيني من سنا الله برق ... يحس ، ولكنه لا يشام

تحف بروحي عوالم ولهى ... كأني بها كونت من سلام

اغيب كمن نام في نشوة ... ونفني عيون هوى لا تنام

واشعر ان كياني تمدد ... حتى تخطى الدنى والحطام

اقول سموت ؟ ! وفوق السمو ! ... اقول تمطت ؛ ! وما من مدام

اقول اتويت ؟ ! اجل ؛ لا ولا ... وكيف ارتويت وكلي اوام ؟!

الا انها نعميات التجلي ... هيام سجود ، بفوق الهيام

فسبحانك الله ، ملء الوجود ... وملء السجود ، وملء القيام

المدينة المنورة 26 من رمضان 1384

ديوان المجلة



انا عربي ، ففى مهجتي   دماء الفدى وصدى الثورة
ساسعى الى الشام القى على   ربى القدس — فى لهفة — اخوتي
من الغرب ، من سفح اطلسنا   سامضي ، فاني على اهبة
سامضي اليهم ، نعم انني   حزمت على كاهلي عدتي
ساحمل من تربنا حفنة   يذكرني شمها تربتي
فلن ارجع العام او بعده   وكيف ؟ وقد بعتهم مهجتي
هناك سارقد فى مضجعي   على ارضنا ، انها بلدتي
اموت لادفن فى تربها   « فلسطين » ملكي بلا مرية
بلادي ، تراثي ، فلي ارضها   وللعرب ، انهمو امتي
ببيسان او عسقلان اخي   احب الممات او الرملة
وغزة والاردن المشتهى   وسيناء صحراءها وجهتي
ويافا وتل ابيب وما   حواليهما ، كلها رغبتي
ومولد عيسى واخوانه   بمنطلق الوحي والملة
ومسرى لاحمد قد جاءه   وفى ركبه موكب الرحمة
بلاد العمومة اقضي بها   فارقد ان لم أنل منيتي
احج الى قدسها ماشيا   لاركع فى مسجد الصخرة
والثم ارضا دعا فوقها   وصلى بها عادل الامة
بقاع من الطهر محبوبة   لها — كالحجاز — سنا الحرمة

وارض النبوءة قد دنست … بشؤم القرود ذوي اللعنة
باقدامهم أحرقت ، فالثرى … لهيب تضرم فى وقدة
وفى جو ءافاقها قد علا … دخان تراكم من نقمة

* * *

فهيا رفيقي الى اخوة … دعوني تعال الى الجنة !
وهيا نحث الخطى ! لا تقل … تمهل ولكن على سرعة
فشوقي عظيم الى معشري … ساعدو سريعا بلا وقفة
اخاف اذا ابطات رحلتي … فوات الشهادة والعزة
ساعدو لادرك فى مسجد … هناك ـ قبيل الردى ـ ركعتي
وادرك من بعدها غارة … سادخل منها الى غرفتي
فالقى بها الحور فى فرحة … وارتع فى الخلد فى روضتي
ففى القدس فى شامه كله … مفاتيح قصري فى الجنة
فاسرع معي انني ذاهب … وسر يا رفيقي على خطوتي
سنلقى هناك ـ لنا ـ اخوة … واهلا ، ونظفر بالبغية
ونحمل فى صفهم ـ مثلهم ـ … بنادق تنطق بالحكمة
نقاتل ابليس فى كهفه … ونقذف جنده فى حفرة
وتنزع منهم مفاتيحنا … فاسرع وعجل الى الجبهة
الى جنة الخلد فى غبطة … وان لم نمت فالى الرفعة
الى كل شبر بارض الهدى … نسير عليه بلا كلفة
فلسطين منا ونحن لها … سأمضي سريعا الى قبلتي

الرباط : المدني الحمراوي



الحب العفيف :

الحب هيج تذكاري واشجاني ... وطيف من انا اهوى بات يرعاني
فمذ رءاه خيالي طار من فرح ... وصار يهتز من وقع لالحاني
مرحى بزورته فى فرصة سنحت ! ... انى لايضاح ما بالوهم غشاني
يا طيف حل صميما من حشاشة من ... امسى رهينا لاشواق واحزان
اني عجبت لروح قسمت وثوت ... من بين جسمين رغم البعد والآن
فالحب فى القلب كالنيران مضطرم ... والوجد اوحشني ، والعشق اصماني
من لي بنظرة من اهوى فتبرئني ... من السقام الذى بالهم اضناني ؟
كيف السبيل اليها، والجهود وهت؟ ... اني فداها باخلاصي وايماني
عيناي شاقهما طيف السهاد ، وقد ... ظل النعاس شريدا دون اتيان
لا السهد يذهب ءالاما مبرحة ... ولا الجنان يناس ظبية البان
الحاظها سددت سهما الى فكري ... فلضت صبا آقاسي حر ظمآن
رشاقة القد منها سببت وهني ... وعلمتني بحق درس اذعان
سكبت من أجلها دمعا يترجم ما ... في القلب من وخزات دون تبيان
وثغرها عقد اسنان منضدة ... مثل الجواهر ، من در ومرجان
وريقها سلسل ، طعم السلاف حكى ... رشفته بفؤادي اذ تحداني
وشعرها فاحم ، كالليل فى ظلم ... وطرفها ادعج من سحر اجفان
غيداء سمراء فيها اللطف مجتمع ... حسناء حازت سباقا بين غزلان
شاءت عذابي ، فما احلاه ان رضيت ... عني بزورتها من بعد هجراني

من قبلها لم اذق طعم الهوى ابـــدا ... حتى بدت شمسها من فوق وجداني
من قبل كنت الوم العاشقين سدى ... وها انا الآن فى تعضيدهم متفان
غزالتي فاقت الغزلان فى شيـم ... وفى عفاف واقدام واحسان
لم تلهني عن سناها انجم بزغت ... ولا انجذاب لافراحي وسلواني
اتت ولم توجد الاكوان قاطبـة ... ونورها ساطع فى وجه ازمان
ارادها الله ابداعا بلا شبـه ... فاحرزت من فؤادي كل رضوان
اذا اجتباها الهي عند حضرته ، ... وخصها بالمعالي دون اقران ،
غدت صبابة ارباب الهوى عبـرا ... تابى مدى الدهر اخلادا لخذلان
جمالها لم تزل فى اللب صورته ... لرفعة وبقاء خير عنوان !
اعني بها احمد الماحي غوايتنـا ... المصطفى الهاشمي العالي الشان

مولـده ومهمتـه :

بدت لدى حالك الاشراك طلعته ... تزيح ظلمة ارهاق وبهتان
وشع فجر التهاني عند مولده ... والعرش هز بتبشير وتحنان
ودور جنات عدن بالمنى ضحكت ... ربوعها بين اتراب وولدان
ترحب الارض ، والاجوا ، بمقدمه ، ... زهت به دوحة من مجد عدنان
لحن الملائك سار فى السماء ، وقد ... شعت بشائر توفيق باذهان
نما تقيا طهورا حاذقا فطنا ... منذ الولادة فى روح وجثمان
اتى وقد عمم الطاعون سطوتهم ... وحكموا السيف من ظلم وطغيان
اتى لقوم جفاة فى طبائعهم ... تجاوزوا الحد فى غي كعميان
اتى لمن عبدوا الاصنام من حجر ... وحاربوا الرب فى تاليه صلبان
اتى لرفع لواء الحق من ضعة ... رغم التدهور ، رغم الكافر الجاني
اتى لتفريق شمل الفائرين على ... حق الضعيف ، بتثبيت لبرهان
اتى لقطع جذور الجهل فى بلد ... اودى به شر احقاد واضغان
اتى لغزو هواة العنف ، فى وسط ... بكل ما يفسد الآداب ملآن
اتى لتقويم ارواح بها عوج ... وكي يعيد سنا علم وعرفان
اتى لتزدهر الدنيا بشرعته ... وكي تسود بتعميم لعمران
اتى لبعث شعوب من ردى شبه ... وكي يقيم بعدل اس بنيان
اتى لنشر اخاء بين من مكثوا ... مثل الذئاب التى ازرت بخرفان
اتى لتنظيمهم من بعد فرقتهم ... حتى يرى فيهم تهذيب اخوان

اتى لتثبيط اعمال الذين عتوا ... وقتلوا الناس من جور وسلطان
اتى لاحباط كيد الساهرين على ... بذر الفتون بأقطار وبلدان
اتى لتغذية الارواح من حكم ، ... والروح ان حييت قامت بأبدان

تربيته ورسالته :

ابوه لما قضى ، فى البطن خلفه ... فكان موعظة فى يتم صبيان
اضحى فريدا بلا ام تحيط به ... حنانها ، مثل اطفال وغلمان
لكنه لم يزل بالله معتصما ، ... لم يرض قط بارضاء لشيطان
نما عفيفا صبورا ، لا تزعزعه ... عما يؤمله احلاك عصيان
لم يتبع القوم فى اهوائهم ابدا ... فما انحنى عند اصنام واوثان
ما انفك ينهاهم دوما ويرشدهم ... ويستدر لهم احسان رحمان
ومال حينا الى التفكير معتبرا ... بما يراه مفيدا ضمن اكوان
وقلب الطرف فى ابداع صنعتها ... وصار يرثي الى انسانها الفاني
فعاد يقرأ درسا يستعين به ... على ازالة اوهام وادران
فبينما كان فى التفكير منغمسا ... وقلبه سائح فى صنع ديان،
اتاه جبريل فى الغار المهيب ، ضحى ... وضمه ، ثم قال : اهنا برضوان
أبشر فانك خير الرسل اجمعهم ... وانت ناسخ تشعيب لاديان
فاقرأ فديتك باسم الله مبتدئا ... فانت اشرف مبعوث وانسان

قيامه بالدعوة وثباته :

فما ونى واستساغ النوم من مرح ... او استكان لاحلام ونسيان
بل جاء بالملة السمحاء مرتسما ... نهج الصواب بلا غش وكتمان
يكفيه اخبار اجيال مبشرة ... ببعثه قبل عيسى او سليمان
وصدقه بهر الاعداء واحتكمت ... صفاته بقلوب رشدها دان
ان الذى كان يرعى الشاء فى صغر ... قاد الممالك من فرس وروميان
ان الذى سامه الاوباش قهرهمو ... ساس القبائل من بكر ونجران
ان اليتيم الذي قد مات والده ... حاز المكارم فى اعمار صبيان
لولا عناية رب العالمين به ... ما كان يفلح فى تسكين غضبان
لو رعاية رب الكائنات له ... لم يرج منه هدى جن وانسان
وصوته رن فى الاقوام ، وارتعدت ... له فرائصهم من وقر ءاذان

لم يأخذ العلم عن أستاذ مدرسة ... لكن تعلمه بالقطع رباني
اخلاقه عظة الاجيال ، يبهرها ... سلوكه ، فهو فيض النور روحاني
فمن معارفه العرفان منبجس ... ومن لباقته احكام لقمان
اعطاه خالقه سحر البيان، وما ... يعزه ابدا فى وحي قرءان
لم يستطع من لهم فى القول مقدرة ... ان ينعتوه بتحريف ونقصان
واظهر العجز اولوا السبق فى حكم ... فما حكوه بتنسيق واتقان
لما دعاهم الى الاسلام ، قد سخرت ... منه جماعة احباب واخدان
كانما الناس فيما هم به فتنوا ... عمي وصم واموات باكفان
وعذبوه باصناف النكال ، فلم ... تفد اساءتهم فى هدم ايوان
وهددوه باعدام فما نجحوا ، ... فاقت شجاعته اقدام شجعان
يقابل الشر بالاحسان محتسبا ... لله فى هدي اصحاب وجيران
ويدفع الضيق بالترحيب ، معتقدا ... ان الثبات غدا نصرا لاعيان
وجاهر الخلق بالتبليغ منفردا ... بدينه غير هياب ولا وان
وقاوم الظلم بالايمان ، معتمدا ... على الاله لدى ارشاد حيران
وضاعف الجهد فى تعليم شرعته ... فلم تذق عينه اغفاء كسلان
وسار دون فتور نحو غايته ... فشاد صرحا على احكام اركان
حتى درى ملة الاسلام جاهلها ... وعاد يطلب سعدا بعد خسران
والكون ينضو قيود الكفر منتبها ... من سكرة ءالمت احشاء ولهان
تمكنت هذه البشرى ، فما وهنت ... فى ارض افريقيا، فى صقع سودان
وعززتها نفوس بالثبات على ... افكارها ، بين من من اسوا ببلقان
لا الترك تجحد ءايات مبينة ... كذاك من سكنوا فى قطر افغان
وقد تجلت على القوقاز طلعتها ... كذاك سيبيريا او قطر ايران
لا الصين ، لا الهند ينسى من يعلمها ... وليس يكفر اقوام الباكستان
ان الارادة ان كانت مصممة ... على الوصول ، فما توقيت ازمان ؟!
ان اليقين اذا صحت قواعده ... ثارت على الشك منها نار بركان
والله شاء ذيوعا للسلام ، وما ... ابدت ارادته فى حكم فرقان

ءاثاره :

نبينا لم يكن كلا على احد ، ... بل جاء يهدي ذوي ملك وتيجان
نبينا ملك الارواح ، وارتكزت ... انواره بحنايا كل يقظان

شتان ما بين ذي خير ومكرمة / وبين ذي بخل فى هدي فتيان
نبينا لم ينؤ بالعبء ، رغم اذى / قوم اذاقوه كيدا فوق امكان
نبينا منبع الاخلاص ، ليس به / شوب ، ولم يك للمولى بخوان
نبينا مثل الشهم الذى ظهرت / منه الشجاعة فى تحرير اوطان

الذكري الخالدة لمنقذ البشرية الاعظم :

مرت ستون كأيام معددة / تجري وتمضي سراعا دون حسبان
وذكريات ذوي الاصلاح باقية ، / والله يحفظها من ضيم حدثان
فيا رسول الهدى جازاك خالقنا / بافضل الاجر ، عن توثيق بنيان
فانت اكرم من تلفى بساحته / كل المحامد من جود واحسان
علت شمائلك المثلى ، وحزت بها / فخرا مدى الدهر، فى احقاب أزمان
انت الصبور لدى خطب وحادثة / وانت سيد ابطال بميدان
ابنت للبشر الكبرى مساوئهم / كيف التخلص من كفر وعدوان
اطفأت من حوض ارشاد ومعرفة / حرا تسعر فى احشاء لهفان
انجبت من بيتك المعمور قائدنا / فخر العروبة من ابناء قحطان
هو المليك الذى ما زال يدفعنا / بعزمه ، نحو ما نرجو ، بايمان
اقام فينا دعاما للنهوض وما / يحيي مشاعرنا من نور عرفان
يا رب عززه باستكمال نصرته / حتى تسود به اقطار عربان
واحفظ لنا (الحسن) المقدام رائدنا / وموقظ الهمة القعسا ، بشبان
واخته قبلة الانظار ، متعتها / زعيمة النهضة الكبرى لنسوان
وصل دوما على المختار ما سجعت / ورق الرياض على مياس افنان
والآل والصحب ما هبت وما نسمت / روائح العطر من زهر وريحان

الرباط ـ محمد بن محمد العلمي



جرري الذيل واخطري خيلاء   واطلعي فى سما الوجود ذكاء

وانفحي من شذى النبوة عطرا   يتزرى الخميلة الفنناء

ودعي العقل يستسغ غلل الحكمة عذبا ويتعده اشتهاء

وابعثي نفحة يصيخ لها النا   س استماعا وينحني اصغاء

يوم ميلاد احمد ضجت الاملا   ك فخرا والكائنات ازدهاء

واستطالت كثبان مكة تستطلع تلك الانوار والاضواء

ما بأذن الجوزاء الا حديث   رددته الحور اللدات غناء

فسلوا (فى اياد) قسا قطيب المجد بز الكتاب والخطباء

ليس ينسى صوت له ملأ الآفا   ق وعظا مباركا ونداء

وبحيرا .. انغام ناقوسه السمح   تعالى فتملأ الارجاء

كلما بث نغمة بعثت صوتا   بعيدا وارجعت اصداء

راهب يخطب البشائر فى الدنيا   ويملي آياتها املاء

بورك الهاشمي فى منكبيه   ختم الله آية عصماء

بورك الهاشمي .. فى وجنتيه   مدد النور لاقيا لألاء

..(وقبا).. من بنى به المسجد الاو   ل للناس كعبة غراء

وهو تاريخ امة اسس الاسلام   بنيانها فاعلى البناء

يوم قام النبي يدعو الى الله   ويهدي لدينه الجهلاء

ثقف الراي صادق القول والفعل يماشي الضعاف والفقراء

حاملا فى يمينه مشعل التو	حيد يجلو الضلالة العمياء

يتلقى حر الهواجر فى البيداء	هديا ويسلك الرمضاء

كلما جاوزته نكباء ملفاح	تلقى نظيرها نكباء

حافز العزم لا تضعضعه البيد ولا يشتكي بهن عياء

— ◆ —

واتم النبي دعوته الكبرى	ولف الابرار والخلصاء

وعلت نغمة المؤذن بالتو	حيد تنفي الانداد والشركاء

دولة قادها النبي فاعلى	فوقها الدين راية ولواء

غصت البيد الفطارفة الاقيا	ل تغزو الامصار والانحاء

اشرعوا السيف مرهفا ذا مضاء	للاعادي والصعدة السمراء

وانبروا نصرة لدين جديد	يضربون الاخصام والقرناء

كلما اشتدت الوغى اقبل الفار	س يلقى الكتيبة الشهباء

مسرع اللحظ مسرع الطعنة الاخطيف فى الصدر تنفذ الاحشاء

لن تجار الاصنام من غضبة السيف .. وانى تجد لها نصراء

هبل .. من رماه عن قمة البيت حطيما مجزءا اجزاء

وتسامت «الله اكبر» فى الآفا	ق تعلو لتستقل السماء

وسرت نغمة ترددها « عدن »	وتهفو لها صباح مساء

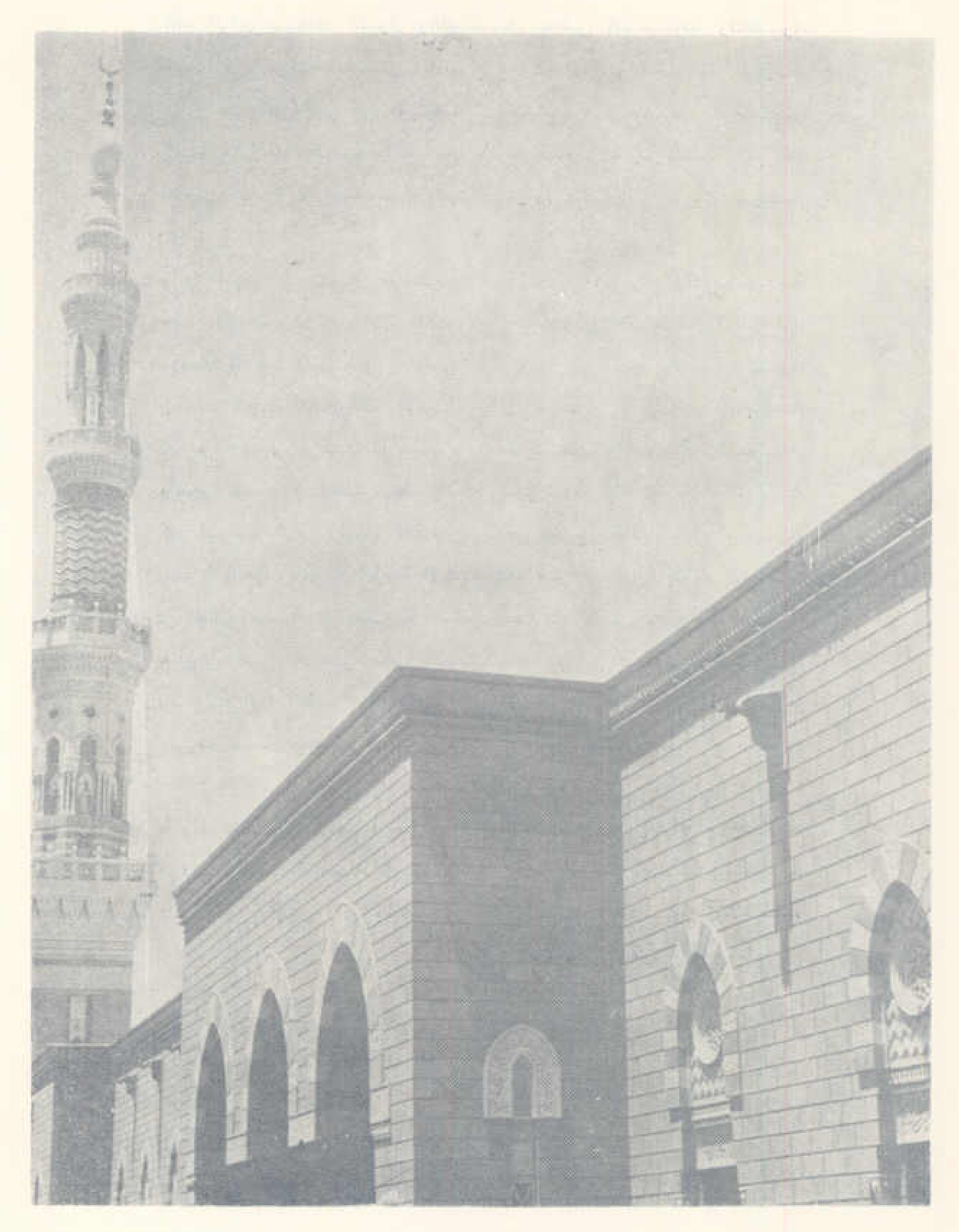
— ◆ —

يا رسول الاله يا رحمة الرحمن	لطفا بامة ووفاء

فرقتنا الاهواء بعد اجتماع	واثارت ما بيننا الشحناء

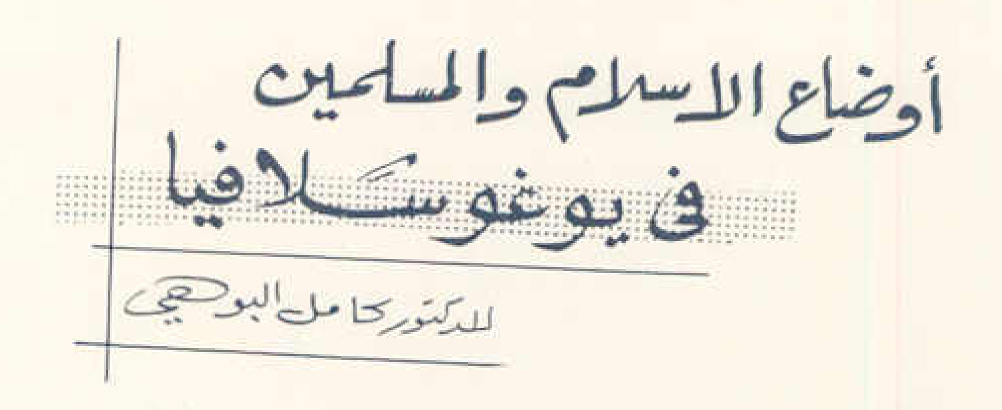
علمتنا معنى الضغائن والحقد	فبتنا الاخصام والاعداء

دمشق : معلى ابراهيم



احد مداخل الحرم النبوي الشريف في المدينة المنورة

المسلمون ...
في ديار وأقطار ..



كانت الشعوب التي تسمى الآن بالشعوب اليوغسلافية تعيش على شكل قبائل متفرقة منذ وفدت مهاجرة من الشمال الى شبه جزيرة البلقان في القرن السابع الميلادي . وقد عاشت هذه القبائل في ظل الدولة البيزنطية . واخذت تتصل بالعرب الفاتحين بحكم اتصال تلك الدول بهم ، وكثيرا ما كانت تتحالف مع العرب الذين يحملون دعوة الحرية للبشر ضد البيزنطيين الذين يفرضون العبودية على الناس، ويتحكمون في مصير تلك القبائل ..

وقد ورد ذكر هذه القبائل كثيرا في المراجع التاريخية العربية التي اطلقت عليهم اسم الصقالبة ، فيذكرهم « مروج الذهب » ، ويصفهم بالشجاعة والنجدة .

وصاحب « نفح الطيب » يذكر ان جماعة كبيرة منهم كانت في خدمة الخلفاء ، وكان الخلفاء يثقون فيهم كل الثقة ، ويذكر منهم جعفر بن محمد المصحفي الصقالبي ، كما يذكر المقريزي في « الخطط » ان الفاطميين ايضا قد استعانوا بهم ، ويرجح كثير من المؤرخين ان جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي ، وباني القاهرة والازهر الشريف من هؤلاء الصقالبة .

ويذكر المسعودي في تاريخه ان ام المستعين بالله العباسي كانت صقلبية ويسميها مخارق .

وقد استمر الاتصال بين العرب والصقالبة على مر القرون بعد ان استمر الصقالبة في شبه جزيرة البلقان ، وكونوا هناك عدة ممالك منها مملكة الصرب والكروات وغيرها ، وبعد ان توحدت بعض هذه الممالك باسم مملكة يوغسلافيا سنة 1929 ، انحدرت جميعها بعد الحرب العالمية الثانية باسم جمهورية يوغسلافيا سنة 1945 ..

والمسلمون الذين لم يفتحوا القسطنطينية في عصر الفتوحات الاسلامية الاولى . ليدخلوا الى اوروبا من بابها الشرقي ، دخلوها من بابها الغربي في الاندلس ، واسسوا هناك حضارة ما زال التاريخ يتحدث عنها وعن اثرها في الحضارة الاوروبية الحديثة .

اما في البلقان فقد كانت انوار الاسلام تنتشر عن طريق التجار وعن طريق انبهار الناس بهذه المبادىء الاسلامية الرفيعة قبل ان يدخلها المسلمون، ويفتحوا الباب الشرقي لاوروبا في القرن الثامن الهجري ، ولم ينته القرن التاسع (الخامس عشر الميلادي) حتى كان الاسلام قد انتشر في بلغاريا والبوسنة والهرسك والصرب والبانيا وغيرها ، ثم عبر نهر الطونة ودخل المجر ، وامتدت اضواؤه حتى غزت ابواب فيينا ..

وقد وصف الرحالة الشهير «اوليا جيلبى» (1) المسلمين فى البلقان فى عصره ، فذكر عند وصفه لمدينة «بلغراد» انه كان بها 217 مسجدا ، وثمانية مدارس ، وتسعة دور للحديث ، و 270 مكتبا لتعليم اللغة العربية وتحفيظ القرءان الكريم ..

هذا والاوقاف العديدة التى لا تزال حتى الآن فى انحاء البلاد اليوغسلافية تتحدث عن الحضارة الاسلامية فى القرون الستة الاخيرة ، منذ اوائل القرن الخامس عشر حتى اليوم ، ففي مدينة « سكوباية » (2) عاصمة جمهورية مقدونيا اليوغسلافية — كثير من المساجد والمدارس والمكتبات يرجع عهدها الى اوائل القرن الخامس عشر الميلادي ، وفى مدينة « بيتولي » — من مدن مقدونيا ايضا — وقفيات عديدة يرجع تاريخ بعضها الى القرن الخامس عشر وبعضها الآخر الى القرن السادس عشر .

اما فى مدينة **سراييفو** التى كانت تسمى فى العصر العثماني « سراي بوسنة » ، وفى مدينة «موستار» عاصمة منطقة الهرسك ، وفى غيرهما من المدن العديدة ، فى البوسنة والهرسك مثل مدينة توزله ، وبانيالوكا ، وترافنيك ، فان الطابع العام فيها طابع اسلامي خالص ، الآذن تطالعك عند اشرافك على المدينة من بعيد . « والسلام عليكم » تملا اذنيك وقلبك عند دخولك اية مدينة من تلك المدن . واسماء مصطفى — وعمر — وحسين — وفاطمة — وامينة — ولمياء .. تتردد فى كل بيت ومدرسة ، والكلمات العربية تشكل نسبة كبيرة من اللغة اليوغسلافية، وشهر رمضان له طابع خاص فى حياة الناس ، والاحتفالات بليلة القدر وعيد الفطر والاضحى ، والمناسبات الاسلامية تملا القلوب بالفرحة والجلال..

وقد برز من اليوغسلاف (3) خلال القرون الستة الاخيرة عدد كبير من علماء الاسلام كانوا يشغلون مناصب القضاء والافتاء والتدريس فى عدد من العواصم الاسلامية ومن اشهر هؤلاء العلماء .

محمد بن موسى البوسنوي الشهير بعلامك قاضي القضاة فى حلب . وقد خلف اكثر من عشرة كتب ما زالت كلها مخطوطة متفرقة فى مكتبات العالم الاسلامي ، فى دار الكتب المصرية ، وفى مكتبة الغازي خسرو بك فى سراييفو .. وفى مكتبة جامعة بلغراد وغيرها . واكثر هذه المؤلفات فى التفسير والبلاغة العربية والنحو العربي والمنطق ، وقد ترجم له المحبي (محمد امين) فى كتابه « نفحة الريحانه ورشحة طلاء الحانة » **وذكر** بروكلمان كثيرا من مؤلفاته العربية ، كما ذكرها ايضا حاجي خليفة فى كشف الظنون ، وقد عاش علامك فى نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر الهجري ..

ومنهم حسين باشا البلغرادي الذى كان بمدرسة السلطان سليم الاول بالقسطنطينية ، ثم تركها وعزم على الاقامة بالقاهرة وانشا بيتا متسعا مطلا على بركة الفيل جعله ناديا يستقبل فيه الواردين عليه ليتهالوا من فيض علمه ، وقد ترجم له صاحب « خلاصة الاثر فى اعيان القرن الحادي عشر » كما ترجم له المحبي فى نفحة الريحانة ، واثبت له قصيدة رائعة منها قوله :

تجود بافنان الذنوب جوارحي
وطرفي باقطار الندامة باخل

وقد توفى حسين باشا بالقاهرة فى رجب سنة 1023 هـ .

ومنهم عبد الله البوسنوي الذي الف احسن شرح حتى الآن لفصوص الحكم (4) حتى لقب بشارح الفصوص ، والذى الف اكثر من ستين مؤلفا ، بين مجلد ضخم فى التصوف ، ورسالة صغيرة فى

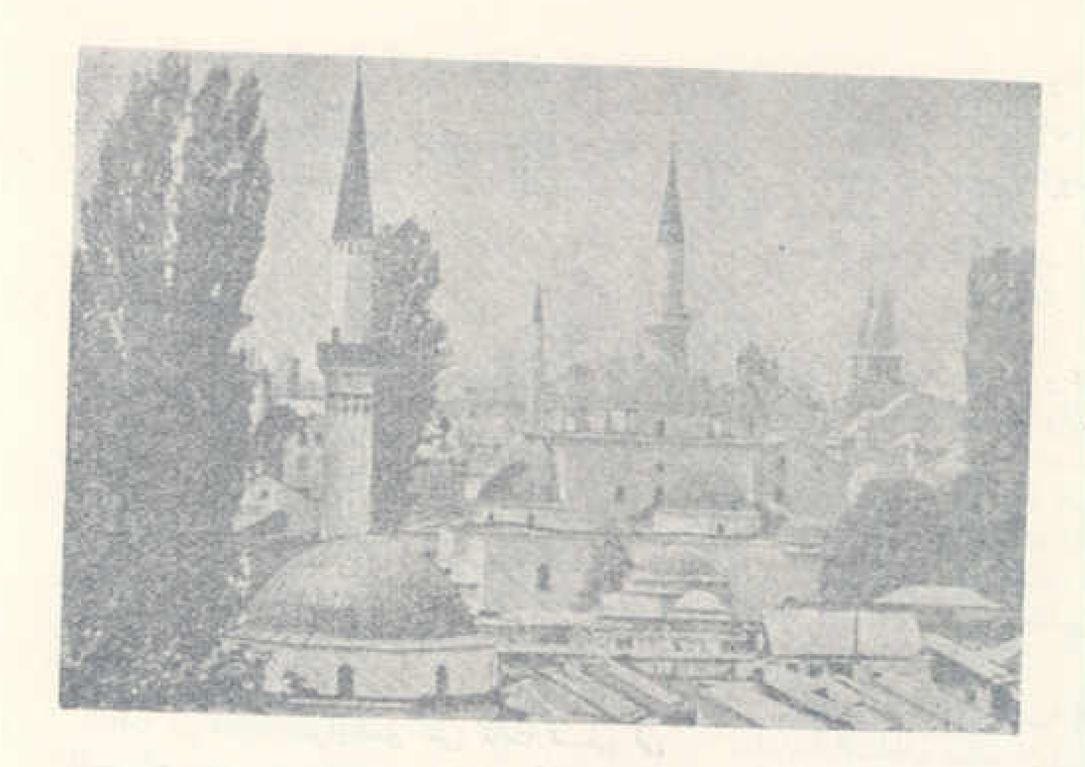
---

(1) اولياجلبي رحالة تركي عاش فى اواسط القرن الحادي عشر الهجري واشهر مؤلفاته كتاب بعنوان « سياختنامه » .

(2) لقد دمر الزلزال العنيف كثيرا من عمران هذه المدينة العريقة منذ اكثر من ثلاث سنوات فى يوليو سنة 1963 فراح ضحيته فضلا عن ءالاف الارواح مئات المخطوطات العربية التى كانت محفوظة فى مكتبات المدينة التى هدمت وفى دار محفوظاتها ..

(3) معنى هذه الكلمة باللغة اليوغسلافية (صقالبة الجنوب) فهي مركبة من مقطعين : « يوجو » ومعناها جنوب ، و « سلاف » وهم الذين يسميهم المؤرخون العرب بالصقالبة .

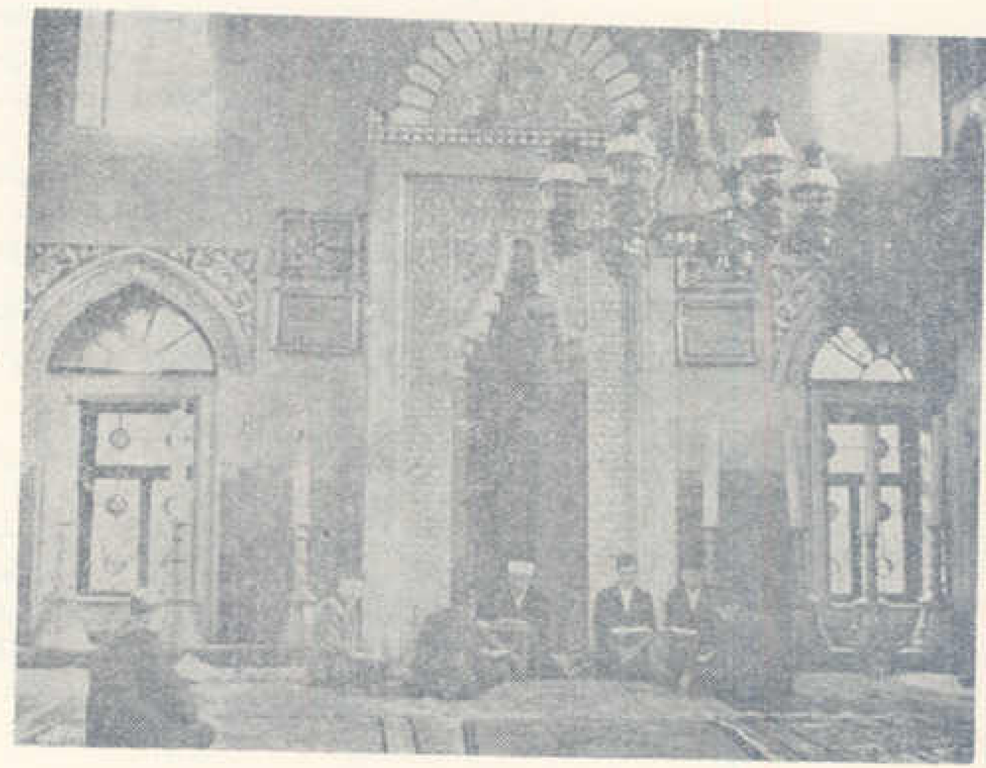
(4) فصوص الحكم لمحيي الدين بن عربي .



منائر خلاب لمآذن المساجد
في سراييفو



مسجد ماجلاي ستارا في
يوغسلافيا



التفسير الصوفي للقرآن الكريم . وقد قضى عبد الله البوسنوي شطرا طويلا من حياته بين القاهرة ودمشق ومكة ، وقد شرح فصوص الحكم باللغة التركية ، اولا ، واشتهر الشرح في بلاد العرب ، فطلبوا منه ان يشرحه لهم بأسابهم على ذوق الشوق، ومن هذا الشرح العربي نسخة جميلة في دار الكتب المصرية . اما الشرح التركي فمطبوع ، وللمؤلف شرح على تائية ابن الفاض سماه « قرة عين الشهود ومرءاة عرائس معاني الغيب والوجود » ومنه نسخة خطية في المكتبة الظاهرية بدمشق . وقد توفى عبد الله البوسنوي سنة 1054 هـ .

اما اشهر هؤلاء العلماء اليوغسلاف على الاطلاق فهو العالم الشاعر المصلح الثائر **حسن كافي** الاقحصاري (951 ـ 1025 هـ) وقد ترجم لنفسه في نهاية كتابه (نظام العلماء الى خاتم الانبياء) وتولى القضاء والتدريس في اقحصار ، ثم القضاء في الاناضول ، وطوف بالبلاد الاسلامية ، يلقى علماءها ، ويناقش فقهاءها في القدس والشام ، وفي مكة والمدينة . ومؤلفاته الباقية حتى اليوم تزيد عن عشرين مؤلفا .. في الفقه والاصول ، والعقائد والوعظ . والبيان والبديع ، والنحو والصرف . والسياسة والاجتماع ، والتاريخ والمنطق ، وقد طبع من بين هذه المؤلفات جميعا كتاب واحد هو (اصول الحكم في نظام العالم) ـ وهو كتاب رائع يضع فيه مؤلفه نظاما بديعا للحكم ، وينقد في صراحة وجراة عيوب الحكم العثماني ، وما انتشر منذ ايامه من ظلم ورشوة وفساد ، وينبئا بما سيحل بالعالم الاسلامي من تخلف ، بسبب انصرافه عن اسباب القوة ، وبعده عن جادة الطريق ، بل عن تعاليم الاسلام وروح الاسلام ، وقد ترجم الكتاب من العربية الى اكثر اللغات الحية في عصره ، ترجم الى التركية اولا ، ثم الى الفرنسية ، والمجرية ، والالمانية والانجليزية ..

ويلاحظ ان هؤلاء العلماء الذين ذكرناهم جميعا كانوا من جيل واحد من اواخر القرن العاشر واوائل القرن الحادي عشر الهجري ، ثم خلف من بعدهم خلف لم يزل يناضل في سبيل الحضارة الاسلامية، وينشر الثقافة الاسلامية .

ومن اشهر هؤلاء مفتي الهرسك **مصطفى** يوسف الموستاري (1061 ـ 1119 هـ) وقد عين استاذا للعلوم العربية والدراسات الاسلامية بالقسطنطينية ، وهو لا يزال في شرخ الشباب ، ثم توفى استاذه السابق مفتي الهرسك ، فاصر الهرسكيون على اسناد المنصب الى نابغة اقليمهم مصطفى يوسف الموستاري ، فعاد الى موستار ، وعاش بها خمسة عشر عاما ، ينشر العلم والثقافة العربية ، وقد عثرنا على سبعة وعشرين مخطوطا من مؤلفاته ، في العقائد واصول الفقه ، والبلاغة ، والنحو ، والمنطق والوضع ، ولكن اكثر مؤلفاته كانت في ادب البحث والمناظرة ، ولا يزال ضريحه يزار حتى الآن، ولا يزال العلماء اليوغسلاف يكتبون عنه ، ويترجمون له ، ولا تزال الاساطير الشعبية تروي عن كراماته ، حتى ان الكثيرين يعتقدون ان الطفل الغبي اذا زار ضريحه اربعين يوما بعد صلاة الصبح يصير ذكيا ويزول غباؤه ..

ومن الجيل الذي يليه نستطيع ان نذكر **عبد الوهاب بن حسن البوسنوي** وقد ذكره الجبرتي في تاريخه فيمن توفى سنة خمس ومائتين والف فقال :

ومات العمدة الفاضل الواعظ عبد الوهاب بن الحسن البوسنوي السرائي (5) المعروف بشناق (6) افندي ، وقد عاش اكثر من خمسة وثلاثين عاما متنقلا بين القاهرة ومكة والمدينة ، يلهب حماس الجماهير بوعظه الثائر ، ويتنكر في ازياء مختلفة ليهرب من بطش الحكم ءانذاك ، وكم طارده حكام عصره بسبب تشنيعه على ظلمهم ، ولم نجد له الا مؤلفا واحدا في مناسك الحج وحتى هذا المؤلف الواحد ينسبه بعض الباحثين الى بوسنوي ءاخر يحمل نفس الاسم « عبد الوهاب بن حسن البوسنوي » وعاش في نفس الفترة .

اما الجيل الذي يليه فقد ظهر منه في العالم الاسلامي عدد كبير من العلماء اليوغسلاف نذكر منهم

(5) السرائي نسبة الى مدينة سراي وهو الاسم القديم لمدينة سرايفو الحالية .
(6) النسبة التركية الى بوسنة (بوشناق) وقد حرفت قليلا فاصبحت بوشناق .

علي فهمي جابيتش (7) ضحية الظلم العثماني ، والمؤامرات السلطانية ، الذي ترك منصب الافتاء في موستار ، وهاجر الى استانبول في سبيل دعوته لاستقلال التعليم الديني الاسلامي عن سلطة الدولة المجرية النمسوية ، التي تنازل لها الباب العالي عن البوسنة والهرسك ، ثم نجده استاذا للآداب العربية في كلية الآداب باستانبول ، ولكنه يكتب مقالا في احدى الصحف ، فيطرد من منصبه ، ثم تنتهي حياته بطريقة غامضة ، وتضيع مكتبته الخاصة ، وتختفي مؤلفاته المخطوطة ، ولكننا مع ذلك نعثر له على كتابين مطبوعين احدهما بعنوان « حسن الصحابة في شرح اشعار الصحابة » وهو اول كتاب في الادب العربي كله يجمع اشعار الصحابة – عليهم الرضوان – من اكثر من مائة مصدر ، ويترجم لهم ترجمة طويلة طريفة ، وقد زاد عدد الصحابة الذين ترجم لهم وجمع اشعارهم في الجزء الاول وحده (8) اكثر من مائة صحابي .. وقد انتهى من تاليف هذا الكتاب سنة 1327 هـ .

والكتاب المطبوع الثاني بعنوان « طلبة الطالب في شرح لامية ابي طالب » وهو شرح ممتاز لقصيدة طويلة قالها ابو طالب بن عبد المطلب بعدما دخل الشعب عند مقاطعة قريش لبني هاشم والمطلب .

ونختم هذه الباقة من العلماء الافاضل الذين نشأوا في يوغسلافيا واسهموا في الثقافة الاسلامية على مستوى العلم الاسلامي بعالم فاضل كان اول يوغسلافي يكتب في علم الحديث ، واول يوغسلافي يحاول كتابة دائرة معارف اسلامية وهو « **محمد الخانجي البوسنوي** » من علماء الازهر الشريف ، فقد وفد الى مصر في ربيع الاول سنة 1345 هـ وبقي بها خمس سنوات ، وهو يذكر لنا في كتابه « الحاوي » عددا من اساتذه في الازهر ، منهم الشيخ علي محفوظ ، والشيخ حسنين مخلوف ، والشيخ سيد المرصفي وغيرهم ..

وبالرغم من ان الموت قد عاجله في زهرة الشباب (9) – او كما يشاع بين البوسنويين ان المستعمرين قد دسوا له السم – فقد ترك اكثر من خمسة وعشرين كتابا مطبوعا باللغة اليوغسلافية وكلها عن العلوم العربية والدراسات الاسلامية ، ومنها ما اعيد طبعه مرات .

اما باللغة العربية فلم يطبع له غير بحثين احدهما « الجوهر الاسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنه » والثاني لم يجمع بعد في كتاب ، ولكنه مطبوع على شكل ابحاث مسلسلة في مجلة « جلاسنيك » في الاعداد من الاول حتى الرابع من سنة 1934 وهي ابحاث في علم الحديث ، ونقد كتب الحديث وبيان صحيحه من زائفه ..

وقد عثرت له على اثني عشر مخطوطا باللغة العربية من اهمها :

1 – مجمع البحار في تاريخ العلوم والاسفار (مخطوط رقم 95 بمكتبة الغازي خسرو بك) (11).

2 – تذييل كشف الظنون في اسامي الكتب والفنون (مخطوط رقم 96 بمكتبة الغازي خسرو بك) .

3 – كتاب عن مصر وتاريخها .. (مخطوط رقم 2/662 بمكتبة الغازي خسرو بك) .

اما العلماء اليوغسلاف من جيلنا هذا فيكتبون عن الاسلام والحضارة الاسلامية بشتى اللغات، فمنهم من يكتب باللغة اليوغسلافية ، واللغات الاوروبية الاخرى ولكنهم لا يكتبون باللغة العربية من امثال : الدكتور فهيم بيرقد اروفيتش – والدكتور حازم شعبا نوفيتش .. والدكتور محمد بيجو فيتش ومنهم من يكتب باللغة اليوغسلافية واللغات الاوروبية، كما يكتب باللغة العربية من مثل : الدكتور حسن قاشي – وله مؤلفات عديدة عن الاسلام والحضارة الاسلامية باللغات العربية والتركية والالبانية واليوغسلافية والالمانية – كما يشترك معي في وضع اول قاموس يوغسلافي عربي ..

ومنهم من يكتب باللغة اليوغسلافية واللغة العربية واللغات الشرقية من مثل :

---

(7) يسميه اليوغسلاف «جابيتش» ويسميه الاتراك « جابي زادة » ومعناها بالعربية « ابن الجابي » .

(8) وهو الجزء المطبوع .

(9) توفي اثناء الحرب العالمية الثانية 1945 وهو في الثامنة والثلاثين من عمره .

(10) اكبر مكتبة للكتب الشرقية في يوغسلافيا .. ومن اكبر مكتبات اوربا على الاطلاق ..

قاسم دبريشتـه ، ويسيم قرقط ، وعمر موشيتش ، وتوفيق مقتيتش ، وحسين جوزوو ، وعبد الرحمن هوكيتش وغيرهم.. ولكل هؤلاء العلماء مجهودات مشكورة فى الترجمة كذلك ..

ولعلنا فى هذه النبذة المختصرة تكون قد وفقنا فى رسم صورة عامة للحضارة الاسلامية فى يوغسلافيا ، كما نرجو ان نوفق فى العمل على توثيق العلاقات الثقافية بيننا وبين هؤلاء العلماء ، وأن يعمل المسؤولون عن الاجهزة الثقافية بيننا وبين هؤلاء العلماء ، وان يعمل المسؤولون عن الاجهزة الثقافية فى كل من يوغسلافيا والبلاد العربية على دراسة المخطوطات العربية فى يوغسلافيا ، وهي تزيد عن عشرة الف مخطوط، وعلى تبادل الكتب والمجلات، بل وعلى اسهام الاقلام العربية فى المجلات اليوغسلافية ، والاقلام اليوغسلافية فى المجلات العربية ، لاسيما وان فى يوغسلافيا ثلاث مجلات دورية تهتم بالدراسات العربية والبحوث الاسلامية وهي :

1 ـ مجلة « جلاسنيك » مجلة اسلامية شهرية تصدرها رئاسة العلماء فى يوغسلافيا .

2 ـ مجلة « بريلوزي » وهي مجلة سنوية كبيرة تصدر على المستوى العالمي .. باللغة اليوغسلافية ، ولكل بحث ملخص فى نهايته بلغة من اللغات الاوربية الحية ، وكل بحوثها ودراساتها عن الاسلام وتاريخ الاسلام فى يوغسلافيا ..

3 ـ مجلة «الامل» وهي مجلة نصف سنوية يصدرها طلاب الدراسات الشرقية فى جامعة بلغراد وهي ذات اتجاه ادبي فني ثقافي عام ، ولكنها خاصة بالادب العربية والتركية ..

وهناك ايضا كما عرفنا عدد من العلماء يكتب باللغة العربية ، فلنتبادل المجلات والمطبوعات ، ولنتبادل الافكار والابحاث ، ولنعمل على توثيق العلاقات بين الشعوب ، فهذه فيما ارى من اهم اهداف العلم والعلماء ..

القاهرة : د كامل البوهي



أحوال المسلمين والتعليم الديني في بلاد "التايلاند" أو بلاد الأحرار

للأستاذ الحاج عمر الطيب
نائب رئيس الجمعية الاسلامية بالتايلاند

كتب الينا صديقنا الاستاذ الحاج عمر طيب نائب رئيس الجمعية الاسلامية « بالتايلاند » واحد اعضاء البرلمان المحلي بها ، هذه المعلومات عن بلاد « التايلاند » او بلاد الاحرار ، وقد اتصلنا به في المؤتمر الاسلامي الدولي الذي انعقد بماليزيا في السنة الماضية ، كما زرنا بلاده العظيمة الراقية وعاصمتها « بانكوك » الجميلة جوهرة الشرق الاسيوي وقضينا بها نحو ثلاثة ايام .

والحاج عمر طيب استاذ جامعي تلقى دروسه بالازهر الشريف وتخرج من كلية الشريعة وهو يعمل الآن عضوا عاملا في نشر الاسلام وبث تعاليمه في بلاد «التايلاند» ، وقد مثل بلاد « التايلاند » ضمن وفد هام من العلماء في مؤتمر ماليزيا الاسلامي الدولي في السنة الماضية صحبة الاعضاء والعضوات: السيدة سيامولا ،، والآنسة بونجي روكجاتي ، والسيد الحاج وان احمد حسين .

م . ب .

تايلاند : مملكة مستقلة يتوجها ملك يسود ولا يحكم .

وتقع في الجنوب الشرقي من قارة آسيا وتحدها جنوبا ماليزيا وغربا بورما وشمالا مملكة لاوس وشرقا لاوس ، وكمبوديا وخليج سيام (المحيط الهادي)

وهي مملكة مستقلة يسودها ملك وراثي ، ولكنه لا يحكم البلاد ، لان مناط الحكم مفوض الى مجلس الوزراء بنص الدستور ، ويوجد في تايلاند مجلس نيابي يتكون من أعضاء ينتخبه الشعب بانتخاب عام ، ومجلس آخر شبيه لمجلس الشيوخ الامريكي يعين الملك اعضاءه، ويتعاون المجلسان معا في حدود الدستور ، وينص الدستور ان الدين الرسمي للدولة هي البوذية ، وان الملك لا بد ان يكون بوذيا ، والدين الثاني اى الدين الذي يعتنق اهل البلاد هو الاسلام ، ثم المسيحية والهندوكية .

وقد قسمت هذه المملكة نظامها الاداري الداخلي الى ولايات او محافظات تبلغ احدى وسبعين ولاية ، تحت كل ولاية بعض المسائل الداخلية بها بنص القانون ، وان الشؤون الخارجية والكبيرة منها لابد وان ترجع الى الحكومة المركزية او الى الوزارة المركزية في بانكوك العاصمة .

ويبلغ عدد السكان في تايلاند أكثر من خمسة وثلاثين مليون نسمة، وتقدر نسبة المسلمين فيها 10٪ من مجموع السكان ويتركز موطن المسلمين في تايلاند في الولايات الجنوبية المتاخمة لحدود ماليزيا التي هي ولاية ناراتيواس، جالا، فطاني، وستول، وتقدر نسبة السكان المسلمين في هذه الولايات الاربع 85 ٪ وتقدر نسبة المسلمين في هذه الولايات الاربع ب 90 ٪ من عدد المسلمين في تايلاند عموما ، غير ان كثيرا من المسلمين ومن الاجانب لم يتح لهم زيارة تلك الولايات الاربع لبعدها عن العاصمة بمئات الاميال ، الامر الذي جعل هذه الولايات والمسلمين بعيدين عن انظار العالم الاسلامي ومن الاجانب على السواء .

ويوجد في كل ولاية من هذه الولايات الاربع مجلس اسلامي يتولى الاشراف على الشؤون الدينية كبناء المساجد وفيما يتعلق بالاحوال الشخصية من نكاح وطلاق ، وكما يتولى الاشراف على التعاليم الاسلامية ، وما الى ذلك فيما يتعلق بالشؤون الاسلامية وتوجد تحت اشراف المجلس الاسلامي بولاية

لارامتواس مدرسة دينية من مرحلة ابتدائية الى ثانوية تسمى بمدرسة الشرقية الاسلامية ، تدرس فيها العلوم الدينية والعربية ، والعلوم العصرية التي تطبقها وزارة المعارف التايلاندية في مدارسها العامة، وتلقن في هذه المدرسة العلوم باربع لغات : هي اللغة العربية ، والملاوية والانجليزية واللغة التايلاندية ؛ وفي العام الماضي 1969 تفضل جلالة الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية باهداء المدرسة خمسة الاف دولار امريكي من مساهمة جلالته لمشروع المجلس الاسلامي لبناء مدرسة الشرقية الاسلامية الدائم عن طريق السفارة السعودية في بانكوك – تايلاند – غير ان المجلس الذي يتولى الاشراف على هذه المدرسة نفسه لا يملك مبلغا ماليا يكفيه الامر الذي يسبب ارتباكا في سير الدراسة في المدرسة ، لان محصولات المجلس ودخوله لا تنزح عن محصولات الزكاة ورسوم مراسيم النكاح والطلاق ، ومن اجل ذلك ، وضع المجلس والمسؤولون عن المدرسة مشاريع عديدة للحصول على معونات سواء كانت من داخل البلاد او من خارج البلاد ، وقدم بالفعل التماسا الى الحكومة التايلاندية ، والى الحكومات الاسلامية ، كالكويت ، مصر ، السعودية ، والبلاد الاسلامية الاخرى .

والى جانب هذا فانه يوجد في تايلاند حوالي 25 مدرسة عادية يديرها اصحابها من المسلمين وقليل من هذه المدارس يعلم الدين الاسلامي ، ومعظمها يوجد في العاصمة ، كما ان هناك مدارس دينية محضة للعلوم الاسلامية فقط ، غير انه لم يجر احصاء لعددها لان معظمها غير مسجل رغم ان عددها كبير .. الا ان المسلمين في «تايلاند» يفتقرون بشكل عام الى التعليم والوعي السياسي ، فهم متاخرون في ميدان التعليم الاسلامي والتعليم العام على السواء ، وليس هناك اي مؤسسة اسلامية كاملة تضمن مستقبل الاجيال القادمة، ولذلك يقتصر الاسلام على اداء الصلاة والصوم والحج، ولا يتم تطبيقه كمنهج حياة ، كما ان من يهتم بالتعليم الديني يتلقى تعليمه من مؤلفات مكتوبة بلغة غير اللغة التايلاندية او العربية ، وضعها علماء في القرن الخامس عشر او السادس عشر ، ولا ترتكز على اساس النظرية الاصلية من القرآن والحديث ، وباستثناء عدد قليل من الرسائل ينعدم وجود ادب اسلامي باللغة التايلاندية، ولذلك ينتشر الجهل بمبادىء الاسلام الصحيح وشعائره ، كما ان الحاجة ماسة الى مجلة اسلامية قوية باللغة المحلية في سبيل نشر المعرفة الصحيحة عن الاسلام ومعالجة قضايا الانقسام والشقاق، اما من يبحث عن تعليم عام فيذهب الى المدارس العامة المنعزلة عن الاسلام والتي يكون فيها التعليم البوذي اجباريا ، واما المدارس الاسلامية القليلة العدد اجمالا فقد تبنى قسم منها نظام التعليم الحكومي الذي تعترف به وزارة التربية والتعليم ، ومن ثم هناك درس للدين البوذي بحضره الطلبة المسلمون وغير المسلمين ، وفي تلك الحالة يثقل كاهل الطلبة المسلمين بتعليم الجانب الاسلامي خارج قاعة الدرس مدة ساعة ليست كافية ولا مؤثرة .

ويتمتع المسلمون في تايلاند بحريتهم الدينية الكاملة وبممارسة شعائرهم الدينية واقامة الاحتفالات الاسلامية في المناسبات وفي حالات معينة يسمح لهم بعقد احتفالاتهم في الاماكن العامة ، **فيجري الاحتفال بالمولد النبوي في ميدان عام دائما ويدعى لحضوره الملك والملكة** ، وقد اكدت السلطات التشريعية الاسلامية في قضايا الاحوال الشخصية ، بالنسبة لزواج المسلمين وتوارثهم وما يتصل بذلك ، كما اعفتهم من ضريبة ذبح الحيوانات لاغراض التضحية الدينية ونظمت ادارة شؤون المساجد ، وخصصت قطعا من الاراضي لبنائها ، **كما تتولى الحكومة تسهيل السفر للحجاج الى مكة المكرمة كاعطاء موظفي الحكومة من المسلمين الراغبين باداء فريضة الحج اجازة براتب كامل** ، ويبلغ عدد الذين يؤدون فريضة الحج من التايلانديين كل سنة حوالي الفي مسلم ، وفي هذا العام حج نحو 4263 ، فالمسلمون التايلانديون مغرمون باداء فريضة الحج ، وكثيرا ما يرهنون ممتلكاتهم ويبيعونها كي يتمكنوا من ادائها ، وتتكرر هذه الحوادث نظرا لجهلهم بروح الاسلام وتعاليمه ، كما يعطى للمسلمين اجازات براتب للعطل الدينية كعيدي الفطر والاضحى ، ويسمح لرجال القوات المسلحة والبوليس من المسلمين بوقت كاف كل يوم جمعة لاداء الصلاة في المسجد .

ويتمتع المسلمون في تايلاند بحرية تشكيل المنظمات الاجتماعية ، ويوجد حوالي 30 منظمة في البلاد ، غير ان معظمها ليس نشيطا ، وكل منها يعمل بشكل مستقل ، فلا تتحد كلمة الجالية الاسلامية حتى في مناسبات الفرح والجنازة والاحتفالات ، فهناك حزبان من المسلمين في تايلاند أولهما قديم يقوم على البدع والخرافات ، والثاني حديث يعرف بالهوابي او (قوم الجديد) والذي له اتباع قلائل ، ويتبع كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد دخل النظام الاخير في صفوف الجماهير منذ اربعين سنة

خلت بفضل العالم الاندونيسي العظيم الشيخ احمد وهاب، وكان هذا الرجل يتعاون مع المرحوم السيد رشيد رضا ، ومما يؤسف له ان هذه الجماعة تضعف يوما بعد يوم .

ويتكلم المسلمون التايلانديون اللغات المحلية الى جانب العربية بالنسبة للمتعلمين ، اما في الجنوب فيتكلمون لغة خاصة بهم وهي لهجة ملاوية ، وهم متاخرون في التعليم لدرجة انهم لا يجيدون الكتابة ولا القراءة او الحديث باللغة التايلاندية التي هي لغتهم الاصلية ولذلك ليس في مقدورهم تولي نصيبهم الشرعي من وظائف الحكومة ، ولكن بعضهم يجيد العربية الى جانب الملاوية .

والجدير بالذكر انه عام 1950 تم انشاء كلية اسلامية في بانكوك وهي مؤسسة حديثة حسنة الاثاث يزيد عدد طلابها عن ثمانمائة طالب ، وتقدم المنح الدراسية الحكومية لاستئناف الدراسة في الجامعات المحلية والمؤسسات الدينية في الخارج .

يسمى المسؤول الاول عن المسلمين بشيخ الاسلام ، ويصدر قرار بتعيينه من الملك مدى الحياة بعد ان يتم ترشيحه من قبل مشايخ وجمهور المسلمين ويكون مستشارا للحكومة في شؤون المسلمين ، ويتبع من الناحية الرسمية لوزاره التربية التي لها ادارة خاصة بالشؤون الدينية ، ويجري له راتب شهري محدد، ويراس لجنة تعرف المركزية للمسلمين ، اما اعضاء اللجنة المركزية للمسلمين فليس لهم راتب، ويتبعون وزارة الداخلية ، ولهم الحق في تعويض مالي عندما يدعون لحضور اللجنة ، ويتألف من اربعة عشر عضوا يتم انتخابهم في الغالب من ائمة المساجد الرسمية او بتوصية من شيخ الاسلام .

ويلي اللجنة الاسلامية المركزية في الاهمية والتسلسل الاداري اللجان الاقليمية التي يبلغ عددها 24 لجنة ، وهي تشكل في المناطق التي تعيش فيها اللجان عادة امام احد المساجد الاقليمية ، وتتبع اللجنة المركزية بصفة مباشرة ، ولا يتقاضى اعضاء هذه اللجان مرتبات ولا مكافآت ، وهم يشغلون وظائفهم مدى الحياة، وشيخ الاسلام الحالي هو الحاج اسماعيل، وهو يحتل مركزا رئيسيا في جميع الامور التي تتعلق بالاسلام وهو ممثل الملك فيما يخص حماية الحرية الدينية للمسلمين .

اما المساجد فيبلغ عددها الرسمية في تايلاند 1267 مسجدا ، منها 104 مساجد في العاصمة (بانكوك) وتتركز اكبر مجموعة من المساجد بما فيها المسجد المركزي في المقاطعات الجنوبية الاربع : وهي باتاني وبالاونا ، وانيفاز وساتول ، حيث يبلغ عدد المساجد فيها حوالي النصف من المجموع العام ، واما المسجد المركزي الكبير فهو في مقاطعة باتاني ، وتنتشر باقي المساجد في اكثر من 32 مقاطعة ، وبعض هذه المساجد تعمل على بناء مدارس ملحقة بها لتدريس العلوم الاسلامية لطلاب المدارس ، وبعد انتهاء دروسهم النظامية ، هذا وتخصص الحكومة ميزانية سنوية لاصلاح المساجد وبنائها .

يعيش المسلمون في الجنوب كمزارعين يزرعون المطاط او يشتغلون في مزارع المطاط ومناجم الذهب كعمال ، كثير منهم اصحاب اعمال ، وقليل منهم يمتلك المزارع ، وليس لدى المسلمين في الجنوب شركات مهنية كبيرة ودائمة ولكنهم يمتلكون محلات تجارية صغيرة يديرونها بانفسهم ، ويعيش في بانكوك حوالي 250 الف من المسلمين (20 ٪) منهم مثقفون و 5 ٪ وصلوا الى المرحلة الجامعية ، وقد كان معظم المسلمين في العاصمة مزارعين وبعضهم موظفون في الشركات المهنية ومكاتب الحكومة ، وقليل منهم ملاك وتجار خشب ، وقد افتتح بعضهم شركات مهنية حرة ، ولما كانت البلاد تسير في طريق التقدم والنمو فقد شقت طرق عديدة في المزارع في بانكوك فارتفعت اسعار الاراضي والمزارع التي يملكها المسلمون مما ساعد كثيرا من ذوي الحظ السعيد من المسلمين ان يصبحوا من اصحاب الملايين والملاك ، وقليل جدا من هؤلاء المسلمين يفكر في انشاء شركة مهنية كبيرة ، الا ان القاعدة العامة هي ان المسلمين في تايلاند فقراء ويعمل كثير منهم في الصيد ، واما الذين يتمتعون بأوضاع اقتصادية حسنة فهم قلة وهم في تناقص وانخفاض .

تجلت مظاهر التضامن الاسلامي في الزيارة التي قام بها الرئيس الاندونيسي الجنرال سوهارتو لتايلاند في الاسبوع الماضي .

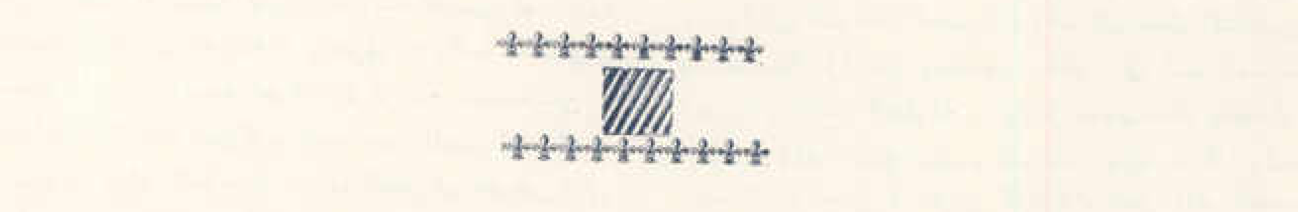
وقد اقام شيخ الاسلام بتايلاند ومستشار الدولة للشؤون الاسلامية باسم مسلمي البلاد حفلا تكريميا للرئيس الاندونيسي وذلك في المركز الاسلامي في بانكوك .

وقد القى الرئيس الاندونيسي كلمةفى الحفل نالت استحسان الجميع اشار فيها الى ضرورة تمسك المسلمين بعقيدتهم وتوحيد كلمتهم والتشبث باهداب الدين الحنيف حيث ان ذلك هو السبيل الوحيد الواقي من الانحراف والانحلال الذى ابتدا ينخر في كثير من الامم .

واكد ان اندونيسيا تعمل باخلاص لبث روح الوعى الاسلامي والعمل الجاد على تطوير البلاد وتقدمها والمشاركة الفعالة فى كافة المجالات التى تعود بالخير والنفع للشعب الاندونيسي خاصة وشعوب المنطقة عامة .

واعرب عن ثقته بأن الاسلام يتمشى مع تقدم الزمان ودعا المسلمين ان يهتدوا ويقودوا نهضة العالم وتقدمه كما كانوا فى عهودهم الزاهرة .

— ◆ —





اذا ذكرت « ماليزيا » اتجهت النفس الى ذلك البلد الحبيب الذي يقع في جنوب شرق آسيا والذي احرز اخيرا على استقلاله، وملك زمام امره، بعد جهاد وكفاح وبطولة ونضال، فاصبح يعمل في اطار اسلامي محض، ويربط اواصر الصلات مع مختلف الشعوب الاسلامية لتوكيد روح النضال واقرار الوجود، ويوثق وشائج القربى مع جميع الامم المحبة للسلام.. هذا البلد الاسلامي الواعي المؤمن الذي عين ممثل عنه في الكتابة الدائمة لمؤتمر الدول الاسلامية الذي انعقد في شهر مارس الاخير بجدة ، هو الذي سنعطي عنه لمحة موجزة عن تطوره وتقدمه ، وكفاحه ونضاله بمناسبة اصدار « دعوة الحق » عددا خاصا بالاسلام والمسلمين في القرن العشرين ...

ولما كان هذا البلد المسلم يشهد في ايامنا هذه تطورا عظيما في مختلف الميادين ، ويقوم بنشاط ملحوظ لصالح الاسلام ويمتاز بحيوية ومرونة وتفهم لاوضاع المسلمين ويتطور في اطار العقيدة المحمدية كان علينا ان نقدم عنه فذلكة عن وضعه الجغرافي وحياته الاقتصادية وتطوره العلمي .

— ♦ —

فماليزيا ، المعترف بها دوليا ، تقع في جنوب شرق آسيا ، وهي عبارة عن اتحاد يتألف من احدى عشرة ولاية ، لكل ولاية حكومة محلية ، والحكومة المحلية ذات الاغلبية المسلمة هي حكومة ولاية «كلنتان» اذ يبلغ عدد سكانها 800 000 نسمة ، ويتولى الحكم فيها الحزب الاسلامي (P.A.S.) الذي يراسه الدكتور برهان الدين ونائبه السيد داتوء محمد عصري رئيس وزراء الولاية .

ويراس الاتحاد ملك دستوري ـ يسود ولا يحكم ـ اذ ان هناك وزارة اتحادية عناصرها مختارة من المجلس النيابي المنتخب ، اما مجلس الشيوخ ، فكل اعضائه من المعينين ، وتتمتع المقاطعات التي تشكل الاتحاد باستقلال ذاتي ، وفي كل منها رئيس وزراء ، ومجلس نيابي محلي منتخب ايضا ، وعلى قمة الهرم الحاكم سلطان ... الا ان السلطة الفعلية في الحكم المحلي هي بيد رئيس وزراء المقاطعة ، اما سكانها فمثال يحتذى لاتفاق الاجناس المتعددة ، كما انها مكان لعرض الديمقراطية الصحيحة في آسيا ، ويهم هذا البلد ان تقوم بتبادل منتجاتها مع جميع الامم والشعوب .

وماليزيا بلاد غنية راقية ، تفيض بالخير ، وتبسم بالنعيم ، وتطفح بالبشر ، وتشرق بالجمال ، وتروق بالرواء والبهجة، تمتاز بموقع ستراتيجي هام، كما حباها الله غنى طبيعيا ، وثروة ضخمة ، وهي ، الى ذلك ، واسعة ، وبامكانها ان تستوعب اكثر من ضعف سكانها الحاليين، كما ان بها احراجا كثيرة، وغابات كثيفة ، هي من اهم مصادر الخشب والخيزران للاسواق العالمية ...

وهي ـ ايضا ـ بلد زراعي ذات تربة خصبة ، ومياه وافرة ، وهواء رطب حار ، ومزارع رحبة للمطاط وجوز الهند ، والارز ، والفواكه الاستوائية

المتنوعة ، وابرزها الاناناس بالاضافـــة الى ثروتهـا المعدنية التي ياتي فى اولها القصدير ، وقــد كانــت مزارع المطاط بايدي الاجانب ، وجلهم من البريطانيين، وبعد الاستقلال بدا الاجانب يبيعونها لاثرياء الصينيين.

والتجارة فى هذا البلد ، فالصينيون ملوكهـــا ، وبايديهم ازمتها ، وقد يجوب الانسان البلاد من جنوبها الى شمالها ، فلا يرى ماالاويا يمتلك مخزنا او متجــرا كبيرا ... لان الصينيين يحتكــرون تجارة الجملــة والتقسيط ويعزو المتحدثون عن احوالهم الاجتماعية تاخرها ماليا الى كثرة خيرات بلادهم وقناعتهم بالقليل او عدم فهمهم لمبــادىء الاســلام فهمــا صحيحـا يتلقونها من متوسطي الثقافة فى ثوب يحبب اليهم الزهــد والتقشــف .. ثـم ان المستعمـريــن شجعــوا هــذه المعانــي ... وهنــاك عــدد قليــل مــن الهنــود ، بينــهم بعــض المسلميــن ، يقومون باعمال تجارية على مستويات مختلفة ، واهم الاعمال التجارية التي يمارسها المسلمون والهنود هي تجارة المواد الغذائية والمطاعـم وتجــارة الادويــة والاقمشة وغيرها من الثياب والكتب والادوات ...

اما الصناعة فهي ، ايضا ، بيد الصينيين ، وبعض الشركات الاجنبية ...

والواقع ان معظم سكان ماليزيا يعملون فى الزراعة لان الاقتصاد الماليزي يعتمد على مناجم القصديــر الغنية واشجار المطاط ...

وقد قامت الحكومة بتنفيذ برنامج ضخم لاصلاح الريف كلفها ما يزيد عن 100 مليون جنيه استرليني ، وامكنها من اصلاح 566 ميلا مربعا من الاراضي التى تكثر فيها الغابات والاحراج ، كما وزعت الارض على اكثر من 27 الف اسرة من المزارعيــن المعدميــن ، وشيدت القرى الحديثة ، والمنــازل والمــدارس ، ودخلتها الماء والكهرباء .. واصبح دخل الفرد يصل الى ما يزيد على 430 جنيها استرليني فى العام ، ولذلك كانت ثاني اكبر دخل فى آسيا بعد اليابان ...

وينقسم المسلمون من الناحية الجغرافية فى هذا البلد ، وهم الملاويون وبعض الهنود الى فئتين ، اهل الريف ، واهل المدن .

فالريفيون ، وهم المزارعون ، فاغلبهم فقراء جهلة متخلفون ، والحكومة تعمل جاهدة لرفع مستواهــم الاجتماعي وعلى كل صعيد ، وبالرغــم عن كل هــذا التخلف ، فالريف الملاوي المسلم احسن حالا من كل ارياف العالم الاسلامي، فانهم نظيفون رغم خصاصتهم واملاقهم ، ويتحلون بشفافية ورقة واستقامة نادرة ، كما انهم يمتازون بخصال الصدق والنبل والمروءة ، وهي ، لا شك ، كل ما تبقى لهم من تعاليم الاسلام ...

وسكان المدن يعتبرون قلة بالنسبة للصينيين، ويتالفون من الحكام ، ومجالسهم وحواشيهــم ، ومن بعض الموظفين الاداريين ، والادارة تتوفر على موظفين فى مقتبل العمر ، وميعة الصبا ، وعنفوان الشباب وعندما نالت البلاد حريتها واستقلالهــا كان عــدد الملاويين الموظفين فى الدولة قليلا جدا بالنسبة لعدد السكان الملاويين ، وقد عمد الحكام لكي يستعيــد الملاويون المسلمون بعض حقوقهــم المهضومــة فى التوظيف الى اعطاء الاولوية فى التعيينات الجديــدة للملاويين ، ويلاحظ بان عدد المتعلمين والفنييــن من الملاويين لا يزال قليلا بالنسبة لعــدد امثالهــم بين الصينيين والهنود ...

وقد عمد المستعمر البريطاني منذ ان دخل هذه البلاد ، ووطئت قدماه ارض الملايــو الى خططهــم المعروفة فى تمييع المجتمع الماليزي ، وتفتيت فاعليته فى المقاومة ، فاستجلبوا عددا هائلا من الصينييــن والهنود والسيلانيين تحت ستار نقص اليد العاملة فى الملايو ، ونتج عن ذلك ان تنوعت القوميات ، وتنوعت المعتقدات والديانات ، واصبح هذا المجتمع اخلاطا من الناس ، وانماطا من الاجناس ، وصورا من الاشياء فى البلد الواحدة ، واصبح المسلمون يشكلون حوالي 53٪ من السكان ، والبوذيون حوالي 35٪ ، والهنــدوس حوالي 7٪ ، والمسيحيون 5٪ ، بمعنى ان هذا المجتمع بات خليطا غير متجانس ليس فيه وحدة فى الولاء ، ولا وحدة فى العقيدة ، ولا وحدة فى القومية ، ولا وحدة فى اللغــــة ...

والتبشير هو ايضا اسهم الى حد كبير فى هــذا المخطط الرهيب ، وكان اكثر المبشريــن المضلليــن المخربين من السيلانيين ، وبعض الصينيين والهنود الذين سلمهم المستعمر الكافر هيكل الجهاز الاداري فى الدولة وبقوا ، كذلك ، حتى بعد خروجه من البلاد .

وبالرغم عن هذه الجهود المخربة ، فان التبشير لم يستطع ان يكسب احدا من الملاويين ، الا ان هذا لا يعني فشلهم ، فقد جعل عددا كبيرا منهم مزعــزع العقيدة ، مشوش الفكر ، مضطرب الراى ، تابعا امينا لمدنية الغرب جاهلا تماما لقيم الاسلام الحضارية ..

والنفوذ اليهودي متغلغل داخل ماليزيا بصــورة رهيبة ايضا، ويعود السبب الى ان الماليين والتجار فى سنغفورة جلهم يهود ، وقــد ذكرت مجلــة الحــزب

الاسلامي بان 10٪ من تجار اسرائيل مع شرق آسيا، وفي سنغافوره بعثة عسكرية اسرائيلية ، واليهود ياتون الى سنغافوره ، فيحصلون على جوازات سفر ، ويدخلون ماليزيا تحت ستار انهم مواطنون من سنغافوره .

يخلص من هذا العرض السريع ان هذا المجتمع يعاني من تعدد القوميات الشيء الكثير ، ولا سيما من البوذيين الذين هم من الهنود والصينيين الذين يسيطرون على اقتصاديات البلاد ، والاغلبية ، كما ذكرنا ، من البوذيين والهنود تزيد على 50٪ من الاتحاد تبعا لضم ولاية « ساراواك » و « صباح » البعيدتين كل البعد عن الملايو واللتان كانتا السبب في هذه الاغلبية ...!

وقد حدثت في بلاد ماليزيا عام 1948 ثورة شيوعية مسلحة كتب لها الفشل ، لانها لم تلق تاييدا من اكثرية الشعب ، ويجد الشيوعيون انهم واقفون امام كل القوى لحكومة وطنية يسندها الشعب ، وقد وعدت الحكومة ، اذذاك ، ان تمنحهم عفوا ، وتشركهم في الحياة المدنية اذا القو السلاح واستسلموا ... وقامت مظاهرة بقيادة الامير عبد الرحمن طالكو وعدد من اعضاء الوزارة ، تدعو السكان لتاييد الحكومة في اعلان العفو عن العصاة الشيوعيين بشرط ان يلقوا السلاح ، ويستسلموا لقوات الحكومة الوطنية المستقلة ... والمسلمون يقفون ضد هذه التيارات، ويقومون للدفاع عن اسلامهم رغم ان الاكثرية الساحقة منهم لا تفهم عن الاسلام الا النزر القليل ..

تلك هي قصة ماليزيا المسلمة ، وذلك هو سر الصراع الدائر بين المسلمين والبوذيين ، وهذا ما شغل الصحافة العالمية واجهزة الاعلام طوال الاعوام الماضية ، وهو صراع لن ينتهي الا اذا اتحد المسلمون تحت كلمة واحدة ، واتخذوا رايا جميعا ، ورفرفت عليهم راية المحبة والصفاء ..

فالاسلام ـ كما اسلفنا ـ هو دين الاتحاد الرسمي ، وقد نص دستور الدولة الجديدة عندما اعلن استقلال اتحاد الملايو في 31 غشت 1957 « بان الدين الرسمي للدولة هو الدين الاسلامي » ويعتبر هذا النص حادثة تاريخية في تاريخ الاسلام في هذه المنطقة منذ دخل اول استعمار غربي اوروبي الى ارض الملايو في عام 1511 م . وباعلان الاستقلال بدا الاسلام يخطو خطوات جديدة نحو التقدم ، ونال من اهتمام الحكومة والشعب حظا وفيرا ، واهتمت الحكومة اهتماما بالغا باعلان كلمة الله ، ورفع شعار الدين الاسلامي في البلاد ، وتاكيدا لما تنص عليه الدستور بان الدين الرسمي للدولة هو الاسلام تقرر ان تكون دراسة مادة الدين الاسلامي اجبارية لطلبة المسلمين في جميع المدارس بما فيها المدارس الانجليزية ، مع ان في عهد الاستعمار كان التعليم الاسلامي مقصورا على طلبة المدارس الدينية .

واشار دولة رئيس وزراء ماليزيا اخيرا بانه قد تم انشاء المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية على المستوى الفيدرالي في ماليزيا ليقوم باعمال التنسيق في جميع الشؤون الدينية ، كما اوضح بان من بين واجبات ومهمات هذا المجلس هو العمل على جعل الدين الاسلامي الذي هو دين الدولة الرسمي ذا اهمية كبرى واكثر مما اعطى له من قبل .

وياخذك الدهش والعجب ما تراه من تمسك المسلمين بمبادىء الاسلام السامية واصوله العامة ، حيث يعملون على الاتصال بالعالم الاسلامي في كل مكان ، وليست اللغة العربية هي الرابطة الوحيدة بين الملايو وبين العالم العربي والاسلامي ، ففي كل سنة يسافر الوف منهم الى الديار المقدسة لاداء فريضة الحج ، ولفرط اهتمامهم بهذه الشعيرة المقدسة ان الامير عبد الرحمن طالكو رئيس الوزارة وزعيم الحركة القومية اعرب عن شكره لله تعالى ، وعلى نضاله القومي حيث ادى فريضة الحج غب الاستقلال وتحرير البلاد ...

ورغم بعدالنوى، وطول الشقة، وشطوط المزارفان اكثر من عشرة آلاف مسلم ماليزي يحجون الى بيت الله في مكة كل عام ... من بينهم نحو ثمانية آلاف حاج ينتقلون الى الاراضي الحجازية بالبواخر وتخصص الحكومة ثلاث سفن لنقلهم على دفعات ، وباقي الحجاج يستخدمون الطائرات لتادية هذه الفريضة ، ولقب « حاج » عندهم هو في نهاية الاعتبار ...

ومن الملاحظ انهم يتتبعون في بلادهم نظاما تعاونيا للحج كل عام ... فعلى مدار السنة يستطيع ان يدفع كل راغب في الحج في كل شهر قسطا من دخله او راتبه بحيث يجد في نهاية العام مبلغا كافيا للسفر الى الحج ، وتشرف على هذه الاقساط الشهرية جمعيات تعاونية في كل حي من الاحياء ... ولا شك ان ميزة هذا النظام التعاوني تساعد اصحاب الدخول

المحدودة في جمع المبالغ اللازمة لتيسير الحج لهم دون ارهـــاق .

ومن رقة هذا الشعب ولطفه . وشدة اهتمـــام حكومته بتهذيبه وترقيته ، واظهاره امام الملأ بالمظهر الجميل المهذب المحبوب ، انهم وضعــوا في المتحـف الوطني في كوالالمبور ، الذي يضم كثيــرا من التحف والاعلاق التي تتحدث عن ثقافة الشعـــب وتطـوره ، تصميما عجيبا لاعمال الحج يبتديء من مغادرة الحاج الماليزي بلاده عن طريق الباخرة ووصوله الى الحجاز، ويرسمون له ، قبل توجهه اليه ، صورة مصغرة للكعبة والناس يطوفون حولها ثم هم يسعــون بين الصفــا والمروة وما الى ذلك من بقيـــة المناســك .. اي ان حكومته تقدم للحاج الماليزي قبل ذهابه الى البقـاع المقدسة صورة مصغرة عن عملية الحج ... ولا شك في ان ذلك من الفائدة ما فيه ...

ان محمدا عليه السلام فرض هذه الشعيرة على من استطاعها فرضا مقدسا ، ولذلك ما زالـت مكـة المكرمة حتى اليوم ، والى ان يــرث الله الارض ومن عليها ، مجتمعا يجتمع فيه كل عام نحو مليون ونصف مليون وافدين من كل رقعة من رقاع العالم الاسلامي ، وهناك امام الكعبة المقدسة في مكة المكرمـــة يتعارف المسلمون على اختلاف الالسنة والاجناس والالـوان ، ويتباثون العواطف الدينية ، ويتباحثون في الشـؤون الاسلامية ، ثم ينقلبون الى أوطانهم نائليـــن لقـب « الحاج » ذلك اللقب الذي يعرف صاحبه بالتقوى ، فيجله اخوانه المسلمون ، ويعلون منزلته ما دام حيا ، لذلك كانت حكومة ماليزيا تعتني بحجاجها قبل ذهابهم الى الحـــج ...

وقد كان الاوربيون يمنعون المسلمين الماليزيين من الذهاب الى الديار المقدسة لفوائد التي ذكرناها ، وقد لفت نظرهم الى هذا المنع العلامة المستشـــرق الهولاندي « سنوك هورغرونيه » مستشـــار نظـارة المستعمرات الهولاندية في المسائل الاسلامية والعربية، وهو من الافذاذ الذين وقفوا على احوال الاسلام عموما، وبلاد جنوب شرق آسيا خصوصا ، واقام بتلك الديار سبعة عشر عاما حيث قال : « بأن الحكومة الهولاندية تخطيء اذا اقامت عقبات في طريق الحج ، لا سيما ان مسلمي سومطرة وبورنيو وجاوه هم اشد المسلمين محافظة على هذا الركن من اركان الدين ، وان تصعيب الحج عليهم لا ياتي هولاندة بغير اثارة الخواطر ، وقلق الافكار ، وقد رد على بعض النواب الهولانديين الذين يسترسلون الى الخيالات من امر الحـــج ، ويظنـــون انفسهم قد احسنوا صنعا في حمل الحكومة على منــع الحج او تصعيب سبيله ، ويقول : « ان على الحكومة الهولاندية ، اذذاك ان تسلك سبيلا وسطا ، فلا تحث على فريضة اسلامية ولا تنهى عنها ... »

وفي كل ولاية من ولايات ماليزيا توجـــد ادارة للشؤون الدينية الاسلامية وهي مصلحة حكومية تشرف على المدارس الدينية والاوقاف والزكاة واعمال البـر والاحسان ، وهناك جمعية تدعى « الجمعية الرحمانية» ويتكون اعضاؤها من الطلبـــة الذين يتخرجـــون من جامعة الملايو .

وان الاعمال الخيرية الاسلامية في ماليزيـــا لا يتوقف نشاطها داخل البلاد ، ولكنها تتجاوز خــارج البلاد ايضا ، وهذه الاعمال كلها تهدف الى رفع شعار الاسلام ، وتهذيب الناس بالتربية الاسلامية ؛ وتخصص الحكومة المركزية ، وحكومة كل ولاية منحا دراسيـة تعطى للطلبة ليواصلوا دراساتهم العالية خارج البلاد ، كما تقوم وزارة الاصلاح الوطني بمكافحة الامية في الارياف والقرى البعيدة ... وتقوم الحكومة ايضا ، بجهود كبيرة عن طريق « الجمعية الخيرية الاسلامية» في مجال نشر الدعوة الاسلامية ، فقد تاسست هـذه الجمعية في 19 غشت 1960 تحت رعاية تنكـــو عبد الرحمن فترا رئيس الوزراء ، ومن اهم اهداف هذه الجمعية تقديم العون والاسهام في جميع وجوه الخير، لا فرق بين المسلمين وغيرهم من اصحاب الديانـــات المختلفة ، ودعوتهم الى الاسلام ، والعمل على تقريب الصلات ، وأواصر المحبة بين الجميع ، وقد بدا العمل في هذا المركز في يناير 1963 « بدار الارقم » تيمنـــا بدار الارقم الموجودة في مكة والتي بدأ منها اول انتشار للاسلام ، وتلقى فيها محاضرات دينية باللغات الصينية والملاوية والانجليزية ، كما تصدر منها منشــــورات اسلامية ، وقد اثمرت هذه الجهود واعطـت نتائـــج ملموسة ، فقد اسلم عام 1963 ستة وثلاثـــون مـن الصينيين ، وفي عام 1964 بلغ عـــدد الذين اسلمـوا تسعة وتسعين ، وفي عام 1965 تسعة وعشرين ...

ومن الجمعيات الاسلامية العاملة بماليزيا لصالح الدعوة الاسلامية ، والاصلاح الاجتماعـي جمعيـة الدعوة الاسلامية ، وجمعية الشبـــاب المسلميـــن ، واتحاد علماء الدين الاسلامي، واتحاد الطلبة المسلمين، وجمعية الاصلاح في « كوتابهادر »

وقد تقرر ان يقوم المجلس الوطني الاسلامي في ماليزيا بمهمة ترجمة الحديث الشريف الى اللغة الملاوية اعتبارا من عام 1972 ، وذلك بعد الانتهاء من ترجمة معاني القرءان الكريم ..

وقد تلقى المسلمون «الملاويون» المجلد الاول من ترجمة معاني القرءان الكريم ، والذى يتضمن الاجزاء العشرة الاولى بترحيب كبير ، ويوشك المجلد الثاني على الاكتمال ..

* * *

هذه البلاد الاسلامية الراقية التي تنعم اليوم بسمعة طيبة في عالم الاسلام والمسلمين كيف دخلها الاسلام ؟ ومن هم الفاتحون الاولون ؟

يقول علماء التاريخ ان الذين ادخلوا الاسلام الى تلك الجزر الموجودة في جنوب شرق آسيا هم العرب، وذلك بواسطة التجارة والملاحة ، فانهم نزلوا أولا بالثغور البحرية ، وبالمراسي الشهيرة ، واخذوا ينتشرون منها شيئا فشيئا في الداخل ، وكانوا لا يلوون على شيء سوى الاخذ والعطاء ، ولم يظهر أصلا انهم قصدوا بادىء ذي بدء تاسيس ملك ولا فتح بلدان ، ولكن عندما صارت الامة الماليزية تناظرهم وتسد عليهم طريقهم التجأ هؤلاء العرب الملاحون المرابحون الى القوة المسلحة حفظا لحريتهم ووقاية لمرفقهم فكانت مملكة « داماك » (Damak) وهي أول فتح عرف في الجاوى .

ومن المعلوم ان العرب قد عرفوا من زمن قديم بلاد ماليزية ، وثبت أنه في القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر ، طاف كثير من سياح العرب في سواحل الهند والصين والجزر الماليزية .

قال المسيو « بيار غونو » « Pierre Gonnaud » صاحب كتاب « الاستعمار الهولاندي في الجاوى » : ان المدنية الاسلامية في القرن العاشر كانت تلمع باسطع اشعتها ، وكان الخليفة يتولى سلطنته قوية سعيدة ، وكانت من جميع الجوانب تمتد طرق التجارة فيتلاقى في وسط مملكة الخليفة الشرق والغرب ، وقد احصيت تلك الطرق بين الغرب والشرق فكانت خمسا .

الاولى : من البحر الاحمر الى الحجاز وجدة الى السند والهند الى الصين . والثانية : من انطاكية الى بغداد الى الابلة الى الهند . والثالثة من جهة بحر الخزر «قزوين» الى الشرق . والرابعة، وهي طريق ابن بطوطة المغربي حيث كانت تبتدىء من طنجة في الغرب ، فتخترق افريقية الشمالية الى مصر الى الشام الى بغداد فالبصرة فالاهواز ففارس فكرمان الى السند فالهند فالصين . والخامسة كانت شمالية تبدأ من المانية فتمر بالروسية الى بلاد ما وراء النهر الى الصين ...

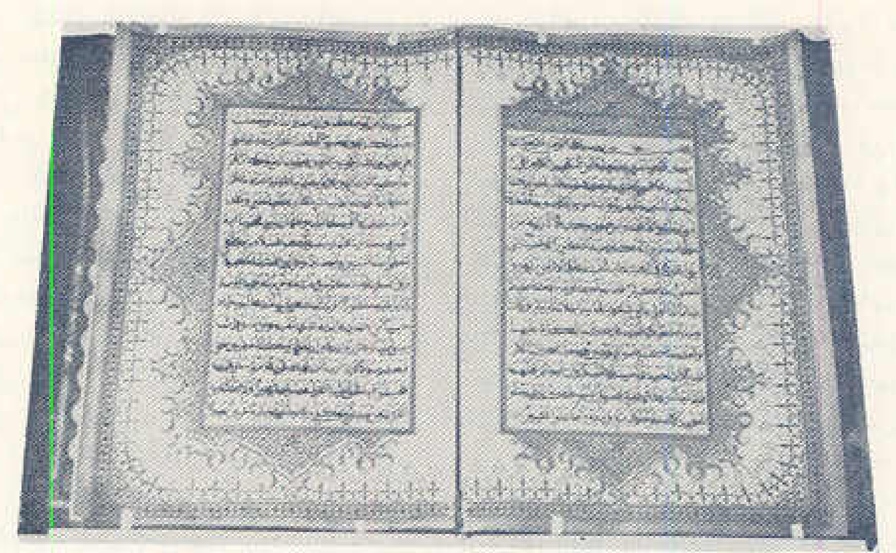
وكان انتشار قوة الاسلام اقتضى توسيع المعلومات الجغرافية فوجه زعماء الاسلام عنايتهم الى جوب جميع البلدان التي دخلت في حوزتهم ؛ بل ان فتوحات الاسلام الاولى كانت منذ القرن الاول للهجرة بدون برنامج معين ، وعلى طريق الاتفاق ، ولكن كلما كان المسلمون فتحوا قطرا حددوا حدوده وخططوا مسالكه ، واجتهدوا في معرفة موارد حياته ...

وقد تحصل العرب عموما على احترام عظيم من الاهالي ، ونفوذ كبير فيهم ، ولا سيما السادة والاشراف سلالة الحسن والحسين سبطي المصطفى عليه السلام ، فقد تبارى امراء الاهالي وملوكهم المسلمون بالتقرب اليهم بمصاهرتهم وبتزويج بناتهم منهم ، ويتفاخرون اذا ولدن منهم سادة واشرافا ..

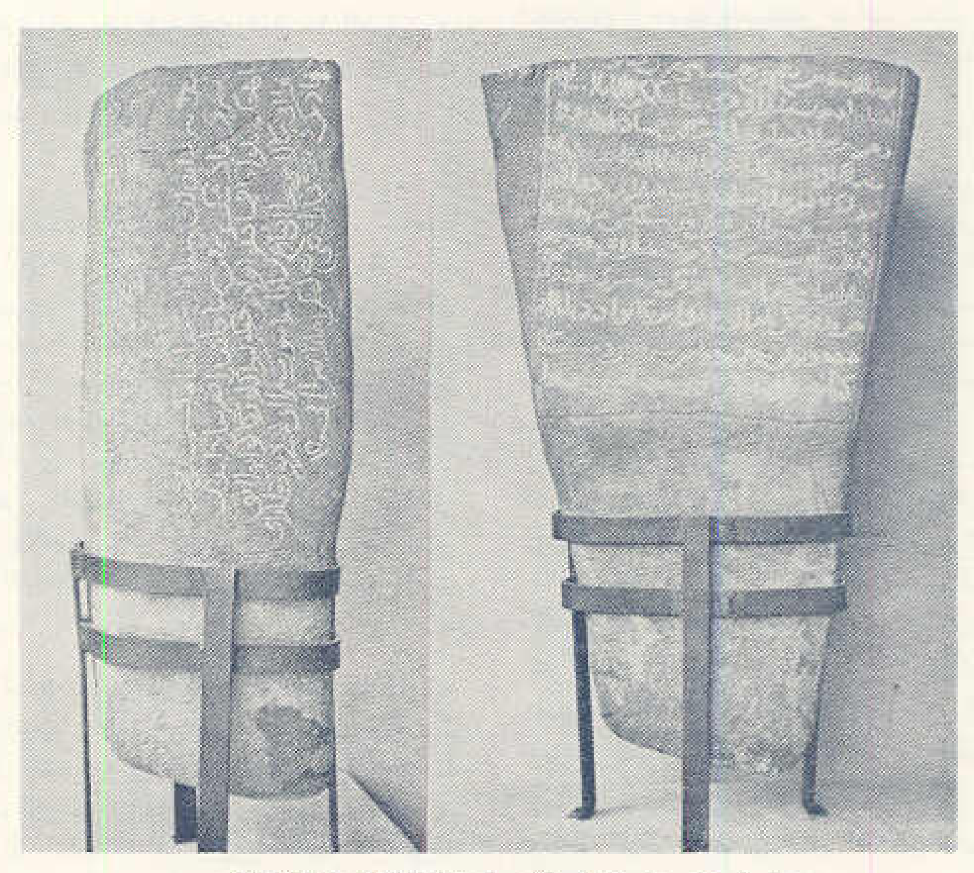
وهكذا ازدادت الفتوحات وازدادت معارف المسلمين الجغرافية ، وأصبح الارخبيل الماليزى معروفا ، فقد عرفه المسعودي وذكر استيلاء الهند على الجانب الغربي منها ، واشار الى وفرة الجبال النارية فيها وجميع انواع الافاوية والعطور والكافور والطيب والقرنفل والصندل .. كما زار ابو الريحان محمد بلاد الهند في القرن الحادي عشر ، وكتب عنها ، وكان الادريسي الذى عاش في بلاد روجر صاحب صقلية ياخذ عن تجار العرب الذين يترددون على « بالرم » وهو اول من سمى باسم « الماليز » احد الشعوب الساكنة في الجاوى .

ولا شك في ان تسمية الادريسي أحدى الشعوب الساكنة في الجاوى بالماليز انما كان عنوانا على رقعة واسعة جدا، لعبت، وما تزال تلعب دورا بالغا في تقرير مصير الشرق الاسيوي ، فهي لا تعني ، طبعا ، الكيان السياسي المعترف به دوليا في ايامنا هذه ؛ بل تعني جغرافيا ، البلاد الواقعة في دول اندونيسيا والملايو والفلبين .

ووصف ابو الفداء الجغرافي بلاد الارخبيل الماليزي ، فاطلع على احوال الجاوى والجزر المجاورة لها ، ونشر كل ما عنده من العلم في عصره عن هذه الجزر العجيبة الفياضة بالخيرات ، الزاخرة بالعمران.



المصحف الكريم مكتوب بخطوط قديمة عمره حوالى 200 سنة .
محفوظ فى دار الكتب الوطنية ، كوالا لمبور



قطعة حجر من الآثار القديمة وعليها كتابة بالخط العربي
محفوظة فى دار الكتب الوطنية ، بكوالا لمبور

وكان السفير المتنقل الرحالة الاسلامي المغربي الطنجي اللواتي ابو عبد الله محمد بن عبد الله ابن بطوطة قد وصل الى بلدة « قاساي » وذكر فى مذكرته بان الاسلام هو الدين الذي يعتنقه سكان هذه البلدة والبلدان المجاورة ، كما امتدح ملك « سومطرة » فى القرن الرابع عشر بانه جاهد فى الكفار ، ووجدهم يتخذون الشافعية مذهبا لهم ، ومن الرحالة المغربي علمنا ان سلطان سومطرا المسلم قد حسن العلاقات مع ملك « دهلي » وان من العلماء الدينيين المقربين الى السلطان السومطري اثنين من بلاد فارس احدهما من شيراز ، والآخر من اصبهان ، وتمتد سلطنة هذا الملك المسلم ، الذي كان اسمه الملك الزاهر ، على الشاطىء مسافة ايام سفرا ، وقد كان محبا للمباحثة مع علماء الدين ، وكان فى حاشيته شعراء وعلماء .

ومن الجدير بالذكر ان العرب قبل استيلاء الاوربيين على هذه الديار كانت لهم معرفة تامة بها وبخيراتها ومسالكها ، وبالبراكين التي فيها ، وكانوا يعلمون ان فيها مسالك عظاما ، كما انهم لما وصلوها لم يفكروا فتحها بالسيف كما فتحوا آسيا الصغرى واسبانيا وافريقيا ، لانهم لم تكن بايديهم قوة كافية ازاء تلك الممالك ، وانما كانوا تجارا ومرتزقين هنا وهناك ...

قال « فان در برغ » « Van der Berg » صاحب كتاب المستعمرات العربية فى الارخبيل الهندي : « لما كان العرب اعلى درجة فى المدنية من اهل تلك البلاد جعلوا لانفسهم مقاما ممتازا حفظوه الى يومنا هذا في وسط الشعوب الاسيوية التي انتجعوا بلادها ، وهذا المقام الخاص بهم له اسباب خلقية وطبيعية انضمت اليها عوامل اخرى تجارية ومزايا اكسبهم اياها الاغتراب ؛ وطول السفار هي التي كانت الاصل الاصيل فى نجاح العرب وفلاحهم وتبسطهم من السواحل الى الداخل ، ونشر عاداتهم وعقائدهم حيث نشروا تجارتهم » .

فالعرب لم يؤسسوا فى الحقيقة سلطنة اسلامية جامعة فى هذه البلاد ، لانه كان يحول دون اتحاد السلطنة حوائل كثيرة ، وانما اسسوا هيئة اجتماعية اسلامية يمكنها ان تبقى ثابتة من فوق الممالك ، ولذلك بقيت الان ، ولله الحمد ، امة ماليزية محمدية ، وحد الاسلام بين امرائها واورثها قوة جعلتها تقف فى وجه الغرباء الذين حاولوا فك اوصالها .

والعرب المسلمون لما وطئوا هاتيك الشواطىء جاؤوا بمعلومات قيمة كانت مجهولة عند اهل الشرق الاقصى مثل علم الهيئة والتقويم والجغرافية والعروض والاطوال لتحديد الاقاليم، وكان فن الملاحة بالغا عند العرب الدرجة الاولى من الاتقان ، وكانوا قوامين على الاسفار خبيرين باحوال الامم ، ويقال انهم كانوا عرفوا ابرة المغنطيس ، وكانوا ينشؤون الجواري كالاعلام ، ويقطعون البحار بمزيد الجراة والاقدام، وكانت لهم خبرة رائدة بالطرق البحرية والمراسي ونقاط الخط والاقلاع حتى كان السياح الاوربيون لاول عهد دخولهم الى آسيا مفتقرين اليهم ، وقد خلق العربي تاجرا بفطرته خبيرا بالعمليات المالية والحسابية وباساليب الاخذ والعطاء ، فتعلم الماليزيون من العرب اصول التجارة ، وطرق البيع والمساومة وطريقة تحديد اثمان الحبوب والبضائع وتاسيس المستودعات التي هي الواسطة بين الزارع والصانع وبين التاجر المشتري وطريقة السفتجة التي كانت عند العرب اذذاك .

وقد اثرت النظم الاسلامية فى حياة الشعب الماليزي ، حيث خضعت حياتهم تحت هذه النظم الاسلامية ، كما ساعدت القوانين المستمدة من الشريعة الاسلامية على تنظيم حياة المسلمين فى ماليزيا ، ومما يدل على تغلغل النفوذ الاسلامي فى ماليزيا الغربية (شبه جزيرة الملايو) بصفة خاصة وماليزيا كلها بصفة عامة ما وجد فى حكومة ولاية « فيرق » التي ادخلت كثيرا من القوانين والشريعة الاسلامية فى القوانين المعمولة فى هذه الولاية ... فهناك قانون يعرف بقانون 99 ، فيه كثير من المواد المستمدة من الشريعة الاسلامية ، ويبدو هذا النفوذ واضحا جليا فى كتاب يسمى « ميساملايو » وهو احد الكتب التاريخية التي تم تاليفها فى القرن الثامن عشر ... ومما ذكره الكتاب المذكور انالسلطان اسكندر حاكم ولايةفيرق الذى كان يتولى الحكم فى الفترة ما بين 1756 — 1770 قد انشا عدة مساجد بكامل مرافقها ، وكما كان يحتفل بالمناسبات الدينية احتفالا كبيرا بحضره جمهور غفير من الشعب ورؤساء المقاطعات والمديريات فى البلاد ، وفى كتاب «الاحكام فى ملقة» الذى تم وضعه فى القرن الخامس عشر وجد كثير من نصوص القوانين المستمدة من الشريعة الاسلامية استعملت لتنظيم حياة المسلمين فى ذلك الوقت ، ومن اشهر الكتب التاريخية كتاب « حكاية امير حمزة » وكتاب «حكاية محمد علي حنفية» وكما يقول مؤلف « تاريخ الملايو » ان هذين الكتابين

كانا معروفين تمتد جذورهما في دنيا التاريخ القديم ؛ ومنذ القرن الخامس عشر انتشرت الدراسات الاسلامية في « ملقة » وتقدمت تقدما عظيما ، وتشير الروايات التاريخية ، كما جاء في كتاب « تاريخ الملايو » الى قيام الاتصالات بين « ملقة » ومملكة « فاساي » كما تبودلت البعثات الدراسية بين العاصمتين ، وجرت البحوث العلمية والفلسفية بين علماء العاصمتين، وان الاهتمام من الحاكم والشعب حول الامور الاسلامية كان عظيما للغاية ، فالعلماء مكرمون تكريما لائقا بمكانتهم ، بل أن السلطان « منصور شاه » استلم من احد علماء حضرموت كتابا اسمه « دار المظلوم » وامر باستقبال هذا الكتاب استقبالا كبيرا ، كما أمر بعرضه في موكب شعبي ليطوف حول المدينة ، وذلك تكريما له ، ثم امر بعد ذلك بارساله الى « فاساي » لترجمته من العربية الى الملايوية . .

هكذا انتشر الاسلام في الملايو ، وقوى جذعه ، واستوت سوقه ، وامتدت جذوره ، وبسقت أغصانه وفروعه ، وينعت ثماره ، ونشأت حكومة ملاوية عظيمة مركزها « ملقة » ، فانتشر الاسلام عن طريق هذه الحكومة انتشارا مزدهرا في بقية البلاد ، وقد كان وصول الاسلام الى هذه البلدة في عام 1314 كما ان روح الاصلاح ما برحت تدب في كل عرق من عروق تلك المناطق الشاسعة الاطراف دبيبا طبيعيا هائلا ، فتدفعه الى الامام دفعا متواصلا ، ومن الوثائق التي عثر عنها لدى بعض الصينيين الذين قدموا « ملقة » في عام 1413 م ما يدل على ان سكان هذه المدينة في ذلك الوقت كانوا قد اعتنقوا الاسلام ، وفتحوا بلادا عديدة ، ورقاعا في الارض كبيرة ، واستأصلوا شأفة المجوسية . . .

وساعدت « ملقة » عوامل كثيرة لنشر الاسلام في جنوب شرقي آسيا ، فعين سلطانها أحد أولاده ملكا مسلما على ولاية « تهنج » وأشاع الاسلام في ولاية « ترانكانو » التي يسكنها اليوم صديقنا العالم السيد يوسف بن علي الزواوي المدرس باحد مدارسها العلمية، والذي افادنا كثيرا فيما يتعلق بالشؤون الاسلامية لبلاد ماليزيا ، ولعله من أصل عربي أصيل ، وهو من افاضل القوم ، وهذه المدينة كانت تابعة « لملقة » ومنها جاء الاسلام الى ولاية « فطاني » التي ينتمي اليها سعادة سفير المملكة العربية السعودية حاليا بكوالالمبور السيد حسن فطاني ، ومن هذه المدينة ايضا انتشر الاسلام الى ولاية « كلانتن » التي ينتمي اليها اخونا الفاضل داود بن محمد المفتش الديني بهذه الولاية ، ولما كانت « ملقة » دولة حاكمة مسيطرة على الولايات في شبه جزيرة الملايو ، وفي شرق سومطرة كان من اللازم ان ينتشر الاسلام ، ويمتد كامتداد دولتها .

كما لعب العلماء دورا سياسيا هاما في توسيع المجالات لنشر الاسلام وتوحيد صفوف المسلمين عند تقدم الاستعمار البرتغالي ، والنفوذ الهولاندي والانجليزي في شبه جزيرة الملايو وجزرها الاخرى ، فقد انتقل النشاط الاسلامي الذي كان قائما في «ملقة» الى استيلاء البرتغاليين على حكومة هذه البلاد عام 1511 م الى « أتشيه » في سومطرة ، ولم يكن هذا الانتقال نهاية للازدهار الاسلامي في شبه جزيرة الملايو بل ان الاسلام ما زال يزدهر في ربوع تلك البلاد رغم محاولات البرتغاليين في بث التعاليم المسيحية ، ونشرها بين المسلمين الملاويين سكان البلاد .

وفي الآثار المدونة في كتب البرتغاليين ما يشير الى ان ولايات « بيراق » و « باهانج » و « جوهر » كان يحكمها ولاة مسلمون مالاويون اثناء الحكم البرتغالي على « ملقة » ، وحكام « جوهر » كانوا دائما معجبين اعجابا شديدا بالاسلام فخورين به ، بل ان اهتمامهم وعنايتهم بالاسلام معروفة ، وكانوا يستدعون العلماء الى بلادهم لتعليم أحكام الاسلام ، ومن أفاضل هذه البلاد ونبلائها الداعية المخلص ، والرائد الخريت المصلح ، فضيلة الاستاذ الوقور السيد عبد القادر بن حسن الذي ما كاد يعرف بوجودنا ، ويسمع عن الوفد المغربي بمناسبة انعقاد المؤتمر الاسلامي الدولي بعاصمة ماليزيا كوالالمبور ا ابريل 1969) حتى شد الرحلة من بلده البعيدة، رغم تقدمه في السن ، ليتصل بنا ، ويحيينا تحية الاسلام ، ويتذكر معنا ارتساماته اللطاف التي قضاها مع اخوانه المغاربة منذ خمس وثلاثين سنة ، ثم ليطلب منا « مصحف الحسن الثاني» الذي يتشوف اليه جميع الماليزيين ، وقد وزع الوفد عدة نسخ من المصحف الشريف ، فبعثناه اليه بعد الاوبة الى الوطن ، وزودناه بجميع منشوراتنا ومطبوعاتنا حفظه الله للاسلام ، وابقاه واطال عمره . .

بهذه الجهود القويمة ، والتشبث الصارم ، والحضور الدائم مضى الاسلام يشق طريقه ، ويوسع آفاقه في جنوب شرق آسيا ، الى ان صدمته صخرة الاستعمار الهولاندي والبريطاني والاسباني في أواخر القرن السادس عشر ، فحاولت أن توقف نمو الاسلام، ودفعت بارساليتها التبشيرية ذات النفوذ القوي ،

والموارد الضخمة وحماية الدولة المستعمرة لتجسم مجالا خصبا بين الوثنيين ...

فالحضور الاسلامي في بلاد ماليزيا كان دائما يقف ، حائلا في الماضي والحاضر ، في موقف الدفاع عن الذات ، فاستطاع ان يدفع خطر الابادة عن نفسه ويدرأ عنه ما بيته المبشرون من كيد وبلاء ، واستئصال وفنــــاء ...

❊ ❊ ❊

وفي « ملقة » حصر البرتغاليـــون نشاطهـــم ، وعقلوا جهدهم ، واتخذوا هذه المدينة قاعدة لخططهم في الاستيلاء على تجارة الشرق الاقصى ، واحتـــلال المواقع التي تضمن لهم ذلك ، وجاء الهولانديـــون ، وانتزعوا « ملقة » منهم 1641 م وبقوا هنـــاك الى ان استبدلها مع الانجليز ب « بنكولـــن » الواقعـــة على الشاطيء الغربي لسومطرة عام 1825 .

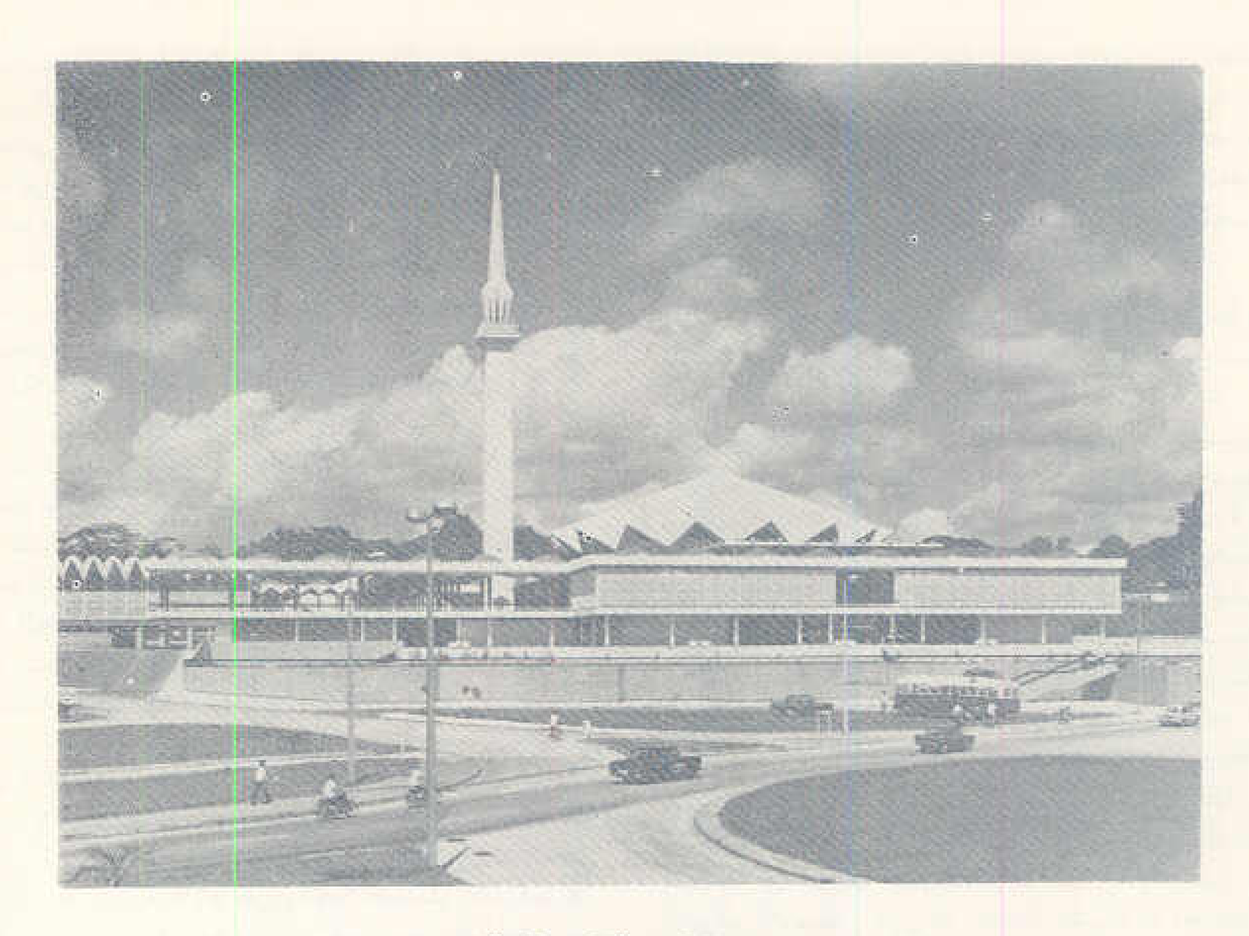
وانشا البريطانيون مستعمرتهم الاولى بالملايو في « بينانغ » التي استاجروها عام 1786 من سلطـــان « كداه » ، ومن غرائب الاتفاق ، وعجيب الصـــدف والمقادير ان يتولى اعلان استقلال الملايو الامير عبد الرحمن تانكو الحاج زعيم الحركة القومية ، وهو احد ابناء سلطان « كداه » السابق واخو السلطان الحالي في بداية الاستقلال بعد 171 سنة على الرقابة البريطانية، واخذ البريطانيون « سنغفورة » من حاكم دولة جوهر سنة 1819 . وحكموها مع « بينانـــغ » و « ملقـــة » كمستعمرة للتاج البريطاني في المضائق والخلجان الى نشوب الحرب في الشرق الاقصى 1941 .

وبدأ التدخل البريطاني في دول الملايو التســـع بمعاهدة « بانقكور » سنة 1874 . وماحلت سنة 1896 حتى كان مقيمون بريطانيون معينين لدى الدول الاربع « بيراك » و « سيلانكور » و « نيغري سيمبيلان » و « بيهانغ » التي جمعت في اتحاد يدار من كوالالمبور ، وعرفت اذذاك بدول اتحاد الملايا ، وبقيـــت الـــدول الخمس الاخرى خارجة عن هذا الاتحاد ، وظلت كل من « كداه » و « برليس » و « كالانتان » و « ترنكانـــو » حتى عام 1909 تحت سيادة سيام ، وفي تلك السنـــة عقدت معاهدة بريطانية سامية حولت فيها حماية تلك الدول الى بريطانيا ، وقبلت النصيحة البريطانية في شؤونها الادارية .

واحتفظت سلطنة « جوهر » باستقلالها حتـــى عام 1914 ، رغم ارتباط سلطانها بعلاقات مباشرة مع الملكة فيكتوريا منذ 1875 عند ما زار لندن ، وعقـــد ابنه السلطان ابراهيم المعاصر معاهدة مع بريطانيا وقبل مستشارا منها عام 1914 ؛ وقد احتـــل اليابانيـــون الملايو من سنة 1942 الى سنة 1945 . وبعـــد ان حررتها القوات البريطانية ، واستمـــر فيها الحكـــم العسكري مدة قصيرة نفذت الحكومـــة البريطانيـــة دستورا جديدا وحد مستعمرتي « بينانغ » « ملقة » مع دول الملايو التسع ، ولكنه جعل تلك الاراضـــي المحمية كلها مستعمرة بريطانية ، فقابل الشعب هـــذا العمل بمعارضة شديدة انتهت باعداد دستور للتوفيق عام 1948 باسم اتحاد الملايو .

لكن الحكومة الجادة العاملة لا تكفي لســـد فراغ الحكم الذاتي ، ولم يكن من المستطاع كبـــح رغبـــات الشعب الملاوي في الحرية والاستقلال ما دام يرى ان جميع الدول المجاورة له اصبحت مستقلة مثل الفليبين واندونيسيا وبورما والهند والباكستان وسيـــلان ، ولذلك اتحدت صفوف الشعب ، والتـــم شملـــه ، وانطلق في مواكب الجهاد واعلام النصر في حركة ضاغطة ترمي الى اعلان الاستقلال تحت زعامة حزب التحالف وتم ذلك برئاسة الامير الجليل التانكو عبد الرحمن فترا ... واجريت انتخابات وطنية لاول مرة في شهر يونيه 1955 لملء 52 مقعدا من 98 مقعـــدا المجلس التشريعي الاتحادي ، فكسب **حزب التحالف** المطالب بالاستقلال العاجل 51 مقعدا ... وقـــد استقبلـــت الحكومة البريطانية على اثر هذه النتائـــج وفـــدا من الحكومة الاتحادية المؤلفة من زعماء ذلك الحزب في اوائل 1956 ، وعقد مؤتمر لندن المعروف ، واتفـــق فيه على ان تصير الملايو دولة مستقلة في آخر شهـــر غشـــت 1957 ، وتقـــرر كتدبيـــر ابتدائـــي اعطـــاء الصلاحيات الخاصة بالمسائل الاقتصادية والماليـــة والامن الداخلي لوزراء منتخبين من الشعب بعـــد ان كانت بايدي موظفين بريطانيين . وجرت بعد ذلـــك محادثات كان آخرها في شهر ماي حيث اعد دستـــور يتيح للملايو ان يبرز كأمة تامة الاستقلال ، وقررت ان تكون عضوا في الكومنولث بعد هذا الاستقلال ، وان تظل ضمن كتلة الاسترليني ... وكان اتحاد ماليزيا عام 1963 يضم جزيرة سنغافورة ، ولكنها انسحبت من الاتحاد بعد ذلك بعامين ...

وحزب التحالف هو الذي استلم الحكم في ماليزيا عقب استقلالها وهو ائتلاف من حزب ملاوي قوي ،



المسجد الوطني العظيم بكوالالمبور



الوف من الامة الإسلامية الماليزية يتظاهرون فى الشوارع بقيادة صاحب الجلالة السلطان
بمناسبة ذكرى مولد النبي الشريف فى كوالا لمبور

ويرأسه الامير طنكو عبد الرحمن الذي هو رئيس الوزراء ، ومن حزب هندي ، ويدعى المؤتمر الهندي الماليزي ، وحزب صيني ، ويدعى الجمعية الصينية الماليزية) ويعتبر نظام الحكم فى هذه البلاد ديمقراطيا بالمفهوم الغربي بكل محاسنه ومساوئه ، وفى السياسة الداخلية حرية نسبية فى القول والعمل والكتابة، وجهد عامل نحو التنمية والتطوير فى شتى المجالات ، ومحاولات فاشلة فى صهر عناصر المجتمع المتنافرة فى بوتقة ماليزية واحدة . اما المعارضة فتتالف من احزاب اهمها : 1) الحزب الملاوي القومي الاسلامي الذي كان يحكم مقاطعتين من المقاطعات الاحدى عشرة ، ولا يزال يحكم مقاطعة فى الشمال الشرقي من البلاد اسمها « كلنتان » . 2) حزب العمل الديمقراطي وهو نفس الحزب الحاكم فى سنغفورة وغالبيته من الصين . 3) الحزب الشيوعي وهو حزب صيني ممنوع ، قاتل فى سبيل الاستيلاء على الحكم مدة عشر سنوات ، وساعدت انكلترا الملايو فى مكافحة حرب العصابات التي قادها هذا الحزب الى ان انتهت منذ ثلاث عشر سنة تقريبا ، وهذا الحزب الشيوعي السري لا زال قويا لانه يعتمد على عنصر الصينيين فى الطبقات العاملة وبين اوساط المتعلمين والطلاب ... 4) حزب العمال وغالبيته صينية ، ويشكل واجهة للعناصر الماركسية. 5) حزب اشتراكي ملاوي ، صغير ليس له نفوذ فى اوساط الملاويين . 5) وفى الاعوام الاخيرة ظهر حزب من المثقفين الاشتراكيين غالبية زعمائه من الصينيين ايضا ، ومن بعض الهنود والسيلانيين وملاوي واحد وضع واجهة للحزب ثم سلموه رئاسته ، وهو مدرس فى جامعة سنغافورة ، ومن اصل عربي ... 7) حزب الشعب التقدمي ، وهو من الهنود ...

* * *

وبلاد ماليزيا تسير بخطى فى ميادين التعليم والثقافة ، وتقبل على الكرع من حياض المعرفة والعلوم، وتاخذ بشيء غير قليل من المعارف الاسلامية ، والثقافة العربية ، كما تعمل على محافظة شخصية البلاد ؛ فاللغة الملاوية هي لغة البلاد الرسمية ، وكانت تكتب بالاحرف العربية بسبب اعتناق اجدادهم القدماء للدين الاسلامي ، وسيظلون يستعملون هذه الاحرف من اجل التعليم الديني الى جانب الاحرف اللاتينية التي بداوا يكتبون بها لغتهم من عهد قريب ، وفى لغة الملايو ما يزيد على 25 ٪ من كلماتها ماخوذة من العربية .. ولا ننسى ان نشير بان الهنود والباكستانيين يتكلمون لغة بلادهم وللصينيين لغتهم ذات اللهجات الكثيرة ، كما توجد اللغة الانجليزية .. وقد قال بعض الكتاب : انه لا يكاد يوجد واحد من عشرة آلاف من الماليزيين يستطيعون قراءة اللافتات الموجودة على واجهات المتاجر والدكاكين والمحال التجارية فى شارع واحد من البلد .

من اجل حل هذه المعضلة فقد اوجبت الحكومة تدريس لغة الملايو فى غير المدارس الملاوية تمهيدا لجعلها اللغة الرسمية فى مدى عشر سنوات .. وان معظم المسلمين الماليزيين يحفظون القرآن الكريم على ظهر قلب ، وابناء المسلمين يقبلون من صغرهم بكل اهتمام على حفظ الآيات القرآنيه ، بل ان شهر رمضان المعظم يمر فى هذا القطر ، فى مواسم خاصة ، ومهرجانات رائعة ، ولهم به اهتمامات خاصة كترتيل آيات من الذكر الحكيم حيث تقام مسابقات دولية لتلاوة القرآن يشترك فيها المقرئون والمقرئات من بلدان آسيا ، وبلاد الشرق الاوسط والمغرب .. ولا سيما عند الافطار حتى ساعات السحور ، ويتخلل هذه الاحتفالات تقديم الحلوى على اختلاف انواعها .. ولتعلقهم بالدراسات الاسلامية ، فقد اسسوا كلية اسلامية فى بلادهم بمساعدة اخوانهم المسلمين فى الشرق الاوسط الذين لم يكتفوا بالمساهمة المالية السخية فى نفقات التأسيس ، بل أمدوهم بعدد من الاساتذة والمحاضرين ، وهناك عدد كبير من ابناء الملايو يدرسون فى معاهد الشرق الاوسط ، وكثير زعماء الحركة الحالية فى ماليزيا من خريجي هذه المؤسسات العلمية او من خريجي مؤسسات فى الملايا تعلم اساتذتها فى مدارس اقطار الشرق الاوسط . وكان اول ما وجهت الحكومة اليه اهتمامها منذ عام 1955 هو توسيع التعليم بحيث يتناسب مع الآمال القومية ، فاعادت دراسة نظم التعليم ، وأسست مدارس قومية غايتها توحيد مختلف الاجناس فى الاخلاص والولاء للملايو ، وضمت الاماكن ابتداء من السنة 1955 فى المدارس لاستيعاب كل الاطفال الذين يبلغون سن التعليم ، وهذا لا يتطلب بناء مدارس فقط، بل يقضي بتدريب عدد كبير من المعلمين ، ولذلك انشاوا عدة دور وكليات لهذا الغرض ...

ويلاحظ بأن التعليم فى هذه البلاد يخضع لتعدد الاجناس والالوان واللغات وهو اربعة اقسام :

1) التعليم الانجليزي اي الرسمي، ويؤهل لدخول جامعة الملايو التى انشئت عام 1949 فى سنغافورة

2) التعليم الصيني ، وهو تعليم «حر» اهلي، ومناهجه كمناهج التعليم مع الاهتمام بالناحية العلمية .

3) التعليم الملاوي ، وهو تعليم حكومي يكاد يكون خاصا بالسكان الملاويين ، ومستوى التعليم فى هذه المدارس منخفض لقلة الكفايات العلمية ..

4) التعليم العربي .

وقد انشئت هذه الكلية الاسلامية التي تبعد عن كوالالمبور العاصمة بنحو 10 كلم « بفتاليج جاي م . » فى شهر فبراير عام 1955 ، وكان الغرض من انشائها هو نشر الدين الاسلامي وأسس تعاليمه ، واصلاح طرق التعليم ، علاوة على انها تستهدف تحمل المسؤوليات لانشاء مركز للتعليم الاسلامي الحديث حتى يكون مقصدا لجميع المدارس العربية والدينية فى هذه البلاد .

ومنذ خمسة عشر عاما ابتدات الدراسة في هذه الكلية، وكان عدد الطلاب حينذاك 55 طالبا وقد بلغ عددهم اليوم 545 ، وان ازدياد عدد هؤلاء الطلاب ازديادا مطردا قد يكون سببه راجعا الى احتياج هذه الحكومة الاسلامية العظيمة التي هي فى طريق التقدم والنهوض ، وقد نظمت الدراسة فى هذه الكلية لتكميل برامج التعليم فى قسم الدراسة الاسلامية بجامعة الملايو ، بينما نجد هذا القسم يعد دراسة التخصيص، وطرق البحث ، وتمرن طلابها ليقوموا بدور مناسب للعصر الحاضر ، وهذه الدراسة تشتمل على مبادىء الاقتصاد والعلوم ، وعلم الرياضة ، والعلوم الانسانية بجانب علم التوحيد ، والعلوم الاخرى التي تتصل به، كما أضيفت فى برنامج الدراسة بهذه الكلية عدة علوم عصرية ، وقد اتخذت اجراءات لادخال العلوم العصرية الاخرى التي تعتبر المواد الهامة لتخريج المتعلمين الجامعيين الذين ينتفع بهم المجتمع المكون من مختلف الاجناس .

والمدارس العربية والدينية بماليزيا قبل عام 1955 ، لم يكن فيها نظام موحد، ومنهج خاص ، لكن بعد انشاء هذه الكلية ، فان المدارس المذكورة قد عملت جهدها لاعداد طلابها اعدادا كاملا حتى تتوفر لديهم الشروط المطلوبة للالتحاق بها ... وما من ريب فى ان الدروس التى تدرس بها تستهدف تزويد المدارس الثانوية والابتدائية والهيئات الدينية فى ماليزيا بالمدرسين والموظفين الدينيين كما تستهدف ايضا ، تصحيح الاوضاع الفاسدة ، ومحو الخرافات الباطلة ، والاعتقادات المنافية للدين والاخلاق .

وما من ريب — ايضا — فى أن المتخرجين من هذه الكلية لجديرون بان يكونوا موظفين فى الادارات الحكومية ، ومدرسي العلوم الدينية ، ويحتلون مكانة عظيمة لدى جميع طبقات المجتمع ، فاذا استطاعت هذه الكلية ان تعمل لتحقيق هذه الاهداف ، فاننا لعلى يقين بأن الدين الاسلامي سيكون له شأن لدى المسلمين وغير المسلمين من مختلف الاجناس والاديان فى بلاد ماليزيا ...

ولا شك ، أيضا ، فى ان هذه المناهج والبرامج تحقق مطالب الدولة ، فالدراسة فى هذه الكلية تسترعي انتباه الطلاب من الدول المجاورة ، كسنغافورة وسيام ، وبرني ، وكوريا الجنوبية ، ولقد اخبرني بعض المسؤولين بهذه الكلية بانه قد وصلت الى اداراتها استفسارات كثيرة للالتحاق بها من سيلان ، والهند ، وافريقيا ، واليابان .

وتنقسم هذه الدراسة الى ثلاث شعب :

1) شعبة الشريعة .

2) شعبة أصول الدين .

3) شعبة اللغة العربية .

وبجانب هذه الشعب الثلاث توجد دراسات اخرى للطلاب المرشحين للدخول فى امتحان الشهادة الثانوية العالية، والعمل للجمع بين الدراسات الدينية والدراسات الدنيوية يقصد به أمداد الطلاب بالنظريات فيما يتعلق بالحياة الثقافية للبلاد ، كما يقصد من ذلك ايضا سد حاجات المجتمع المتحضر .

ويجب ان تتوفر فى المرشح الذي يريد الالتحاق بالكلية شروط لا بد من مراعاتها ابتداء من عامنا هذا (1970) منها ان ينجحوا فى امتحان الشهادة الثانوية العالية او الشهادة المعادلة لها فى مادتين من مواد الدراسة الاساسية او فى مادة واحدة اساسية مع مادتين اضافيتين ، كما يجب الا تقل مدة الدراسة لنيل هذه الشهادة عن سنتين بعد حصول الطالب على الشهادة الثانوية العامة ...

وقد ساعدني الحظ، لما كنا فى كوالالمبور بمناسبة انعقاد المؤتمر الاسلامي الدولي ، حيث حضرت اول احتفال أقيم منذ انتقال الكلية الاسلامية بالملايو الى

« فتالينج جاى » فى يوم 25 ابريل 1969 ، لتوزيع الشهادة بالكلية الاسلامية ، ولم يتيسر لاستاذنا الكبير سيدي عبد الله كنون الحضور فى هذا الاحتفال لانه كان يراس لجنة الصياغة لاعمال المؤتمر الذي كان منعقدا آنذاك ، وقد حضر الاحتفال الاستاذ السيد محمد خير جوهري وزير التعليم اذذاك وحرمه السيدة تومو ، والقى خطبة جامعة عن هذه الكلية الاسلامية الاستاذ السيد داتوء عبد العزيز محمد زين رئيس مجلس الكلية والذي عين اخيرا خلفا للمرحوم الدكتور اتجكو عمر الذي اقام اسس هذه الكلية التي تعتبر نتيجة من ثمرات افكاره ، وارادها ان تكون فى مستوى الكليات الجامعية فى عامنا هذا 1970 ، فانه كان رحمه الله رجلا بطلا من ابطال الاسلام ، ومكافحا بذل جهده لتحسين احوال الملاويين ، ورفع شأن الاسلام فى بلاد ماليزيا .

واللغة المستعملة فى هذه الكلية هي اللغة الملاوية والعربية والانجليزية ، ويبحث مجلس الجامعة اليوم عن امكانية تدريس اللغات الاخرى التي تستعمل فى ميادين الاعمال والتجارة حتى يكون خريجو هذه الكلية الجامعية لائقين بالعمل فى جل الميادين ، وبما ان اللغة الهامة فى الشرق الاقصى هي اللغة الصينية ، فان مجلس الكلية سيبحث فى امكانية ايجاد فصل خاص لتدريس لغة « مندارين » ونحوها ، وبذلك ستقوم هذه الكلية بدور هام فى تنمية البلاد وتقدمها ، وقد اخبرني السيد عبد العزيز محمد زين عميد الكلية ، بانهم بهذه المناهج الدراسية يستطيعون ان يقولوا للطاعنين فى الدين الاسلامي وناقديه بان الاسلام ليس دينا يمنع الانسان عن التقدم ، بل هو دين شامل ومفيد فى كل وقت ومكان ..

وتحصل هذه المؤسسة العظيمة على مساعدات نقدية لسيرها واتخاذ الاجراءات اللازمة كاقامة المبنى ، وانشاء المعمل والمكتبة وتسديد التكاليف المالية السنوية وغيرها .. كما ان لها مصادر مالية تجعلها لا تعتمد اعتمادا كليا على المساعدات من الحكومة ، فقد تبرعت المؤسسة الاسيوية (Usis) لهذه الكلية بالمال والادوات والكتب ، بينما قدمت مؤسسة « فولبريج » المساعدة اللازمة ، وذلك بارسال احد المحاضرين بهذه الكلية الى الولايات المتحدة الامريكية ليدخل فى قسم الدراسات العليا باحدى جامعاتها ، وتكرم صاحب الجلالة الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية فتبرع بمقدار 000 170 ريالا ماليزيا لبناء الديوان الكبير الذى حمل اسمه ، ويظهر الاستاذ السيد حسن قطاني السفير فوق العادة للمملكة العربية السعودية نشاطا ملحوظا لتقوية العلاقات الاسلامية والعربية ، وقد بالغ فى اكرام الوفود الاسلامية اثناء انعقاد المؤتمر الاسلامي العظيم ، كما تبرعت الرابطة الاسلامية بمكة المكرمة لشراء دكان للايجار فى « فتالينج جاى » مما يزيد من حاصلات الكلية ، وقدمت تبرعات هامة من حكومة الكويت والبحرين ، وتمدها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية بمطبوعاتها ومجلاتها ونشراتها .

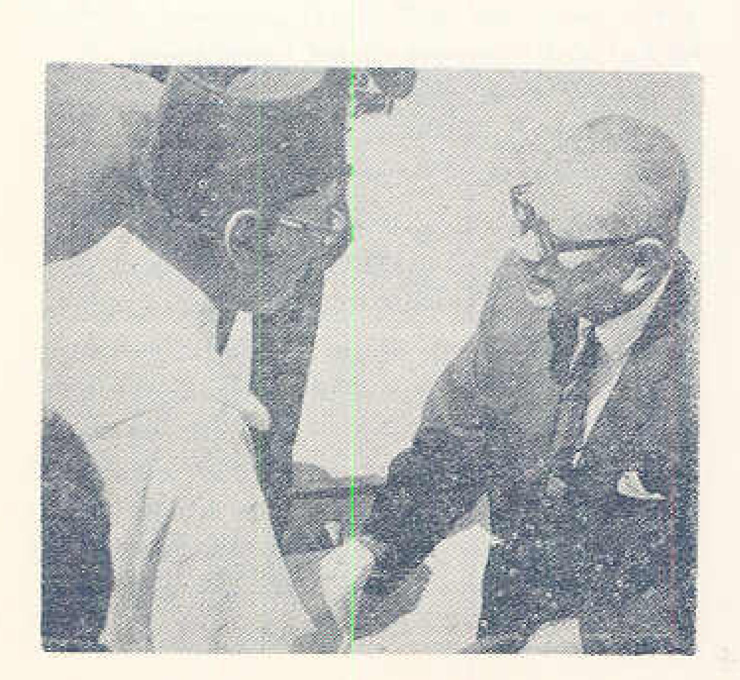
* * *

وان من يزور كوالالمبور عاصمة ماليزيا لا بد من ان يروقه مسجدها العظيم وتدهشه روعة البناء ، ويشدهه جلال الفن المعماري الاصيل الذى جمع بين رهافة الذوق ، ودقة الفن ، ولا سيما منظر صومعته الشامخة التي تناغي السحاب حيث ارتفعت فى الفضاء فغابت عن الاعين فى شكل صاروخ موجه الى السماء ، وقد بنى هذا المسجد فى تصميم معماري حديث ، وفى تنسيق جميل المنظر ، وما هو الا رمز لاهمية الدين الرسمي للدولة واهمية شؤون الامة ، كما يعتبره الملاويون صرحا تذكاريا لنيل الاستقلال ..

وبالرغم عن ان العرب الذين وصلوا هذه الديار لم تتوفر عنايتهم فى الارخبيل الماليزي على تشييد المباني الضخمة ، والمعابد الفخمة كما هو الشان عند البوذيين والبراهمة اللذين تعتبر دياناتهما سائدتين فى هذه البلاد ، بل كان معظم همهم فى الفتوحات الروحية ، وبث العقيدة المحمدية الصافية التي هي من الجلاء والبساطة بحيث يفهمها الخاص والعام ، والتي تتضمن فضائل لم تكن فى دين من الاديان المعروفة فى جنوب شرقي آسيا ، لقد كانت البراهمية والبوذية هما الديانتين السائدتين فى تلك المناطق ، وهما عبارة عن تمجيد متصل لقوى الكون ومجادلة دائمة بين مصدري الخير والشر ، فكان ذلك من التعقيد وصعوبة التفهيم ما فيه ، بل ان البوذي لا يرى تحقيق نعيمه الا فى التامل والتبتل والرهبانية .

وهكذا فانه ليس فى هذه المناطق الاسيوية ما فى سائر البلاد الاسلامية من المساجد التي تبهر الانظار ببديع الصنعة ، وفخامة البناء ، ولكن الجوامع كثيرة ، ولا يخلو منها بلد ؛ وفى بلاد ماليزيا اليوم ؛ آلاف المساجد تعد آية فى الفخامة والابهة ، وغاية فى الفن

مولانا صاحب الجلالة يستقبل فخامة الرئيس السيد عبد الرحمان طانكوفنرا بمناسبة قدومه
الى الربـاط لمؤتمر القمة الاسلامي



... ويرحب بفخامته ...

المعماري الاسلامي والملاوي الاصيل ورمز لعظمة الدين الاسلامي فى ماليزيا ...

ففي كل حى او منطقة مسجد على الاقل ، وفى البلد الواحد اكثر من عشرين مسجدا ، وفى كل قرية صغيرة مسجد او زاوية لاداء الصلوات المفروضه .

وفى مقدمة هذه المساجدالمسجد العظيم الذى يقع فى شارع السلطان هشام الدين فى كوالالمبور العاصمة كما ذكرنا .

وقد صرح رئيس الوزراء الزعيم تنكو عبد الرحمن فترا فى تدشينه لهذا المسجد العظيم فى آسيا على الاطلاق : « ان فكرة بناء المسجد الجامع الكبير قد خطرت ببالي منذ بدات اتقيد قيادة هذه الامة ، وهذه البلاد ماليزيا ، فقد كنت اود ان اساهم بنصيبي فى خدمة الاسلام الرسمي للبلاد بجانب خدمتي لهذا الوطن ، وببناء هذا المسجد تحققت هذه الامنية الكريمة .. انني اعتبر هذا المسجد رمزا للتضامن القومي ، لانه قد ساهم فى بنائه المواطنون من مختلف الطوائف من الملاويين والصينيين والهنود وغيرهم من الاجناس المختلفة الذين يرغبون فى التعاون واظهار ولائهم الكلي لهذا الوطن ، وهذا التضامن من هذه الطوائف المختلفة خاصة من خواص هذا البلد ... »

وبالاضافة الى كون هذا المسجد مكانا للعبادة ، فانه يصلح لان يكون مركزا للتجمعات الاسلامية والاحتفالات الدينية حيث يتمكن الحضور اليها جمهور غفير من الناس فى المناسبات خاصة والاعياد الدينية ، وكان مجلس السلاطين والمجلس التشريعي قد قررا اطلاق اسم رئيس الوزراء الامير عبد الرحمن طانكو على المسجد تقديرا لخدماته فى سياسة البلاد ، وقيادة الامة حتى نالت استقلالها ، ولكن السيد الامير طانكو عبد الرحمن رفض قبول هذه التسمية ، وامر بأن يسمى باسم « مسجد نجارا » اى المسجد الوطني ..

وقد زين الجزء الداخلي من قاعته الفسيحة بزخارف نفيسة ، كما كتب فى شريط دائري بالخط الثلثي آيات من القرآن مكتوبة باللون الذهبي على ارضية زرقاء مصنوعة من الرخام المستورد من ايطاليا، واساطينها مغطاة بالوان عديدة، كما فرشت ارضية المسجد بالطنافس الوثيرة ذات اللون الازرق ، وحيطانها الرخامية ملونة بالوان زاهية مختلفة ومضيئة ذات اشكال مثلثة تغطي الجزء الاسفل من اطراف السقف ، فهذه الانوار والمناظر الجذابة تحضر جوا رائقا من سحر الهدوء وجلال الصفاء ..

وبالقرب من الباب الرئيسي من المسجد الخاص بالقادمين مستودع يضع فيه الحاضرون الى المسجد — اعزكم الله — احذيتهم ويتركونها ثم يدخلون المسجد فى سمت وتؤده ، ووقار وخشوع ، وقد وضعوا على اوساطهم ازرا مهذبة تسترهم حتى الركب حتى اذا ما انتهوا من صلاتهم خرجوا فى وقار وهدوء ونظام ، واخذوا احذيتهم النظيفة اللامعة التي تركوها بباب المسجد .

ونسوق بين يدى نجوى القارىء الكريم ، ونحن نتحدث عن المسجد بماليزيا انه بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الاسلامي بالرباط وتخليدا لذلك الحدث التاريخي العظيم قرر صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله وايده ان يطلق اسم جميع الدول الاسلامية المشاركة فى المؤتمر على مساجد مبثوثة فى جميع انحاء المملكة المغربية بحيث صار كل مسجد من هذه المساجد يحمل اسم دولة من هذه الدول ، وذلك تمتينا لروابط الاخوة الاسلامية التي تجمع بين هذه الاقطار الشقيقة والمملكة المغربية ، وقد اطلق على مسجد بتصالح الذي اعيد بناؤه من جديد ، ودشن فى السنة الماضية فاصبح من اعظم المساجد بمدينة مراكش فى داخل المدينة على دولة ماليزيا ...

تلك هي ماليزيا المسلمة التي تعمل على توثيق الصلات مع الاقطار الاسلامية ، وتنشد السلام مع دول العالم ، وهي لم تتورع عن تأييدها ومعاونتها الجهود المبذولة لصالح الاسلام والمسلمين ، ولا سيما فى سبيل التجمعات الاسلامية ، فترسل الوفود ، تلو الوفود للاشتراك فى جميع المؤتمرات الاسلامية داخل البلاد وخارجها .

ففي مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذي انعقد فى شهر مارس الاخير بجدة بالمملكة العربية السعودية عين ممثل ماليزيا فى الكتابة الدائمة لمؤتمر الدول الاسلامية ،، وقد اعربت حكومة ماليزيا عن ارتياحها لتعيينها فى منصب الامين العام للدول الاسلامية حيث صرح الامير عبد الرحمن طانكو قائلا: « ان مما يسعد بلاده ان تختار اول امين عام لرئاسة الامانة العامة للبلدان الاسلامية ، وان ذلك يعتبر شرفا عظيما لبلاده » .

وقد بعث صاحب الجلالة الملك المعظم مولانا الحسن الثاني حفظه الله وايده الى صاحب الفخامة السيد عبد الرحمن طانكو رئيس دولة ماليزيا برقية جاء فيها :



صورة جماعة لاعضاء المؤتمر الاسلامي المنعقد في السنة الماضية بكوالالمبور ...



أعضاء الوفود الإسلامية من أقطار المغرب العربي :
وبمعيتهم معالي السيد عبد الرحمن يعقوب وزير التعليم ورئيس المؤتمر .
ويرى في الصورة الاساتذة : عبد الله كنون رئيس الوفد المغربي ، محمد السعدي رئيس الوفد التونسي ، نعيم النعيمي رئيس الوفد الجزائري .

« بمناسبة تعيين ممثل ماليزيا فى الكتابة الدائمة لمؤتمر الدول الاسلامية يطيب لنا ان نبعث الى فخامتكم والى شعب ماليزيا الشقيق باصدق تهانينا واحرهـا وان هذا التقدير والاعتبار الذي خصت به دولة ماليزيا ما هو الا برهان ، اذا كنا فى حاجة الى برهان ، على ما تمتم به شخصيا من اجل انجاح مؤتمر الدول الاسلامية وكذا فى اجتماع وزراء الخارجية الذي انهى اشغالـه مؤخرا بجدة ...

اعاننا الله جميعا للدفاع عن قضيتنا العادلـة . والهم الكتابة العامة الجديدة الرشد فى تادية مهمتها .

ولتتفضلوا فخامتكم بقبول اعتبارنا وتقديرنـا السامـــي » .

ولا يخفى انه منذ ان نالت هذه البلاد استقلالها. اصبحت ذات اهمية كبيرة بنشاطها الاسلامي وانفتاحها وتفهمها لاوضاع العالم ... ففي يناير 1964 انعقـد المؤتمر الاسلامي لمنطقة آسيا فى كوالالمبور حضره مندوبون من بورما، وسيلان ، وتايلاند ، ومالديف ، وفيجي ، وزيلاندة الجديدة ، وبروني ، وماليزيـا ، ومما يلاحظ وتجدر الاشارة اليه ان المؤتمر اتخـذ قرارا بجعل كوالالمبور مركزا لنشاطه فى هذه المنطقة لغرض نشر الاسلام وتعاليمه .

وعند ما انعقد المؤتمر الاسلامي فى مكة عام 1965 اشترك مندوبون من ماليزيا كما اشترك مندوبـون فى المؤتمر الاسلامي الذي كان منعقدا فى « مقديشيو » عاصمة الصومال ، وفى عام 1964 عقد المؤتمر الاسلامي الاقليمي لمنطقة جنوب شرق آسيا فى مدينة كوالالمبور بحث فيه كثير من المسائل الاسلامية الهامـة ، وقد تشكلت جمعية الطلبة المسلمين فى جنـوب شرقي ءاسيا فى شهر نوفمبر من عام 1967 ، وذلك فى اول مؤتمر عقده زعماء الطلاب المسلمين فى الدونيسيـا وماليزيا وسنغافوره وبروني فى كوالالمبور عاصمـة ماليزيا حيث يوجد حاليا مركز سكرتارية الجمعية.

وفى مطلع الشهر الماضي « مارس » انعقد فى «جاكارتا» عاصمة الدونيسيا المؤتمر الثاني لهـذه الجمعية ، وتقرر فى هذا المؤتمر ان تعقد الجمعيـة مؤتمرها القادم فى اوائل 1972 بسنغافورة .. كما ان ءام 1969 كانت كوالالمبور ميدانا حافلا بالمؤتمرات الاسلامية ، حيث عقد مؤتمران هامان ، الاول فى نطاق محلي ، والثاني اسلامي دولي فى مستوى الحكومـات وقد مثل المغرب فيه الاستاذ سيدي عبد الله تشون رئيسا ، وعضوية كاتب هذه السطور :

الرباط : محمد بنعبد الله





... هذه هي افغانستان التي لم يسمع باسمها كثير من المغاربة، الا فى اثناء انعقاد مؤتمر القمة الاسلامي الاول فى عاصمة الرباط فى شتنبر 1969 ، والتى تتربع فى منطقة هامة من ءاسيا الوسطى ، ولا يعرف عنها المسلمون الآخرون الا القليل رغم انها انجبت اكبر داعية اسلامي فى العصر الحديث الا وهوالسيد جمال الدين الافغاني الذي ايقظ العالم الاسلامي من سباته ..

دولة اسلامية قديمة وهي اليوم دولة ملكية دستورية وعضو فى هيئة الامم المتحدة وذات سياسة حيادية خارجية

وتقع فى ءاسيا الوسطى وتحدها شمالا الجمهوريات الاسلامية بالاتحاد السوفياتي وشرقا كشمير وجنوبا الباكستان وشرق شمال الصين الشعبية وغربا ايران .

وتقدر مساحتها بـ : 650.000 كيلومتر مربع

ويبلغ عدد سكانها 15 مليون نسمة .

ويدين اهلها بدين الاسلام وهم سنيون على مذهب ابي حنيفة .

وهي حاجز بين الاتحاد السوفياتي والباكستان والهند .

كما تتميز بطبيعة ساحرة .. فسلسلة جبال الهندكوش تقسم البلاد من الشرق الى الغرب .. ويتراوح ارتفاعها من 20 الف قدم الى اقل من الفي قدم . وعلى سفوح هذه الجبال تنمو الغابات الخضراء بينما توجد الثلوج البيضاء على قممها تناطح السحاب . أما الوديان فتتمتع بتربة خصبة . والجو لا يتأثر بخطوط الطول والعرض تأثره بارتفاع الارض .. فدرجة الحرارة قد تصل الى 46° مئوية اثناء فصل الصيف فى سهول الشمال بينما لا تزيد عن 28° مئوية فى مرتفعات الشمال . وفى كابول العاصمة Kaboul تصل درجة الحرارة فى الصيف الى 38° مئوية وتنخفض فى الشتاء الى 23 درجة تحت الصفر !!

وكابول العاصمة تتميز بظاهرة غريبة قلما تتميز بها مدينة اخرى فى العالم .. فهي تقع بين

هضبتين كبيرتين واحدة تحدها من الشرق والاخرى تحدها من الغرب وهذا يجعل المدينة تعيش فى ظل دائم اللهم الا ساعة الظهيرة وحين ترتفع الشمس الى كبد السماء .

قال ابن الفقيه : « بكابل عود ونارجيل وزعفران واهليج وكان خراجها 2.50.000 درهم غزاها المسلمون فى ايام بني مروان وافتتحوها واهلها مسلمون » .

وقال الاعشى وقد سمى اهل كابل كابلا :

ولقد شربت الخمر تسر
كض حولنا ترك وكابل

كدم الذبيح غريبة
مما يعتق اهل بابل

ويرجع وجودمدينة كابل الى عهد الاسكندرالكبير وقد اسماها ارتسبانا Ortospana ووصفها استرابون بانها منتهى الطرق واسماها Trivium اي ذات الطرقات الثلاث وهي طريق اسكندرية القوقاز شمال كابول وطريق الباميان وطريق اسكندرية الاريين وهي هراة . والمظنون ان كابلا القديمة كانت الى الشرق بقليل من المكان المعروف ببجرام وهذا اللفظ يطلق فى افغانستان على كل مكان كانت تقوم فيه مدينة ازلية .

وفى أواخر القرن الثامن عشر اتخذها تيمور شاه مقرا له . فصارت عاصمة البلاد منذ هذا الوقت وحلت فى ذلك محل قندهار .

وكما تتميز العاصمة بهذه الظاهرة الغريبة .. تنفرد افغانستان بين البلاد المحيطة بها بانها دولة بلا شواطيء .. فهي محصورة بين البلدان المجاورة لها . وليس لها منفذ واحد الى شاطيء البحر .

ويتالف علمها من الالوان : الاخضر والاحمر والاسود فى وضع راسي . ويشير اللون الاسود الى ذكرى ابي مسلم الخراساني .

ويرمز اللون الاحمر الى الغزوات الكثيرة التى قام بها الافغانيون دفاعا عن استقلالهم .

ويرمز اللون الاخضر الى الايمان . ويوجد على اللون الاحمر محراب ومنبر باللون الابيض اشارة الى الاسلام دين افغانستان الرسمي ويحتضن المحراب والمنبر مجموعة من سنابل القمح .

والموارد الطبيعية بها :

اهمها القمح والارز والذرة والقطن . والبقر والغنم والماعز والخيل والبغال والحمير والابل .

اما الثروة المعدنية فهي :

الفحم الحجري والحديد والبترول والغاز والذهب والرصاص والكروم Chrome ولابيس لازولي Lapis-Lazuli والملح والكبريت .

◆ جغرافيتها الانسانية :

الاجناس البشرية التى تسكن افغانستان :

البشتو او البطهاليون (60 ٪) والتاجيك (30 ٪) والهزارة والازبك والتركمان وطائفة الشرفاء ويلقبون بالسادة ـ مزل باسن احمر الراس بالتركية) ثم البلوج .

◆ اللغـــة :

اللغة الافغانية من اللغات الايرانية وتدعى البشتو وايضا باليختوية وحروفها اكثر من حروف اللغة الفارسية وغيرها من اللغات التى تكتب بالخط العربي . وقد دخلها كثير من الكلمات الفارسية والعربية .

ويزيد الافغان على حروف الهجاء العربي 12 حرفا .

وكان اسمها اريانا Uryana وباكتيا وخراسان وبشتنخواه وايضا روح .

اما اريانا فمعناها ارض الآريين .

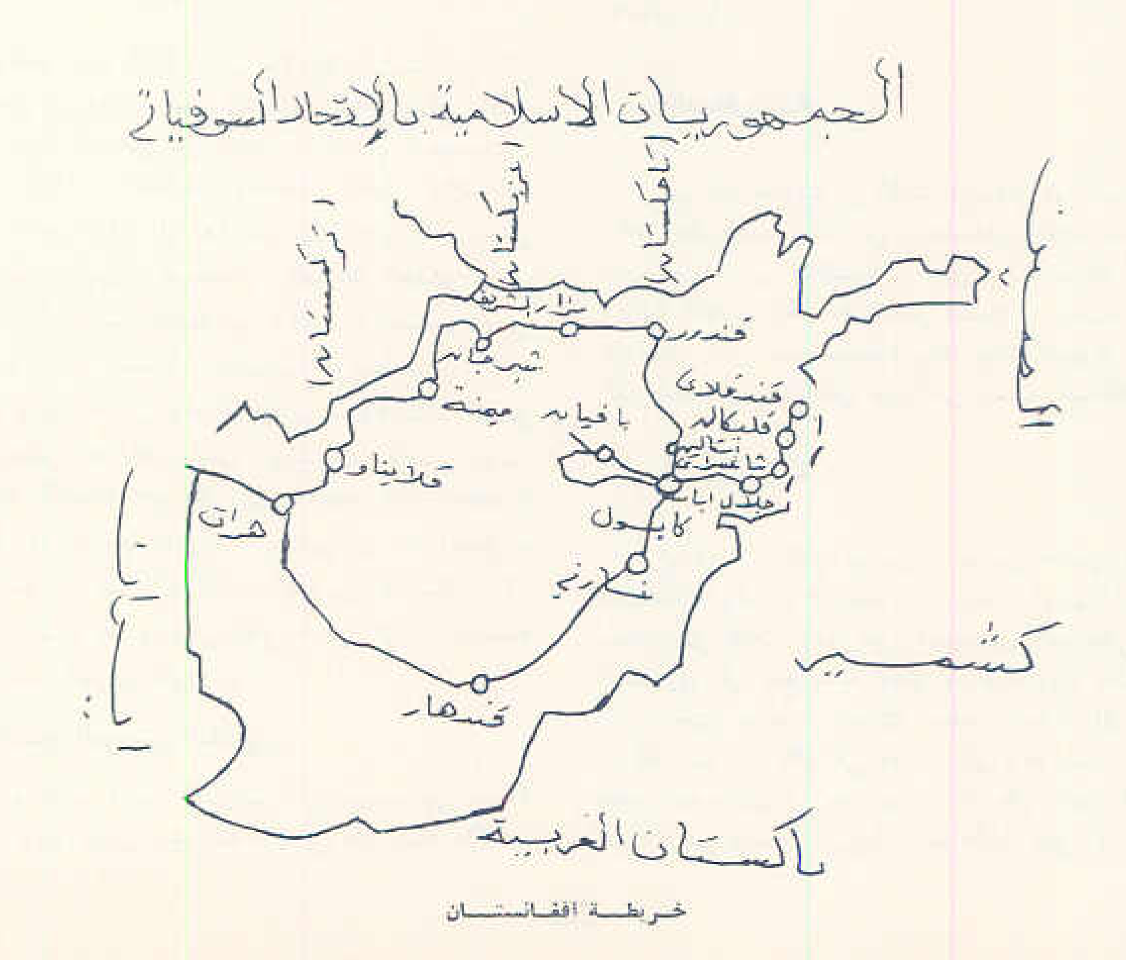
وباكتيا استعملها هيرودوت فى القرن الخامس ق. م.

وخراسان معناها ارض الشمس المشرقة .

وروح معناها الجبل .

جاء فى الموسوعة الفرنسية الكبرى : ان اصل اسم افغانستان غير محقق ومن الناس من يقول باشتقاقه من كلمة اسافا Asçava السنسكريتية ومعناها الفرسان وعليه يكون معنى اسم افغانستان

صاحب الجلالة يرحب برئيس وزراء افغانستان السيد نور أحمد اعتمادي



خريطة افغانستان

هو بلاد الفرسان ولكن الكلمة فارسية ويظهر انهـا ماخوذة من لفظة (افغان) الفارسية التى يقصد منها (حلق الجبل)

- **تاريـخ افغانستـان ق. م**

485 ـ 521 فتح وعهد داريوس الاول

331 ـ 323 فتح الاسكندر الاكبر

200 الاسبارطيون

330 ـ 110 يونان بكتاريان

بعـد المسيـح

100 الهنود واليونانيون فى كابول

500 الهان البيض (ايفتاليط)

600 الاتراك الغربيون (البوديون)

640 معركة نهاوند بفارس

الفتـح الاسلامـي

يرجع عهد افغانستان بالاسلام والمسلمين الى ايام عثمان بن عفان رضي الله عنه لما ارسـل والـي البصرة عبد الرحمن بن سمـرة لفتـح سجستـان فحاصر زارنج وافتتحها (واسمها الحالي زاهيدان) ثم انه اخضع البلاد الواقعة بين (زرانج) و (كش) ومن الرخج الى (داور) (زامينداور) كما أنه اخضع جبال زور وهنالك كسر صنما من ذهب له عيـون مـن ياقوت ثم تقدم وسـط (زابـول) قريبـة مـن وادي (نارناك) و(غزانة) الى مدينة كابول . وهنـاك اسـر الشاه ويظهر انه احد اقيال (كولشان شاهـي) مـن ملوك تلك الجهات حينئذ . وقد تمت تلك الفتـوح الاخيرة ايام الخليفة معاوية . ويظهر ان هذا الفتح لم يستمر مع انه قيل ان الشاه اعتنـق الاسـلام وان ظلت سيستان نفسها وهي القريبة من كرمان خاضعة لذلك الفتح العربي الاول .

الفتـح العربـي الثانـي :

وقد ظلت قاعدة للغارات التى شنت على مملكة كابول . وقد حاول عبد الله ابن ابي بكر سنة 79 هـ ان يفتتح تلك الجهات ولكنه لم يفلح . واضطـر ان يفدي نفسه وجيشه بمبلغ من المال مقداره سبعمائة الف درهم . ثم ارسل الحجاج حملة اخرى سنة 81 هـ يقودها عبد الرحمن بن الاشعث وكان نصيب تلـك الحملة الفشل . وقيل : ان القائد المذكور اتحد مع الشاه لما لحقه من العار وانتهى امره بالانتحار .

وقد ذكر اليعقوبي انه فى ايام هارون الرشيـد قد ارسلت حملة الى كابول ولكنها استرجعت مرة اخرى .

ويذكـر الرحالـة الفـرنسـي جـاك كـورني Jacques Cornet مؤلف كتاب افغانستـان مملكـة ءاسيا الوسطى والذى اهداني كتابه هذا بامضائه : « ان مدينة كابول قاومت الفتح العربي زهاء قرن . وان افغانستان يحق ان يطلـق عليهـا اسـم ارض الفتوحات والغزوات لانها تقع فى مفتـرق الطـرق حيث غزاهـا الملـك داريـوس والاسكنـدر الاكبـر والاسبارطة والسيت والكوشان والهون Les Huns القادمون من التركستـان والاتراك والعرب ثم المغول الذين عاثوا فى الارض فسادا ثم الفـرس واخيـرا الانجليز » .

الصفاريـة :

ثم قام يعقوب بن الليث الصفار فى سنة 860م وقد وطد دعائم ملكه فى سجستان وامتد حكمه الى جارم وكذا فى زابكستان حتى انه امتـلك الرخـج وغزنة وكابول كما انه اسـر الشاه . وقـد طـالت فتوحاته اكثر ممن سبقوه وقد صك النقود باسمـه كما صك الليث بن علي نقودا فى بست سنة 298 هـ .

السامانيـة :

وما زال الامر لبنـي الصفـار حتـى ظهـرت السامانية وقويت دولتهم فاكتسحت امامها الصفارية وبقايا بني طاهر وقد هزم اسماعيل الساماني عمـر الصفاري فى بلخ سنة 287 هـ واسـره وظـل فى اسره حتى مات . وبذلك فقدت الدولة الصفاريـة ما كان لها من ملك فى بلاد ايران وخراسان . ولكن ظلت سجستان فى حوزتها . كما ظل الجزء الواقـع بينها وبين قندهار وربما امتد ظلها حتى كابـــول

نفسها . ويظهر ان جل افغانستان ظل مستقلا يحكمه امراء ورؤساء من اهل البلاد . وربما ظل بعضهم على معتقداتهم وبقي بعضهم على مذهب زرداشت كما كان بعضهم بوذيا او وثنيا له دين اخر .

وفي سنة 350 هـ ثار مملوك تركي يدعى البتكين وكان حاجبا عند عبد الملك من ملوك السامانية وعصا خليفته منصور واحتل غزنة وخلع اميرها (لاوك الصاحب ويظهر انه كان من بقايا رؤوس الكوشان .

ثم انه اخضع زابلستان واسس مملكة جديدة مستقلة وكان جيش من الاتراك تحت امرته ثم خلفه ابنه اسحاق الذي حكم من سنة 352هـ حتى سنة 355 هـ ثم اعقبه احد مماليك لبتكين وكان مملوكا تركيا اسمه بلكتكين ولما مات هذا خلفه سبكتكين وكان احد مماليك البتكين أيضا .

المملكة الغزنوية :

واسس بذلك المملكة الغزنوية وسك نقودا وامتد نفوذه الى زابلستان وزامنداور وانقض على (جايبال) ملك (اوهند) الهندوسي وعهد اليه الامير نوح الساماني بحكومة خراسان ايضا وبدات الدولة السامانية في الاضمحلال بينما كانت الدولة الغزنوية تقوى وتكبر ومات سبكتين سنة 387 هـ فخلفه ابنه اسماعيل .

محمود الغزنوي

ولكن اخاه محمودا خلعه سنة 389 هـ وثار الثوار على سادته الغزنويين من بني سامان ولكن محمودا سعى في بقاء ملكهم الوهمي واتخذ محمود بلخ عاصمة لملكه وقد ارسل اليه الخليفة القادر العباسي بالتأييد ودعاه (يمين الدولة وامين الملة) واسقط اسم الدولة السامانية وقد عرف محمود بالسلطان ولكن يقال : ان ذلك اللقب لم يظهر على نقوده كما لم يفعل ذلك اسلافه . ويقال : ان اول من اتخذ ذلك طغرل بك سلجوق سنة 429 هـ وقد اطلق على محمود القابا اخرى مثل نظام الدين وملك الملوك وملك المماليك .

فتوح الهند :

ولمحمود هذا فتوح عظيمة في الهند وايران . وكانت غزنة وسطا بين مملكاته الشاسعة وقد ظل بعض الامراء والرؤساء يحكمون في سجستان وغور وفي القبائل الافغانية في جبال سليمان باسم ملوك الغزنويين .

وفي (حاضر العالم الاسلامي) تعريب الاستاذ عجاج نويهض ، الطبعة الاولى 1343 (ونرجو ان يعاد طبعه في حلة قشيبة معززة بالصور والخرائط ومعالم العالم الاسلامي واحصاءات عن اقتصادياته وحركاته التحررية لحاجة المسلمين اليه في الوقت الحاضر) يقول الامير شكيب ارسلان :

ولعمري انه لم يبق للاسلام في الدنيا عرق ينبض لرايت عرقه بين سكان جبال الحملايا فالهدكوش نابضا وعزمه هناك ناهضا الا وانه من هناك غزا الفاتح العربي محمد ابن القاسم في صدر الاسلام الهند وفتح السند 713 م ووصل الى حدود المبتان ؛ ومن تلك الجبال انحدر ذلك المجاهد الكبير **اسكندر الاسلام** وحامي المعارف والعلوم في عصره السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي التركي في اوائل القرن الحادي عشر للميلاد ودوخ الهند من اقصاها الى اقصاها وتألب عليه رجاوات لاهور واناتغبال ودهلى واجمير وقنوج وغفاليور وكالنجار واودجين حزمة واحدة . ووقف العالم البرهمي بازاء العالم الاسلامي ، واصطفت الاقران وانتصب الميزان فادال الله للعالم الاسلامي من العالم البرهمي في واقعة (بانتداه) ، وتمزق شمل الرجاوات كل ممزق وفتح محمود كشمير ودهلى واقام ولاة من قبله من لاهور وجعل راجا قنوج من اتباعه واكمل توطيد مملكته في جميع البنجاب وغزا كالنجار المدينة الموصوفة بمنعتها فانقاد له ملوك تلك الديار صاغرين وقصد كوجرات وحطم الصنم الاعظم المعروف بسومنات وفتح بهاضية ذلك الفتح الذى تحدث عنه الركبان . وكتب فيها تلك الرسالة الطنانة شيخ الكتاب أبو الفضل بديع الزمان فقال : « انه الفتح الذي تضاءلت امامه الفتوح واثنت عليه الملائكة والروح » .

وسنة وفاة محمود على ما في صبح الاعشى بالتاريخ الهجري هي 411 وخلف محمودا بعد وفاته ابنه مسعود وفتح من الهند الاوش ودخل بتاريس .

وهاهي اسماء من جاؤوا بعده :

محمد بن محمد بعهد من ابيه

مسعود بن محمد	قتل سنة	432
محمد	قتل سنة	432
مودود بن مسعود	توفي سنة	441
عبد الرشيد بن محمود	قتل سنة	444
مزخداذ بن مسعود	توفي سنة	481
مسعود بن ابراهيم	توفي سنة	508
ارسلان شاه بن مسعود		
بهرام شاه بن مسعود		
خسرو شاه بن بهرام	توفي سنة	555
ملكشاه بن خسرو	انتهى امره سنة	555

ثم انتقل الملك الى الغوريون الافغان .

ثم تولى الامر ملك الغور الافغان غياث الدين واخوه الشهير معز الدين بن سام وظل هذا الاخير اميرا على غزنة تحت سلطنة اخيه الحاكم في الغور وجهز حملات يغزو بها الهند وبها الهندوس وزنادقة الكرمان وبقايا الدولة الغزنوية هناك . وتم له ما اراد. وفي سنة 571 هـ احتل غياث الدين هرات .

وفي سنة 588 هـ هاجم سلطان شاه اخو (تاكاش) شاه خوارزم الجهات الشمالية. ولكن معز الدين اشترك مع اخيه وهزما (سلطان شاه) على نهر (المرغب) ولكن شاهات خوارزم لم يرجعوا عن عزمهم ومهاجمة البلاد . وقد ظلت البلاد بخير ما عاش الاخوان ولكن غياث الدين توفي سنة 598 هـ وقتل اخوه الذي خلفه في الحكم سنة 606 هـ وكان قد عين ابن عمه علاء الدين اميرا على الغور وما زال امر هذه الاسرة في ضعف حتى انتهى الحال بهم بأن قبض جماعة من القواد الاتراك على ناصية الحكم وبذلك انتهى امر الاسرة الغزنوية سنة 607 هـ وكان راس هؤلاء المماليك (تاج الدين يلدز) و (قطب الدين ايبك) و (ناصر الدين قبادي) و (شمس الدين ايلتمش) .

المغول وزحف جنكيز خان غربا :

ففي سنة 617 هـ لم يقو شاه خوارزم على مقاومة جنكيز خان فهزم ومات . اما ابنه جلال الدين فقد استياس من قتال ملك المغول ولكنه غلب على امره وفقد كل بلاد ابيه في خوارزم وجعل غزنة مركزا لدفاعه وساعده ملوك الغور .

وقد هزم جلال الدين المغول عند فراون .

ولكنه اضطر الى التراجع امام جنكيز خان لما عبر الهندكوش عند (باميان) واضطر للفرار امام المغول العاتي الجبار . ولم يتم للمغول الاستيلاء على كل البلاد الافغانية فقد تولى ابن جنكيزخان هراتي سنة 619 هـ وعندها قامت مذبحة عظيمة في الاهالي المسلمين ثم سقطت سيستان امامه . وبذا قبض على اخر ملوكها المستقلين . وامتلك (اوغوطاي) غزنة بعد هزيمة جلال الدين على نهر السند . وعاد جنكيز خان نفسه الى تركستان عن طريق (باميان) واخذ (اوغوطاي) يتقدم في بلاد الغور وجعل تلك المنطقة مركزا له . وتملك بذلك جبال (فيروزكوه) و(غارجستان) كما تملك سهول (جرمسير) و (سيستان) .

وما زالت البلاد تقاوم وتدافع عن نفسها وتريد رد عادية المغول عن نفسها وهم يقتحمونها ويخربونها وتم الامر اخيرا بأن دخل معظم بلاد الافغان في ملك المغول Les Mongoles

ولما مات (اوغوطاي) انقسم ملك المغول واصبحت افغانستان من نصيب (ايلكخان) الايرانيين المتحدرين من صلب (تولي) . وقد قامت اسرة من التاجيك اثناء ذلك تعرف باسرة (الكورت) او (الكرت) واصبح لها شأن يذكر . وظل لها الحكم على اغلب البلاد الافغانية مدة قرنين اثنين

اسرة الكورت او الكرت :

بدا هذه الاسرة ركن الدين محمد مرغاني وكان قد نال الحظوة لدى جنكيز خان وامتلك هرات وسار ابنه شمس الدين في ركاب (منجوخان) في بعض حروبه وتم له ملك غرجستان وغور وماوراء وسيستان ثم خضع لهولاكو سنة 654 هـ وظل في حروب في



المغفور لـه جلالـة الملـك غازى نادرشـاه
1933 - 1880



جلالة الملك محمد ظاهر شاه ولـد فى سنـة
1914 واعتلى العرش فى 8 نوفمبـر 1933

سيستان مع التاجيك . ثم قام بعض افراد من اسرة الكورت واعلنوا عصيان بعض الجيوش الغورية وذبحوا حامية تيمور لنك فعاد هذا القائد التتاري الى مدينة هرات واخذها عنوة واجرى فيها مذبحة كبيرة وخربها وقتل غياث الدين اثناء الفتنة وبهذا كانت نهاية امر الاسرة الكورتية . ومن ذلك الحين حتى ان قامت قائمة الافغان اثناء القرن الثامن عشر لبثت البلاد بدون اسرة حاكمة معروفة تركن اليها في شيء وظلت الامور بيد الاجانب . وبدات بلاد افغانستان تنقسم الى دويلات صغيرة وامارات يحكمها امراء اجانب عنها وطرد (بابر) Baber فاتح الهند الكبير من ملكه في مزغانة الذى ورثه عن ءابائه واجداده في بلاد ما وراء النهر فجاء الى كابول ووطد امره فيها وسمى نفسه (بادشاه) .

وكانت كابول قبل ذلك يحكمها بعض امراء من اسرة تيمور لهم شيء من الاستقلال وكان اميرها (مقيم ارغون) عندما باغتها (بابر) وامتلكها سنة 910 هجرية وقد ظلت كابول تحت حكم بابر ومن جاء من اسرته بعده من اباطرة الهند تنيف على قرنين حتى فاجاها (نادرشاه) وغزاها وكان القضاء على سلطة المغول بها وتم لنادر شاه فتح كل بلاد افغانستان فاتخذها قاعدة لغزو بلاد الهند سنة 1739 م ولما تم له الظفر على محمد شاه اصبحت كل المقاطعة المغولية غرب نهر السند بما فيها بشاور ودرجات في دائرة ملكه كما كانت له السيادة على (كالهورا) وامراء السند العباسيين وكذلك ولاية كابول ولما عاد من دهلي سنة 1740 م عبر نهر السند وهاجم اليوسفزائية وكانوا يناوئونه ثم عاد الى كابول واخذ يتنقل حتى وصل الى هراة . وكثيرا ما كان يعتمد في فتوحاته وغزواته على جنوده الافغان بقدر ما كان لا يابه كثيرا لجنوده الايرانيين. وخص نادر شاه برعاية العبادلة سيما اميرهم احمد خان الذى وصل الى درجة رفيعة في جيش نادر شاه . ثم ان جماعة من الايرانيين والقزل باش اغتالوا نادر شاه فقتلوه وكان احمد خان على راس جماعة من العبادلة وراى مالا محمولا فاخذه لنفسه وصار الى قندهار .

بدء الدولة الدورانية :

أول من قام بأمرها (احمد شاه) وهو ابن (سمادن شاه) احد شيوخ قبيلة السدوزاي الشهيرة وقد تم له الامر من اكتوبر 1747 . وفي سنة 1748 عبر نهر السند واحتل لاهور ولما لم يجد الا مقاومة ضعيفة امتد نفوذه على كل جهات البنجاب وتم له ذلك سنة 1751 وقد افتتح بسابور سنة 1250 واخضع في السنة التى تلتها جهات كشمير وحاول المغول الاكبر ان يسترجع لاهور ولكن احمد شاه دخل بجيشه مدينة دهلي ظافرا وقد راى ان يبني باميرة من الاسرة المالكة هناك وزوج ولي عهده تيمور شاه بأخرى وعينه للبنجاب وسربند .

ولما كانت سنة 1758 تمكن المهراتا من امتلاك البنجاب ولكن احمد شاه لم يلبث ان قضى عليه القضاء المبرم في موقعة (بانيبات) الشهيرة . ثم حملهم على السيخ فكبدهم الخسائر الفادحة . ولكن اضطر ان يسرع في الرجوع الى افغانستان لبعض مهام هناك فقام السيخ مرة اخرى وراى احمد شاه ان الامل ضعيف جدا للبقاء في البنجاب سيما وقد اخذت الالام تساوره والامراض تحمل على جسمه وقواه حتى قضى نحبه سنة 1773 قبل من اثر سرطان في وجهه . وقد ترك ذلك الملك لابنه وولي عهده تيمور شاه .

ولما اعتلى هذا العرش ساق الجيش الى هندستان وكشمير ولاهور واخضع من نبذ الطاعة من الافغان ثم نقل العاصمة من قندهار الى كابول الحاضرة الحالية . وقد توفى سنة 1207 هـ

وتمكن زمان شاه من اعتلاء العرش ثم توفى في سنة 1.800 م .

حروب الانجليز مع الافغان :

1842 — 1839 الحرب الانجليزية الافغانية الاولى :

جاء في كتاب حرب الانجليز مع الافغان للسيد لومارشان Lemarchand الضابط الفرنسي وعضو المعهد العسكري (ظهر الكتاب سنة 1879) . « ان مبدا علاقة انجلترا مع افغانستان كان في القرن التاسع عشر وذلك عندما ارسل نابليون الاول الجنرال جاردان لمفاوضة العجم في عقد محالفة بينها وبين فرنسا لاجل فتح الهند . فلما بلغ الانجليز ذلك اسرعوا بارسال وفد الى كابول

ليتخذوا من الافغان ردءا ضد العجم . وكان يومئذ فى كابول امير له لقب شاه مثل شاه الفرس فثارت عليه ثورة ثم ان امير الافغان الجديد وكان يدعى دوست محمد خان عقد حلفا مع الروس فكان عمله هذا كافيا لتجريد حملة انجليزية على افغانستان سنة 1839 . وكان قد قاد الحملة الى كابول السائح الانجليزي المشهور برنس Burnes ليقاوم فيها دسائس الضابط فيكوفيتش الروسي . ولما رجع برنس الى الهند أقنع اللورد اوكلاند بوجوب الزحف على افغانستان . وفى سنة 1741 شبت نار الثورة فى كابول وقتل فيها المعتمد البريطاني وعدد من ضباط الانجليز ثم اضطر القائد الانجليزي بالنظر الى حرج موقفه الى طلب الاحسان على نفسه وعلى جنده على أن يخرج من البلاد بدون توقف لا يلوي على شيء. وهكذا خرج فى اشد ايام زمهرير الشتاء وكان ما كان من الملحمة المشهورة التى استأصل فيها الافغانيون 16 الف جندي انجليزي فى كمين نصبوه لهم فى خورد كابول ولم ينج سوى الطبيب العسكري بريدون Brydou الذى فر الى جلال اباد ليخبر قومه بالفادحة العظمى . ثم ان الافغان تقدموا وحصروا جلال اباد التى كانت فيها حامية انجليزية فقاومتهم زهاء شهرين الى أن زحف الجنرال بولوك من الهند فانقذها ثم بعد زمن زحف الانجليز بحملة عظيمة على كابول ونسفوا قلاعها ودار الملك واخذوا بثارهم عما سبق » .

1879 - 1878 الحرب الانجليزية الافغانية الثانية :

فى سنة 1878 أرسلت روسيا مفوضيا لعقد معاهدة مع الامير شير علي خان فاسرعت حكومة الهند بارسال بعثة انجليزية لكابول ولكن الامير رفض مقابلتها وبدأت التعديات على الحدود وبدأت الحرب بين الانجليز والافغان وارسلت انجلترا حملة قوية واستطاعت أن تجند الجنود المرتزقة وغيرهم من الهند وكتبت بعض الكتائب الافغانية واستخدموها وظنوها انها أصبحت من جملة جيشهم فاذا بها قد انقلبت عليهم وكانت اشد اعدائهم وطأة فى تلك الحرب .

ولما دخلت تلك الجيوش الاراضي الافغانية وتوغلت فى بعض ارجائها لجأ الامير شير علي خان الى الجهات الشمالية من بلاده وعاجله القضاء هناك فمات بمزار الشريف فى شهر بيراير سنة 1879 وبعدها بدأت المفاوضات بين الجيش والامير يعقوب خان وهو احد ابناء شير علي السابق وكان الامير يعقوب قد أعلن نفسه اميرا وعقد الصلح سنة 1879 وعرفت المعاهدة بمعاهدة غندابق وفيها تنازل عن بعض الجهات الافغانية الواقعة قرب الحدود للانجليز ، كما انه جعل كل مخابراته الخارجية بيد انجلترا وضمنت له هذه الدولة كل اعتداء خارجي على بلاده كما انه قبل معتمدا بريطانيا فى بلاده .

ولكن سرعان ما قتل ذلك المعتمد البريطاني ومن معه من اركان حربه ومساعديه فى كابول ولم تغن المعاهدة شيئا . فارسلت انجلترا جيوشا جديدة سارت حتى دخلت كابول وارسل يعقوب خان الى الهند وبقيت تلك الجيوش حتى شهر دجنبر سنة 1879 وقطعت كل المواصلات مع الهند وثارت القبائل واصبحت كل البلاد بلا حاكم وامير يجمع شملهم .

وحدث ان عاد الامير عبد الرحمن من بلاد ما وراء النهر وكان قد لجأ اليها وعاش بها نحو عشر سنوات مشردا عن بلاده فرأى حاكم الهند اللورد ليتون ان يتخابر معه لعقد الصلح واعترفت به انجلترا اميرا على بلاده على أن يتخلى لها عن بلاد الافريدي وان تكون علائقه الخارجية على يد الحكومة البريطانية واسرع الانجليز بالجلاء عن افغانستان لشدة ما كانوا يلاقونه من أمة باسلة تأبى الضيم .

واحسن الامير عبد الرحمن بن افضل خان بن دوست محمد خان الادارة واحكم امره وكان حكيما عاقلا عرف بالفطنة عند أهل الشرق والغرب واخذ فى توسيع امارته من جهة الشرق ومد تخومه واستولى على ولاية كافرستان Kafiristan فاسلم اهلها على يده واسماها Nouristan وكان أهل كافرستان حتى سنة 1880 وثنيين يعبدون آلهة كثيرة . وعرفت افغانستان طعم الراحة فى ايامه . وانتقل الامير عبد الرحمن الى رحمة الله سنة 1319 هجرية (1901 ميلادية) ويعد من افضل أمراء ذلك العصر لسداده وحكمته ومضاء عزيمته وقيل انه كتب مذكرات حياته بالفارسية خلف الامير عبد الرحمن ولده حبيب الله خان وقد خاطبته الحكومة البريطانية بلقب ملك ومات بجلال اباد سنة 1919 .

الملك امان الله خان Amanullah
1919 – 1929

رات الامة الافغانية ان تعهد بأمرها الى احد ابناء الامير عبد الرحمن فكان هذا الابن هو الامير امان الله خان وقد راى ان يفك بلاده من قيود ثقيلة كانت من قبل فاصبحت علاقته الخارجية مباشرة مع الدول الاخرى وارسل لها المفوضين والوكلاء واعلن نفسه ملكا على افغانستان .

1919 – الحرب الانجليزية الافغانية الثالثة :

ولما طالب الملك امان الله خان من دولة بريطانيا العظمى الاعتراف باستقلال افغانستان شهرت هذه الدولة الحرب على افغانستان فكانت هذه الحرب هي الحرب الثالثة بين الانجليز والافغان التى انتهت بمعاهدة صلح فى سنة 1919

وفى سنة 1921 اعترفت بريطانيا العظمى باستقلال افغانستان .

ولما اراد ان يدخل « اصلاحات » على حياة الافغان بالزام الرجال بلبس القبعة والنساء بالسفور وتعطيل الاحد بدل الجمعة ثارت عليه القبائل واججت بعض الدول الاوروبية نيران تلك الثورة .

واشتدت الثورة واندلع لهيبها فراى الملك امان الله خان نفسه مضطرا امام قيام الناس عليه هناك ان يخلع نفسه من العرش ويتنازل لاخيه عنايت الله . ولكن امر هذا لم يطل الا اياما قلائل ولم يتمكن من كبح جماح الثائرين .

نادر شاه 1929 – 1933

ثم استدعى نادر خان احد قواد الافغان المعروفين ومن البيوتات القديمة فيهم ليتولى كبح جماح الثورة فعاد الى بلاده من فرنسا وكان يستشفى فيها وهب بعض الناس لنصرته وكان فى طليعتهم اقاربه واخوه وتم له النصر واعلن نفسه ملكا على افغانستان وتحت اسم نادر شاه وانقذ البلاد من الفوضى واستطاع توطيد عرشه وتعزيز مركزه الى ان وقع مصرعه سنة 1933 .

جلالة محمد ظاهر خان ملك افغانستان الحالي :

اعتلى محمد ظاهر خان العرش فى نونبر 1933 بعد مصرع أبيه فالتفت حوله الامة الافغانية جمعاء .

ولا يستطيع المرء الامتناع عن اظهار اعجابه بالطريقة التى تتعامل بها افغانستان – وهي المملكة الصغيرة – مع الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي بل وحتى الصين الشعبية .. وهي تحافظ على علاقاتها بطريقة بارعة مع هذه الدول الكبرى الثلاث التى تتضارب مصالحها وافكارها السياسية ونظمها الاقتصادية .. لدرجة انها استطاعت ان تحقق نوعا من التعاون بين روسيا وامريكا فى تنميتها ..

ولما كانت افغانستان تقع على الطريق الذى كان يتحتم على الغزاة اتباعها فى طريقهم الى الهند منذ ايام الاسكندر الاكبر ... فانها تعلمت – بطريقة عملية وصعبة – كيفية التعامل مع الدول القوية المجاورة لها .

رسالة ملك افغانستان الى مؤتمر القمة الاسلامي :

تلا رئيس وزراء افغانستان السيد نور احمد اعتمادي على مؤتمر القمة الاسلامي رسالة من ملك افغانستان الى هذا المؤتمر التاريخي جاء فيها :

اخواني الاعزاء رؤساء دول وحكومات وممثلي البلدان الاسلامية فى الرباط باسمي وباسم الامة الافغانية اعبر عن اصدق متمنياتي بنجاح اول اجتماع للبلدان الاسلامية على مستوى القمة ان الامة الاسلامية الافغانية التى قبلت منذ اكثر من الف سنة كل تضحية فى خدمة الديانة الاسلامية الحنيفة تعتقد ان من واجبها ان تساهم فى الدفاع عن حقوق الشعوب المسلمة .

وءامل ان يتمكن الوفد الافغاني من خدمة المؤتمر في الاهداف السامية النبيلة الموكولة اليه . وادعو الله العلي القدير ان يعينكم ويعين جميع البلدان الاسلامية والانسانية جمعاء على الوصول الى ما تصبو اليه .

هذه هي افغانستان التي لم يسمع باسمها كثير من المغاربة اللهم الا اثناء انعقاد مؤتمر القمة الاسلامي الاول في عاصمة الرباط في شتنبر **1969** والتي تتربع في منطقة هامة من ءاسيا الوسطى **ولا** يعرف عنها المسلمون الآخرون الا القليل رغم **انها** انجبت اكبر داعية اسلامي في العصر الحديث **الا** وهو السيد جمال الدين الافغاني الذى ايقظ العالم الاسلامي من سباته .

الرباط ـ عبد القادر القادري

المراجع العربية :

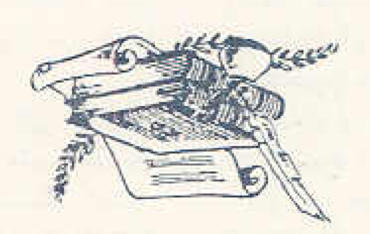
الكتب :

— حاضر العالم الاسلامي (القاهرة 19) .
— معجم ياقوت الحموى
— الحدود تتكلم لمحمد يونس (نيو دلهي 1965)
— القاموس الاسلامي لاحمد عطية الله (القاهرة 1966)

المراجع الفرنسية :

(كتاب افغانستان مملكة ءاسيا الوسطى لجاك كورني)
— Jacques Cornet : « Afghanistan, Royaume d'Asie centrale » (Villeubranne, 1969)

(مجلة الفا الموسوعية العدد الثالث المؤرخ في 18 اكتوبر 1967)
— Alfa encyclopédie, n° 3, du 18 octobre 1967 (Paris)



الإسلام اليوم في أستراليا

للأستاذ أحمد م هاني
ترجمه الى العربية : الأستاذ محمد عاصم الحداد

يقوم المسلمون اليوم في استراليا بتوحيد جهودهم مع اخوانهم المسلمين في منطقة جنوب المحيط الهادي .

وقد قال السيد وبلموت سكرتير اتحاد المسلمين في استراليا ان الاتحاد يستهدف التغلب على الاجحاف الذي يلحق بهم ، وقال ان ممثلين من « فيجي » و « نيوزيلندة » قد دعوا الى مؤتمر الجمعيات الاسلامية في استراليا وسيتم ، خلال هذا المؤتمر وضع اسس الاتحاد والاتفاق النهائي عليها .

وقد انعقد خلال يوم 27 – 29 مارس الماضي 1970 المؤتمر السنوي لاتحاد الجمعيات الاسلامية في استراليا ، وذلك بالمركز الاسلامي في مدينة « برزبيه » ... واشارت مجلة « الهلال » الناطقة الرسمية بلسان الجمعية الاسلامية في « كوئيزلاند » ان المسجد الجديد في مدينة « برزبيه » قد قارب الاكمال ...

استراليا بلد شاسع جدا ووعر وغني بما يفوق الوصف من الجمال الطبيعي ، وعلى وجه العموم هو بلد مسيحي والحرية الدينية من المبادىء الاساسية لديمقراطيته، وحسب احصائية سنة 1961 فان 86،6 في المائة من سكانه قالوا ان ديانتهم هي المسيحية وصرح 68،804 اشخاص بأنهم غير مسيحيين والاغلبية من القسم الباقي تتألف من اليهود ، اما المسلمون فيأتون بعد اليهود من حيث العدد .

ومعظم سكان استراليا ينتسبون الى دينهم بالسنتهم فقط ، فالكنائس يوم الاحد مثلا تكون نصف فارغة ، لذا فقد بذل فيها اهتمام كبير بمدارس الالعاب الرياضية المختلفة والاناشيد المنعشة على السنة الفتيات لاستجلاب الجماهير .. وهناك فريق من خدمة الديانة المسيحية يحسبون الله خاصا بالكنيسة لا يشاركها فيه غيرها ، وفيهم عوز كبير لفهم الاديان الاخرى ومعرفتها على حقيقتها ولاسيما الاسلام ، والامور الوحيدة التي يعرفونها عن المسلمين هي انهم مسموح لهم بأن يتزوجوا بأربع نساء وانهم لا ياكلون لحم الخنزير ولا يشربون الخمر ، ويحجون مرة في عمرهم الى مكان يسمونه مكة .. وقد يستغل خدمة الديانة المسيحية مكانتهم الممتازة للهجوم على رجال الاديان الاخرى ، ومعتقداتهم وشعائرهم،ومدينةواي سايد تشابل (Wayside chapel) هي المكان الوحيد في استراليا حيث يستطيع المسيحيون والمسلمون ان يتلاقوا على قدم المساواة اي بدون ان يسال بعضهم عن دينه وعما اذا كان قد استمع الى موعظة الانجيل ؟ وقسيسها السيد تيدنوفس قد شجع المسلمين مرارا على الاسهام في الابحاث الدينية والكلام عن الاسلام والتعاون مع فرقة تشابل . وقد قال لي احد خدمة الديانة المسيحية المعروفين مرة ان المسيحيين والمسلمين يمكنهم ان يتعايشوا مع بعض الا ان ذلك لم يبذل له السعي حتى الآن .

لقد كان رعاة الابل من الافغانيين والهنود هم اول من ادخلوا الاسلام فى استراليا وكان الانكليز استوردوهم ليستعينوا بهم فى فتح طرق المواصلات الداخلية ، والسكة الحديدية فى اديليد آلايك طالما تلقب بكلمة (خان) تذكارا لاولئك الرجال الشجعان حتى الآن . فجاءوا بسجاجيدهم واصبحوا يؤدون صلاتهم فرادى بصورة جماعية ، وفى سنة 1881 م كان عددهم اكثر من 4.700 نسمة ، ولا يزال عدد كبير منهم يوجدون فى مقاطعتي آديلائد وبريسبين .

وعدد المسلمين اليوم فى استراليا نحو 12،000 نسمة من بين سكان استراليا وهم 12،20 مليون نسمة ومن الممكن ان يوزعوا على ثلاث طبقات :

الاولى : اعضاء السلك الدبلوماسي الممثلين عن البلاد الاسلامية .

والثانية : الطلاب من البلاد الآسيوية ، الذين جاءوا للدراسات تحت مشروع كولومبو ، او بصفتهم الشخصية .

وبما اننا لا نستطيع ان نقدم لهم لوازم المعيشة المناسبة لحاجاتهم واحوالهم فهم مضطرون الى السكنى فى دور الضيافة التابعة لمعاهدهم وكلياتهم او فى المنازل الشخصية بالاجرة . ومنذ ساعة وصولهم فان جهودا منظمة قوية للنشاط التبشيري المسيحي مبذولة تستهدف بث النفوذ فيهم واجتذابهم الى المسيحية .. ومما قد حدث اكثر من مرة ان نزل عدد من الطلاب المسلمين فى دار الضيافة التابعة لكنيستهم المسيحية بمدينة «سدني» فاجبروا على المساهمة فى خدمة متعلقة بالكنيسة ايام عيد الميلاد على أن الطلبة الاندونيسيين والملاويين والباكستانيين قد الفوا مجالس مستقلة للطلبة المسلمين ولهم نشاط ملموس فى نشر الاسلام فى استراليا .

والثالثة : النازحون والاستراليون : هناك مسلمون من البانيا ويوغسلافيا والاردن وقبرص ، وافغانستان قد استقروا فى استراليا .. ولمشكلة اللغة فان أكثر هذه الطوائف قد الفت لنفسها مجالس اسلامية مستقلة فالالبانيون مثلا لهم مسجدهم ومدرستهم فى « سدني » .

وفعلا كان الاسلام قبل 50 سنة مجهولا لا يعرف عنه شيء فى استراليا ، فتدفق الطلاب الآسيويين والنازحين المسلمين قد ادى مساعدة كبيرة على تجديد الاسلام وجعله من الاديان المعروفة على وجه احسن بالنسبة للماضي ، وقد تم تشكيل المجالس الاسلامية فى ولاية نيوساوث ويلز وكوينز لاندا واستراليا الغربية واستراليا الجنوبية ، وتاسمانيا ، وفى جزيرة ترسدى ناد يعرف باسم نادي ترسدى الاسلامي يعنى بتعهد احوال المسلمين ويسعى لما فيه صالحهم ومعظم سكانهم من ملايو ، وكل المجالس الاسلامية تمثل فى الاتحاد الاسترالي للمجالس الاسلامية والذى داره المركزية فى ملبورن شمال كارلتون بفيكتوريا .. وهذه المجالس تعنى بالشؤون الدينية من عقد حفلات الزواج والجنائز ورؤية هلال شهر رمضان واقامة الاعياد الاسلامية وما اليها .

والمجالس الاسلامية فى كيونز لاندا وجنوب استراليا لها نشاط كبير فى نشر الاسلام وهناك مجلة شهرية تصدر فى بريسبين باسم (Crescent) « الهلال » تحت رئاسة السيد عبد الرحيم رين . وعلى يد الشيخ محمد جون وبستر - الداعية والخطيب الاسلامي المعروف باللغة الانجليزية قد اعتنق الاسلام خلق كبير من سكان استراليا وهو ذاته قد اعتنق الاسلام منذ سبع سنوات فى مدينة برث بعد دراسته الطويلة للقرءان الحكيم قد قام بجولة استطلاعية فى كثير من البلاد الاسلامية بما فيها باكستان ، ولسبب عمله المتواصل وانقطاعه التام للهدف الاسلامي فانه اهم شخصية اسلامية وأحقها بالتقدير فى استراليا كلها .

والمجالس الاسلامية ما تبنت حتى الان عملا فى سبيل الدعوة الاسلامية بصفة رسمية وقد قررت قبل ثلاث سنوات اثناء انعقاد المؤتمر السنوي ان لا تقوم بعمل فى سبيل الدعوة الاسلامية لان الوقت ما نضج بعد للنشاط الاسلامي ، فالزعماء المسلمون فى استراليا سيفكرون فى تعيين وقت مناسب للقيام بنشر الاسلام بين الاستراليين بصفة رسمية .

واخيرا قامت فئة قليلة من المسلمين فى استراليا بتأسيس المجلس الاسلامي للدعوة الاسلامية وفعلا قد باشروا العمل على مستوى بسيط .. الحقيقة اننا جميعا من الذين ما اهتدوا للاسلام الا منذ مدة يسيرة فما لنا بالاسلام الا معرفة بسيطة محدودة ، وما عندنا مال وانما جل اعتمادنا على مساعدات اصدقائنا وراء البحر فى تزويدنا بالكتب والوسائل المادية الاخرى ، واثناء زيارتي،

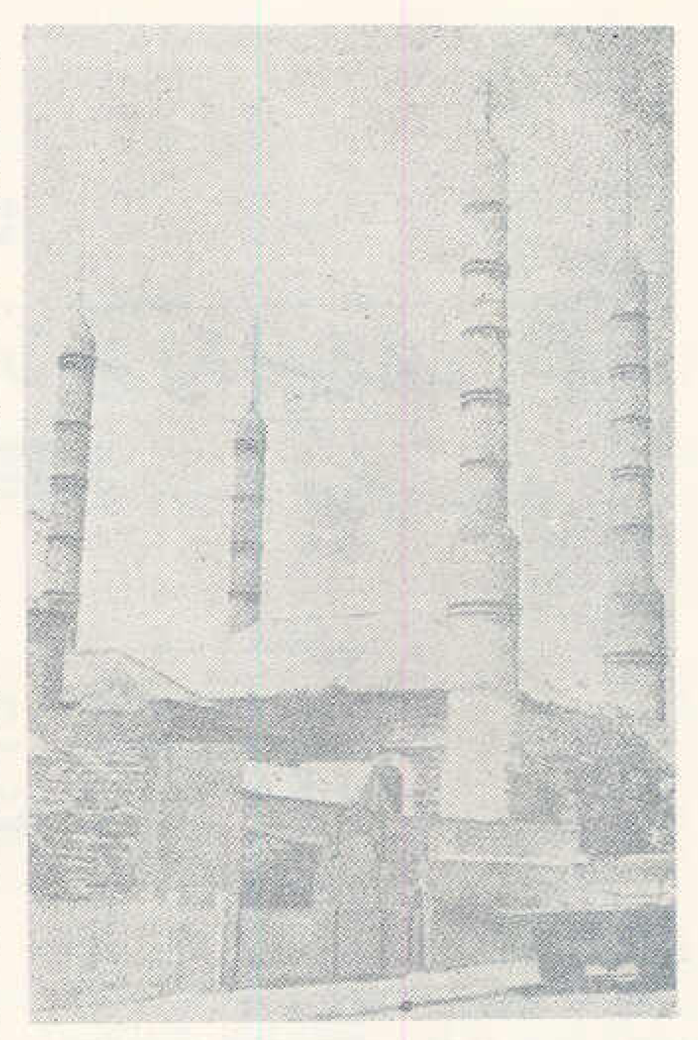
الاخيرة لسنقافورة وملايو قد تبرع على الاخـوان بكمية وافرة من الكتب الاسلامية وانا بالنيابـة عـن مسلمي استراليا اقدم لهم واجب الشكر الجزيل على هذه الهدية .. والذى تحتاج اليه بصفـة خاصـة نسخ القرءان الحكيم بترجمة معانيه باللغة الانجليزية على اننا نرحب بكل كتاب اسلامي ونعده شيئا ثمينا لابد ان يساعدنا فى مجهوداتنـا المتواضعـة لنشر الاسلام فى وطننا .

ومصر قدمت منحتيـن دراسيتيـن لمسلمي استراليا لمن اراد من شبانهـم الدراسة فى الازهـر وعسى ان يكون اختيار هذين الشابين قد تـم الى هذا الوقت . وعضو متكلم باللغة العربية من اعضـاء المجلس الاسلامي الاسترالـي على اهبة السفـر الى البلاد العربية لجمع التبرعات لبنـاء المساجـد فى مراكز استراليا الاسلامية ، وانا نفسي قد اعطيـت منحة لدراسة العلوم الاسلاميـة بالمعهد العلمـي فى كراتشي لثلاث سنوات وفعلا قد وصلت الى كراتشي بنية استكمال هذه الدراسـة .

من الممكن ان توجد فى استراليا عدة مساجد ، وقبل سنوات قد اكتمل فى كانبيـرا ـ عاصمـة استراليا بناء مسجد بسيـط ولكن جميل للغايـة ، وفى اغلب الاحيان انما يستعمله الممثلون والموظفون فى السلك الدبلوماسي عن البلاد الاسلاميـة ، وهو فى واقع الامر مركز للحياة الاسلامية فى كانبيرا ، كما ان هنالك مسجدا فى كل من آليد ويرث وهوبارث. اما كيونز لاندا ففيها مسجدان فى بريشين والآخر فى المنطقة الداخلية .. وهذا المسجد المؤخر الذكر بناه رعاة الابل الافغانيون الذين ـ كما قلت آنفا ـ كانوا اول من جاء بالاسلام الى شواطيء استراليا وبعض مناطقها الداخلية ، وهنـاك مشروع لبناء مسجـد آخر فى برشين ، والى الآن ما تم بناء اي مسجد فى نيوساوث ويلز ، وقد تم فى سفح جبـل سـري شراء منزلين قديمين ، وبعد نفقات باهظة يستعمل الدور الاول من احد المنزلين اعطـى المجلس منحـة مالية قدرها 11.000 جنيه استرلينـي ، لنـا ان نامل ان « سدني » سوف يتم فيها ايضا بناء مسجد عن قريب وفى افضل موقـع كما ان هناك مشروعـات فى الطريق لبناء مسجد حديث فى ملبورن (فكتوريا)

والمسلمون فى استراليا تواجههم عدة مشاكل ... ان الدولة كفيلة لسكانها بالحرية الدينية والحكومة مستعـدة للمساعـدة فى كـل وقت ، فالمبشـرون المسيحيون لهم نشاط اقوى وعنيف ضد المسلمين ، وأما المسلمون فهم موزعون الى فئات صغيرة متفرقة فى شتى الاقطار وذلك لما يعوزهم من القيادة الصالحة والمسلمون الاستراليون المحليون قلما يرجون ان يتم اختيار احد منهم رئيسا للمجالس الاسلامية او اللجنة من لجانها ، ومن حيث العدد فاننا اقلية ضئيلة جدا. والذي اعتقد ان المسلمين الاستراليـيـن هم الذيـن ينبغي ان يكونوا زعماء للمجالس اذ لا يتوقف نشـر الاسلام فى المستقبل الا عليهم ، وفى اثناء المؤتمـر الاسلامي الآسيوي الافريقـي المنعـقد فى باندونـج « اندونيسيا » سنة 1965 م كان رجل من باكستان هو الذى اختير لتمثيل استراليا وقد احدثت ذلك ضجة فى استراليا حتى قال كثير من اهاليها ايـن كان المسلمون استراليون ؟ ونحن جد شاكرين للزعماء المسلمين الباكستانيين ما هم قائمون به من العمـل لصالحة الاسلام والمسلمين فى استراليـا ، ولكن لا يمنعنا ذلـك عن القـول بأن احـدا مـن المسلميـن الاستراليين هو الذى ينبغي ان يكون زعيما للجالية الاسلامية فيها ، وارجو ان استانف جهودي فى نشر الدعوة الاسلامية فى استراليا حين ارجع اليها بعد انتهاء دراستي فى باكستان وانا ممن اعتنق الاسلام رسميا يوم 21 اغسطس 1964 م على يد الشيـخ محمد جون وبستر .

واقول مرة اخرى ان باب استراليا مفتوح على مصراعيه لدعاة الاسلام لو قدروا على تنظيم انفسهم فى عمل جدي قوي واننا مواجهون لنشـاط عـدة ارساليات قوية وغنية بالوسائـل المادية للتبشيـر المسيحي، والطلاب الاسيويون اهداف لجهود هـؤلاء المبشرين بصفة خاصة ، وهذا التحدي انما يمكن مجابهته بقيادة صالحة وبعمل قوي معارض لمثله فى سبيل الدعوة الاسلامية ، والشباب المسلمـون قد ابدوا الشغف بالاسلام الى حد لا بـأس بـه ، فمـا وظيفتنا الآن الا ان نجعل الناس يدركون ما للاسلام من الجمال الحقيقي والتعاليم الساميـة اكثـر مما يدركونه الآن . وللملاويين اسلـوب بديـع لشرح الاسلام ودعوة الناس الى حظيرته وذلك انهم يقولون .. ان الاسلام بسيـط وجميل .. وهذا ما ينبغـي ان يكون شعارنا فى عملنا للدعوة الاسلامية ان الاسلام دين يرحب بالرقي والتقدم ويلبي حاجيات كل عصر، بينما قد دلت المسيحية على ان ليس لها ان تجـاري الناس فى رقيهم وتقدمهم وانمـا تريـد البقـاء على ركيزتها هي ، فعلى المسلمين ان ينشطوا لنشر كلمة الاسلام بمزيد من الهمة والعزيمة .



مسجد ادلاليد فى استراليا

ويحارب مسلموا استراليا مذهب البهائية الهدام، فقد نشرت فى الايام الاخيرة بعض المجلات الاسلامية الراقية انه قام مؤخرا عضو بارز من العقيدة البهائية يدعى السيد فضل خان ، من نيوساوث ويلز تصحبه زوجته وسيدة اخرى عضو فى طائفته بزيارة المسجد بغية تقديم هدية من الكتب البهائية الى مكتبة المسجد، وبعد مناقشة حادة رفض (الامام) قبول الكتب المهداة التي زعم السيد خان بانها قدمت الى جميع زعماء الحكومة والشخصيات الدينية فى كافة انحاء هذا البلد ولقيت لديهم كل قبول .

وان السيد خان الذي يقول بانه من «لوديهانا» ـ بنجاب الهند ـ اكد واعترف بانه لم يعد يؤمن بشريعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ولكنه يؤمن بشريعة جديدة بالكلية وربما لا يكون من العسير على المحبين للسلام من غير المسلمين ان يقعوا فريسة سهلة للشرك البهائي الا انه لا يمكن لاى مسلم جدير بهذه التسمية ان يخامره ادنى شعور بالتعاطف مع هذا المبدا ، (رغم اننا نشفق على اناس مثل السيد خان الذي اضله الشيطان عن الصراط المستقيم ،) دع عنك مسالة قبول تعاليمها (البهائية) التي تعتبر تشويها زائفا وتحريفا لتعاليم القرءان الكريم ، والظاهر ان هدف هؤلاء الرجال ممن هم على شاكلة السيد خان هو تخريب الاسلام كجزء من محاولتهم تحقيق نظام جديد فى العالم ، ولو كان البهائيون يرغبون فى بحث دينهم مع المثقفين فهذا حسن وطيب ولكنه ثبت بالتجربة الشخصية انهم يريدون منا ان نجلس مكتوفي الايدي معقودي الالسن تماما وهم يقومون بتبليغنا عقيدتهم بالزور ، وكل المحاولات التي بذلها الكاتب للدفاع عن دين الاسلام كانت تقابل بما يلي :

لا تحاضر فينا يا سيدي فانا أعرف ذلك كله فاني لم آت هنا للاستماع الى محاضرة ، فلماذا لا تصغ الينا ، انك متحيز متعصب .. الخ .
ثم قال الثلاثة بصوت واحد عند مغادرتهم الكلمة التالية التي كانت بمثابة لطمة : اننا نشفق لحال هؤلاء الناس المساكين المضللين الذين لا يسمح لهم بالتفكير المستقل لانفسهم تصور وجودك هنا تضلل هؤلاء الناس بشان الدين ، لماذا لا تخبرهم الحقيقة ؟ انه لولا رجال من امثالك ولولا العلماء لتحول الجميع الى تعاليم بهاء الله، بارك الله فى العلماء ، عاش العلماء طويلا .

لقد أصبح من واجب علمائنا وقادتنا الدينيين فى انحاء استراليا تبصير جماعاتهم المصلية بقدر الامكان بزيف الدين البهائي وبطلانه وخوائه وفي الوقت ذاته عليهم تثقيف المسلمين المخلصين غير المتعلمين والحيلولة دون اتصالهم او سماعهم لمثل هؤلاء الاشخاص الذين يحرضون على افساد تعاليم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

ان الاسلام هو الدين الحق الوحيد الذي جاء به جميع الانبياء من عند الله من لدن آدم عليه السلام الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي جاء بالدين الكامل ، كما أن الايمان بالانبياء جميعا يعتبر ركنا من أركان الايمان عند المسلمين ، أما الايمان بأى نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم فانه يفضي الى الكفر ، ويخرج الانسان من دين الاسلام ، لقد نص الله العليم بكل شيء ، بما لا يدع مجالا للشك ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم الانبياء ، فلا يستطيع احد بعده أن يزعم لنفسه النبوة ، فقد كمل الدين به ، فلا مجال لاى هدى جديد ان يحل محل شريعة محمد صلى الله عليه وسلم التي جاءت للانسانية كلها فى جميع الازمان.

جزر المالديف :

الجزر الآسيوية المسلمة

للأستاذ محمد الأزهاري

... لقد دخل الشيخ الحافظ ابو البركات يوسف البربري ، وهو من بلاد المغرب الى المالديف فى منتصف القرن السادس الهجري مع بعض التجار العرب الذين كانوا فى ذلك الوقت يقومون برحلات تجارية منظمة ..

انه لمؤسف حقا ان تظل بقعة من بقاع العالم الاسلامي طي المجهول .. فى وقت كشفت فيه الوسائل الاعلامية كل مطمور ، وعرضته للاضواء قصد رفع الغبار عنه والتعرف بـه ، كما لا يعقل ابدا ان تظل رقعة اسلامية ذات حضارة وامجاد ودور تاريخي هام طي الغموض لمجرد انها بعيدة .. او لان نشرات مؤسساتها الاعلامية لم تخترق الحدود الينا.

ان هذه المنطقة التى حمل اليها المغاربة راية التوحيد فى بداية الامر اذا اهملت ولم تجد لها ركنا على اعمدة المجلات والصحف فانها موجودة فعلا فى منطقة الشرق الاقصى . والناظر المتفحص لكل خريطة من خرائط العالم لابد من ان يلاحظ بقعا سوداء متناثرة على المحيط الهندي قد يحسبها فى اول الامر مجرد نقط سقطت سهوا من قلم الرسام الا انها فى الحقيقة نقط تقابلها فى الطبيعة اميال واميال لارض اسلامية هي جزر المالديف التى قال عنها ابن بطوطة عندما طاف ببلاد الشرق فى القرن الرابع عشر الميلادي .. انها تشتهر بالجمال الطبيعي الساحر والهدوء الشامل والنساء الجميلات .. انها احدى عجائب الدنيا السبع .. »

وقبل مواصلة الحديث عن هذه الجزر العائمة اود ان انبه القاريء الكريم الى ان هذا الحديث لم يستوف كل عناصر البحث ، ولا هو استطلاع حي لهذه الناحية من وطننا الاسلامي الكبير وانما هو مجرد نتف جمعناها من هنا وهناك نظرا لقلة المصادر فى الموضوع ، وعسى أن تكون هذه النتف كافية لاعطاء صورة واضحة عن تلك المنطقة .

1087 جزيرة عائمة

ان اية خريطة للعالم سوف تستوقف نظرك وانت تنظر فيها الى سلسلة من النقط فى المحيط الهندي ممتدة من الشمال الى الجنوب فى المنطقة الواقعة جنوبي غرب سيلان من الشرق الاقصى ... انها جزر «المالديف» البلد المسلم منذ عدة قرون خلت .. اي منذ 548 هجرية (1153 م)

وتبعد هذه الجزر عن سيلان بـ 650 كيلومترا وتشغل مساحة طولها 750 كيلومترا وعرضها فى اوسع الاماكن 115 كلم . وتتكون من 1087 جزيرة حسب احصاء دقيق قامت به الحكومة فى عام 1965،

الا ان عدد الجزر الاهلة بالسكان لا يزيد على 215 جزيرة والباقي عبارة عن جزر خالية يستغل بعضها فى انتاج المحاصيل الزراعية والبعض الآخر فى انتاج الاخشاب .

وهي جزر رملية وطئة لا تخترقها انهار بالغة الصغر بصفة عامة اذ ان اكبرها لا يزيد طوله على سبعة او ثمانية كيلومترات كما لا يزيد عرضها على نصف هذه المسافة .

وتغطي هذه الجزر غابات كثيفة من الاشجار الاستوائية الضخمة ونخيل جوز الهند الشاهقة .

وجزر « المالديف » تنقسم طبيعيا الى 13 مجموعة ، تفصل بينها بحار متسعة نسبيا ، ولكنها مقسمة سياسيا الى 19 مجموعة لاعتبارات ارتاتها الحكومة لتسهيل التسيير والادارة ، وجعلت على راس كل مجموعة حاكما او محافظا معينا من قبل الحكومة يدير كل شؤونها على الطريقة الكونفيديرالية، ووسيلة المواصلات بين الجزر هي الزوارق البخارية والمراكب والقوارب الشراعية المصنوعة محليا .

وتشكل هذه المجموعة من الجزر باقة من الجمال الطبيعي الاخاذ ، وزادها بهاء ، الجو المعتدل صيفا بغض النظر عن موقعها الاستوائي الحار بسبب المياه المحيطة بها من كل صوب ، وبسبب نخيلها الباسق الوارف الظلال واشجارها المورقة وزهورها البرية المختلفة الالوان .

وقد قال عنها ابن بطوطة : « فمجموعة هذهالجزر مستديرة كالحلقة ، لها مدخل كالباب لا تدخل المراكب الا منه واذا وصل المركب الى المدخل فلا بد من دليل من اهلها يسير به الى سائر الجزائر ، وهي من التقارب بحيث تظهر رؤوس النخل التى باحداها عند الخروج من الاخرى ، فان اخطأ المركب فى سيره لم يمكنه دخولها وحمله الريح الى خارجها » ، وهذا الكلام ما زال صحيحا الى الان .

ومن المظاهر التى تتجلى فيها القدرة الالهية فى « المالديف » ، ان مياه الشرب التي تستخرج من الآبار هناك مياه عذبة غاية فى النقاء لا اثر فيها للملوحة على الاطلاق بالرغم من المياه المالحة التى تحيط بالجزر من كل ناحية ، ومن تلك المظاهر ايضا ان هذه الجزر لم تتعرض قط لاعاصير ولا عواصف او امواج او غيرها من ثورات الطبيعة .

« مال » و « ديب » او ذيبة المهل

ان اللغة المستعملة فى سيلان هي اللغة السنهالية، وتعني كلمة « مالديف » فى هذه اللغه « بلاد السمك » وقد كان يتكلم بها السكان المالديفيون الاوائل الذين ينحدرون من اصل سيلاني كما دلت على ذلك الحفريات التى اجريت فى عاصمة المالديف « مالي » ويرجع هذا الاسم الى وفرة الاسماك فى بحار هذه الجزر ، كما انها تعرف باسم ءاخر اطلقه عليها ابن بطوطة وهو ذيبة المهل .

اصل ... واكتشاف

لم يتوصل المؤرخون الى الكيفية التى تم بها اكتشاف هذه الجزر ولا استيطانها اذ ان كل ما جاء بهذا الصدد يعوزه الدليل القاطع الا ان بعض الاقاصيص الراجحة تحكي ان جماعة من الهنود وهي تتجول فى عرض البحر (ولعلهم القراصنة) قد اكتشفوا صدفة هذه الجزر منذ اكثر من الفي عام فاستطابوا العيش فيها واستقروا بها ، ويرجح اكثر المؤرخين ايضا ان اول من وصل هذه الجزر هم جماعة من اهل سيلان وقد كشفت الحفريات عن بقايا معابد بوذية وبعض التماثيل التى تمثل « بوذا » فى العاصمة وفى بعض الجزر الاخرى ، ومعلوم ان السيلانيين يدينون بالبوذية من قديم ، ويؤيد ذلك ايضا تشابه المالديفيين والسيلانيين فى البنية والملامح والعادات والتقاليد وتشابه اللغة المالديفية واللغة السنهالية التى يتحدث بها سكان سيلان .

سكان المالديف ... مسلمون

ان الاسلام بروحه السمحة وتعاليمه القويمة لم يكن فى يوم من الايام يدعو احدا الى اعتناقه بالجبر والقهر وانما كان وسيظل دينا يدخله الناس افواجا مبهورة بحكمه وشرائعه وسماحته وروحانيته .. كما كان الشأن بالنسبة لاهل المالديف المسلمين .. وقصة اسلام سكان المالديف ليست غريبة ولا فيها ما يثير وانما اكثر ما فيها عظمة الدعوة الاسلامية ، **لقد دخل الشيخ الحافظ ابو البركات يوسف البربري وهو من بلاد المغرب الى المالديف فى منتصف القرن السادس الهجري مع بعض التجار العرب الذين كانوا فى ذلك الوقت يقومون برحلات**

تجارية منظمة بين الجزيرة العربية من جهة وبين موانيء الهند وسيلان والمالديف من جهة اخرى
ووجد اهلها على الديانة البوذية فطلب مقابلة السلطان ودعاه الى الاسلام الا ان السلطان ابى فى اول الامر على الرغم من ضيافته لحامل الدعوة وتقريبه اليه ، وما زال الشيخ الحافظ ابو البركات يجادل السلطان بالحكمة والموعظة الحسنة الى ان اقتنع فاسلم وامر شعبه باعتناق الدين الجديد ، وكان هذا الحدث الذى قوى من شوكة المسلمين فى اليوم الثاني من شهر ربيع الثاني فى سنة 548 هـ (1153 م) وما تزال هذه المعلومات المكتوبة فى اللوحة الموجودة بالمسجد الذى امر ببنائه السلطان بعد اسلامه ، وهي مكتوبة باللغة العربية والكتابة التى عليها ما زالت واضحة كل الوضوح وقد كان هذا السلطان يدعى « درمس كالامنجا » قبل الاسلام فاستبدل اسمه بعد اسلامه الى « درمس محمد بن عبد الله » وقد حكم المالديف 25 سنة ، 12 منها قبل اسلامه ، و 13 سنة بعده ، كما ان المسجد الذى بناه وهو الاول من نوعه فى تلك الديار ما يزال شاهقا الى وقتنا الحاضر ، شامخا يحكي قوة الاسلام وبطولاته وامامه ضريح الشيخ ابو البركات الذى لازم السلطان يعلمه القرءان الى ان توفى رحمه الله .

والجدير بالذكر ان شعب المالديف شعب مسلم لا تشوب اسلامه شائبة متمسك بدينه الحنيف لا يرضى عنه بديلا يحفظ القرءان ، ويقيم الصلوات الخمس ويتبع الشريعة الاسلامية ، وقد انعكس هذا بوضوح فى دستوره الذى لا يسمح بصريح العبارة لغير المسلمين بالاقامة الدائمة فى المالديف ، كما ان الافطار فى شهر رمضان بلا عذر شرعي يعتبر جريمة يعاقب عليها القانون واستيراد المشروبات الروحية او صناعتها ممنوع منعا باتا .. ومع ان صيد السمك هو مصدر رزق السكان فان الخروج للصيد صباح الجمعة ممنوع خوفا من فوات صلاة الجمعة.

اللغة بعد الاسلام

وعلى الرغم من اللغة المالديفية التي ترجع فى اصلها الى اللغة السيلانية (السنهالية) فانها قد شهدت تطورا ملحوظا فرضته الكلمات العربية الجديدة التى اصبح الاهالي يستعملونها بعد اسلامهم ككلمة الله ــ الرسول ــ القرءان ــ الملائكة ــ الاخرة ــ الثواب ــ العقاب وغيرها من الكلمات العربية التي اصبحت جزءا من الحياة الجديدة ، وهكذا وبما ان الحروف المالديفية تكتب من اليسار الى اليمين فانهم قد اخضعوا الكلمات العربية الجديدة الى هذا النظام عندما اخترعوا حروفا اخرى جديدة تعطي اللفظ العربي وكتبوها من اليمين الى اليسار واصبحت بحكم الزمن مستساغة مالوفة عادية .

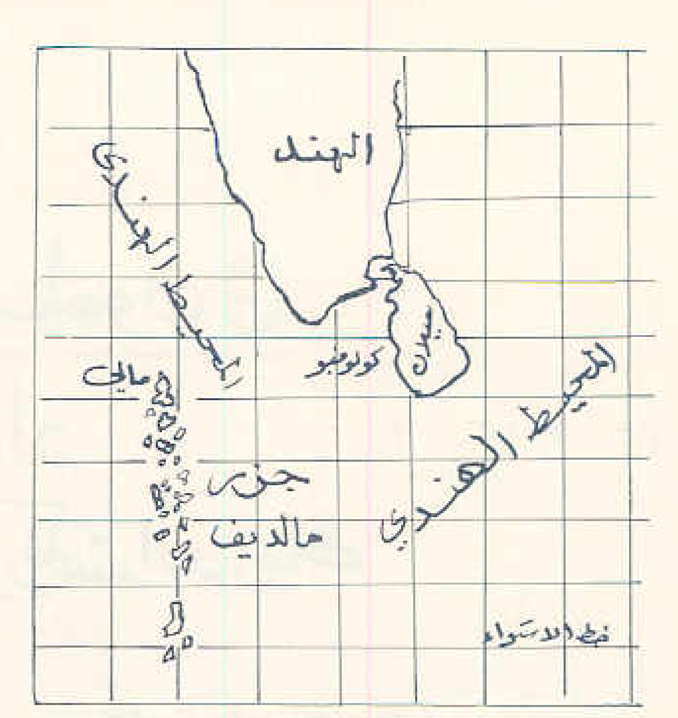
المالديف دولة اسلامية ذات سيادة

ويبلغ عدد سكان المالديف حسب احصاء سنة 1968 : 106000 نسمة ، وقد نالت استقلالها التام فى يوم 26 يوليو 1965 ، وقد فرضت عليها بريطانيا حمايتها بموجب رسالتين متبادلتين بين السلطان محمد معين الدين الثاني وبين السيد ءارثر هاملتون جوردون الحاكم العام البريطاني فى سيلان ، وقد كانت حماية بريطانيا على المالديف من نوع خاص فلم يكن لها هناك حاكم ولا مندوب سام ولا اي مسؤول ءاخر يباشر السلطة الفعلية اذ ان الحكم كان لابنائها والحماية لم تكن الا تبعية قانونية نتجت عن تخوف بريطانيا ءانذاك من سبق بعض الدول الى فرض الحماية على المالديف فتفقد بالتالي سيطرتها على جزء هام من سيطرتها فى المحيط الهندي الذي كان يجوبه اسطولها لتامين سلامة وصولها هناك وبقائها وبعد ان نالت المالديف استقلالها بمقتضى الاتفاقية المعقودة بين الطرفين فى يوم 26 يوليو 1965 انضمت الى الامم المتحدة فى شهر سبتمبر من نفس العام .

هذا ويحكم مالديف سلطان منتخب هو محمد فريد الاول الذى انتخب ملكا على البلاد فى عام 1954، والملك فى المالديف رمز على سيادة الدولة ووحدتها فالسلطة التنفيذية تتركز فى يد مجلس الوزراء الذى يضع السياسة العامة للبلاد ويباشر تنفيذها باسم الملك .

وللمالديف برلمان يتولى سلطة التشريع يتكون من 54 عضوا منتخبين ويتم انتخابهم كل خمس سنوات .

وعاصمتها هي « مالي » الآهلة بالسكان ومركز الحكومة والنشاط الاداري وتسكنها اكثر من 15000 نسمة وبها (40) مسجدا مما يدل على تعلق اهل المالديف بالدين الاسلامي .



جـــزر المـالديـــف

تجــارة ... وصنـاعــة

المالديف دولة نامية فى طريق البناء والتشييد ونشر الوية الخير وهي تعاني نفس ما تعاني منه الدول النامية الاخرى .

يعتمد أهلها على الصيد البحري الذي تزخر به بحار المالديف وصناعة الاخشـــاب التـــى تعرفهـا جزرها ، وتصدير الفواكه وجوز الهند الذى تشتهر به وبما ان الصيد البحري هو العمود الفقري لاقتصاد المالديف فقد وقع الاهتمام والتركيـز على تدعيمـه بالوسائل العصرية الحديثة لزيادة الانتاج ومقابلـة الطلب فى الاسواق السيلانية على الخصوص ، اذ ان السوق الاول الذي تعتمده المالديف هـــو الســـوق السيلاني .

علـم رمـز السيــادة

علم المالديف .. علم مستطيل احمر تتوسطـه رقعة مستطيلة خضراء بداخلها هلال ابيض .

وهو رمز السيادة الوطنية فى داخل الوطـن وعلى طول امتداد حدود المياه الاقليمية التى تمتلكهـا المالديف .

وقد ورد نص ذلك فى دستور هذه الدولـــة الاسلامية الفتية فى وسط المياه الاسيوية .

حضـــارة يحكيهـا التـــاريـخ

ان الدولة المالديفيـــة دولـــه ذات حضــــارة وامجاد تاريخية عظيمة ككل شعب ءاخر مما يـدل على عراقة العنصر المالديفي الطيب وروحه الفنانـة السمحة ... ويحكي المسعودي ان تاريخ المالديف قبل الاسلام تاريخ حافل بالبطولات والتضحيات قصد التخلص من البرتغال وما يزال الشعب المالديفـــي يحتفظ بعظيم الحب لاحـد ابطالـه الشبـــان وهو « محمد تكرفان » الذى نظم الشعب من ورائه ضد كل محتل ويقود المعارك ضد الغزاة .

كما ان تاريخ المالديف يحكي ان ملكات مسلمات قد حكمن المالديف وهن على سبيل المثال : خديجة رهندى التى حكمت 35 سنة كاملة وهي التيااستضافت ابن بطوطة اثناء رحلته هناك وقربته واولتـه منصب القضاء .

الرباط : محمد الازهاري

الاسلام والمسلمون فى ترينيداد بجزر الهند الغربية

تعاني اليوم الجزر الكاريبي فى جزر الهند الغربية مشاكل كثيرة ، مشاكل العقائد الالحادية المستوردة ، وتنمو هذه العقائد بشكل غريب وبين الجيل الجديد والعمال ، واقبال بعض السكان على هذه العقائد لاغترارهم بأن هذه الايديولوجيات الجديدة هي العقيدة الوحيدة التى ستنجي العالم كله من هذه المشاكل !!!

والمؤسف انه لا توجد حركة قوية واسعة مركزة تستطيع مجابهة ومقاومة هذه العقائد الزائفة التى تكتسح الجزر والتى دخلت الى جسم المجتمع كالسوس والجراثيم فى جسم الانسان ، وعلى رغم ما تبذله جمعية « الدعوة الاسلامية » من نشاط للدعوة الاسلامية فانها لا تستطيع مجابهة النشاط الالحادي الجارف

— ◆ —

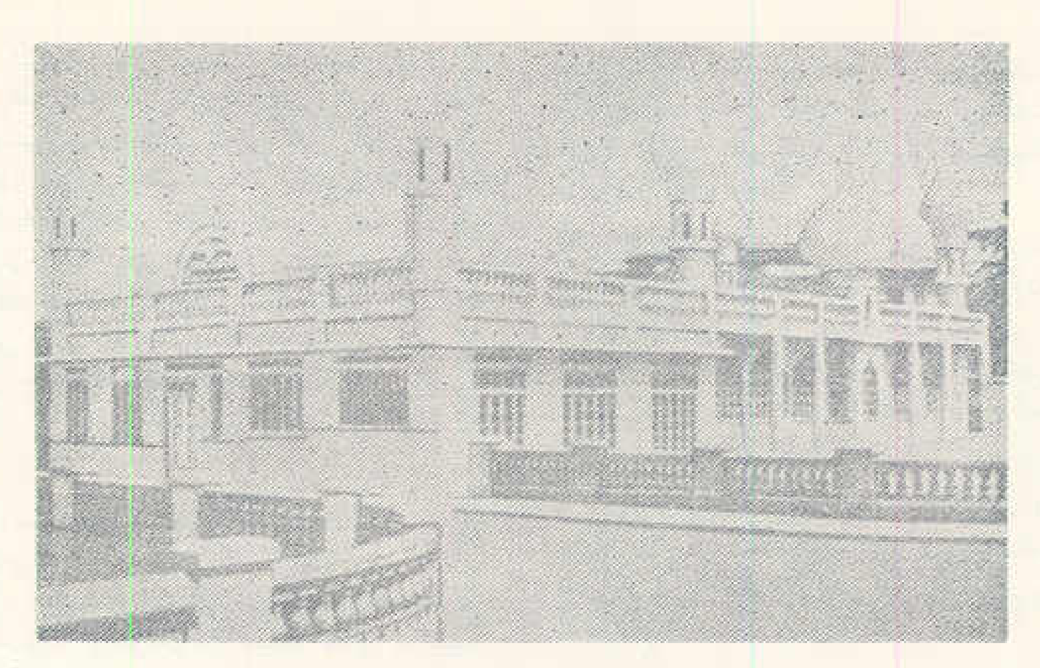
وتتناثر عدة جزر خضراء فى جزر الهند الغربية فى البحر الكاريبي تعد من اجمل جزر العالم ، وتعرف هذه الجزر «بترينيداد» جزر الزهور والعطور ، جزر الربيع الدائم ، جوها معتدل طوال السنة ، ويتمتع سكانها بالبهجة والحبور ، وعاصمة «ترينيداد» «بورت سباين» Port of Spain هي مدينة جميلة فيها اهم المراكز التجارية والصناعية كما ان هناك مدنا اخرى تعد من أحسن المدن الاصطيافية، منها مدينة « سان فيرناندو » الشهيرة التى تعتبر سوقا للبترول .

هاجر الى هذه الجزر اجناس من البشر ، ولذا فان سكان « ترينيداد » اليوم يمثلون عدة اجناس يرجعون الى عناصر شتى من منغول وعرب وهنود وفرس وافريقيين وصينيين واوربيين واجناس وشعوب شتى خصوصا من الذين استعمروا تلك الجزر ، كما ان هناك اديانا شتى ، ومجموعة عادات وتقاليد ولغات .. ويغلب على السكان العمل فى الزراعة .

ومن بين هذه الجزر الجميلة ، جزيرة «ترينيداد» وجزيرة «توباغو»، Tobago التي تقع فى شمال «ترينيداد» مباشرة، وهي ربوة جبلية تغطيها الغابات الكثيفة والاحراج المتشعبة وقد نالت الجزيرتان استقلالهما عام 1962 فى نطاق الكومنويلث البريطاني ، وقد حيكت حول هذه الجزر انواع الاقاصيص الغريبة والاساطير والحكايات المدهشة منها حكايات واساطير «روبنسون كروزو» الشهيرة .

يكثر فى «ترينيداد» زهور الفل والنرجس بين الزهورالاخرى، وجزر الكاريبي جزر سياحية يقصدها السياح من كل حدب وصوب . ويجد السائح فى هذه الجزر وفى «ترينيداد» باللذات المتعة وجمال الطبيعة .

وتعتمد هذه الجزر على السياحة كدخل قومي بجانب ما تنتجه من حاصلات الزراعة من الارز والبن



مسجد السنة في بورت اوف اسبانيا ، في جزيرة ترينداد

والسكر والكاكاو وجميع انواع الفواكه . وترسل هذه الحاصلات بكمية كبيرة الى القارتين الامريكية الشمالية والجنوبية ، كما انه توجد في هذه الجزر ءابار بترول ، والدخل القومي في هذه الجزر يعد في مستوى متوسط .

— ◆ —

وقد مرت على هذه الجزر اروع القصص والاساطير في تاريخها ، استعمرتها دول غربية، وقد وصل المسلمون اليها منذ امد بعيد في أيام العصر الذهبي الاسلامي .. حيث انتشر الدعاة المسلمون يقطعون الفيافي والآفاق البعيدة ، يركبون البحار الى جميع ارجاء الارض ، لقد قطعوا هذه المسافات طولا وعرضا الى الجنوب حتى وصلوا الى « نيوزيلاندا » بالقرب من القطب الجنوبي ، والى الشمال حتى الجزر الخضراء «قرينلاندا» في القطب الشمالي والى اقصى الشرق ، والى اقاصي الصين والى الغرب حتى جزر الهند الغربية في البحر الكاريبي بما في ذلك ترينيداد .

ويذكر بعض المؤرخين ان العرب المسلمين وصلوا الى هذه الجزر في القرن الخامس الهجري والواقع انهم وصلوها قبل ذلك بمدة طويلة بدليل ان الربابنة العرب الذين رافقوا « كلومبوس » في رحلته الاستكشافية الشهيرة الى هذه الجزر عام 1498 م راوا الدين الاسلامي معروفا في تلك الجزر وان كثيرا من اهلها قد اعتنقوا الاسلام . وهذا دليل واضح على ان الاسلام قد وصل الى هذه الجزر قبل وصول «كلومبوس» بمدة طويلة .

هاجر العرب المسلمون الى تلك الجزر كتجار يدعون الى الاسلام واستوطن البعض فيها واندمج بأهلها اندماجا كليا حتى صاروا جزءا منهم .

اما الباقون فقد تابعوا السير الى اماكن اخرى واستقروا فيها ايضا ، ثم انقطعت كل صلاتهم بأوطانهم بحكم الوضع وبعد المسافة ، وتناثر عقد الدولة الاسلامية وعدم وجود بريد في تلك الايام الخالية ووعورة الاسفار كما نسي الاولاد والاحفاد لغتهم العربية .

اما الافواج الاخيرة من المهاجرين العرب الى تلك الجزر ، فما زالوا محتفظين بلغتهم وثقافتهم وعوائدهم .

ويذكر الدكتور عبد الرحمن زكي بان وصول المسلمين الى ترينيداد يرجع الى القرن الماضي حينما عجز المزارعون من الزنوج والصينيين عن العمل في حقول قصب السكر، فلجأت حكومة الجزيرة الى استقدام الهنود للعمل في مكانهم ، وكان وصول اول جماعة منهم في ماي 1845 ، وءاخر فوج عام 1917 ، ويقدر مجموع من وصلوا بنحو 147.592 في خلال

72 عاما ، غالبيتهم من الهنود والمسلمين الذين لا يعرفون القراءة والكتابة ولكن المسلمين منهم ، كانوا من خير المؤمنين ويعود اليهم غرس الدين الحنيف فى ترينيداد بهدوء ومثابرة . وكانوا قبل تشييد المساجد والمدارس الخاصة يتلقى الاطفال اصول الدين على ابائهم ، ويقوم اليوم فى الجزيرة ستون مسجدا هي بمثابة شواهد حية على الايمان الشديد، وانتشرت فيها المدارس التى يتلقى فيها الاولاد مبادىء الدين الحنيف الى جانب العلوم واللغات الحديثة ، فكثر عدد اصحاب الحرف والمهن والمهندسين وكافة الموظفين .

وقد وصل الى «ترينيداد» من الهند عن طريق جزيرتي فيجي وموريشيوس عام 1914 عالم هندي اسمه مولاي الحاج الصوفي شاه محمد حسن الحنفي القادري ، وسرعان ما كسب تقدير مواطنيه واحترامهم .

واستطاع فى وقت قصير ان يجمع حوله بعض المريدين ، وبدا يبشر بطريقته المتطرفة التى اثارت عليه بعض مواطنيه ، بزعامة السيد عبد العزيز ميه من مدينة «برنسزتاون» فلما راى الشاه محمد ان الجماعة الاسلامية ستفتك اوصالها، وتتفرق كلمتها، عزم على الرحيل عائدا الى الهند ، وكان ذلك عام 1918 .

واستمرت اسباب التفرقة تنهش فى صفوف المسلمين ، حتى نهض بعض الرؤساء ، والفوا لجنة فيما بينهم ضمت الحاج ركن الدين ميه وعيد الفني ، وراحموت ، والامير باكش ، والامام باكش وقرروا ان يستدعوا معلما للعلوم الدينية فراسلوا القائمين على مسجد « ووكنج » فى انجلترا ليوفد الى «ترينيداد» من يرشحونه لهذا العمل الجليل .. وفى اخريات عام 1921 وصل اليهم الاستاذ المرحوم فاضل كريم خان الدوراني ، وكان على المام تام باللغة الانجليزية فاستطاع فى وقت قصير ان يفحم المبشرين المسيحيين ، ويرد على ما توارثوه من الافكار الكاذبة عن الاسلام ونشر عدة كتيبات صغيرة تناولت ءاراءه عن الاسلام القويم ، ولم يمكث السيد الدوراني طويلا ، فقد اضطر الى مغادرة الجزيرة عام 1923 واستطاع فى اثناء المدة التى قضاها ان يضطلع بعدة اصلاحات مهدت السبيل الى من خلفوه فى العمل .

وشاءت الصدف ان يظهر فى «سيباريا» شاب نشيط مسلم ، انتهز الفرصة حينما عرض عليه مولاي فاضل خان الذهاب الى الهند لتلقي العلوم الدينية فى كلية التبليغ الاسلامية بلاهور ، وكان ذلك عام 1923 .

كان اسم الشاب « الامير علي » الذى سافر الى لاهور ، وكان قد مر بمصر اثناء عودته ، فرحب به مواطنوه واستقبله افراد جمعية تقويم الاسلام التى تأسست فى الجزيرة عام 1926 بالترحاب وبدا العمل كمفتي للشؤون الاسلامية ، وكان زعيم المسلمين حينذاك السيد سلامات علي ..

ولقد وجد فى سبيل نشر الآراء الصحيحة عن الاسلام تعنت اصحاب الرؤوس العتيقة ، لكنه لم يعبأ بها ، واستمر يؤدي واجبه بروح المسلم الصادق .

وانتخب الامير علي فى عام 1935 رئيسا مدى الحياة «الجمعية التقويم الاسلامية» الى جانب منصبه كمفتي المسلمين ، وكان يعاونه فى جهاده زميلان مسلمان وهما السيد محمد حكيم خان ، ومحمد رفيق ، وقد اخلص الثلاثة وتفانوا فى تأدية واجبهم الديني كل الاخلاص ويعود الى ثلاثتهم وضع كثير من القواعد الاسلامية بين المسلمين فى الجزيرة بعد كما كانت مهملة .

واثناء هذه المدة قامت جماعة السنة التى يمثل افرادها اتباع المذهب الحنفي وحدث شقاق بين الجماعتين استمر الى عام 1937 .

وفى 15 غشت 1947 ، يوم باكستان ، اسست جماعة مسلمي ترينيداد ، ومع ذلك فقد استمر « امير علي » مخلصا فى سبيل تحسين احوال المسلمين العلمية والثقافية لينهض بهم مع سائر ابناء الجزيرة من المسيحيين وكان لا يفرق بين الهندوكي والمسلم .

وللمسلمين اليوم اكثر من 60 مسجدا واكثر من 15 مدرسة ابتدائية و 4 مدارس اسلامية ثانوية، وفى عام 1956 انتخب مسلم لاول مرة عضوا فى البرلمان ثم اصبح لدى المسلمين وزيران فى الحكومة وعضوا فى البرلمان .

— ◆ —

اما الغربيون فاول من وصل الى « ترينيداد » هو كلومبوس مكتشف امريكا فى رحلته الثالثة عام

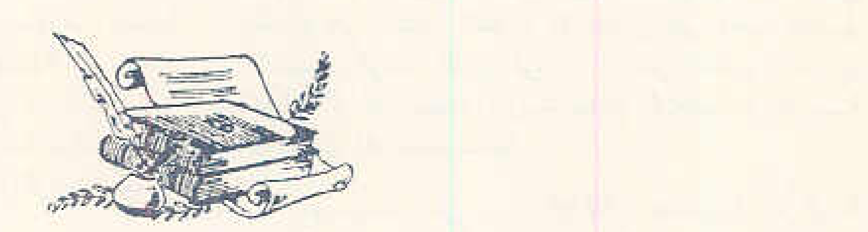
1489 ولم تجذب اليها انظار المستعمرين الاسبان لقلة الذهب بها وانضمت هذه الجزر الى حكم الدولة الاسبانية فاخذ القراصنة الانجليز والهولانديون والفرنسيون يغيرون عليها حتى ان الاحتلال الاسباني لم يدم طويلا ، اذ هاجمتها القوات الهولندية ودحرت الاسبان واحتلت هولندا « ترينيداد » ، ثم فاجأت فرنسا بغزو هذه الجزر فاحتلتها عام 1690 ثم هاجمتها بريطانيا واستولت عليها في عام 1797 وصارت مستعمرة بريطانيا .

— ◆ —

والمسلمون اليوم على قلتهم لهم مكانة في المجتمع . يحترمهم الجميع ولهم نشاط اسلامي لا بأس به بموجب امكانياتهم المحدودة ، ولهم جمعية باسم «جمعية الدعوة الاسلامية» مركزها في « ترينيداد » ويشمل منطقة نفوذها البلدان المجاورة الاخرى والى المستعمرة الهولندية وغيرها من بلدان جنوب امريكا ، وتصدر عن هذه الجمعية مجلة باسم «شعلة الاسلام» باللغة الانجليزية ، كما ان للجمعية بجانب نشاطها للدعوة الاسلامية ، نشاطا ملموسا لنشر اللغة العربية والثقافة الاسلامية ، غير ان صلاتهم بالبلدان الاسلامية تكاد تكون مقطوعة .. فالمسلمون لا يعرفون عن المسلمين في «ترينيداد» وفي الجزر الكرايبي شيئا . فلا اتصال ولا بعثات ولا كتب ولا صحف ترسل اليهم .

في ترينيداد جاليات اسلامية وجاليات عربية هاجرت اليها بعد الحرب العالمية الثانية ويبلغ عددهم اليوم خمسة ءالاف عربي .. وتعداد سكان ترينيداد اكثر من مليون نسمة مؤلف من عناصر شتى لكنهم شعب واحد لا تفرق بينهم العنصريات .

والمسلمون معروفون بتمسكهم بدينهم وعوائدهم يعيشون في وفاق ووئام ، يهتمون بتعاليم الدين الاسلامي ، ويدرس ابناء المسلمين تعاليم الدين على ايدي معلمين من « ترينيداد » .



كيف دخل الإسلام إلى فنلندة

وصل المسلمون الى « فنلندة » منذ ما ينيف على اكثر من مائة عام ، وبوجد بها عدد كبير من المسلمين الذين جاءوها من تركيا ، ومن المناطق المحيطة ببحر الخزر « قزوين » فى شمال ايران ، كما ان هناك عددا ينتمي الى اصل باكستاني ، ولكنهم ، اليوم ، جميعا مواطنون فنلنديون ، يتكلمون اللغة الفنلندية ، ولا يعرفون العربية ، وان كان بينهم كثيرون ما زالوا يتكلمون التركية الى جانب الفنلندية .

ففى بداية القرن الماضي وعقب سقوط فنلندة تحت سيطرة الروس ، وصل اليها جماعة من اتراك الشمال كان معظمهم من التجار الذين كانوا يجولون فى انحاء روسيا ، حيث اختاروا فنلندة موطنا دائما لهم، وكان هناك فى تلك البلاد فى ذلك الوقت جمعية اسلامية اسست عام 1830 ..

ولما نودي باستقلال « فنلندة » فى اعقاب الحرب العالمية الاولى اعلنت الحرية الدينية، واعترف كذلك بوجود الجماعة الاسلامية ، وقامت تنشىء علاقاتها بالبلدان الاسلامية الاخرى ..

وقد ذكر الاستاذ الدكتور عبد الرحمن زكي فى كتابه «المسلمون فى العالم» بان مسلمي فنلندة ينتمون الى الاصل التركي الشمالي ، ويتكلمون احدى اللهجات التركية ، ويبلغ اليوم عددهم حوالي 1.500 موزعين فى شتى مدن وقرى « فنلندة » ويشتغل معظمهم فى تجارة الفراء والمنسوجات ، ولبعضهم حوانيت فى «هلسنكي» وغيرها من المدن الكبرى ، ومنهم عدد يذكر من الاطباء والمحامين والمهندسين ، وهم يعتزون بدينهم وقوميتهم ، كما يحافظون على ثقافتهم وتقاليدهم ، وعلاقاتهم طيبة جدا مع بقية اهالي فنلندة بعد ان حصلوا على الجنسية الفنلندية.

انشأ المسلمون فى فنلندة عام 1925 جماعة ترعى شؤونهم الدينية والخاصة والثقافية واطلقوا عليها اسم **« الجماعة الاسلامية الفنلندية »** ، وهي تعاون على نفقتها الطلاب المسلمين على تعلم لغتهم الاصلية وقواعد الدين فى اثناء تلقي التعليم الثانوي المجاني ، كما عملت على تشجيع الالعاب الرياضية فأسست ناد لممارستها .

واسست فى عام 1935 الجمعية التركية الاسلامية ، ورسالتها العمل على نشر الثقافة الاسلامية بين افرادها من الفنلنديين ، وذلك عن طريق تنظيم الاجتماعات والمحاضرات ..

ويعيش معظم مسلمي فنلندة فى هلسنكي ، ولما رات الحكومة زيادة عدد الصغار اسست مدرسة ابتدائية لاطفالهم ، فاذا ما انهوا منها التحقوا بالمدارس الثانوية ، ويتلقى هؤلاء التلاميذ فى المدرسة الابتدائية المذكورة اللغتين الفنلندية والتركية ، ولهم مقبرتان لدفن موتاهم ، احداهما فى هلسنكي ، والثانية بالقرب من «توركو» .

وبزيادة عدد الجماعة الاسلامية في فنلندة ولاسيما في هلسنكي كان من اللازم انشاء مسجد للاجتماع والصلاة . واستطاعت تلك الجماعة عام 1928 بما اقتصدته من بعض المال شراء شقة في هلسنكي ، وحولت غرفة كبيرة فيها الى مكان للصلاة والقاء المحاضرات واستعملت الغرف الاخرى ناديا للاجتماع والثقافة ..

وقد لوحظ اخيرا انهم اصبحوا في حاجة الى مبان رحيبة تتفق مع اهدافهم ، فلجاوا الى جمع التبرعات من الامم الاسلاميه .

واكثر المسلمين اليوم يعيش في العاصمة هلسنكي وهم حوالي الثلث ، والباقون يقيمون في تامبيري ، وتوركو واولو وهي اكبر ثلاث مدن في فنلندا بعد هلسنكي ، والاخيرة توجد في الشمال على مقربة من الدائرة القطبية الشمالية .. وهم حريصون على اداء اركان الاسلام ، ويعتبر مسجد هلسنكي اكبر مساجد فنلندا ، وهناك مسجد اصغر في تامبيري حيث يعيش 150 مسلما اما في بقية المدن فان الصلاة تؤدى فيها في غرف خاصة اعدت لتكون مساجد خاصة للمسلمين .

.. اما امام مسجد هلسنكي واسمه احمد نعيم فقد تلقى دراساته في الازهر، وهو يتكلم العربية بطلاقة ويلقي خطبه بالعربية ، وفي بعض الاحيان يلقيها باللغة التركية .

وقد انشا بعض اثرياء الجالية الاسلامية مدارس لتحفيظ القرءان في انحاء فنلندا ، وهم يتمسكون بالتقاليد الشرقية ولاسيما في بيوتهم ، ورغم اخذهم بكل اسباب المدنية والحياة في اغلب الحفلات فان النساء يجلسن معا في جانب من المكان، بينما يجلس الرجال في الجانب المقابل ، كما ان المسلمين هناك لا يتزوجون من غير المسلمين ، كرها في الزواج المختلط .

اما عن علاقاتهم بالمسلمين في البلاد الاخرى ، فان لهم صلات دائمة بالمسلمين في تركيا وبعض الدول الاسلامية الاخرى مثل ليبيا والجزائر

وقد ترجمت معاني القرءان الكريم الى اللغة الفنلندية ، وقد قام بهذا العمل البروفسور آرو استاذ اللغات الشرقية بجامعة هلسنكي بالاشتراك مع احد زملائه من اساتذة الجامعة .

واغلب المسلمين في فنلندا كما ذكرنا سالفا من تجار الفراء والجلود والنسيج ، وبينهم كثيرون على درجة كبيرة من الثراء وهم محبوبون من الشعب الفنلندي ، حتى انهم يدعون الى اغلب الحفلات الرسمية والخاصة ، وبينهم كثيرون يشغلون مناصب كبرى في الحكومة لاسيما في وزارة المالية .

كما توجد في فنلندا جمعية للصداقة العربية الفنلندية وتضم اكثر من 250 عضوا ليس بينهم غير 16 عربيا فقط وهي مع ذلك تمارس نشاطا كبيرا وتعقد اجتماعاتها الدورية بانتظام ، كما انها ترسل كل عام وفودا الى الدول العربية ، وسكرتير الجمعية هو مستر (كونتو) وهو صحفي ومدير العلاقات العامة في كبرى شركات الكهرباء في فنلندا .

ومنذ العدوان «الاسرائيلي» على الدول العربية وطلبات التطوع تتدفق على السفارة المصرية وهي السفارة العربية الوحيدة هناك من مسلمي فنلندا يريدون الانضمام الى اخوانهم المسلمين في تحرير الاراضي المقدسة والمناطق العربية التي احتلتها «اسرائيل» .



للاستاذ صاحب الامضاء

جمهورية الفلبين مجموعة من الجزر تقع فى جنوب شرق ءاسيا ويحدها غربا وشمالا بحر الصين وشرقا المحيط الهادي وجنوب بحر (سيلاب) (Selébes) ويحدها من الناحية الجنوبية الغربية بحر « سولو » (Sulu) اما مساحتها فتقدر 299.681 كلم مربع . وعدد سكانها 34.656.000 نسمة بحيث تكون نسبة السكان فى الكلم 2 116 نسمة . اما عاصمتها فهي «كوزون» Quezon من ضواحي « مانيلا » بجزيرة «لوزون» والتى يبلغ عدد السكان بها 482.000.

وهذه المجموعة من الجزر تضم ازيد من 7100 جزيرة، اغلبها جزيرات صغيرة لا اسم لها، واهم الجزر احدى عشر جزيرة اكبرها جزيرة لوسون (Luçon)

وهذه الجزر هي القسم الشمالي من ماليزيا اكتشفتها ماجلان الملاح البرتغالي ودعيت باسم فليب الثاني ملك اسبانيا الذى فى ايامه جرى اكتشافها ، ودان اكثر اهلها بالنصرانية وذلك سنة 1568 وهي ممتدة على 1500 كلم من الشمال الشرقي من « بورنيو » بين بحر الصين والمحيط الباسفيك .

وسواحل جمهورية الفلبين متقطعة ومتكونة من خلجان عديدة لا تساعد الملاحة البحرية، وفى شرق تلك الجزر تقع اعظم الحفر البحرية الموجودة فى العالم (حفرة الفلبين عمقها 10540) م فالفلبين منطقة جبلية وخاصة جزر «لوسون» (Luçon) ومنداناو ... (Midarnao)

والانهار فى هده الجزر عديدة غير انها قصيرة، اما البحيرات فهي صغيرة واكبرها «باي» (Bay) التى توجد قرب مانيلا حاضرة الفلبين اليوم .

واغلب جزرالفلبين بركانية الاصل تكثر فيها الزلازل، ورغم وجود الارتفاعات فى الارخبيل ، فان الطقس على العموم رطب حار مع تغيرات جد بسيطة فى الفصول ، فمثلا فى «مانيلا» يكون معدل مقياس الحرار فى الشهر البارد 25 درجة . وفى الشهر الحار 28 درجة . اما الامطار فهي غزيرة ، وتكثر خاصة فى الغرب بوجود الرياح الموسمية التى تجلب لها الامطار الغزيرة وتنهال الاعاصير الهوج على الجزر، وخاصة فى النواحي المطلة على المحيط الهادي وذلك فى شهر ماي ويوليوز واكتوبر ودجنبر تاركة وراءها خسائر فادحة .

واكثر من نصف مساحة الارخبيل تكسوها غابات من اشجار جبلية حيث توجد بكثرة اشجار الابنوس، الكابلي، جوز الهند ، الجوز الخيزران .

اما السكان فيجتمعون فى المناطق المزروعة ، ولهذا نجد تباينا كبيرا بين منطقة واخرى فمثالا فى جزيرة سيبو (Cebu) نجد معدل السكان يفوق 300 نسمة فى الكلم 2 بينما فى بلوان (Palawau) لا يفوق المعدل 10 ساكن فى الكلم 2 .

وفى جزيرة لوسان التى تقدر مساحتها 37 فى المائة من مجموع مساحة الجزر يعيش 48 فى المائة من السكان ، اما «منداناو» التى تليها من ناحية

المساحة فمعدل سكانها لا يتعدى 30 في الكلم 2
وتكثر المواليد في هذه المناطق ففي 1900 كان الارخبيل يضم 7 ملايين نسمة ، وانتقلت الى 14 مليون في 1937 و 21 مليون في سنة 1950، وتزداد هذه الظاهرة وضوحا بتحسن الحالة الصحية والغذائية في هذه البلاد ففي 1957 كانت الزيادة المائوية 3،2 في المائة وانتقلت الى 3،4 في المائة في سنة 1966 .

وينحدر سكان الفلبين من شعب نزح الى الارخبيل جماعات جماعات منذ سنة 500 قبل الميلاد من اندونيسيا ، وماليزيا ، وامتزجوا خلال القرون بنازحين صينيين وعرب وأوربيين ويابانيين، وفي عصر ما قبل التاريخ استوطن تلك الجزر اقزام من مصدر مجهول عاشوا جماعات في حالة بدائية بقاية جزر لوسون، «منداناو» وفيزاياس ، ويسمون نيكريطوس (Négritos) ويعتقد ان عددهم لا يتعدى 30.000 نسمة ، وينحدر مباشرة من الماليزيين قوم يلقبون بالايكونوط (Igonotes) وهم قاطعو الرؤوس المشهورون الذين عاشوا في الغابات الشمالية من الارخبيل ، اما «المورو» الذين عاشوا في سواحل الجزر الجنوبية فقد ولدوا من امتزاج ماليزي عربي .

اما اللغة الوطنية فهي الطكلوك (Tagalog) وتستعمل اللغة الانجليزية في الادارة والتجارة وهي واجبة في المدارس كما ان هنالك عددا كبيرا من اللهجات (80 لهجة) .

اما التعليم فمختلط ويخضع لاشراف الدولة. ومعظم كلياتها في «مانيلا» وجامعتها اسست عام 1908 ، وتضم كليات الآداب الحرة ، وادارة الاعمال التجارية، والتربية، والحقوق ، والطب ، والطب البيطري، والصيدلة، والهندسة، ومدارس طب الاسنان ، والفنون الجميلة ، والصحة العامة والموسيقى . ولها كلية للزراعة في لاجونا ، وكليتان في مستوى الجامعات في كل من فيجان وسيبو .

واغلب سكان الفلبين يتدينون بالمسيحية فنجد 83 في المائة من الكاثوليك 10 في المائة من البروتستان 4،5 في المائة من المسلمين 2 في المائة من عباد الحيوانات وبعض عشرات الآلاف من البوذيين .

— ◆ —

دخل الاسلام الى الفلبين في القرن الرابع عشر الميلادي ، على يد التجار المسلمين الذين ذهبوا اليها بقصد التجارة والتعمير من الاقطار الاسلامية المجاورة، واختلفت الاقوال في دخول الاسلام الى تلك الجزر فمن المؤرخين من يقول بان الاسلام دخل الفلبين بواسطة العلويين الذين يسمون «بالاشراف»، جاؤوا جزر الفلبين سنة 1265 ، على ما قيل ، لغرض تجاري والمرجح ان الجزر الجنوبية مثل «ميداناو» وسولو انتشر فيها الاسلام لقربها من مسلمي شمالي بورنيو « فاستولى المسلمون على سلطنة «بورنيو» عقب ان خربوا مملكة «الماجاباهيت» من بلاد جاوى سنة 1473 ولم يتحارب الاسبانيون مع سلاطين المسلمين الا في سنة 1577 وقد تقدم السلطان عبد القهار عدة ملوك مسلمين ، ومنه بدأ تاريخ الفتن بين المسلمين والاسبانيين ، وبالجملة فان الاسلام انتشر في ميدانا و«بورنيو» بمساعي دعاة من العرب على انه لم ينتشر حقيقة في جنوبي الفلبين ابان الفتح الاسباني ولم تنتحل «سولو» الاسلام الا بعد ان جاءها «دايكس» من «بورنيو» وتزوج احد زعمائهم المدعو «اندازولان» ـ وكان استولى على جزيرة «بلزبلان» ثم على «سولو» من ابنة زعيم من اعيان المسلمين في ميداناو وانتحل الاسلام واسس سلطنة «سولو» ثم قويت شوكته باتحاده مع بورنيو ومنداناو . ويرجع اصل مسلمي الفلبين الى الجنس العربي والهندي والايراني والماليزي ، وفي القرن السادس عشر لما استعمر الاسبان الفلبين تعرض الاسلام لاضطهاد كبير ، وقام الاسبانيون بحركة تبشير واسعة النطاق بالديانة المسيحية ، ورغم ذلك فقد تمسك المسلمون بعقيدتهم وقاوموا الضغط بثبات عظيم .

وكان قائد الجيش الاسباني العام اذ ذاك يرى سكان «توندو» و«مانيلا» مسلمين ويطلق عليهم في مكاتباته الرسمية لفظ المورو (أي المغاربة) ولم يكن لاحد من الاسبانيين شك في ذلك ، لان المغاربة لم يطردوا الطرد الاخير من اسبانيا الا سنة 1492 .

ولما طرد الامريكيون اسبانيا من الفلبين في القرن التاسع عشر خف الضغط على المسلمين ، وقامت السلطات الامريكية بنشر التعليم وتحسين الوضع الاجتماعي للسكان .

وقد نشأ صراع شديد في جزائر الفلبين بين المسيحية والاسلام ءال الى نزاع عنيف بين الاسبان

والمسلمين استمر حتى القرن التاسع عشر ... فمنذ وصول الاسبان الى الفلبين عام 1521 م وجدوا قبائل اسلامية اكثر رقيا وحضارة فى جزائر منداناو ، وسولو . وقد قاوم اهالي «سولو» على وجه الاجمال كل الجهود التى بذلها المسيحيون فى الغزو والتبشير حتى نهاية القرن التاسع عشر مقاومة ناجحة الى حد ان المبشرين الاسبان يئسوا من الاستمرار فى القيام باعمال التبشير ..

وكان من نتائج فساد اسلوب الحكم الاسباني الجائر ان دينهم مبغض للنفوس .

وكانت مملكة «منداناو» الاسلامية حتى زمن احتلال الامريكيين جزائر الفلبين ملجأ لهؤلاء الذين رغبوا فى التخلص من الحكومة المسيحية .. وقد كونت جزيرة «سولو» كذلك ، مع انها دخلت اسميا من حوزة الاسبان 1878 م ، مركزا اسلاميا واخر مناهضا للمسيحية ..

ومنذ ان احتل الامريكيون جزائر الفلبين اصبح التاثير الاسلامي محدودا الى حد كبير .. ولكنهم لما ارادوا استمالة المسلمين من اهل الفلبين ليتقووا بهم على الكاثوليك جاء منهم وال سابق للفلبين الى الاستانة منذ 20 سنة ، والتمس من الحكومة العثمانية ارسال مرشدين يهدبون مسلمي الفلبين وينور افكارهم نظرا لما هم عليه من الجهل والغباوة ، ولما كانت الدولة العثمانية وقتئذ تعني بامور المسلمين، بقدر امكانها ، ارسلت المشيخة الاسلامية احد ماموريها وهو الفاضل المرحوم وجيه افندي زيد الكيلاني النابلسي وجعلته اشبه بشيخ اسلام فى الفيلبين ، فذهب الى هناك واستقبله المسلمون بفرح يفوق الوصف ، وبدا بمهمته وعاونه الامريكيون عليها ، الا انه مرض مرضا قضى عليه بالعودة الى الاستانة ، فلما جاء قطعت المشيخة راتبه ، وابت ان تعتني بهذا الامر بعد ذلك ، فاضطر الى السفر ثانية على نفقته الخاصة ، وكان يتاوه كثيرا على حالة الاسلام فى الفلبين ، ويذكر ما هم عليه من التحمس فى محبة ابناء ملتهم لو اتيح لهم حظ من التعليم ، واخيرا جاء نعيه سبب العلة التى كانت تمكنت منه مع تغير الهواء عليه ، فذهب رحمه الله فى شرخ شبابه شهيد حميته وعلو همته .

وكان المرحوم وجيه افندي زيد الكيلاني النابلسي صديقا حميما لامير البيان شكيب ارسلان رحمه الله ، كما تحدث عن ذلك ، حيث سأله هذا الاخير عن احوال المسلمين فى تلك الجزر النائية ، فاخبره بأن السواد الاعظم منهم فى جهالة عمياء لا يعرفون ، من الاسلام سوى كونهم مسلمين ، ولا يكاد يعرف الصلاة منهم الا افذاذ قلائل ممن حجوا الى بيت الله الحرام .

ولكن المسلمين لم يستفيدوا من ذلك كثيرا الى ان قدم الزعيم الاسلامي مولانا عبد العليم الصديقي الباكستاني سنة 1950 الذى نهض المسلمون بدعوته الصادقة نهوضا بينا .

ثم قامت الجمهورية العربية المتحدة باعطاء منح للطلبة الفلبيين للدراسة بالازهر وكليات القاهرة الاخرى فانتعش التعليم بين مسلمي الفلبين انتعاشا كبيرا .

ومعظم المسلمين فى الفيلبين من السنيين الذين ياخذون بالمذهب الشافعي وهم يستخدمون الابجدية العربية ، ويتكلمون اللهجة التاجالوجية ، وتعتبر اللغة القومية منذ عام 1946 ، وهو العام الذى منحت فيه الولايات المتحدة الامريكية الاستقلال الى الفلبين، وكان السيد الكيلاني شيخ الاسلام بها الى عام 1926

ويمكن توزيع المسلمين كالآتي :

فى كوتاباتو	Cotabato
فى لانو	Lanao
فى سولو	Soulou
فى زامبوانجا	Zamboanga
بالاباك	Balabac
دافو	Davo

والمسلمون يرحبون كثيرا بزيارة العلماء من الاقطار الاسلامية ليرشدوهم ويستفيدوا منهم .

كما ان علماءهم ومفكريهم يشاركون مشاركة فعالة فى المؤتمرات الاسلامية التى تنعقد فى مختلف الاقطار ، فقد حضر الى المؤتمر الاسلامي الدولي الذى انعقد فى السنة الماضية بماليزيا وفد مهم مثل مسلمي الفلبين يتالف من السادة داتوا ودتونج متالم المستشار الحكومي فى الشؤون الاسلامية ، وسلاكوب ديماكالينج عمدة بلده ، والقاضي الشرعي السيد « احمد دوماكو الونتو » ومادابانتاو عادل القاضي بالمحكمة الشرعية

كما زار الفلبين الدكتور علي فهمي العمروسي والشيخ محمد شلتوت شيخ الجامع الازهر سابقا ، والدكتور محمد البهي وزير الاوقاف بالعربية المتحدة سابقا ورجال ءاخرون من الباكستان كان لزياراتهم اثر فعال فى تقوية الروح المعنوية للمسلمين الفلبينيين .

والحركة الاسلامية فى الفلبين تهدف الى محاربة الفقر والامية وتوجد هناك منظمة اسلامية تأخذ بيد المسلمين وترشدهم الى الاخذ باسباب التطور داخل تعاليم الاسلام.

وهذه المنظمة تأسست سنة 1926 فى العاصمة «مانيلا» وهي تعمل على انشاء مركز لها يتقوم بمليون دولار، وتصدر مجلة اسبوعية باسم الهلال ، وهناك كلية اسلامية انشأتها هذه المنظمة سنة 1955 تحتوي على 1600 تلميذ والمقرر فى هذه المنظمة انه بعد خمس سنوات سيتخرج من هذه الكلية الف معلم للقيام بحركة بعث قوية بين مسلمي الفلبين .

وفى الفلبين جمعيات اسلامية اهمها الجمعية العامة لمسلمي الفلبين ، ومنها رابطة علماء الفلبين هدفها توحيد صفوف المسلمين واستئصال شأفة العصبية المذهبية المستمدة من وحي الاباء والاجداد وتقوية الاخوة الاسلامية دون المسلمين على ضوء الكتاب والسنة .

ففى 5 يونيو تظاهر مسلمو الفلبين ، وتطوعوا للجهاد فلم تمهلهم المؤامرة ، وانتهت بسرعة خاطفة قبل ان يتموا استعدادهم . فعادت باخرتان كانتا اقلعتا حالا مليئتين بالمسلمين للجهاد بجانب اخوانهم الذين لم يلبثوا الا ساعات قلائل ، وحين حرق اليهود المسجد الاقصى ثارت ثائرة المسلمين هناك وفى كل مكان . وقام مسلمو الفلبين بحرق العلم اليهودي على سيارة سفارة اليهود فى مانيلا ، وتحطيم زجاج السفارة وكادوا يحرقونها لولا ان حماها البوليس المسلح والحرس الشعبي الذى اشتبك مع المسلمين الغاضبين .

وفى نفس الوقت يواجه المسلمون المشاكل الجديدة لمجابهة الموجات الحديثة من المبادىء المادية من جهة والحملات المسيحية من جهة اخرى ، والحملة المسيحية ، بما فى ذلك الكاثوليك والبروتستانت ، حملة قوية منظمة يتولاها رجال اكفاء فى تأدية رسالتهم المسيحية ، وتدعم هذه الحملة قوى جبارة من امريكا والبلدان الاخرى .

ففي «ساتيلا» عاصمة الفلبين يقوم اخطر مركز تبشيري يدرب المبشرين للتبشير فى مختلف انحاء اندونيسيا خاصة . حيث لاقى التبشير نجاحا جزئيا موقوتا ـ وفى جنوب شرقي ءاسيا عامة ! . وهم يقومون بتسليط البنات على الشباب وبالعكس ! وقد استوردوا مبشرين رهبانا من لبنان « عرب لسانا فقط» لاستطاعتهم ان يقولوا «السلام عليكم» بالعربية، فيغشوا المسلمين بنطقهم بلغة قرءانهم التى يقدسونها ويعشقون اهلها «العرب» .

— ◆ —

فى خلال عشرين عاما اعتنق جمله من الشباب الفلبيني المسلم الديانة المسيحية لسبب او لدوافع اخرى ، مما يبذله الدعاة المسيحيون الامريكيون .

ويقول بعض المسلمين الباكستانيين فى هذا الصدد وقد حدثه بعض اصدقائه الذين تحمسوا لسبب او لاخر والذين يعملون لصالح المسيحية :

« لي اصدقاء حميمون مسلمون يعملون الآن للمصلحة المسيحية ، احدهم تنصر ، والاخر صار راهبا كاثوليكيا ، تحدثت معهم عن اسباب ارتدادهم فقال لي احدهم : ان الشعب المسلم يتكلم ويتحدث ويفكر ويكتب كثيرا عن الاسلام ولكنهم لا يعملون شيئا كما يتكلمون، والمسلمون متعصبون ومختلفون فيما بينهم لمسائل طفيفة فيما يتعلق بالطقوس والمذاهب ، انهم يضيعون اوقاتهم كثيرا فى جدال ومناظرة ومشاحنة فى هذه الامور ، فى حين لا يعمل ولو حتى واحد منهم لازالة مشكلة الجهل والفقر والمرض ...

والعرب المسلمون وهم ابطال المسلمين ليس لهم نصيب من القدرة لانهاء مشاكلهم الداخلية وكانوا اقل بكثير من المستوى امام عدوهم الصغير .. واليوم انقلبوا واتجهوا نحو شعب لا ديني ليطلبوا منه العون والمساعدة .. اليس هذا من المتناقضات؟

ويقول صديقي الآخر : « ان كل ما يحتاجه المسلمون فى الفلبين من الكتب جعلها باللغة العربية التى يفهمها الشعب ويصعب فهمها كما انه من الصعب ايضا ترجمة تلك الكتب الى اللغة الانجليزية ، اللغة الرسمية واللغة التى يفهمها المثقفون فى البلاد . اما الذين يتلقون دروسهم فى المدارس الدينية فلا يعرفون الانجليزية ومن باب أولى التلاميذ والاولاد الصغار .



احد رواد اتحاد الطلاب الفلبينيين يشرح للصحفيين الاسباب التي ادت الى تظاهر المسلمين احتجاجا على حريق المسجد الاقصى

ومن الصعب جدا ان توجه رسالة الدين بلغة غير اللغة التي يفهمها الشعب . ولماذا لا تكون اللغة الانجليزية وهي اللغة المعروفة هي لغة الدين ؟ اوليس الله هو خالق اللغات وكل الجهات والاصوات في الدنيا والآخرة ؟

ويقول الثالث — : انني احسب انني استطيع ان اعمل من الوزارة لمصلحة قومي وديني ولكنني وجدت الاوضاع لا تواتيني ، وليس هناك سبيل لذلك كما كنت احسب كما اني لم اجد شيئا يمكن العمل فيه لصالح المسلمين وهكذا فكرت فى ان لا اضيع وقتي سدى واتجهت الى الناحية الاخرى الناحية المسيحية ، وفى هذه الناحية وجدت كل التسهيلات مجهزة ومعدة لخدمة الانسانية فى المجتمع الاهلي العام .

هكذا هو وضع المسلمين فى الفلبين ، وضع مخيف يرجف الابدان . والى اين يتجه المسلمون الفلبينيون ؟

ان هذا الوضع هو تحد لمسؤولية المسلمين افرادا وجماعات فى العالم . وان شبكة الدعاة النصارى وجهودهم فى المقاطعة الجنوبية من الفلبيين ، وهي المقاطعة الاهلة بالمسلمين .. وتعتبر هذه المقاطعة اليوم منطقة غزو للدعوة المسيحية واحدى الموارد المهمة للدعوة المسيحية التى تعمل لتحطيم الاسلام وتعريق كلمة المسلمين وافساد اخلاقهم وتوهين عزائم الشباب المسلم .

ان المسلمين فى الفلبين لفي حاجة ماسة جدا الى اساتذة اكفاء ومعلمين ودعاة يفدون من جميع انحاء العالم الاسلامي لتعليم المسلمين اساس الدين الاسلامي ليحاربوا الجهل والامية من اساسهما بشتى الطرق والوسائل التهذيبية واحياء ارواحهم .

التعليم الديني الاسلامي امر مهم جدا للمسلمين فى الفلبيين .. انهم فى حاجة الى مدارس ومدرسين اكفاء ووعاظ وعلماء ودعاة غيورين على الاسلام ليلقنوا المسلمين فيها روح التضحية الاسلامية والثبات على المبدا والعقيدة كما انهم فى حاجة الى كتب اسلامية والاخذ بايديهم مما هم عليه الآن من سوء الحالة من التاخر فى التعليم والدراسة والشؤون الاجتماعية وانقاذهم بكل سرعة .

وفى الشهور الاخيرة اعلنت مصادر اسلامية فى «مانيلا» عاصمة الفلبين ان اكثر من ثلاثة ءالاف

شاب مسلم عادوا الى جنوب الفلبين ليبداوا حركة تهدف الى انشاء **دولة اسلامية مستقلة** لا ترضخ للاحكام التعسفية التي يقوم بها المسؤولون هناك والتي سلمت الكاثوليك الشؤون الاقتصادية والسياسية .

وقد امضى هؤلاء الشبان ، كما تقول المصادر، عدة اشهر في تدريب شاق في الشرق الاوسط وفي بلدان اسلامية اخرى قريبة من الفلبين .

واشارت المصادر الى ان هؤلاء الشبان وعددهم 3،475 دربوا ليقودوا 50 الف رجل مسلم يحتشدون الآن في جزر بجنوب الفلبين .

وكثيرا ما ترددت شكاوي بين مسلمي الفلبين الذين يبلغ عددهم اربعة ملايين ويقطنون جزر منداناو ، وبلالاوان و«سولو» من اهمال الحكومة لهم وممارستها تمييزا ضدهم .

واعلنت عدة فئات عن عزمها على الانفصال غير انه لم يتخذ بعد اي اجراء بصدد ذلك .

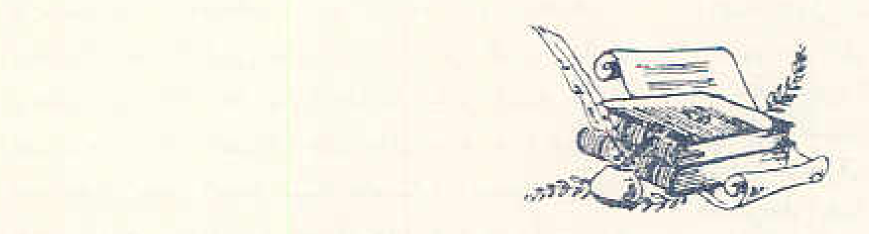
وتشير المصادر التي ترفض الافصاح عن نفسها الى ان المسلمين الذين يبلغ عددهم 50 الف ينتمون الى اربع منظمات شبه عسكرية هي دار «الاسلام» في مقاطعة «كونوباتو» و«الاساليب» في لامو وجماعة «لاخوان المسلمين» في مقاطعة «جولو» والحراس الخضر في زامبوتفو وباسيلان .

ويقال ان الشبان الذين دربوا يتالفون في معظمهم من طلاب تركوا مقاعد الدراسة ، او رجال سبق لهم ان عملوا في القوات الخاصة التابعة للجيش .

ويتذمر السكان المسلمون في الفلبين من سيطرة المسيحيين الكاثوليك على شؤون على البلاد.

وقد اضيفت الى هذه الشكاوي في الآونة الاخيرة شكاوي جديدة تتهم الحكومة المركزية بمنح المسيحيين قطعا من الاراضي واموالا واعتدة لاستيطان جزيرة منداناو الاسلامية في الجنوب .

الرباط ــ ابو فارس



الاسلام والمسلمون في جمهورية الداهومي

للأستاذ طلعت غنام

جمهورية الداهومي من الدول المستقلة حديثا في غرب افريقيا بعد ان استعمرتها فرنسا مدة طويلة، وهي تطل مثل (التوجو) على المحيط الاطلسي الذي يحدها شرقا ومن الغرب تحيط بها جمهوريتا فولتا العليا والنيجر، اما في الشمال فتقع جمهورية نجيريا ويحدها جنوبا جمهورية التوجو .

ويرجع تسمية هذه الجمهورية الى اسطورة قديمة يتناقلها الناس حتى الآن ويؤكدون صحتها وذلك انه في سنة 1610 م كان لمنطقة فون (Fon) ملك اسمه دان (Dan) وكان للمنطقة المجاورة لها واسمها الدا (Allda) امير اسميه ابو (Agbo) ويقال ان هذا الثاني نزل ضيفا على الاول (دان) وبحكم الصداقة اخذ منزلا خاصا ليقيم فيه مدة ضيافته ، ولكن الضيافة طال وقتها واخذ (ابو) يستحضر بعض اتباعه شيئا فشيئا ، ويستولى على بعض اراضي (دان) ، فضاق هذا به ذرعا وذات يوم قابله وقال له ساخرا ، الا تريد بناء منزل على بطني ؟ بعد ان استوليت على كثير من اراضي مملكتي ، فاستشاط (ابو) غضبا ، واقسم ان يجعل هذا الكلام حقيقة ، وذات يوم استحضر قواته ، وباغت بها جيوش (دان) فانتصر عليها وقتل (دان) نفسه اثناء المعركة ، فوضعه في ارض فسيحة ، وبنى على بطنه اول قصر في هذه البلاد ، التي عرفت باسم (داهومي) والتي حرفت عن كلمة دان هومي ومعناها بطن (دان) كما ان معنى دان (الثعبان) اى ان معناها (بطن الثعبان)

ويبلغ سكان هذه الجمهورية حوالي المليونين والنصف تقريبا ، وعاصمتها (برتونوفو) ولكن العاصمة الفعلية التي بها دور الحكومة والسفارات الاجنبية ومركز التجارة هي (كوتونو)، كما انه يوجد كثير من المدن الشهيرة مثل (ابومي ، بدا ، باركو ، سافيتي) ولكن الشيء الذي يثير الانتباه كالعادة في الدول الافريقية ، هو كثرة اللغات واللهجات وتعددها ، وقد تجد لكل مدينة بل لكل قبيلة لغة خاصة بها ، وهذا انشا من تشجيع الاستعمار ليمكن تفريقهم والظفر بهم، واللغة الاولى هنا المستعملة في دور الحكومة ، ودور التعليم هي الفرنسية ، وبعدها لغة فون (Fons) ثم لغة اليوربا التي يتكلمها المسلمون اليوربا والذين يرجعون اصلهم الى العروبة من قبيلة يعرب ، والتي حرفت بتداول اللغات ، وقد يطلقون عليها (اناجو) كما يوجد ايضا لغة (اجا وبربر والفلانية ولغة زوبا)، وهذا كما قلت بخلاف اللهجات واللغات الداخلية لكل قبيلة .

ويبلغ عدد المسلمين الحقيقي في داهومي حوالي 50 ٪ من عدد السكان ، وهم متمسكون بالدين الاسلامي بالرغم مما يدخلونه فيه من الجهالات والعادات الضارة ، ويوجد في العاصمة (برتونوفو) كثير من الجمعيات الاسلامية اشهرها جمعيات « انصار الاسلام » و « انوار الدين » ، ويمثل نشاطها في بناء

المدارس العربية التي يدرس بها مدرســون من نفس البلاد ، لم تصل اليهم بعد الطرق المصرية والنطــق الصحيــح .

واشهر هذه المدارس واقدمها « مدرسة الحاج مجدد » التي تخرج منها طلاب كثيرون يختار الممتازين منهم لمساعدته فى المدرسة ، وتوجد مدرسة اخرى عربية فرنسية تعرف باسم « كولج اراب فرنسيــة » لهــا مصاريــف خاصــه ، والغــرض مــن تدريــس الفرنسية مع العربية فيها هو فتح باب عيش للخريجين منها ، حيث لا تعترف الدولة ولا تعطى عملا الا لمــن يجيد الفرنسية ، فضلا عن ربطه بالمجتمــع الــذي يعيش فيــه .

والمسلمون هنا ليس لهـم اى كيان سياســي معترف به فى الدولة ، من ناحية المساعدة المادية لبناء مدارس او مساجد ، الا ما يستطيعــون جمعــه من التبرعات والاشتراكات فى الجمعيات السالفة ، بخلاف الفئات الاخرى ، فان الحكومة تتكفل بكل احتياجاتهم، بالرغم من ان المسلمين ، كما قلت يمثلون نصف الدولة وحتى استدعاء الاساتذة لهم من الخارج ، لا يراد ان يكون بطريق رسمي .

وذلك يرجع لعدم وجود القيادات القوميــة ، وربما الصراع الداخلي على الزعامة فيما بينهم ، هذا بالرغم من وجود مسلمين فى مراكز هامة فى الدولة مثل السكرتير العام لرئاسة الجمهورية ، ومثــل رئيــس مجلس الامة قبل الانقلاب الاخير ، ولهذا الســبب ربما يرجع عدم وجود اى تلاميذ لهم مبعوثين للعالم العربي والازهر الشريف ، لتعليم اللغة العربيــة والديــن ، وتكاد تكون داهومي هي الجمهورية الافريقية الوحيدة فى هذا المجال ، وبعد الانقلاب اتفق المسلمــون على انشاء اتحاد يضم كل الجمعيات برئاســة الزعيــم عبــد الوهــاب .

ويتناقل مؤرخوهم المسلمون ان الاسلام دخــل الى داهومي فى القرن الحادي عشر الميلادي ، عندما جاء الى غرب افريقيا من الجهات الساحلية حتى بلغ نيجيريا الى حدود الكونغو على يد الصحابي الجليــل عقبة بن نافع رضى الله عنه ، كما يقال ان من اتــى بالاسلام الى داهومي ابو بكر بن عمر على اصح الاقوال.

واما حاصلات هذه البلاد فكثيــرة وان كانــت الاستفادة الاقتصادية معدومة ، ذلك ان الاستعمــار كعادته ينظر الى المستعمرات على انها مزارع لاخــذ المواد الخام منها ، واسواق لتصدير المنتجات اليهــا باضعاف اثمانها .

ومن اهم المحصولات هنا : البــن والكاكــاو والزيتون وجوز الهند ، وتوجد هذه الزراعة بشكــل هائل وبارخص الاثمان ، حيث لا يصدر منها الا مــا يحتاج اليه المستعمرون ، والباقي يتداوله المواطنون، ثم يلقون بالباقي فى المزارع حتى يشاء الله .

كما يوجد فى داهومي القطن والفول السودانــي ونبات المنيوك ، وطعمه كالبطاطس وحجمه ضخــم جدا ، وتوجد الذرة والبقول ، ويلاحظ فى هذه البلاد ان المسلمين يتمركزون فى العاصمة « برتنوفو » وفى « كوتونو ، وزوجو » وايضا فى الشمال .

ويستلفت النظر ما لهم من عادات تستحق التامل من ذلك ، مثلا ان كل حاج قبل ان يسافر الى البــلاد المقدســة ، يدعو العلماء وكبار القوم ويطعمهم ويحتفل ايام احتفال ثم يطلب دعواتهم له ان يعود بسلامة الله، وقبيل سفره يقدمون له ما يستطيعون من الهدايــا ، ويودعونه بالبكاء والحزن ، كانه اللقاء الاخير .

وعند عودة الحجاج ترى جموعــا حاشــدة فى استقبالهم يرقصون ، ويدقون الطبول ، وهم يرتدون فاخر الثياب ، بينما الحجاج ايضا فى افخر الثيــاب الحريرية اللامعة ، وقلنسواتهم الخاصة التي يسمونها « المكية » نسبة الى مكة المكرمة ، وينسجون حولهــا الكثير من الحكايات الخيالية ويذكرون ان من يرتديها من غير الحجاج يموت بمرض فى راسه .

وفى كل مسجد تجد للحجاج الصفوف الاولى ، والكلمة المسموعة ، وعند اقامة احتفالات الاستقبــال لهم يحضرها كبار مسئولي الدولة ورئيس الجمهورية بنفسه ، احتراما وطلبا لدعواتهم المستجابة ، ولهــم اجتماعات مقفلة لا يحضرها غير الحجاج فقط ، حيث يكون الجميع فى ملابس موحدة ، متفق عليها من الحرير المزركش اللامع ، وقلنسوات خاصة بهم ، ومثل هذه الامور هي التي تشعر الكثيرين بالرهبة والخضــوع الديني ، وتحبب الكثير فى زيارة بيت الله ، كما انهــا

تجذب كثيرا من غير المسلمين للدخول فى الاسلام ، ولهم جمعيات خاصة بهم تقيمها طائفة اليوربا (يعرب) كما يقولون لا يقبل فيها غير الحاج ، وويل لمن ينسى او يخطىء لينادي حاجا مجردا من لقبه ، فانه يعطي درسا بالغا فى احترام الحاج وقلنسوة الحاج التي فوق راسه .. وفى الاحتفالات بمولد النبي الكريم يذبحون الابقار والطيور ويوزعونها مع الحلوى على الفقراء والمساكين ويقراون سيرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

ويروي لي احد المعلمين اليوربا واسمه عبد العزيز اقوش وهو من يهتمون باللغة العربية ان من العادة عند دفن الميت ان يشترى كل من له صلة نسب به ثيابا جديدة يلبسونها وهم يشيعونه الى مثواه الاخير ، بينما اولاده من حوله فى افخر الثياب واحلاها.

وعادات الخطوبة والزواج عندهم لا تقل غرابة عن هذا ، حيث يطلقون على طلب الزواج « الرنا » اى الدليل اوالهادي وعندما تعجبه احدى الفتيات ، يخاطبها مباشرة ، ودائما ترد عليه بانها ستفكر فى الامر ، وتذهب للمشاورة مع امها التي تنصحها بالكتمان ، ثم ياتي الخطيب بنفسه الى دارها ، ويطلبها من امها التي ترده اكثر من ثلاث مرات ، بينما هو مستمر فى كل مرة فى تقديم الهدايا . ثم يقولون له سوف نسال عن نسبك وحسبك ، فاذا ما راوا بعد البحث الطويل ان ليس هناك عداء بين العائلتين او ليس فى نسبه مشرك او فاسق وافق اهل العروس ، وعملوا احتفالا ضخما بيوم العرس بحضره اقارب الاسرتين ومعهم الوعظ ، لبيان امور الزواج لهم والطلاق ، وبعد ذلك تضرب الدفوف ، وتوزع الحلوى حتى الصباح .

ومن الجدير بالتنويه به تلك المكانة الكبيرة التي يحتلها الامام فى نفوس المسلمين من التقديس والاحترام ، ومن عادته فى كل عام ان يقوم بجولة فى الريف ، يعظ فيها الناس عموما ، ويدعو غير المسلمين الى الاسلام ، وفى نهاية الجولة يعود بحصيلة ضخمة من عبدة الاوثان ، او النصارى صغارا وكبارا ، فهناك بعض الطاعنين فى السن الذين لا يستطيعون الذهاب معه ، فيعطونه ابناءهم ليعلمهم الاسلام واللغة العربية ، كما حدث اثناء زيارتنا لاحدهم ، وشرحنا لهم بعضا ليعلن انه قد تبرع لاعضاء البعثة العربية بولدين لتعلمهم الاسلام واللغة العربية اقتناعا منه بالدعوة .

وان العجب لياخذ المرء كل ماخذ عندما يدخل بيت الامام فيرى منزله مكتظا بهؤلاء الاطفال الذين احضرهم ، فى زي واحد ، وعمل لهم مدرسة واحدة ، يطعمهم ويكسوهم من نفقته الخاصة ، وبعض تبرعات اهل الخير ، وان منظرهم ليشرح الصدر ، وهم فى صلاتهم يركعون ، ويسجدون لله ، وهم فى هذا الزي الواحد ، يناجون الله الواحد . وفى الصباح ينتظمون فى طابور المدرسة كانهم ابناء رجل واحد .

وبالرغم مما رايته ولم يعجبني فقد حمدت الله وشكرته على ان الاسلام ما زال بخير يحميه الله ويرعاه ، ينشر من تلقاء نفسه ، ويقيض الله له من يرعاه ، ولو فى مجاهل البلاد .

توجو : طلعت غنام



بعث الاستاذ السيد محمد جميل الى فضيلة الاستاذ الكبير السيد ابى الحسن على الحسني الندوي مذكرة قيمة تتضمن معلومات وحقائق خطيرة وسارة عن الاسلام فى « كوريا » .

ويعتبر السيد محمد جميل من كبار المبشرين بالدعوة الاسلامية الذين يخوضون معركتها باللسان والقلم ، فقد نشر كتابا هاما بالانجليزية تسقط فيه جهود المبشرين المسيحيين وما يقومون به من دعاية وسموم وتضليل ، وقد ظل السيد محمد جميل يحارب حركة التبشير فى باكستان منذ صباه ، وكانت امنيته ان ينشر الاسلام فى الصين،وحقق الله امنيته فزار « كوريا » واسلم على يده عدد كبير من الشباب الجامعي .

ويسرنا ان ننشر هذه المذكرة التي نشرتها رصيفتنا « الرائد » الاسلامية التي يصدرها النادي العربي بندوة العلماء لكهنؤ الهند بمناسبة اصدارنا لهذا العدد الممتاز من « دعوة الحق » حول الاسلام والمسلمين فى القرن العشرين .

الباعث على رحلتي الى كوريا انما هو رجلان من مسلمي هذه البلاد الذين وفدوا الى باكستان، والحقيقة انهما هما الذان حفزاني على هذه الرحلة ، ان تاريخ مسلمي كوريا يرجع الى عهد الجيش التركي الذي كان نازلا فى « سيول » فاسلم على يده بعض المسيحيين .

وقد اطلع عدد من اهل كوريا على تعاليم الاسلام السمحة البيضاء وكونه دينا يتفق والفطرة البشرية حينما سنحت لهم فرصة الاتصال بعدد من جنود الجيش التركي انهم شاهدوا حياة اولئك الجنود خلال الحرب عن كثب ودرسوا سلوكهم واخلاقهم فى الحياة العامة فلم يلبثوا الا ان اعجبوا بهم ، ولا غرو فكل من رآهم وجربهم اعجب وتاثر بهم ، والحقيقة أن الاسلام دخل فى كوريا عن هذا الطريق ووجدت فيها اقلية مسلمة لا تزال تتوسع دائرتها بدون اى مدد من الخارج

وكنت أود ان ادرس الوضع الاسلامي فى كوريا بنفسي اولا ، لكي اصل الى نتيجة حول نشر الاسلام وطريقته فى هذه البلاد ، وبناء على هذه الرغبة وصلت الى « سيول » فى 3 من نوفمبر 1966 فاسست فيها قبل كل شيء مسجدا موقتا بدا يجتمع فيه المسلمون، وكان هذا المسجد هو مقري هناك حيث اقضي جل وقتي واجتمع فيه بالناس ، عدا الزيارات الخاصة التي كانت تتم فى منازلهم ومراكز اعمالهم ، وقد زرت الكليات التي كان الشباب يدرسون فيها ، وقد نجحت هذه التجربة فوق ما كنت اتصور ونظرا الى ذلك طلبت تمديد اقامتي فى كوريا من اسبوعين الى اربعة اسابيع حتى تسنح فرصة الاتصال بالناس والاجتماع بهم أكثر مما اردت اول الامر ، وهكذا كان .

اتصلت خلال هذه المدة برجال الفكر من اساتذة الجامعة واعيان البلد والقيت محاضرات حول الاسلام تحقيقا لرغبتهم فى معهد (Y.M.C.A.) وأمثاله وجاءني كثير ممن كانوا يتصلون بهذه المعاهد و المؤسسات الى مقري فى المسجد يستزيدون معلوماتهم عن الاسلام وياخذون بعض بعض فى محاضراتي ، واحمد الله ان هذه الزيارات والاجتماعات كانت لها

نتائج سارة ، فقد اسلم عدد كبير من المثقفين ، من الاساتذة والاطباء واصحاب الحرف، وذلك ما اضطرني الى تمديد اقامتي في « سيول » بالرغم من شدة البرد فيها .

وغادرت « سيول » الى باكستان عن طريق اليابان يوم 14 ديسمبر 1966 بعد ما اتممت عملي وقد اثمرت هذه الجهود ما لا يستهان به بل يبعث على الامل الزائد ، والحمد لله الذي وفقني الى ذلك .

نالت جهودي ـ بوصف خاص ـ قبولا في اوساط طلبة الكليات واصحاب الحرف والصناعات ، كما اسلم عدد من مراسلي الجرائد ومحرريها ، واسلم هذه المدة رئيس قضاة المحكمة المتقاعد ، الذي يعتبر من كتاب كوريا البارعين وله عدة مؤلفات ، وكان معدل المهتدين الجدد من هذه الطبقة كل يوم بين ثلاثة واربعة ، وقد تضاعف احيانا هذا العدد فأسلم ثمانية رجال من الطبقة المثقفة واهتدوا الى الاسلام .

انني اومن بان الله سبحانه وتعالى اكرم جهودي في مجال نشر الاسلام بالقبول وارجو الله سبحانه وتعالى انه اذا كتب لي التوفيق لمواصلة الجهود في هذا السبيل وتيسر لي اربعة اعوان موازرين أن يتضاعف عدد المهتدين الجدد الى عشرة الاف في اقل مدة ، وان تحتل جماعة المسلمين في « سيول » مكانا بارزا ؛ اما اذا نجحنا في توفير وسائل التعليم زيادة على الدعوة فلا غرابة أن يبلغ عدد المهتدين الى الاسلام في ظرف ثلاثة او اربعة اعوام مائة الف ؛ ويمكن ذلك اذا تواصلت جهود العاملين في هذا المجال دون انقطاع، ولا يشوبها نوع من الرياء والاثرة .

وليس ادل على اخلاصهم واقبالهم على « دعوة الاسلام من انني مكثت في كوريا ستة اسابيع بالرغم من البرد القارس وشعور الغربة في بلاد ليس لي فيها انيس ولا اليف ، واخص بالذكر بهذه المناسبة الطلاب الذين وجدت قلوبهم ملأى بدافع الاخلاص والحب ونفوسهم مضطربة للبحث عن الحق ، وقد كان بعضهم ممن اتموا دراستهم يلازمونني طوال الليل لدراسة الاسلام وتعاليمه .

لقد ضحى هؤلاء الشباب براحاتهم ولذاتهم واحيوا لياليهم في سبيل تعلم امور الدين واحكامه ، فقد كانوا يقيمون في المسجد يتعلمون طريق الصلاة واحكامها ويستظهرون الكلمات وسور القرآن باللغة العربية ، ويسجلون مذاكراتهم حول ما يتعلمون باللغة الانجليزية او الكورية وكل ذلك ما يبعث على ازجاء الثناء العاطر الى هؤلاء الشباب ويزيد قيمتهم .

ووفقني الله الى ادفاء المسجد والغرفتين التابعتين للمسجد في هذا البرد القارس لكي لا يصيب هؤلاء النازلين من برد او تعب ، كما هيات لهم القهوة لتكون لهم عونا في السهر .

كان الطلبة والزوار يجتمعون من الساعة العاشرة نهارا حتى آخر النهار ، اما طلبة الليل فكانوا يفارقونني الساعة التاسعة صباحا ويتوجهون الى كلياتهم ، انهم كانوا يشتغلون باعمالهم في المسجد حتى الساعة الثانية عشرة ليلا ويستيقظون فجرا ، وما كنت ارجو منهم مثل هذا الاقبال والانهماك ، وما ذلك الا منة من الله وفضل منه .

وواجهت بعض المشكلات لان العاملين معي في حقل الدعوة لم يكونوا يجمعون بين اللغة العربية والكورية غير عدد من الطلاب ممن كانوا اختاروا العربية كلغة اجنبية في كليتهم ، واتصلت بأستاذهم المختص فقال لي ان الجامعة تفكر في فتح قسم اللغة العربية بقسم اللغات الاجنبية ابتداءا من الدورة الآتية ، ولا شك ان ذلك يتطلب مدة ، ولكن لا يمكن ان نترك المهتدين الجدد وشانهم الذين قبلوا الاسلام بشغف زائد ورغبة بالغة ، فان المهم في الظروف الحاضرة هو تعليم امور الدين الاساسية ، كالصلاة واحكامها ، وتركيز معاني الدين في نفوسهم ؛ وما لم نقف موقف المعلم والدليل فيما اعجبوا به من دين الاسلام وقبلوه، لا يمكن ان يتصلوا به اتصالا مباشرا وثيقا .

وتحقيقا لهذا الغرض يجب ان توضع كتب ذات ثلاث لغات حول الاسلام والصلاة والقرآن ، وذلك بان تكون اللغة العربية هي الاصل وتليها ترجمتها الى اللغة الانجليزية لم تنقل الى اللغة الكورية بغاية دقة وتترجم اليها ، ولدفع المشكلة موقتا نقلت العبارات العربية الى الحروف اللاتينية ، وترجمتها الى الانجليزية ، وقد ساعدني في ذلك احد الاخوان الكوريين فطبع بعض الاجزاء بالآلة الكاتبة ، وطبع بعضها بآلة الطباعة اليدوية ، وسوف تطبع هذه المواد الضرورية في الوقت المناسب بلغتين او ثلاث على ورق جيد لتوزع فيما بين حديثي العهد بالاسلام .

كما يجب ان تؤلف رسالة حول الاسلام يستفيد منها منكرو الاسلام والمسيحيون وكل من ضل الطريق على السواء ، وقد الفت هذه الرسالة بالانجليزية وترجمتها الى اللغة الكورية عن طريق بعض الاخوان من

كوريا ؛ ووزعت نسخ محدودة منها بين الخاصة ، وكان لها اثر طيب فى النفوس ، وذلك ما جعلني اشعر بحاجة ملحة الى طبع عشرات الآلاف من نسخ هذه الرسالة وتوزيعها على الجماهير .

وربما عرضت على مشكلة تعدد الزوجات ، وصادفت بعض الاشكال فى حلها ، ولكني اقنعتهم فى مناسبات متعددة بموقف الاسلام منها ، واعتقد ان موقف الدول الغربية من تعدد الزوجات والاختلاط الجنسي الحر هو الذي اثار هذه الفكرة الممقوتة فى اوساط المسلمين وشد الخناق على السذج من رجال المجتمع الاسلامي فى كثير من الدول المسلمة .

وفى اليوم الاخير من اقامتي فى كوريا اقمت مادبة دعوت اليها جميع من دخلوا فى دائرة الاسلام من الطبقة المثقفة ، والذين سبقوهم بالاسلام ، وكنت قد اجتمعت بهم يوم 11 ديسمبر 1966 م ؛ ومن حسن المصادفة ان اهتدى الى الاسلام صاحب مطعم محلي ومديره قبل ذلك اليوم باسبوعين ، ويعتبر هذا المطعم اول مطعم مسلم فى كوريا ، وهو مطعم واسع يقع فى محل مركزي للبلد ؛ اقمت هذه المادبة فى هذا المطعم ، وقت الغداء ، فكان اجتماعا اخويا سارا ، حضره سفير ملايو والملحق الصحفي للسفارة التركية ، وبهذه المناسبة يحلو لي ان اذكر لكم ان مشكلة لحم الذبيحة هنا كانت صعبة فسهلها الله عن طريق هذا المطعم .

وحضر هذا الاجتماع 130 مسلم وصلينا جميعا خلال الاجتماع صلاة العصر ؛ واخترت عددا من الطلاب ليقيموا فى باكستان ويقضوا فيها مدة ثلاث سنوات ولا يرجعوا منها الا دعاة الدين والعاملين فى حقل الاسلام وستكفل نفقاتهم طوال مدة اقامتهم فى باكستان «جمعية نشر القرآن العظيم » كما اريد ان يبعث 12 من مسلمي كوريا الى الاقطار الاسلامية الاخرى لدراسة الاسلام ، وارى ان يوفد عدد من المتخرجين فى العلوم الاسلامية الى « سيول » بدون اى تأخير لكي يواصلوا عمل الدعوة فى المهتدين الجدد وفيمن لم يهتدوا الى الآن ولكنهم ينظرون الى الاسلام نظرة اعجاب .

يوجد فى جامعة « هن كاك » بقسم اللغات الاجنبية ثلاث اساتذة يدرسون اللغة العربية ، وأما الكتب التي تدرس فى المقررات الدراسية فهي مما نشرته امريكا ، واتصلت برئيس هذا القسم الدكتور « ريو » وهو قنصل الاردن فى كوريا ، وهو مستعد لبدء تدريس لغة القرآن ، التي هي منبع كل لغة عربية حديثة وقديمة .

وصلتني عدة رسائل خلال اقامتي فى كوريا من اهل القرى المجاورة ويبدو انهم مستعدون لاجابة دعوة الاسلام ، فقد طلبوا مني رسائل حول الاسلام ، واعتقد ان فى « سيول » وما يجاورها امكانيات قوية لنشر الاسلام وهي ارض خصبة لتاسيس فرع لجمعية نشر القرآن .

محمد جميل

المسلمون في ألبانيا

للأستاذ عبد الرحمان بنعبد الله

في غمرة البعث الاسلامي الزاحف الذي استجابت له دول الاسلام في شتى بقاع المعمور ونشوة الوحدة الروحية التي رات النور على صعيد العالم الاسلامي منذ بضعة شهور، فالتفت حولها قلوب المؤمنين وسواعدهم وءامالهم في مستقبل مشرق تعود فيه للاسلام غابر امجاده ، نرى لزاما أن نميط النقاب عن واقع اخوان لنا في الملة والعقيدة، قضت الظروف والملابسات ان نجهل الكثير عن حياتهم وتطورهم ومدى تشبثهم بالعقيدة السمحة فلا نعرف عنها الا اقل من القليل .

وفي البانيا شعب مسلم كريم يتحرق شوقا الى اخوانه في كل شبر من بلاد الاسلام فتحول بينه وبينهم عوائق وسدود ، سنحاول ان نتخطاها مهما نات الديار وشط المزار .

توطئة :

يقدر الجغرافيون مساحة البانيا بنحو اربعين الف كيلومتر مربع ويبلغ عدد سكانها ما ينيف عن مليون وثلاثمائة نسمة ، خمسة وسبعون بالمائة منهم مسلمون اي حوالي مليون مسلم ، موزعون في انحاء البلاد بنسب تتفاوت فيما بينها على ما سيأتي تفصيله . وتقيم بالولايات المتحدة وايطاليا جالية كبيرة من المهاجرين الالبان .

والملاحظ ان البانيا بلاد جبلية فقيرة في الزراعة ، تقدر مساحة الاراضي المزروعة بها بحوالي 7 ٪ فقط . ويتالف معظم منتجاتها من القمح والذرة والطباق وبعض الفاكهة ، كما تنبت في الشمال غابات شاسعة .

وقد صدر قانون الاصلاح الزراعي سنة 1945 يوم تحررت البلاد من نير الاستعمار الايطالي وانشأت جمهورية شعبية .

والواقع ان البانيا قد استعادت حريتها وتخلصت من الوجود العثماني سنة 1912 بقيادة احد زعمائها المبرزين احمد زوغو او زوغو الاول على ما هو مدون في كتب التاريخ وهو ينتسب الى اسرة البانية عريقة اشتهرت بسعة نفوذها وشدة تاثيرها ، مما جعل البلاد تنضم تحت لوائها وتنشيء لنفسها كيانا ذاتيا مستقلا ما فتئت تعرف به حتى اليوم .

وقد صدر قانون الاصلاح الزراعي سنة 1961 مع المعسكر الاشتراكي اذ عززت فيما بعد الميزان التجاري باشراك الصين والدول الغربية فيما تتبادله من منتجات ومواد .

تشكل الزراعة 18،4 ٪ من انتاج البلاد وتشغل الصناعة 54 ٪ اما النشاطات الاخرى فقد تصل الى 27،6 ٪ من مجموع الانتاج .

لقد كان من الاصلاح الزراعي الذي تقدم ذكره نقطة تحول في تاريخ هذه الارض العزيزة ، فعكف الالبانيون عن انشاء المزارع الجماعية واستغلال بعض المعادن كالليجنيت والكروم والملح والنفط ، وازدهرت

في هذه الاعوام الاخيرة بعض الصناعات كالخزف في ريزنا وبربط خط حديدي دورازو وايلباسان

تحد البانيا من الشمال والشرق يوغوسلافيا ومن الشرق والجنوب الشرقي : اليونان . واهم مدنها تيرانا (العاصمة — 157.000 نسمة) وقد بنيت بها جامعة برتادها منذ انشائها سنة 1957 كل الطبقات المؤلفة للشعب الالباني . وتتوفر البلاد ايضا على مدينتي شكودير وفالونا .

الاسلام دين السواد الاعظم :

دخلت فلول الاسلام دولة البانيا مع الغزو التركي سنة 1387 م . بيد أن الاشعاع الاسلامي اطل على البلاد منذ القرن الثالث عشر ورغم ان الدولة الحاكمة منذ القرن الرابع عشر كانت الدولة العثمانية المسلمة فان الدين الحنيف لم تقم له قائمة بهذا الوطن الا بعد ان اتم العثمانيون اخضاع مناطق كبيرة واعترفت الدوائر الرسمية بنفوذ السلطان عام 1423 ، بقيادة السلطان مراد الثاني وقد ثارت البانيا بعد ذلك بامد قصير فاستردت استقلالها بزعامة جورج كاستريوتا الذى اشتهر باسم « اسكندر بك » يوم اعتنق الاسلام . فلما عاجلته المنية سنة 1467 انقض العثمانيون مرة اخرى فاسترجعوا نفوذهم بعد ان توالت فتوحاتهم للمدن والقرى على السواء ، فلما سقطت مدينتا كاستريوتا ثم دورا زو واستسلم اهلها عام 1501 التجا المسيحيون من الالبان بشمال البلاد وعاشوا متمتعين بشعورهم القومي الى جانب اخوانهم المسلمين . وللسلطان محمد الفاتح يرجع الفضل في بناء مسجد لعسكره المسلمين في الباسان وكان ذلك سنة 1466 ميلادية .

ولقد كانت البانيا مسرحا لاحداث دامية وحروب مستمرة بين الترك والالبان ولكن ذلك كله لم يمنع البلاد من ان تصبح ولاية اسلامية يذكر فيها اسم الله وتحيي شعائره .

وتسرب الاسلام الى الافئدة في بطء على يد الالبانيين انفسهم فكانت نسبة تعداد المسيحيين للمسلمين سنة 1610 تكاد تقارب 10 الى 1 . وكان انتشار الدين المحمدي في المدن الكبيرة اكثر كما في القرى . ولعل سبب ذلك راجع الى ان سكان المدن اكثر تكيفا واقدر على مسايرة الافكار الجديدة اما اهل القرى فلهم عادات وانماط في الحياة يعيشون عليها ولا يبتغون بها بديلا .

آثر كثير من المسيحيين الهجرة الى البلاد المجاورة بينما تحول السواد ممن فضلوا البقاء الى الاسلام . وبازدياد عدد السكان المسلمين حولت الكنائس الى مساجد .

وتروي كتب التاريخ ان السر في انتشار الدين الجديد فساد المجتمع المسيحي وجهل القسيسين والوعاظ وعدم توافر الدعاة المتحمسين ففي خلال فترة قصيرة بلغت ثلاثين سنة قيل ان حوالي 300.000 من الالبانيين تحولوا الى الاسلام حتى أن القرن التاسع عشر لم يشهد بناء كنيسة واحدة للمسيحيين في مدينة «اتيتفارى» .

ومن الظواهر الغريبة التى عرفتها هذه التحولات بعقائدية ان السواد الاعظم من المسيحيين كان في سنة 1651 مؤلفا من النساء في معظم انحاء البانيا بوجه عام فقد كان الذكور من الاهالي ارتدوا عن دينهم واعتنقوا الاسلام . وفي مطالع القرن العشرين بلغ عدد المسلمين حوالي المليون ، والمسيحيون نحو 480 الف وكان المعروف ان جميع اهالي البانيا الوسطى مسلمون تقريبا .

ومن نافلة القول ان الاهالي المسيحيين يحتفظون باكبر نسبة في البانيا الجنوبية ولاسيما في المقاطعات المتاخمة لليونان . والاسم الذى يطلقه الالبان دائما على انفسهم سواء اكانوا مسلمين او مسيحيين هو « سكيتار » ، واذا سئل الالباني ، حتى في الوقت الحاضر ، عن نفسه أجاب بانه سكيتار قبل ان يجيب بانه مسيحي او مسلم . ويدل هذا على شدة شعورهم القومي .

واكثر المسلمين ، وهم من الشيعة ، يعيشون في منطقة الشاطىء الايمن « لنهر درين » الاسود وفي تيرانا والباسان وكورو يلتشي واشقودة وكورثة. تنقسم الطوائف الاسلامية الى بكتاشية وجولشانية وخلوتية ورفاعية . ولعل اهم هذه الطوائف الاسلامية جميعا البكتاشية ولها اتباع وادعياء كثيرون . فقد عرفت في القرن الثالث عشر وتسرب الانكشارية في اطراف البلاد ، اما الدعوة الاسماعيلية ، فلم تنتشر حتى مطالع القرن الخامس عشر ويقدر اتباع البكتاشية بنحو مائة الف .

يبلغ عدد المساجد في البانيا 34 مسجدا في الباسان و12 في تيرانا التى تأسست بها الجماعة الاسلامية لرعاية شؤون المسلمين الدينية ، وهي

مؤلفة من بعض العلماء المعروفين في المحافظات المختلفة .

ومنذ ان خفت وطاة الحملات اللا دينية شمل نشاط هذه الجماعة الكريمة عدة ميادين . واذا كانت قد ركزت عنايتها على اصلاح شؤون الدين وتوفير الحياة الكريمة لاتباع الاسلام والعمل على ابداء محاسن الدين الاسلامي والتنويه بمزاياه ، فلقد امتد نشاطها الى الصعيد الفكري عموما فلعبت دورا هاما في احياء الثقافة الاسلامية باقامة المساجد في المناطق التي تمس الحاجة فيها الى بيوت الله وتعمير ما خرب منها وتهيئة الخطباء والوعاظ والانفاق عليهم وتشجيعهم بكافة الاسباب التي بين ايديها .

ومما يجدر ذكره في معرض الكلام عن احياء الثقافة والتراث الاسلامي انها شيدت « الثانوية الشرعية» في تيرانا وهي مؤسسة تكفل للطالب حاجاته من ماكل ومشرب وملبس وكتاب اثناء تلقيه للعلوم الشرعية من القصائد والتفسير والحديث والفقه والعلوم العربية من البلاغة والنحو والثقافة العامة في التاريخ واللغة ..

وقد توطدت وشائج الود بينها وبين الازهر الشريف فعملت في باديء الامر على توجيه النابغين من المتخرجين الى الازهر الشريف ليستكملوا دراساتهم ويتصلوا باخوانهم فيحصل التقارب المنشود .

ولقد عرفت الجماعة الاسلامية نشاطا لا تخبو جذوته على مر الايام فأسست مجلة اسلامية تثقيفية تصدر مرة كل شهر باسم (النداء العالي) والملاحظ انها غدت منبرا لاعلان حقائق الاسلام وابطال خصومه حسب ما اجتمع لها من امكانيات ، وهو لا يشكل الا النزر اليسير .

ومن الاحداث المؤسفة في تاريخ هذا الوطن الاسلامي الكريم ان القوات الايطالية نزلت سنة 1939 باحد موانيء البلاد فتم لها الاحتلال . وناضل الشعب الالباني الشهم نضال الابطال فلم يفلح في رد العدو المتلفع في صورة صديق بيد ان الشعب المسلم لم يسكت على المحتل الكافر الذي اخذ يبث مفاسده الخلقية والفكرية في الامة ، فكان يقتال ويثور بين حين وآخر الى ان استرجع جزءا من ترابه ابان الاحتلال الالماني ليوغوسلافيا .

ومن دواعي الاسف ايضا ان البانيا واحدا لم يسمح له باداء فريضة الحج منذ عام 1938 الى ايامنا هذه ، رغم التسامح النسبي الذي يطبع الصلات الروحية في عالم اليوم .

ولعل مسؤولية هذه « القطيعة الروحية » ملقاة على كواهل العلماء المسلمين في البلاد العربية لتقاعسهم عن الذهاب الى البانيا والاتصال باخوانهم في الملة والدين استفهاما عن احوال معيشتهم وظروف حياتهم فاذا كان الشباب المسلم في البانيا لا يقوى على مغادرة ارض الوطن والتماس العلم في الازهر الشريف اوالقرويين مثلا لاسباب يطول شرحها، فلا اقل من ان تهتم الدوائر الاسلامية في العالم العربي بمصير الاسلام في ارض قد تبز غيرها في التشبث بتعاليمه وفروضه وشعائره ، وذلك اضعف الايمان.

على ان الذي يثلج الصدر ان المسلمين المغتربين لا يزدادون مع العزلة والاغتراب ، الا ايمانا بدينهم وتقديسا لعقيدتهم واعتزازا بالجماعة التي ينتسبون اليها .

والمسلمون في هذه الديار احفظ لمباديء دينهم واشد ما يكونون اخلاصا لروحه وابعد الناس عن شوائب الفساد والضلال التي تأخذ عادة طريقها الى المعتقدات والشرائع في غيرها من البلاد .

ذلك ان الغربة تقوي في نفوسهم الشعور بالتآخي والتراحم وتشحذ قرائحهم للحفاظ على دينهم خالصا من دعاوات المضللين والمعطلين : فهم رمز الوحدة التي تشدهم الى بعضهم وتجمع بين قاصيهم ودانيهم وتقوي ذلك الرباط المقدس التي لا تنال منه الشهوات والاغراض .

ونحن نامل ان يكون النداء الذي نجهر به اليوم على صفحات هذه المجلة الغراء قمينا بأن يحفز علماء المسلمين والمتهم للعناية باخوان لهم في الدين قضت الملابسات ان تنقطع بينهم وبين العالم الاسلامي اسباب الاتصال والتزاور لما فيه خير الاسلام والمسلمين .

الرباط ـ عبد الرحمن بنعبد الله

الإسلام والمسلمون في اليابان

للأستاذ محمد صلاح الدين الحسيني

منذ ثلاثين عاما ، عندما تم انشاء مسجد طوكيو، لم يعرف من اليابانيين سوى مسلم ياباني واحد ، على انه كان فى اليابان مسلمون . . كانوا طائفة من مسلمي تركستان الذين هاجروا من ديارهم ، وتفرقوا فى الامصار ، حيث حطت فئة منهم رحالها فى عاصمة اليابان .

ومرت سنوات والجالية التركستانية الاسلامية تحاول ان تلتقط انفاسها وتترقب ان تصلح احوالها، وان تعود المياه الى مجاريها ، فيعود المشردون الى بلادهم ، ولكن تأخرت الآمال وهم يقيمون صلواتهم فى منازلهم الصغيرة ، حتى استقر رأيهم على بناء مسجد لهم . فلما اخذوا يجمعون الاموال للمشروع ، اتصل النبأ بمسامع مضيفيهم اليابانيين ، وسرعان ما انهالت عليهم التبرعات والمساعدات من افراد وشركات ومؤسسات حتى قام مسجد طوكيو فى أوائل عام 1938 م زاهيا بهيا .

فى ذلك الحين كان هناك من اليابانيين باحثون ودارسون للاسلام ، فقد كانت الامبراطورية اليابانية فى اوج عهدها الذهبي المليء بالطموح والآمال، وخاصة بالنسبة لعلاقاتها مع الشرق الاسلامي ، على انه لم يعتنق الاسلام من اليابانيين وقتئذ سوى (عمر ياماوكا) الذي كان اول ياباني مسلم ، واول ياباني حج الى بيت الله الحرام .

كان (ياماوكا) من اول الذين التحقوا بجامعة الدراسات الاجنبية اليابانية غداة افتتاحها ، واهلته دراسة اللغة العربية ، وتاريخ الاسلام الى مزيد من البحث والتفقه ، مما ملأه اعجابا بهذا الدين، فاعتنقه باخلاص وحماس ، وكرس حياته للتأليف والكتابة عن الاسلام والدعوة اليه ، حتى وافاه الاجل منذ سنوات قليلة .

وكان انفكاك اليابان من عزلتها فى مطلع القرن العشرين ،وانطلاقها الى العالم المحيط بها وخاصة فى آسيا ، فرصة لكثير من الشباب الياباني للاحتكاك بالاسلام ، والاطلاع على طراز جديد من طرز الحياة لم يألفوه ، فهذا الشاب الياباني (ميتا) خرج من جزيرته الى الصين منذ خمسين سنة ، طالبا للرزق والتجارة حتى حط رحاله فى مقاطعة هونان الصينية ، وكغريب فقير يبحث عن ملجأ ، وجد الابواب موصدة امامه ، حتى اذا مر أمام دار كبيرة فخمة ، مفتحة الابواب ، دخلها فوجد الترحيب والاكرام والعناية ، فلما سأل دار من هذه؟ قيل له هي المسجد بيت الله مفتوح لكل قاصد، ومن هنا سمع الشاب الياباني (ميتا) اسم الاسلام لاول مرة ، وكانت الصدفة وحدها هي التي اتاحت له التعرف الى مقاصد الاسلام وسماحته ومزاياه .

واليوم ، فى صومعة اثرية قديمة ، من بقايا المعابد البوذية ، قائمة فى اطراف طوكيو ، يقبع شيخ نحيل طاعن فى السن ، على حصير ، امام منضدة عتيقة منخفضة ، تكاد تكون هي كل ما فى الصومعة ، وامامه اكوام من الكتب والاوراق ، لا يرفع رأسه عنها الا اذا كررت ابنته عليه النداء ، لينهض الى طعام او شراب،

فلا يأخذ منه كسرة او رشفة ، حتى ينتفض عائدا الى منضدته ، منهمكا في قراءته وكتابته .

ولو اتيح للداخل الى الصومعة ان يطلع على الكتاب الذي يعلو كل هذه الكتب والاوراق لاخذته الدهشة ، انه القرآن الكريم . وهذا الرجل الطاعن هو الشاب (ميتا) المعروف اليوم باسم الحاج عمر ميتا الذي انشأ الجمعية الاسلامية اليابانية ، ورأسها فترة ، حاملا لواء الدعوة الى الاسلام بين مواطنيه ترجمة معاني القرآن الكريم الى اللغة اليابانية ، ذلك المشروع الذي بذل حياته من اجله ، ويراه حمله الذي يعيش له ، والخيط الوحيد الذي يمسكه بالحياة .

وهو المشروع الذي تقف من ورائه رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة التي تبنت القصد النبيل منه وترجمة معاني القرآن الكريم التي يضع الشيخ ميتا الان لمساتها الاخيرة ، يعتبرها الشيخ اجل خدمة يقدمها لابناء وطنه ، الذي يدرك هو اكثر من غيره حاجتهم الى دين حي يملأ فراغهم الروحي ، ويضيف معنى للانهماك المادي وراء الكسب والمتعة في حياة الانسان .

والصومعة التي يعيش فيها الشيخ ويعمل ، هي مثال على تسامح اليابانيين واعجابهم بالدين الاسلامي ، بالاضافة الى شخصية الشيخ التي اكسبته كل احترام ودفعت الراهب البوذي ، متولي تلك الصومعة الى وضعها تحت تصرف الشيخ المسلم ، حتى يساعده على اتمام مشروعه الجليل في راحة وهدوء .

وزائر مسجد طوكيو يوم الجمعة يلاحظ تعدد جنسيات المصلين واجناسهم والوانهم ، واذا لم يكن في الامر غرابة على كل جماعة اسلامية ، فان كثيرين لا يتمالكون من الدهشة عندما يتعرفون بعد الصلاة على كاهن بوذي وزوجته اعتنقا الاسلام وآمنا به اعمق الايمان ، عندما وجدا انه هو الضالة التي كانا ينشدانها في محاولاتهما الروحية السابقة .

والطلائع اليابانية الاولى للاسلام تكاد تكون كلها من هذا الطراز ، امثلة على الطريقة التي تعرفوا بها على الاسلام . لم يحمله اليهم احد ، بل هم الذين بحثوا عنه ، ووجدوه او صادفوه في تجاربهم فوجدوا فيه ضالتهم المنشودة ومستقرهم الروحي .

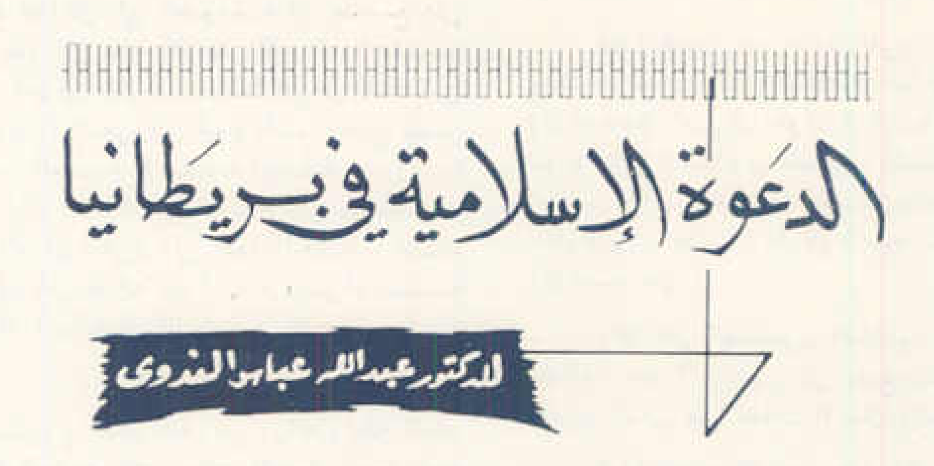
فهذا جندي من جنود الغزو الياباني في الصين ، وذلك موظف في ادارة الاحتلال الياباني في اندونيسيا ، وثالث دبلوماسي في مفوضية يابانية في بلد اسلامي . . تعرفوا على الاسلام في مصادره المتعددة فاضاءت انواره جوانب حياتهم ، فحملوا المشعل عائدين به الى بلادهم ، يحاولون ان يضيئوا به قلوبا تبحث عن الهدى والاطمئنان .

واذا كان المسلمون اليابانيون لم يبلغوا كثرة عددية ، فهم لا يزيدون على بضع مئات ، فان منهم من ضرب المثل على صدق الايمان والعزيمة الاسلامية .

فهذا الحاج الدكتور عبد الكريم سايتو ، رئيس الجمعية الاسلامية اليابانية والاستاذ في احدى الجامعات ، ارسل اكبر ولديه لدراسة الاسلام والعربية اوشك الشاب المؤمن الصالح على التخرج ، واقترب موعد العودة اختطفه المنون في حادثة عجيبة من حوادث القضاء والقدر ، امام عيني والده الذي اصيب هو نفسه في الحادث ، ولكن كتب الله له النجاة ، ورغم فجيعة الوالد في ولده لم يمنعه ذلك من الاصرار على ارسال ابنه الثاني الذي صار وحيده ، لدراسة الاسلام في الجامعة نفسها من جديد .

واليوم ، وبعد مرور ثلاثين سنة على انشاء مسجد طوكيو ، يوشك المسجد الانيق الجميل ان يحني ظهره للزمن وتؤثر عليه الامطار والاعاصير والزلازل ، فتتصدع قبته العالية ، وتسقط جوانب من مئذنته ، وتتسرب مياه الامطار الى داخله وتنساب الى سجاده ، فتبادر سفارات اسلامية وعربية الى اشعار حكوماتها بهذا الخطر ، وتكون الكويت والمملكة العربية السعودية واخوات لها اول المبادرين المنجدين باموال وجهود ، لتبقى معاني التوادد والتراحم الاسلامي حية نابضة لتشعر كل ذي حس بأن الاسلام ما زال كما كان نابضا في القلوب وسيبقى ابدا رسالة التضامن والحياة دين النهوض والخلود .

اليابان : محمد صلاح الدين الحسيني



اريد ان اتحدث الى القاريء عما شاهدته بعيني من نشاط الدعاة الى الله فى بريطانيا وتاثيرهم فى جاليات المسلمين ومن شرح الله صدره للاسلام من الانكليز ، ولا اقصد الى ان اروي قصة من امجاد الماضي كما لا يطيب لي حديث الآمال والاماني .

يوجد فى اوربا اليوم نشاط ملحـــوظ للبعـــث الاسلامي فى كل بلد تقريبا ، خاصـــة بين الشـــباب الجامعيين . فالجمعيات الاسلامية نشيطـــة فى كـــل جامعة وجلها مربوطة باتحاد الجمعيات الاسلاميـــة فى ابريطانيا وايرلنده (Foses) وهناك جمعيات اخرى للجاليات المسلمة بشتى الاسماء غير انها ترمي الى تعهد امور المسلمين وشؤونهم المحلية .

اما انشط هذه الجمعيات والهيئات فهي جماعة غريبة الاطوار فى هذا العصر ، هي جماعـــة الدعـــوة والتبليغ وهذا الاسم مما اختاره الناس لها ، غير ان اعضاءها انفسهم لا يعترفون بانفسهم الا كمسلمين جمعتهم ضرورة الدعوة الى الله، وقلت: «غريبةالاطوار» لانها بعيدة كل البعد عن هياكل الجمعيات والمنظمات فليس لها صندوق او ميزانية ، او رئاسة او سكرتارية او مناصب وما الى ذلك مما لا يخلو منه اى جمعية او هيئة عالمية او محلية ولكنها منظمة بنظام دقيـــق فى غاية الاحكام. ولو جمعت ما ينفقه افراد الجماعة على الدعوة والتبليغ لبلغ مبلغا تعجز عن تحمله ميزانيات الدول والحكومات ولو تولت حكومة او منظمة عالمية كبيرة تسييرها والاشـــراف عليهـــا ماديـــا ونظاميـــا احتاجت الى نفقات اكثر من الف مرة مما ينفقه هؤلاء فرادى من اموالهم التي يكسبونها من عرق جباههم ، ومن النادر البعيد ان تجد فى خريطة العالم بلدا كبيرا او عاصمة الا وطئتها اقدام هؤلاء الدعاة .

حقا انهم لا يملاون عيونا بهرتها حضارة الغـــرب وخصصت افكارهم لما تصدره الدول الغربية من قيم الخير والشر لانهم اناس لا يرون الخير الا فيما جاء به الاسلام ولا يرون شرا الا فيما نهى الاسلام عنه ولانهم لا يؤمنون بالمظاهر ، فحياتهم بسيطـــة ومعيشتهـــم متقشفة وسلوكهم خلو من النفاق او الدبلوماسية ان صح هذا التعبير لتصوير العقليات المريضة ، وانهم لا يقولون الا ما يفعلون ، ولا يدعون الناس الا الى ما هم عليه محافظـــون .

لقد اصبح هؤلاء سدا منيعا لنفـــوذ حركـــات التبشير فى الجاليات المسلمة فى مراكز هي قواعـــد للارساليات المسيحية ، ذات الميزانيـــات الهائلـــة والمغريات التي بعضها يكفي للقضاء على بقايا الايمان فى قلوب مسلمي الشرق الاسلامي .

انهم شقوا للدعوة الاسلامية طريقا فى عواصم الالحاد والاباحية بنشاط وجراة لا يمكن وصفها الا ان يقال انها من معجزات الاسلام وحجة للشريعة الاسلامية والا فبماذا يمكن تفسير هذه الشجاعة الايمانية التى تبعثهم على نداء الاذان فى المطارات والرصائف والميادين،

واقامة الصلوات علنا في راكان قاعات الجماعات والمعامل الجامعية ، والمصانع ، والحوانيت غير محتفلين باستغراب الاجانب وحياء الاقارب .

ترى ان امة يوجد بين شبابها الذكي المثقف امثال طالب للدكتورة في الفلسفة الحديثة وآخر في الهندسة ، وثالث في علم الطبيعة يابى الا أن يصلي جماعة في المتنزهات العامة، وفي انكلترا مصدرة الخلاعة والمجون .. ثم يقوم امثال هؤلاء الشباب بجولات للدعوة على داب الدعاة المبلغين في الاقسام الداخلية.. ترى ، ان امة مثل هذه هل تموت ؟

ترى هل تموت امة يضحي شبابها بامكانياته الزاهرة ، ويؤثر حياة التشريد ومعاناة الفقر على مكاسب براقة لاجل دينه ..

ان الدعاة الى الله قد فتحوا اليوم مجالات واسعة للعمل، وسلكوا اسوة للاخرين واذا حضرت اجتماعاتهم الشهرية في ديوزبري او شيفيلد ، أو برمنجهم او مانتشستر فربما شعرت انك في جزيرة اسلامية بعيدة عن جزيرة بريطانيا ، ففيها حديث عن عفاف وطهر وذكر وجهد في سبيل الله ، بين افراد لم تجمعهم مصلحة مادية او هدف الا اعلاء كلمة الله والثبات على الحق ، والتجرد عن الشهوات ، وتستغرب معي عند ما ترى بين هؤلاء المسلمين عددا من المسلمين الانكليز ، شبابا وكهولا قائمين كتفا بكتف مع اخوانهم في الدين من العرب او الباكستانيين والهنود والافريقيين .

لولا ان في الدين قوة جاذبة اكثر من جاذبية الارض لما انساق الى الدعوة الاسلامية هؤلاء في وسط يسوده حب الشهوات والمغريات الجنسية والمادية تحف كل قادم اليه ، وحان لي مرة ان البي دعوة جمعية مسيحية للاشتراك في حفلها السنوي فوجدت البرنامج حافلا بكل ما تتوق اليه نفسية الشاب الفر ، ولم يكن حديثا عن الديانة الا لمدة ثلاث دقائق على حجة أن الحديث عن الديانة يصعب احتماله على عقلية النشىء فلا بد من الدعوة بالحكمة وهذه (الحكمة) امتدت الى الرقص والفلم والخمور والمصادقات والوعود ولم ار ان هذه (الحكمة) قد حركت ساكنا للميل الى النصرانية. . بينما الجمعيات الاسلامية تدعو الى التزام العفة والحشمة ، الى الوقار ، والسكينة ومباديء الاخلاق الاسلامية، وحاشا ان يكون هناك اي داع منفر للنفس ولكن مع هذا التفاوت في اختيار الحكمة تجد الاقبال على الدعوة الاسلامية عظيما لا يستهان بقدره ، لا شك ان شباب اليوم بشاكلات نفسية عندما يجد نفسه بين نعرات جاهلية ومغريات واحدة منها تكفي لهدم معنوياته الدينية التي قد يرثها من بيئته التي يخرج منها الى اراضي اوربا ، فلولا دعوة اسلامية قوية يقوم بها امثال هؤلاء ، اصحاب العزائم ، ومن الدعاة المبلغين ، لم يكن هناك ما يعصمهم من انحراف في سبيل الالحاد واللادينية في تلك البلاد .

ومن الغريب ما ارى ان حركة الدعوة والتبليغ لم تلق اهمية في بلادنا الاسلامية الشرقية، ولم يثر اهتماما من الاوساط العلمية هنا بينما حسب لها المستشرقون اكبر حساب وعدوها اكبر خطر لمشاريعهم الهدامة ، فهذا الاستاذ (مانت جمري وات) ، استاذ الدراسات الاسلامية بادنبرة اقترح على طالب شرقي ذهب ليحضر الدكتورة ان يختار جماعة التبليغ والدعوة موضوعا لرسالته .

وقرات مقالا للاستاذ المذكور في جريدة «تايمس» 13 / 1 / 68 م بحث فيه ءاثار نكسة العرب في الحرب مع اليهود يقول فيه بالحرف الواحد « الا ان اسلام هؤلاء لو بعث من جديد كان خطرا لا يسهل ازاحته على معارضيهم ، واني لاجد امارات هذا الخطر وان كانت قليلة المدى قد بدات تتبلور على افق الشرق الاسلامي .

د . عبد الله عباس الندوى

المسلمون في سيراليون

« وفى العاصمة «فريتـاون» تتنافس القبائل المسلمة فى بناء المساجد ، فاذا بنت قبيلة مسجدا، سارعت الاخرى الى بناء مسجـد ءاخر » .

سيراليون جمهورية مستقلة داخل نطاق الكومنولث البريطاني منذ ابريل سنة 1961 وينص الدستور على تعيين حاكم عام بمشورة رئيس الوزراء الذى لحزبه اغلبيه مقاعد المجلس التشريعي والحاكم العام تعينه بريطانيا وهو يمثل الملكة .

ويقدر عدد السكان بحوالي اكثر من ثلاثـة ملايين نسمة وعدد غير الافريقيين حوالـي 5.000 اجنبي هذا عدا جالية عربية معظمها من اللبنانيين وعددها حوالي 2.900 نسمة .

وسكان سيراليـون من السـلالات الزنجية الصريحة التى تتميز بلون البشرة الشديدة السمرة والشعر الاولبي والقامة الطويلة والـراس الطويـل والفك البارز والشفاه الغليظة .

واهم مدن سيراليون **«فريتاون»** وهي العاصمة وتقع على المحيط الاطلسي وهي من اجمل موانـيء العالم واكثرها حيوية وقد حبتها الطبيعة كثيرا من المناطق الساحرة الخلابة ولعبت دورا كبيرا وهامـا خلال الحرب العالمية الثانية حيث كانت محطـة للقوافل البحرية للحلفاء فى المحيط الاطلنطي .

ومن المدن الهامـة الاخـرى « بـو » ويبلـغ عدد سكانها حـوالي 20 الف نسمة ثم مدينـة «ماكيني» ويبلغ عدد سكانها حوالي 9.000 نسمة و«كينيما» وعدد سكانها حوالي 7.500 نسمة .

وسيراليون تعد دولة غنيـة من حيث الانتـاج الزراعي والمعدني وعلى الرغم من هذا فلا يزال امامها طريق شاق طويل حتى تتمكن من تنمية تجارتها وعلاج العجز فى صادراتهـا ؛ وعلى الرغـم من ان معظـم السكان يعملون فى الزراعة فان معظم دخل البـلاد ياتي من انتاج المناجم مما جعـل نسبـة اشتـراك الزراعة فى التصدير المحلي تهبط من 54 ٪ سنـة 1950 الى حوالي 25 ٪ فى الوقت الحاضر سنـة 1965 وما بعدها .

ويشتمل سكان سيراليون على حوالي ثلاثيـن قبيلة مختلفة لكل منها لهجتها الخاصة وزعيمها . وتشمل قبائل «التمن» حوالي ربع السـكان وهـم يعيشون فى الشمال الشرقي وكانوا اهم سكان شبه الجزيرة عندما تأسست عليها «فرويتان» العاصمـة فى سنة 1787 .

اما فى الجنوب فتسود قبائل « الماندى » وهي تكون حوالي ثلث السكان وبين هاتين القبيلتين لون من الصراع غذاه المستعمر بسياسته التقليدية المعهودة مما ادى الى التخلف السياسي والاجتماعي فى البلاد .

وفيما عدا ذلك تنتشر عدة قبائل هي (اليما والسوسو والكونو والمانديكا والفولاني) وذلك على طول الساحل الغربي لافريقيا .

اما الكريول فهم ذرية الرقيق الذين كانوا يعيشون على طول الساحل الغربي بعد ان اعيد توطينهم ما بين سنة 1787 وسنة 1870 ، واستقروا هناك بدافع من المبشرين والحكومة البريطانية على ارض اشتريت من الملك الافريقي (توم) ملك التمن .

وقد هجر الكريول تقاليدهم الخاصة واكتسبوا الايديولوجية الثقافية البريطانية وحصلوا بمساعدة البعثات التبشرية على مميزات تعليمية ومهنية تفوقوا بها على سكان المناطق الداخلية واصبحوا موظفين وقسسا ومدرسين ومحامين واطباء ولعبوا دورا هاما فى تطور الادارة والتعليم فى منطقة غرب افريقيا الناطقة بالانجليزية .

وقد مر تاريخ سيراليون السياسي بالمراحل الآتية :

1) فى سنة 1462 ارسل الملك هنري البحار ملك البرتغال بعثة لاكتشاف اراضي جديدة وبلغت البعثة شواطي سيراليون فنزلت عليها وانشأت مؤسسة برتغالية صغيرة واطلق البرتغاليون اسم سيراليون على هذه البلاد الجديدة معناها « سلاسل الاسود » وذلك لمنظر الجبال وزمجرة الرياح .

2) وفى سنة القرن السادس عشر اخذ الانجليز يترددون على شواطيء سيراليون للمتاجرة بالرقيق ثم تأسست عدة شركات تجارية انجليزية لاستثمار البلاد ، ولكنها منيت بالفشل .

3) وفى النصف الثاني من القرن الثاني عشر بدا الغاء الرقيق فى العالم كله ولذلك عملت بريطانيا على ان تكون سيراليون وطنا للرقيق المحررين هذا فضلا عن اتخاذها قاعدة فى غرب افريقية لمقاومة تجارة الرقيق من جهة ونشر الثقافة الاوربية والمسيحية فى هذا الجزء من القارة الافريقية من جهة اخرى .

4) وفى 22 فبراير سنة 1787 ابحرت من بريطانيا المجموعه الاولى من الرقيق المحررين وعددهم 400 وصل منهم الى سيراليون 130 فقط بعد ان فتكت الامراض بمعظمهم وقد بدات بريطانيا تحت شعار تحرير الرقيق تنفذ خططها الاستعمارية الجديدة فى السيطرة على غرب افريقية ومن ثم اسست لهم مقرا سمته «فريتاون» اي المدينة الحرة حوالي سنة 1790 وما لبث ان وفدت اليها دفعة من الرقيق يطلق عليهم اسم الكريول وهم رقيق جزر الهند الغربية، وهذه الفئة كانت قد انفصلت عن اصولها القبلية القديمة واصبحت بهذا طائفة تختلف تماما عن الوطنيين الذين يعيشون اصلا فى غرب افريقيا وخاصة سيراليون .

5) وفى التسعينات من القرن الماضي عندما رات انجلترا ان فرنسا تتوسع تدريجيا فى غرب افريقيا اعلنت حمايتها فى سنة 1892 على منطقة فى مساحة اسكتلندة وهي بعيدة عن البحر من مستعمرة سيراليون وبدات غارات الانجليز على هذه المناطق كما سارعت بريطانيا الى عقد معاهدات مع زعماء القبائل الذين كانوا يحكمون الاراضي شرق المنطقة الساحلية وهكذا ضمنت انجلترا عدم منافسة فرنسا لها فى هذا الجزء من غرب افريقيا .

6) وفى عهد الاستعمار البريطاني انقسمت سيراليون اداريا الى قسمين احدهما المستعمرة وهي عبارة عن الجزء الساحلي وشبه الجزيرة ومساحتها 256 ميلا مربعا والاخر الحمية ومساحتها 27،925 ميلا مربعا وقد اقام فى المستعمرة الكريول وهم الطبقة الممتازة التي استأثرت بالثقافة والمراكز الادارية والوظائف ، اما الحمية فيعيش فيها السكان الوطنيون، وكانت جميع المناصب فى الحمية يتولاها الاوربيون .

7) ونتيجة لما تقدم هب الشعب للمناضلة ضد الاستعمار وفى يوم الخميس 27 ابريل سنة 1961 تم اعلان سيراليون دولة مستقلة فى نطاق الكومنولث .

الاسلام فى سيراليون :

يؤلف مسلمو سيراليون اكثر من 50 بالمائة من السكان البالغ عددهم حوالي اكثر من ثلاثة ملايين نسمة .

ويلاحظ ان انتشار الاسلام بسرعة اذهلت المؤسسات المسيحية فى نصف القرن الاخير ففي سنة 1891 كان عدد مسلمي سيراليون (المستعمرة) 10 بالمائة فقط من السكان وارتفعت هذه النسبة الى 14 بالمائة فى سنة 1911 ثم اصبحت فى سنة 1931 حوالي 27 بالمائة وفى سنة 1952 تجاوزت النسبة 50 بالمائة .

وفى العاصمة **فريتاون** تتنافس القبائل المسلمة فى بناء المساجد فاذا بنت قبيلة مسجدا سارعت الاخرى الى بناء مسجد اخر .

وقد اصبح فى العاصمة وحدها اكثر من عشرة جوامع منها الجامع العتيق والجامع الجليل وجامع القدس وجامع السلام وجامع الاجتهاد ، هذا بالاضافة الى المساجد الاخرى التى يطلق عليها اسماء القبائل الاسلامية كالتمنى والمندى وهما اكبر القبائل التى تخلصت تماما من **التقاليد الوثنية** .

والمعروف ان فى سيراليون جالية عربية معظمها من اللبنانيين الذين يبلغ عددهم حوالي 2900 نسمة ولبعض ابناء هذه الجالية نفوذ كبير وتربطهم ببعض الحكام والمسؤولين فى سيراليون روابط قوية وعلات وطيدة ويتمتعون بسمعة طيبة ومكانة مرموقة بين ابناء البلاد لمشاركتهم لهم فى عواطفهم القومية ويوجد فى **فريتاون** نادي عربي ويمتاز بفخامة بنائه واثاثه لدرجة ان حكومة سيراليون كثيرا ما تقيم فيه حفلاتها الرسمية .

❊ ❊ ❊



مسجد اسلامي كبير بصوفيا عاصمة بلغاريا

النشاط الاسلامى فى جزيرة "فرموزا"

على طريق «سن شنغ» الجنوبية فى مدينة تايبي ، ترتفع المآذن الرشيقة للمسجد الجديد الذى تم بناؤه عام 1960 ليشد على الجهد المخلص وروح التضحية عند المسلمين الذين قدموا الى **تايوان** منذ عشر سنوات خلت لكي يحتفظوا بحريتهم فى عبادة الله .

ولقد كانت (جمعية المسلمين الصينية) هي القوة الموجهة لهم فى هذا السبيل ، وقد دابت هذه الجمعية وتابعت اوجه نشاطها فى **تايوان** ، كما انجزت هذه الجمعية عملا آخر مرموقا وهاما ، الا وهو ترجمة معاني القرءان الكريم الى اللغة الصينية ، ولقد انكبت على انجاز هذا المشروع هيئة خاصة للترجمة كرست لها لجهود مدة سبع سنوات وتم بعدها طبعه ونشره فى سفر يشتمل على 400.000 كلمة.

وتقوم الجمعية ايضا بتحرير مجلة باللغة الصينية واسمها (مجلة الجمعية الاسلامية الصينية الشهرية) ولقد حصرت هذه المجلة نطاق رسالتها فى تكريس الجهود على المقالات المتعلقة بالدين والعقيدة وتقصي الاخبار من الاقطار الاسلامية وكذلك المعلومات حول نشاط الجمعيات الخاصة .

وبالاضافة الى ذلك فالجمعية تشرف على برنامج اذاعي اسبوعي توجيهي ديني لشرح مبادىء الاسلام واخلاقه .

وهناك مدارس صينية لابناء المسلمين الذين يتجاوزون الثانية عشرة من العمر تشرف عليها دائرة ورعاية الشباب التابعة للجمعية ، وتقوم الدوائر بتزويد الكتب والمجلات للمسلمين العاملين . ولقد قام المسلمون بارسال خمس ارساليات للحج الى مكة المكرمة فى السنوات الست الماضية ، وبعد الزيارة يقوم الحجاج بزيارة الامم الاسلامية الاخرى التى يمرون فيها فى طريق عودتهم الى تايبي .. وهناك مجموعات عديدة من حجاج **تايوان** زاروا مثل هذه الامم الاسلامية فى ليبيا ، وتركيا ، والاردن ، ولبنان ، والباكستان ، وسنغافورة ، والملايو .

مسلمو ليبيريا المنسيون..!!

تعتبر ليبيريا من دول افريقيا على الساحل الجنوبي بين ساحل الحاج وسيراليون وجنوب غينيا، وقد نشرت مجلة **«حضارة الاسلام»** الجامعة التى تصدر فى دمشق مقالا تحت هذا العنوان مترجما عن مجلة باكستان الفتاة الاسبوعية ، التى تصدر فى «دكا» عاصمة باكستان الشرقية جاء فيه :

لا نجد فى ليبيريا الا عددا من المساجد المبعثرة فى انحائها المختلفة ، واما فى العاصمة فلا يوجد الا مسجدان ولكنهما بالطبع لا يمكن ان يستوعبا كافة المصلين ، ولذلك نجد الكثيرين يؤدون صلاة الجمعة فى الشارع ، وليس هناك بليبيريا ايضا دعوة للاسلام الحق ، وان كنا نرى للقاديانية بعثة تبشيرية منظمة ، وينطلق مبشروها ليعلموا بجد ونشاط فى انحاء كثيرة من الدولة .

ونجد ان المسلمين ، بسبب نقص التوجيه الاسلامي ، ليس لديهم الا فكرة ضئيلة عن الاسلام ولذلك يمكننا ان نلمس النشاط الهائل لهذه البعثات فى كافة انحاء غرب افريقيا .

ونلاحظ ان رئيس جمهورية ليبيريا وكافة اعضاء الوزارة هناك هم من المسيحيين، وقد كان رئيس الجمهورية مبشرا محليا فى عدد من الكنائس، قبل ان يصبح رئيسا للجمهورية .

واخيرا فان الاسلام فى ليبيريا يحتاج لكل مساعدة ممكنه ، من قبل مفكري واغنياء ومنظمات العالم الاسلامي ، فعلى هؤلاء جميعا يقع واجب تعليم المسلمين فى ليبيريا ، وتقديم كل عون ممكن للقضية الاسلامية فى تلك الاماكن النائية ، والمنسية والمهملة من قبل المسلمين .

وهناك الكثير من الاعمال الطيبة التى يمكن القيام بها فى ليبيريا ، اذا ما ارسلت المساعدات الروحية والمادية ، واذا ما ارسل الشباب المخلصون النشطون الذين لديهم الجراة والجلد على التوغل فى مجاهل افريقيا ، ثم دعوة السكان الى هذا الدين العظيم ، الذى يناسب اكثر من اي نظام ءاخر حاجة الافريقيين .

وليس هناك هدية قيمة، تقدمها لشعب افريقيا، الذي اهين من قبل وعومل معاملة سيئة لمدة قرون طويلة ، اكثر من اخوة الاسلام الشاملة .

. . .

حركات الجهاد الإسلامية في جنوب إفريقيا

حركة الجهاد الاسلامية فى مدينة « الكـاب » بجنوب افريقيا حركة نشطة تعمل على توعية المسلمين فى تلك البلاد بشؤون دينهم ، فهناك عدد لا يستهان به من المسلمين فى جنوب افريقيا ، اذ يبلغ تعدادهم حوالي 170 000 شخص معظمهم فى مدينة « الكاب » نفسها وهناك عدد من الجمعيات الاسلامية العاملة فى صفوفهم من أهمها هذه الحركة التي تتخلص نشاطاتها فيما يلي :

1) اصدار مجلة شهرية مبسطة باللغة الانجليزية باسم الجهاد .

2) يتفرع عن الحركة لجنة خاصة تسمى لجنة الدفاع عن فلسطين .

3) يتفرع عن الحركة ، صندوق المنح الدراسية ، يقوم على جمع التبرعات لارسال طلاب مسلمين الى الجامعات العربية والاسلامية واعدادهم كدعاة بالاضافة الى مهنهم الاصيلة .

4) للحركة لجنة خاصة تسمى لجنة الدعوة الاسلامية تقوم بتنوير المسلمين ودعوة الاخرين الى الاسلام ولهذه اللجنة نشاط طيب فى هداية غير المسلمين الى الاسلام .

5) للحركة فرع فى غانا يسمى جمعية التسامح الاسلامي وآخر فى نيجيريا وهي على صلة برابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة .

ومن الجدير بالذكر ان المسلمين فى جنوب افريقيا يواجهون اضطهادا عنيفا فلم ينس بعد مصرع الداعية الشاب والكاتب المكافح المسلم الامام عبد الله هارون الذي قتل تحت التعذيب الوحشي فى سجون جنوب افريقيا .

ومن الملاحظ ان وسائل الاعلام العالمية ، المتواطئة ، تضج بالدعايات عن امور كثيرة كالتمييز العنصري واضطهاد السود فى جنوب افريقيا ، ومحاربته تنبع من عقيدتهم السامية التي تقرر لا فضل لعربي على عجمي ولا لاحمر على أسود الا بالتقوى ، ومن هنا فقد صمتت عن مصرع الامام عبد الله هارون، كما صمتت عن ثورات افريقيا الاسلامية فى حين ذكرت احيانا الثورات غير الاسلامية .

• • •

إحصائيات حول الثروات الطبيعية والانتاج الصناعي والفلاحي بالأقطار الاسلامية

للأستاذ عبد القادر القادري
بوزارة العدل

تبلغ مساحة العالم الاسلامي ما يقارب ثلث مساحة اليابسة وهو بذلك يكون اكبر وحدة في العالم تشترك في مزايا روحية وفكرية وتصورات واحدة ، كما يضم مجموعة ضخمة من البشر تقرب من 700 مليون نسمة . وتحتوي اراضيه على خيرات لا غنى لاروبا وامريكا عنها في الحرب والسلم . وها هي احصاءات عن هذه الخيرات :

الثروات الطبيعية

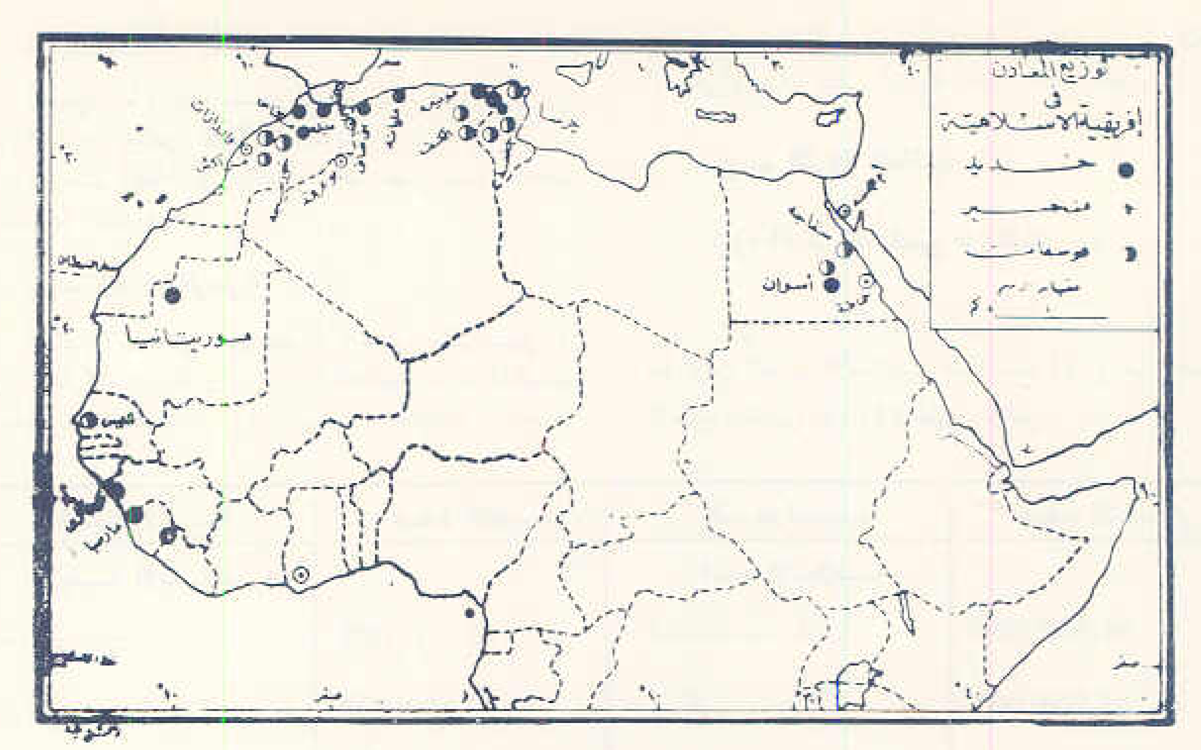
أ ـ الثروة الغابية :

تنتشر الغابات بانواعها في المغرب والجزائر وتونس وغينيا وغامبيا ونيجيريا وتشاد ومالي والسنغال والسودان (افريقيا الاسلامية) . وفي اندونيسيا واتحاد ماليزيا وباكستان وتركيا وايران وافغانستان وسيبريا والقوقاز (آسيا الاسلامية) .

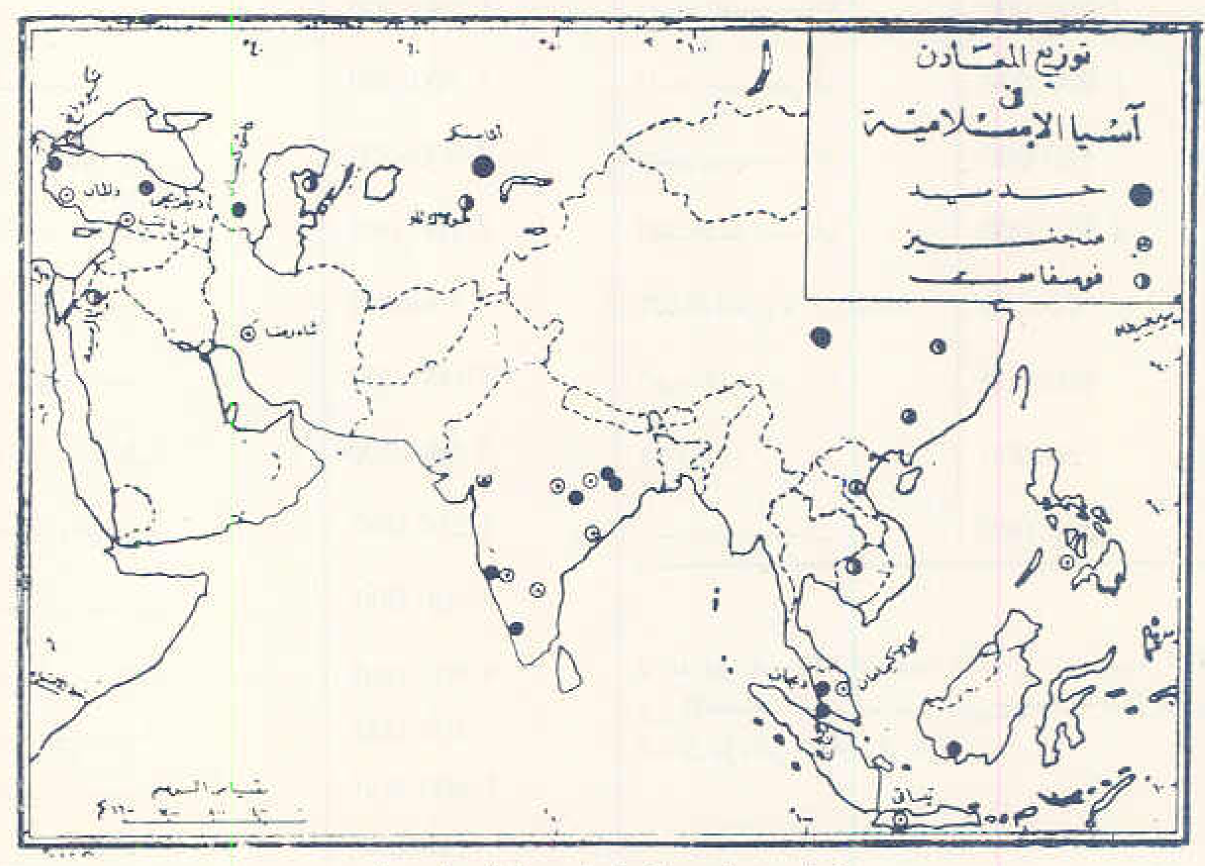
انتاج الاخشاب :

اولا : افريقيا الاسلامية :

تشاد	2٫800٫00	متر مكعب
مالي	2٫500٫00	» »
السنغال	2٫400٫00	» »
السودان	20٫600٫00	» »
تونس	1٫200٫00	» »
المغرب	1٫000٫00	» »
نيجيريا	30٫000٫00	» »
ثانيا : آسيا الاسلامية :		
اتحاد ماليزيا	9٫100٫00	» »
اندونيسيا	3٫000٫00	» »
تركيا	7٫000٫00	» »



توزيع المعادن فى افريقيا الاسلامية



توزيع المعادن فى آسيا الاسلامية

انتاج المطاط الطبيعي :

اصبح انتاج اندونيسيا واتحاد ماليزيا 80 ٪ من جملة الانتاج العالمي للمطاط الطبيعي ، وقد دخلت زراعة اشجار المطاط في نيجيريا وهو يمثل عنصرا هاما في تجارتها الخارجية .

ب ـ الثروة الرعوية :

العالم الاسلامي غني بغطائه النباتي والرعوي ، ففي آسيا الاسلامية وافريقيا الاسلامية تمتد اقاليم السفانا Savane والاستبس Steppe واجزاء واسعة من الاقاليم الصحراوية : تعطي من الكلأ الصحراوي ما يكفي لتربية بعض انواع الحيوان .

ج ـ الثروة الماشية :

ثروة العالم الاسلامي من الابقار :

تبلغ الثروة العالمية من الابقار مليار راس . اما ثروة الدول الاسلامية فتبلغ 11 ٪ من جملة الانتاج العالمي اي 111 مليون راس .

الدولة	عدد الابقار	الدولة	عدد الابقار
افريقيا الاسلامية		آسيا الاسلامية	
المغرب	2.670.000	باكستان	34.000.000
الجزائر	620.000	تركيا	13.704.000
تونس	570.000	ايران	6.500.000
مصر	1.590.000	اندونيسيا	7.100.000
غينيا	1.700.000	العراق	1.900.000
موريطانيا	2.000.000	سوريا	410.000
السودان	7.100.000	افغانستان	4.112.000
مالي	4.100.000	المملكة العربية السعودية	70.000
نيجيريا	7.000.000	الملايا	400.000
السنغال	5.540.000	الاردن	80.000
الصومال	3.250.000	لبنان	340.000
النيجر	3.700.000		
تشاد	4.900.000		
غامبيا	200.000		
ايرتريا	1.600.000		
ليبيا	120.000		

لم تدخل في هذا الاحصاء البلدان الاسلامية الداخلة في الاتحاد السوفياتي التي توجد فيها ملايين من رؤوس الابقار .

ثروة العالم الاسلامي من الاغنام :

تبلغ جملة الثروة العالمية من الاغنام مليارا وعشرة ملايين رأس ، وتبلغ ثروة العالم الاسلامي 25٪ من جملة الثروة العالمية ، اي 252 مليون تقريبا .

الدولة	عدد رؤوس الاغنام
افريقيا الاسلامية	
المغرب	15 000.000
الجزائر	13.000.000
تونس	4.000.000
ليبيا	1.250.000
مصر	1.900.000
مالي	10.000.000
السودان	7.000.000
السنغال	2.000.000
ايرتريا	950.000
النيجر	7.000.000
غينيا	350.000
نيجيريا	3.000.000
تشاد	4.200.000
موريطانيا	6.100.000
الصومال	34.100.000
غامبيا	60.000

الدولة	عدد رؤوس الاغنام
آسيا الاسلامية	
باكستان	6.100.000
تركيا	35.000.000
ايران	32.000.000
اندونيسيا	3.900.000
العراق	9.750.000
سوريا	3.940.000
الاردن	810.000
المملكة العربية السعودية	4.000.000
لبنان	260.000
الملايا	40.000
افغانستان	30.000.000

لم تدخل فى هذا الاحصاء البلدان الاسلامية الداخلة فى الاتحاد السوفياتي التي توجد فيها ملايين من رؤوس الاغنام .

ثروة العالم الاسلامي من الماعز :

تبلغ الثروة العالمية من الماعز 380 مليون راس وهذا باستثناء الاتحاد السوفياتي الذي يملك قدرا مماثلا من الماعز . وتربي دول العالم الاسلامي 34 ٪ من مجموع الثروة العالمية من الماعز ، اى 124 مليون راس تقريبا .

الدولة	عدد رؤوس الماعز
افريقيا الاسلامية	
المغرب	7.700.000
الجزائر	7.000.000
الصومال الفرنسي	75.000
غامبيا	80.000
ليبيا	1.200.000
النيجر	5.200.000
نيجيريا	15.000.000
مالي	7.000.000
الصومال	6.000.000
غامبيا	100.000
السودان	6.900.000
تشاد	3.200.000
تونس	1.400.000
مصر	740.000
غينيا	40.000

الدولة	عدد رؤوس الماعز
آسيا الاسلامية	
افغانستان	1.500.000
اتحاد ماليزيا	320.000
اندونيسيا	8.760.000
ايران	13.000.000
العراق	2.700.000
الاردن	700.000
لبنان	560.000
باكستان	10.200.000
المملكة العربية السعودية	900.000
سوريا	800.000
تركيا	22.100.000

لم تدخل فى هذا الاحصاء البلدان الاسلامية الداخلة فى الاتحاد السوفياتي التي توجد فيها ملايين من رؤوس الماعز .

ثروة العالم الاسلامي من الخيل والبغال والحمير والابـــل :

تربى الابل بكثرة فى الدول التي تشغل الصحراء جزءا كبيرا منها ومساحتها . فنجد مثلا السعودية تربي نحو من ربع مليون راســا من الابل ، وتربـي الصومال 4.500.000 راسا ، وموريطانيا ثلث مليون راس ، وتربي افغانستان 300.000 راس ، وتشـاد مثل هذا القدر . وتربي دول شمال افريقيا ثلاثة ارباع مليون راس ، (المغرب 190.000 راس) .

وتربى الخيل بكثرة فى تركيا 1.300.000 راس. وفى ايران ثلث المليون راس . وفى المغرب 570.000 راس . وفى الجزائـر 200.000 راس . وفى تونـس 100.000 راس .

واكثر الدول تربية للحمير ايران وتليها تركيا ثم باكستان ثم مصر ثم المغرب : 1.200.000 راس .

د ـ الثروة الزراعية :

الانتــاج الـزراعــي

انتــاج القمــح :

يبلغ الانتاج العالمي للقمح 280 مليـون طن ، ودول العالم الاسلامي المنتجة للقمح هي :

افريقيـــا الاسلاميـــة

المغــرب :	1.200.000	طــن متري
الجزائــر :	1.120.000	طــن متري
تــونــس :	660.000	طــن متري
مصــر :	1.600.000	طــن متري

اوروبـــا :

البـانيـــا :	98.000	طــن متري

آسيـــا الاســلاميـــة

باكستـان :	4.890.000	طــن متري
تــركيــا :	8.950.000	طــن متري
ايــران :	4.900.000	طــن متري
العــراق :	857.000	طــن متري
ســوريــا :	1.200.000	طــن متري
الاردن :	390.000	طــن متري
افغانستان :	1.970.000	طــن متري

لم تدخل فى هذا الاحصاء البلدان الاسلامية الداخلة فى الاتحـاد الـسوفيـاتـي .

الدول الاسلامية المنتجة للارز :

افريقيـــا الاسلاميـــة

غينيـــا :	340.000	طــن متري
مالـــي :	200.000	طــن متري
النيجيــر :	12.000	طــن متري
غـامبيـــا :	32.000	طــن متري
السنغــال :	100.000	طــن متري
المغــرب :	15.000	طــن متري
مصــر :	2.400.000	طــن متري

آسيـــا الاســلاميـــة

المـلايــا :	970.000	طــن متري
اندونيسيا :	12.240.000	طــن متري
باكستـان :	18.100.000	طــن متري
ســاروواك :	200.000	طــن متري
بورنيو الشمالية :	90.000	طــن متري
ايــران :	975.000	طــن متري
افغانستان :	400.000	طــن متري
تــركيــا :	200.000	طــن متري
العــراق :	190.000	طــن متري

لم تدخل فى هذا الاحصاء البلدان الاسلامية الداخلة فى الاتحـاد الـسوفيـاتـي .

الدول الاسلامية المنتجة للذرة :

افريقيـــا الاسلاميـــة

المغــرب :	370.000	طــن متري
مصــر :	1.170.000	طــن متري
السنغــال :	500.000	طــن متري
غـامبيـــا :	40.000	طــن متري
الصومــال :	42.000	طــن متري
النيجيــر :	1.000.000	طــن متري
مالـــي :	100.000	طــن متري
غينيـــا :	60.000	طــن متري
موريطانيــا :	120.000	طــن متري
الســودان :	1.100.000	طــن متري

آسيـــا الاســلاميــة

افغانستان :	800.000	طـن متري
العـــراق :	3.000	طـن متري
الاردن :	110.000	طـن متري
باكستان :	600.000	طـن متري
تـركيـا :	1.000.000	طن متـري
اندونيسيا :	3.670.000	طـن متري

لم تدخل في هذا الاحصاء البلدان الاسلامية الداخلة في الاتحاد السوفياتي .

الدول الاسلامية المنتجة للشعير :

افريقيـــا الاسلاميـــة

المغـرب :	1.200.000	طـن متري
الجزائـر :	1.000.000	طـن متري
تونـس :	300.000	طـن متري
مصـر :	150.000	طـن متري
ليبيـا :	114.000	طـن متري

آسيـــا الاسلاميـــة

تـركيـا :	3.900.000	طـن متري
سـوريـا :	600.000	طـن متري
الاردن :	70.000	طـن متري
العـراق :	640.000	طـن متري
ايـران :	1.204.000	طـن متري
افغانستان :	400.000	طـن متري
باكستان :	200.000	طـن متري

لم تدخل في هذا الاحصاء البلدان الاسلامية الداخلة في الاتحاد السوفياتي .

انتـاج المطـاط :

يبلغ انتاج المطاط الطبيعي 3ر2 مليون طـن .

والدول الاسلامية المنتجة للمطاط الطبيعي هي :

افريقيـــا الاسلاميـــة

نيجيريـا :	74.000	طـن متري

آسيـــا الاسلاميـــة

بـرونـي :	1.900	طـن متري
بورنيو الشمالية :	34.000	طـن متري
صـرواك :	55.000	طـن متري
الملايـا :	870.000	طـن متري
اندونيسيا :	700.000	طـن متري

ينتج العالم الاسلامي 55 ٪ من جملة الانتـاج العالمي اي 7ر1 مليون طن ، ويتركز الانتاج في الدول الاسلامية في جنوب شرق آسيا .

التوزيع الجغرافي للمطاط الطبيعي :

1 ـ الملايـــا :

تنتج الملايا 30 ٪ من جملة الانتـاج العالمـي وتتركز زراعة المطاط في السهول الساحلية وسفـوح الجبال المواجهة للرياح الحاملة للامطـار . وتعتبـر سنغفورة اكبر سوق لتجارة المطاط في العالم .

2 ـ اندونيسيـا :

يزرع المطاط في جزيرتي جاوة وسومطرة ، ولكن مزارع المطاط في سومطرة أكثر اهمية وانتاجا . وتنتج اندونيسيا 40 ٪ من جملة الانتاج في العالم الاسلامي .

3 ـ نيجيريـا :

ادخلت زراعة المطاط حديثا في نيجيريا التـي تنتج 2ر2 ٪ من جملة الانتاج العالمي .

انتـاج القطـن :

يبلغ الانتاج العالمي للقطـن 12 مليون طـن . والدول الاسلامية المنتجة للقطن هي :

افريقيـــا الاسلاميـــة

مصـر :	510.000	طـن متري
السـودان :	180.000	طـن متري
تشـاد :	40.000	طـن متري
نيجيريـا :	132.000	طـن متري
الصومـال :	970.000	طـن متري
النيجـر :	5.460	طـن متري

آسيـــا الاســلاميـــة

تركيـا : 350.000 طن متري
افغانستان : 40.000 طن متري
باكستان : 400.000 طن متري
العراق : 7.140 طن متري
سوريا : 470.000 طن متري
ايران : 435.000 طن متري
البلدان الاسلامية الداخلة في الاتحاد السوفياتي : 3.000.000 طن متري

تنتج دول العالم الاسلامي 20ر8 ٪ من جملة الانتاج العالمي للقطن اى 2ر7 مليون طن . وينتج الاتحاد السوفياتي من القطن اكثر من انتاج دول العالم الاسلامي . فقد بلغ انتاجه 3 ملايين طن متري . ويرتكز معظم الانتاج الروسي في اقليم تركمانيا الاسلامي في وادي نهر سرداريا واموداريا وفي جمهوريتي اذربيجان وداغستان الاسلاميتين

الفـول السودانـي :

الانتاج في العالم الاسلامي :

افريقيـا الاسلاميـة

نيجيريا : 1.270.000 طن متري
مالي : 120.000 طن متري
السنغال : 1.100.000 طن متري
النيجر : 190.000 طن متري
السودان : 260.000 طن متري
تشاد : 150.000 طن متري
غامبيا : 120.000 طن متري
مصر : 47.000 طن متري
غينيا : 35.000 طن متري

آسيـا الاسـلاميـة

اندونيسيا : 410.000 طن متري
تركيا : 25.000 طن متري

يبلغ الانتاج العالمي 7ر16 مليون طن متري . وتنتج الدول الاسلامية 10ر20 ٪ من جملة الانتاج العالمي اى 6ر3 مليون طن متري .

انتاج ثمر نخيل الزيت :

يبلغ الانتاج العالمي من ثمر نخيل الزيت : 1.600.000 طن متري ، واكثر من نصف هذا الانتاج يتركز في الدول الاسلامية :

الانتاج في الدول الاسلامية :

افريقيـا الاسلاميـة

نيجيريا : 420.000 طن متري
غينيا : 25.000 طن متري
غامبيا : 3.000 طن متري

آسيـا الاسـلاميـة

اندونيسيا : 40.000 طن متري
اتحاد ماليزيا : 34.000 طن متري

انتاج زيت الزيتون :

يبلغ عدد اشجار الزيتون في العالم 634 مليون شجرة ، ويختلف انتاج الزيتون من عام الى آخر وفقا للاحوال الجوية . ويبلغ الانتاج العالمي لزيت الزيتون 6 ملايين طن متري . واهم الدول الاسلامية المنتجة لزيت الزيتون هي تركيا ، اذ تنتج 6ر34 ٪ من جملة انتاج زيت الزيتون في العالم الاسلامي الذي ينتج 352.000 طن متري . وتأتي تونس في المركز الثاني . اما باقي دول البحر المتوسط في افريقيا وآسيا تنتج كميات محدودة .

انتاج زيت الزيتون في الدول الاسلامية :

افريقيـا الاسلاميـة

تونس : 105.000 طن متري
الجزائر : 24.000 طن متري
المغرب : 20.000 طن متري
مصر : 20.000 طن متري
ليبيا : 14.000 طن متري

آسيـا الاسـلاميـة

تركيا : 122.000 طن متري
سوريا : 21.000 طن متري
الاردن : 20.000 طن متري
لبنان : 5.000 طن متري

قصـــب السكـــر :

يبلغ الانتاج العالمي لقصب السكر 310 مليـون طن ، وتنتج منطقة بحر الكاريبي ثلث هذا القـدر ، ويزرع الاقليم الموسمي الاسيوي ثلث الانتاج ، والثلث الباقي موزع على جهات العالم .

ويزرع قصب السكر في دول العالـم الاسلامـي في نطاق محدود . وانتاجه للسكر محدود بالنسبـة للانتاج في العالم ، اذ يبلغ 9 ٪ من الانتاج العالمـي .

واهم الدول الاسلامية المنتجة لقصب السكر هي:

افريقيا الاسلامية

مصـــــر :	150.000	طـن متري
الصومـال .	149.700	طـن متري
النيجيـــر .	32.000	طـن متري

آسيـــا الاسلاميـــة

باكستـــان :	22.100.000	طـن متري
اندونيسيا :	658.000	طـن مترى

زراعـــة التبـــغ :

اكثر الدول الاسلامية انتاجا للتبغ تركيـــا : اذ يعادل انتاجها 37 ٪ من جملة الانتاج في العالم الاسلامي الذي يبلغ انتاجه مجتمع 10ر7 ٪ من جملة الانتـاج العالمي الذي يبلغ 2ر4 مليون طن متـري . وتمثـل الباكستان المركز الثاني 6ر2 ٪ من جملـة الانتـاج العالمـي .

الدول الاسلامية المنتجة للتبغ :

افريقيـــا الاسلاميـــة

الجزائـــر :	12.500	طـن متري
نيجيريـــا :	13.700	طـن متري
النيجيـــر :	5.000	طـن متري

آسيـــا الاسلاميـــة

تـركيـــا :	170.000	طـن متري
ايـــران :	14.000	طـن متري
اندونيسيا :	9.000	طـن متري
باكستـان :	100.000	طـن متري
الملايـــا :	36.000	طـن متري
العـــراق :	11.000	طـن متري
لبنـــان :	6.000	طـن متري
سوريـــا :	2.000	طـن متري

هـ ـ الثـروة المائيـة :

انتـــاج الاسمـــاك :

تنتج الدول الاسلامية من مصايدهـا البحريـة وانهارها وبحيرتها انواعا كثيرة من الاسماك وكميات كبيرة ، بعضها يستهلك محليا والبعض الاخر يدخل في التجارة العالمية .

واهم الدول الاسلامية انتاجا للاسماك هي :

افريقيـــا الاسلاميـــة

المغـــرب :	207.000	طـن متري
مصـــــر :	104.000	طـن متري
الجزائـــر :	18.000	طـن متري
تـونـــس :	32.000	طـن متري
الســودان :	18.000	طـن متري
السنغـال :	130.000	طـن متري

آسيـــا الاسلاميـــة

اندونيسيا :	540.000	طـن متري
باكستـــان :	350.000	طـن متري
اتحاد ماليزيا :	200.000	طـن متري
تـركيـــا :	140.000	طـن متري

واكثر الدول الافريقية انتاج للاسماك المملكـة المغربية التي تنتج بمفردها نصف انتـــاج الـدول الاسلامية الافريقية .

و ـ الثروة المعدنية :

الحديد

انتاج الحديد في العالم الاسلامي :

يبلغ الانتاج العالمي للحديد الخام 281 مليون طن متري . ويبلغ انتاج العالم الاسلامي 12 مليون طن اى 4ر2 ٪ من جملة الانتاج في العالم .

الدول الاسلامية المنتجة للحديد :

افريقيا الاسلامية

الجزائر :	1.800.000	طن متري
غينيا :	850.000	طن متري
مصر :	450.000	طن متري
المغرب :	890.000	طن متري
تونس :	960.000	طن متري

آسيا الاسلامية

ماليزيا :	6.900.000	طن متري
تركيا :	970.000	طن متري
باكستان :	2.000	طن متري
ايران :	32.000	طن متري

Le graphite الفولفرام والكرافيت Le Wolfram

يوجد هذان المعدنان بآسيا الوسطى الاسلامية الداخلة في الاتحاد السوفياتي .

الفوسفاط :

يبلغ الانتاج العالمي للفوسفاط 1ر44 مليون طن متري . وينتج العالم الاسلامي 1ر15 مليون طن اى 34 ٪ من جملة الانتاج العالمي .

وتحتل المملكة المغربية المركز الاول في الانتاج بين دول العالم الاسلامي ، اذ يبلغ انتاجها 67 ٪ من جملة الانتاج في العالم الاسلامي ، و 7ر22 من جملة الانتاج العالمي .

الدول الاسلامية المنتجة للفوسفاط :

افريقيا الاسلامية

المغرب :	10.198.000	طن متري
تونس :	2.751.000	طن متري
مصر :	627.000	طن متري
الجزائر :	73.000	طن متري
السنغال :	798.000	طن متري

آسيا الاسلامية

الاردن :	570.000	طن متري
فلسطين المحتلة :	280.000	طن متري

قد اكتشفت اخيرا مناجم مهمة للفوسفاط بالساقية الحمراء ووادي الذهب اللتين تحت نفوذ الاستعمار الاسباني .

المنغنيز :

ينتج العالم الاسلامي 5ر9 ٪ من جملة الانتاج العالمي . وتنتج مصر بمفردها 51 ٪ من جملة الانتاج في العالم الاسلامي .

الدول الاسلامية المنتجة للمنغنيز :

مصر :	330.000	طن متري
المغرب :	670.000	طن متري
السودان :	3.000	طن متري

آسيا الاسلامية

تركيا :	30.000	طن متري
باكستان :	500	طن متري
ايران :	900	طن متري

لم تدخل في هذا الاحصاء بلدان آسيا الوسطى الداخلة في الاتحاد السوفياتي حيث يوجد فيها بكثرة .

القصدير :

ينتج العالم الاسلامي 58 ٪ من جملة الانتاج في العالم . وتنتج دول شرق آسيا الاسلامية 48 ٪ من جملة هذا الانتاج والنسبة الباقية القليلة توزع على دول افريقيا الاسلامية .

افريقيــا الإسلاميــة

نيجيريــا :	11.800	طــن متري
النيجيــر :	90	طــن متري
المغــرب :	1.000	طــن متري

آسيــا الاســلاميــة

اتحاد ماليزيا :	640.000	طــن متري
اندونيسيــا :	14.000	طــن متري

لم تدخل في هذا الاحصاء بلدان آسيا الوسطى الاسلامية الداخلة في الاتحاد السوفياتي والذي توجد فيها مصادر هائلة من القصدير .

الـزنـــك :

يبلغ انتاج دول المغرب الثلاث 68 ٪ من جملة الانتاج في العالم الاسلامي .

الدول الاسلامية المنتجة للزنك :

افريقيــا الاسلاميــة

المغــرب :	84.000	طــن متري
الجزائــر :	38.000	طــن متري
تــونــس :	6.000	طــن متري

آسيــا الاســلاميــة

ايــران :	90.000	طــن متري
تــركيــا :	5.700	طــن متري

لم تدخل في هذا الاحصــاء بلــدان آسيــا الوسطى الاسلامية الداخلة في الاتحاد السوفياتي والتي تنتج من هذا المعدن مقادير هائلة .

الـرصـــاص :

ايران اكثر الدول الاسلامية انتاجا للرصاص ، اذ تنتج 65 ٪ من جملة الانتاج في العالم الاسلامــي ، ويليها في الاهمية المملكة المغربية ، اذ يصل انتاجها الى 30 ٪ من جملة الانتاج العالم الاسلامي .

افريقيــا الاسلاميــة

المغــرب :	80.000	طــن متري
تــونــس :	14.000	طــن متري
الجزائــر :	9.800	طــن متري

آسيــا الاســلاميــة

ايــران :	160.000	طــن متري
تــركيــا :	6.700	طــن متري

لم تدخل في هذا الاحصــاء بلــدان آسيــا الوسطى الاسلامية الداخلة في الاتحاد السوفياتي حيث يوجد منها هذا المعدن بكثرة .

البوكسيــت Le bauxite

ينتج العالم الاسلامي من هذا المعدن 10 ٪ من الانتــاج العالمــي .

والدول الاسلامية المنتجة هي :

افريقيــا الاسلاميــة

غينيــا :	1.780.000	طــن متري

تحتل غينيا الصــدارة في هــذا المعــدن في العالــم الاســلامــي .

آسيــا الاســلاميــة

اندونيسيــا :	650.000	طــن متري
اتحاد ماليزيا :	670.000	طــن متري
المــلايــا :	490.000	طــن متري
ســراواك :	170.000	طــن متري

لم تدخل في هذا الاحصاء بلدان آسيا الوسطى الاسلامية الداخلة في الاتحاد السوفياتي والتي تنتــج من هذا المعدن كميات هائلة .

النحـــاس :

الدول الاسلامية المنتجة للنحاس :

اولا : افريقيا الاسلامية :

المغــرب :	1.900	طــن متري
الجزائــر :	1.000	طــن متري

ثانيا : آسيا الاسلامية :

تــركيــا :	29.000	طــن متري

ثالثا : أوروبــا :

البــانيــا :	2.700	طــن متري

تستأثر تركيا بانتاج النحاس اذ تنتج بمفردهـا 83 ٪ من جملة الانتاج الاسلامي .

لم تدخل فى هذا الاحصاء بلدان آسيا الوسطى الاسلامية الداخلة فى الاتحاد السوفياتي والتي تنتج كميات هائلة من هــذا المعــدن .

الكـــــروم

الدول الاسلامية المنتجة للكروم هي :

اولا : افريقيا الاسلامية :

الســودان :	15.600	طـن متري

ثانيا : آسيا الاسلامية :

تـركيـا :	430.000	طـن متري
ايــران :	76.000	طـن متري
باكستـان :	6.700	طـن متري

تنتج تركيا بمفردها 83 ٪ من جملة الانتاج فى الدول الاسلامية . ويعادل انتاجها 37 ٪ من جملـة الانتاج العالمي .

الكـوبالـــت

الدولة الاسلامية المنتجة للكوبالت هي :

المغرب : 16.000 طن متري اى 10 ٪ من مجموع الانتاج العالمي ، ويصنـــع من هذا المعــدن الآلات فى الطائرات النفاثة ، ويستخــدم كذلك فى صناعة الاسلحة الذرية .

الاورانيــــوم L'uranium

يوجد هذا المعدن فى عزبكستان وفى قرغيزيـا الداخلتين فى الاتحاد السوفياتي .

والمغرب يوجد به الاورانيوم الثقيـل الكتلــة والنادر وهو « يو 308 » .

التيتـــانيــــوم

يعتبر اتحاد ماليزيا من اكثر الدول الاسلاميــة انتاجا لهذا المعدن .

واهم حقول الانتاج فى كوالالامبور وسرمبـــان Serempan وكنتالاروت Kinta Larut . ويبلـغ انتاج اتحاد ماليزيا 3 ٪ من جملة الانتاج العالمي اى 40.000 طـن متـري .

ويلي اتحاد ماليزيا فى الاهمية السنغال ، وأهـم حقول التيتانيوم فى جوال Joal

---

التنجستـــــن

يدخل هذا المعدن فى صناعة آلات الطائــرات النفاثة . والدولة الاسلامية المنتجة له هي اتحاد ماليزيا.

الـــذهـــب

يبلغ الانتاج العالمي من الذهـــب 3ر1 مليـــون كيلو غرام . ويبلغ انتاج العالم الاسلامي 328 كلـغ . اى 026ر ٪ من جملة الانتاج العالمي .

والدول الاسلامية المنتجة للذهب هي السودان ونيجيريا والملايا وسراواك . وبلدان آسيا الوسطى الداخلة فى الاتحاد السوفياتي .

البتـــــرول

يبلغ الانتاج العالمي من البترول 1406 مليـــون طن متري وفقا لاحصاء عام 1964 . وتستأثر الدول الاسلامية باكثر من نصف الانتاج العالمي . ويعادل هذا الانتاج 34 ٪ من جملة الانتاج العالمي . وقـــد زاد انتاج العالم الاسلامي 111 مليون طن متري عن انتاجه عام 1961 . وتأتي الولايات المتحدة الامريكية فى المركز الثاني اهمية بعد العالم الاسلامي .

اما انتاج الاتحـاد السـوفياتـي – ومعظمـه فى الجمهوريات الاسلامية الواقعة فى نطاقه – فيبلغ 224 مليون طن متري اى 16 ٪ من جملة الانتاج العالمي .

ويوزع الانتاج فى العالم الاسلامي بالكم والنسب الآتيـــة :

(احصـــاء ابريـــل 1969)

الـــدولـــــة	انتاج النفط ب \ ى فى ابريل 1969
ايـــــــران	3.307.000
الـســعـــوديـــة	3.142.000
ليبيـــــا	2.998.000
الكويـــــت	2.854.000
العـــــــراق	1.528.000
الجزائـــــر	900.000
اندونيـــسيـــا	762.000
ابوظبـــــى	669.000
نيجيريـــــا	593.000
المنطقـة المحايـدة	503.000
قطـــــــر	364.000
عمـــــــان	326.000
مصـــــــر	280.000
صباح وبروني وسراواك	120.000
البحـريـــــن	67.000
تـونـــــس	66.000
تـــركيـــــا	65.000
دبـــــــر	65.000
ســوريـــــا	64.000
فلسطيـــن المحتلـــة	53.000
بـــاكستـــــان	60.000

الفحـــم الحجـــري

انتاج العالم الاسلامي من فحم البيتومين والانتر اسيـــت :

افريقيـــا الاسلاميـــة

المغـــرب :	482.000	طـــن متري
نيجيريـــا :	700.000	طـــن متري
الجزائـــر :	35.000	طـــن متري

آسيـــا الاســلاميـــة

تـــركيـــا :	1.450.000	طـــن متري
باكستـــان :	11.220.000	طـــن متري
اندونيسيا :	600.000	طـــن متري
ايـــران :	180.000	طـــن متري
افغانستان :	120.000	طـــن متري

اما قازخستان الاسلامية بالاتحاد السوفياتي فيبلغ احتياطها من الفحم الحجري 40 مليار طن .

واما فحم الليجنين فتنتج تركيا منه 3 ملايين طن

الفضـــــــة

اهم مناطقها فى السعودية والتركستان .

الصناعـــة الثقيلـــة

لا وجود للصناعة الثقيلة فى البلدان الاسلامية المستقلة ؛ اللهم الا فى قازاخستـــان وعزبكستـــان واذربيجان الاسلامية الداخلة فى الاتحاد السوفياتي .

من كل ما سبق يتضح ان العالم الاسلامي يتحكم فى أهم مصادر الطاقة فى العالم .



الذهب الابيض في معامل آسيا

◆ وان اكثر من 82 ٪ من صادرات البترول واحتياطاته ياتي من اقطار اسلامية ، وفي ضمنها الاقطار الاسلامية الداخلة في الاتحاد السوفياتي.

◆ وان المغرب وتونس والساقيه الحمراء ووادي الذهب يحتل مكان الصدارة من انتاج الفوسفاط.

◆ وان خازاخستان وعزبكستان واذربيجان وتركمانيا وتادجكستان وقرغيزيا الاسلاميه الداخلة في الاتحاد السوفياتي تحتل مكان الصدارة في انتاج القطن في العالم ، اذ يبلغ انتاجهـا 6 ملايين طن في السنة .

◆ وان احتياط قازاخستان وحدها من الحديد يبلغ 17 مليار طن ، ومن الفحم الحجري 40 مليار طن ، ومن البترول 50 مليار طن .

◆ وان 65 ٪ من انتاج روسيا الشيوعية من الالمنيوم و 58 ٪ من انتاجها من النحاس و 77 ٪ من انتاجها من الفحم الحجري و 28 ٪ من انتاجهـا من السليلوز و 95 ٪ من انتاجها للبترول ياتي من الاقطار الاسلامية التي تحت حكمها في آسيا الوسطى وقازاخستان. اذ يلغ انتاج هذه الاقطار من البترول 345 مليون طن . كما يوجد فيها معادن نفيسة كالالماس والجرمانيوم والزركونيوم والتونيوم والطانطال .

حقا ان المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي ليس لهما غنى عن موارد وخيرات العالم الاسلامي في الحرب وفي السلم .

الرباط : عبد القادر القادري

المراجع :

كتب ، ومجلات وصحف ، ونشرات عربية وفرنسيـة .

مطبوعات روسية:
— L'U.R.S.S. : chiffres - faits - comparaisons.
— Etudes soviétiques.

مجلة الاتحاد السوفياتي

فهرس العدد الخاص بالمولـد النبـوي الشريـف

ديوان المجلة :

المسلمون .. في ديار .. واقطار :